التحقيق الجنائي والجريمة



جمال شاهين

المجموعة الأولى

١ – ٩



منشورات المكتبة الخاصة

التحقيق الجنائي

والجريمة

المجموعة الأولى

١ – ٩

جمال شاهين

٢٠٢٣

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جمال شاهين

التحقيق الجنائي والجريمة





التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين

١

١

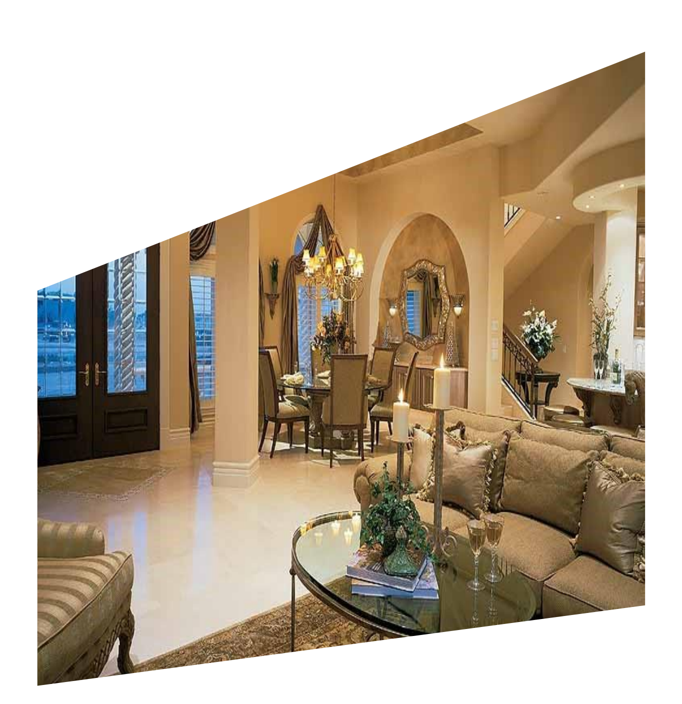
وصية جديدة

منشورات المكتبة الخاصة


منشورات المكتبة الخاصة
٢٠٢٣/ ١٤٤٤
الكيوي
جمال شاهين
وصية جديدة

جمال شاهين

وصية جديدة



جريمة

اتصل الطبيب برجال الشرطة وأخبرهم أن الرجل الذي قام بالكشف عليه قد مات مسموما وطلب حضورهم على الفور وذكر لهم العنوان ، وخرج ليتكلم مع أهل الميت ، فوجد رجلين وامرأة ينتظرونه فقال لهم : إن الرجل ميت ، واعلموا أن الأمر خطير والشرطة قادمة ومعها الطبيب الشرعي لمعاينة الجثة .

استمع الثلاثة للرجل باستغراب ، وظنوا أنه يكلم أشخصا غيرهم ، فقالت المرأة للطبيب : ما بك أيها الرجل .. ما الأمر ؟!

فقال الطبيب : يؤسفني أن أقول لكم إن هذا الرجل لم يمت موتا طبيعيا ، فقد دس له السم فمات متأثرا به .. مات مقتولا .

أصابت الثلاثة الصدمة والذهول فقالت المرأة : أبي مات مقتولا !

وقال زوجها :هذا أمر خطير !

وقال الرجل الآخر وهو ابن للميت : مات بالسم .. فعلا إن هذا أمر خطير !

حضرت الشرطة ، وتحدثوا مع الطبيب المعالج الذي وضح لهم أن الرجل الميت تناول سما فمات وجاء الطبيب الشرعي ورجال المعمل الجنائي ، وتحدث الضابط مع مرافقي الرجل الميت وسألهم بعض الأسئلة ، وأخبرهم بصورة الجريمة وأنه لابد من البحث عن المجرم والجناة ، ولما انتهى الطبيب الشرعي من فحص جسم الجريمة ، وأمروا بنقلها لعيادة التشريح ثم انتقلوا إلى مكان الجريمة ، وفوجئ الجميع بحضور رجال الأمن ، وأن الرجل مات مسموما أثناء الحفلة ، وكان المحتفلون في انتظار عودة الجثة ليستعدوا لعملية التغسيل والدفن والعزاء ، ولم يظنوا أنه مات مقتولا ، فالسيد نارم مريض مرضا خطيرا منذ سنوات ، فقام بينهم رجل الشرطة وقال بصوت واضح : أيها الاخوة .. السيد نارم قد مات ؛ ولكنه مات بفعل فاعل .. تناول شرابا مسموما.. إذن جريمة حدثت ، قاتل موجود بينكم .. استغل الجاني الحفلة ودس السم له .. هل عبث أحد بالأكواب والفناجين .. ؟

ردت الخادمة : إنها في المطبخ قمت بنقلها للمطبخ لم اغسلها بعد .

ـ ممتاز ..واعلموا أيها السادة أنكم كلكم معرض للسوأل والجواب .. فأرجو مساعدتكم وملاحظاتكم لنصل للمجرم بأسرع وقت ..هل غادر أحدكم المكان عندما نقل السيد نارت لعيادة الطبيب ؟

رد أحدهم : لم نر أحدا انصرف أيها الضابط .. فقد قام البعض للحمام فقط .

أمر الضابط المسؤول عن هذه الجريمة وكشف ملابساتها رجال المعمل الجنائي بالقيام بأخذ البصمات والعينات ، وحصر أسماء الحاضرين وعناوينهم ونوع عملهم ومكانه، كان الموجودون خمسة عشر شخصا سوى الأطفال ، أبناء نارم الثلاثة وزوجاتهم، وابنتاه وزوجاهما وامرأته وأختها ، وخادمة المنزل ومسؤول الحديقة ، وسائقه الخاص، وطلب ضابط التحقيق من ابنه الكبير المهندس " راجي" الحديث عن هذه الحفلة فقال المهندس راجي : يا سيدي الضابط كل عام نحتفل بمثل هذا التاريخ بذكرى زواج والدي من زوجته القديمة أمنا التي ماتت منذ سنوات .. وكالعادة يحضر الحفلة أبناؤه بزوجاتهم وأزواجهن ، وأحيانا بعض الأصدقاء ، ونحضر الحلوى والشراب المثلج والمنعش والفواكه ، وبعد الإصغاء لبعض الموسيقى والأغاني التي يحبها الوالد نتناول جميعنا الطعام والشراب ..أكلنا وشربنا.. أحضرت القهوة وشرب منا من يشربها ، وفعل الوالد مثلنا وما كاد ينهي الفنجان حتى كبا ووقع على الأرض ، وكانت الساعة الثانية عشرة ونصف تقريبا فذعرنا في البداية ، وتقدم زوج أختي ماهر وهو طبيب وفحصه ثم قال : إن الوالد مات ! فقمت أنا وماهرا وأختي بنقله للمستشفى ، وهناك أخبرنا طبيب عيادة الطوارئ بموته مسموما واتصل بكم ، وأنا مندهش فعلا لهذا الأمر ! .. فمن تجرأ على ارتكاب هذه الجريمة البشعة ؟!.. ولماذا يقتل هذا الشيخ المريض ؟!

ـ هذا ما سنعرفه ونكشفه ونوضحه .

وبعد أن قام رجال المعمل الجنائي بمهامهم انصرف البوليس حتى يطلعوا على تقرير الطبيب الشرعي بعد التشريح للجثة ، فقد كان القتيل مريضا بالقلب منذ أكثر من عشر سنوات ، وأن

السم دس له في فنجان القهوة فلما شربه ـ مع أنه لا يشرب القهوة إلا نادرا ـ ولما استقر الشراب في معدته أثر عليه سريعا فلقي حتفه ، وبعد أن تم دفنه وانتهت التعزية فيه في الصحف والبيوت استعد الضابط المحقق رامي للبحث عن المجرم ، فعلم أن "نارم" رجل مليونير يملك ما يزيد عن عشرين مليونا في بنوك مختلفة وذلك في سبعينيات القرن العشرين ، وترك إدارة أعماله منذ خمسة عشر سنة عندما ظهرت عليه أعراض مرض القلب فلزم البيت ، وقد ماتت زوجته الأولى من سبع سنوات ، فتزوج أختها الأرملة سما ، وللسيد نارم خمسة من الأبناء ، أكبرهم المهندس راجي الذي يعمل مديرا لشركة إنشاءات ومقاولات على مستويات عالية ، وهو متزوج من ابنة خالته سما التي أصبحت بعد وفاة أمه امرأة أبيه ، وهي مهندسة مثله ، وتعمل معه في الشركة، وقد تزوجها من أيام الدراسة في الجامعة ، والابن الأوسط للسيد نارم قد أنهى دراسته الجامعية في العلوم الإدارية وله معرض ضخم يبيع فيه الأثاث الفاخر والأجهزة الكهربائية المنزلية ، ومتزوج من فتاة غريبة عن العائلة ، وهي تعمل سكرتيرة في شركة أخيه المهندس واسمها سمر وأما الابن الثالث الأصغر فقد كان ضابطا في الشرطة وقد طرد من الخدمة لمشاكله العاطفية وتعلقه بالمخدرات ، وهو يعالج من الإدمان في أحد مراكز المعالجة من الإدمان ، وزوجته فتاة تعمل موظفة في إحدى وزارات الدولة ، وبينهما مشاكل كبيرة وكثيرة ، وقد حاولت أكثر من مرة بالتخلص منه بالطلاق والانفصال ، ولكن والد زوجها يتدخل ويقنعها بالصبر وبالمال والهدايا فتعدل عن ذلك ، وأما ابنته الكبرى صفاء فهي صيدلانية وتعمل في صيدلية خاصة بها وزوجها يعمل محاميا ويعتبر أيضا محاميا لشركة أخيها المهندس ، وأما البنت الصغرى فهي زوجة لطبيب يدعى "سامي" يعمل في مستشفيات ، وله عيادته الخاصة ، وزوجته قد أنهت دراستها الجامعية وتعمل معلمة للآداب الإنجليزية في مدارس القطاع الخاص ، أما زوجته السيدة سما فهي عنده منذ خمس سنوات ، ولها من العمر خمسون عاما ، وأختها التي شهدت الحفلة فهي أرملة من شهور مضت ، وأما الخادمة فهي تعمل لدى السيد نارم منذ أكثر من عشر سنوات وهي متزوجة ، والسائق الخاص فهو شاب في الثلاثينيات من العمر وله في خدمة السيد

نارم سنتين فقط ، وأما البستاني فهو رجل كبير في السن وقريب للعائلة وله أسرة ، هذه المعلومات الأولية التي اطلع عليها المحقق عن الأسرة وبالذات الذين حضروا الحفل وحيث قام أحدهم أو أكثر بوضع السم للسيد نارم بدون شفقة أو رحمة .

كان الدافع للجريمة الظاهر للمحقق المال الثروة الكبيرة التي يملكها المليونير ، فكأن أحدهم استعجل الميراث ، فمن يكون هذا المستعجل ؟ هذا ما فكر فيه الضابط فقام بعد ذلك الاحتمال بالاتصال بمحامي السيد نارم ، ثم عقد معه اجتماعا وسأله عن علاقته بالسيد نارم ومنذ متى له عامل عنده وهل كتب وصية ؟ وهل له أعداء داخل الأسرة ؟

المحامي صبرت صديق قديم لنارم ، وهو محاميه الخاص منذ خمس وعشرين سنة ، وبينهما طرف قرابة ، فقال المحامي للضابط : إن نارم يملك ثروة عظيمة تقدر بعشرين مليونا وبضع مئات من آلاف الدنانير ، وإنه حصل على هذه الثروة من هجرته لأمريكا الشمالية في مقتبل عمره ، ولما عاد للبلد افتتح مصنعا لصناعة الإطارات ، ثم اشتغل في مجالات الإنشاء والتعمير والتأجير والبيع ، ولما مرض مرضه الصعب أخذ بالاهتمام بالعلاج ، وباع كل ما يملك باسمه الخاص من المصنع والشركات الأخرى والعقارات وسافر إلى بريطانيا وغيرها للعلاج ؛ ولكن المرض لازمه وما زال مستمرا معه حتى توفاه الله ، ولم يترك تناول الأدوية الخاصة بهذا المرض ، هذا يا سيدي مجمل حياته يا سيد رامي .. وأنا فوجئت بالطريقة التي قضى بها نحبه وأما علاقته معي فهي علاقة صديق قديم .. والصحيح أنه لم يكن مرتاحا مع أبنائه ، كل منهم مشغول بتنمية ثروته كما علمهم ، فكانوا لا يعاملونه بالحنان والبر المطلوب لضيق أوقاتهم ؛ فلذلك كانت تحدث بينه وبينهم مشاجرات ومنازعات كنت أتدخل أحيانا فيها وألطف الجو والظرف بينهم .. أما أنا فلا أتصور أن يفكر أحدهم أو بعضهم للخلاص منه بهذه الطريقة القاسية .. فهو الذي أمدهم بالمال في أول عمرهم ثم تركهم يعتمدون على أنفسهم ، وقد نجحوا في البداية ولكن المغامرات قد هدتهم ودمرتهم ، وكنت أجتمع به كل أسبوع مرتين ساعة مساء الجمعة وساعة مساء يوم الثلاثاء إلا إذا طلبني .. وقد ترك وصية .. وأخرجها من ملف خاص

ووضعها أمام الضابط رامي فأمسك بها الضابط المحقق وقرأها ثم همس دهشة : أوصى للخادمة بخمسة آلاف دينار إنه مبلغ كبير ؟!

قال المحامي صبرت : إنها تخدم الأسرة من عشر سنوات إن لم تزد على ذلك، فهي مكافأة لها على شكل وصية .. لا أعلم هل تدري هي بهذا المبلغ أم لا ؟ فأنا لم أذكر لها ذلك خشية أن تتغير الوصية قبل الموت ، أما السائق نافز فهو يتقاضى راتبا شهريا جيدا مائة وخمسين دينارا ، وله في نهاية كل سنة مالية مكافأة مالية خمسمائة دينار ، ولم يوص له بدرهم واحد إلا السيارة القديمة الموجودة في كراج القصر .. وأوصى بمبالغ مالية كما ترى لأخت زوجته الأخيرة سما بعشرة آلاف دينار ، وللبستاني بخمسة آلاف دينار ، وبمبلغ يصل لمليون لعدد من الجمعيات التي كانت له بها علاقات اجتماعية ولدور الأيتام والعجزة ولبعض المشافي ولأحد الأندية الرياضية التي كان عضوا في هيئتها الإدارية قبل مرضه منذ خمس عشرة سنة .

أخذ الضابط نسخة عن الوصية .. وقال : متى سيطلع أولاده على وصيته ومتى سيقتسمون ثروته ؟

ـ سيكون ذلك بعد الانتهاء من هذه القضية كما طلبت مني وبعد معرفة المجرم القاتل .

ـ أنت خدمت السيد نارم من ربع قرن فلم أر لك اسما في الوصية ؟

قال المحامي وهو يخرج وصية أخرى ويقدمها لرامي الذي قال بدهشة : هذه وصية كبيرة جدا ! هل يعقل أن يوصي به ؟ وهل سيسلم أبناؤه لك بهذا المبلغ ؟

فابتسم المحامي وهو يرد على الضابط : مبلغ خمسين ألف من عشرين مليون ليس كبيرا يا سيدي.. وكما قلت فلي عنده خمس وعشرون سنة .. فكل سنة بألفين .

فقال الضابط : مبارك عليك .. أريد منك سيد صبرت أن نتعاون في حل طلاسم لغز هذه الجريمة .. لمعرفتك الجيدة والقديمة بالأسرة .

قال صبرت: أنا في خدمتك وعلى استعداد تام للتعاون .

قال المحقق : شكرا .. وأريد منك أن تكشف أمر هذه الوصية للأولاد ، ولكن بحضور الجميع

.. رتب اجتماعا ليليا معهم .. كل من حضر الجريمة في بيت المقتول .. وتحضره أنت بنفسك ، لا تبعث وكيلا عنك .. واكشف لهم أمر الوصية أي تقرأها وليكن مساء يوم جمعة حتى لا يتعلل أحد بالعمل والشغل .. أريد أن أراهم وهم يسمعون هذه الأرقام .



تحقيقات

قبل الاجتماع المقرر زار المحقق منزل نارم ، وطلب الخادمة وتحدث معها وعن أسرتها وأولادها وزوجها وسألها هل تعاني من مشاكل مالية ؟ فنفت ذلك وأنها حزينة لوفاة سيدها نارم ، وقد فكرت بترك الخدمة في هذا البيت بعد انتهاء التحقيق فقال الضابط : كم ترك لك السيد نارم من المال في وصيته ؟

فأجابت بسرعة : لا أدري.. وهل ترك لي شيئا ؟!

فقال المحقق : ألم يخبرك المحامي صبرت بأن السيد ترك لك مبلغا جيدا من المال ؟

ـ لا يا سيدي ما علمت بذلك .

ثم غير الضابط اتجاه السؤال فقال : كيف كانت حياة السيد بزوجته الحالية ؟

ـ علاقته جيدة .. وهو محب لها وما خرج في سفر هنا وهناك إلا كانت برفقته .. وهي أخت امرأته المرحومة وخالة الأولاد فلم ينظروا إليها بغيرة أو مشاركة في الثروة .

وعاد يقول : هل ضربك في بعض المرات ؟

ـ ضرب ! لا ؛ ولكنه أحيانا عندما يثور ويغضب يشتمني ..وأنا أخدم في هذا البيت منذ عشر سنين أيها السيد .. وهو رجل كبير وعليل فعليّ تحمل ساعات غضبه .

ـ مَن من أولاده يجرؤ على قتله ؟

ـ لا أعتقد أن أحدا يفعلها .

فقال الضابط : ولكنه مات مقتولا أيتها السيدة .. وأنت موقفك خطير ألست أنت التي أعددت الشراب والقهوة ؟ .

فقالت بثبات : هذا حق ؛ ولكني لا يمكنني أن ارتكب جريمة .. فأنا لم أضع له السم أيها السيد .. ولماذا أفعل ذلك ؟! طمعا بمبلغ من المال أوصى لي به كما ذكرت !

فقال المحقق : حسنا ، قلت إن علاقته مع أولاده طيبة ؛ ولكن عندنا معلومات تقول غير ذلك

فقالت بغضب : لا أدري أيها السيد .

ـ عليك مساعدتي في الوصول لمن تخلص من مخدومك أيتها السيدة الطيبة .

فعاد الهدوء للخادمة وقالت : أنا تحت أمرك .. أرد كما أعرف .

فقام المحقق وهو يقول : شكرا لك .. أين زوجته الآن ؟

فقالت : هي في الحديقة مع أختها شما .

ـ إني ذاهب إليهما فاصنعي لنا عصيرا واحذري أن يوضع به شيء .

وخرج مسرعا إلى الحديقة ليقابل زوجة السيد نارم سما وأختها شما التي استقبلته بحزن وأسف على وفاة زوجها الثاني بهذه الصورة القسرية فعزاها من جديد وقال : سيدتي الفاضلة من تشكين بأنه قاتل له ؟

ـ سؤال صعب الجواب عليه سيدي الضابط .. لا جواب عندي فما هم إلا أولاده وأصهاره .

ـ أثناء الحفلة قبل أن يشرب كوب الشراب هل أحد من الحاضرين غادر القاعة إلى المطبخ ؟

ـ لا أذكر أني رأيت أحدا يذهب للمطبخ .

ـ الحمام ؟

ـ هذا أمر طبيعي .. لقد قام أكثر من واحد إليه وأنا فعلت ذلك .

ـ رغم أنك خالة الأولاد فبعضهم يشك بك .

ـ لن أغضب هذه قضيتك فابحث عن الجاني .

ـ لقد أخبرني السائق أنك تشاجرت معه قبل موته بيومين في إحدى النزهات وشتمك وبصق في وجهك .

ـ حصل هذا ؛ ولكن هذا لا يدعوني لقتله .. فهو زوجي وزوج أختي من قبل ..وهو مريض وأخلاقه لم تكن ولا بد ، وأنه يحب زوجته الأولى كثيرا ولم ينساها بعد .. وهذه ليست أول مرة يؤذيني بها .

ـ وأنا لا أظن أن الدموع التي ترقرقت في عينيك عندما أقبلت عليك مزيفة .. سيدة شما كيف كنت مع السيد نارم .. وهل دعاك لحفلة قبل هذه المرة ؟

قالت السيدة سما : صدق أنها أول مرة .. ولم يدعوني هو إليها إنما فعلت ذلك أختي ، وكما تعلم أنا أرملة من عدة شهور انقضت فقط .. وإجمالا فعلاقتي مع المرحوم عادية .. فهو يعرف زوجي جيدا ، وكان يعمل معه قديما قبل أن يصفى أعماله .

فقال المحقق : هل تعلمين أنه ترك لك عشرة آلاف دينار ؟ .

أبدت الاستغراب وقالت : لا أعلم ذلك إلا منك الآن .

ـ نعم ، لقد أوصى لك بهذا المبلغ الزهيد بالنسبة لثروته ؛ ولكنه مبلغ يستحق المغامرة

فصاحت وهي تقف : أيها الضابط احترم نفسك .

فقام وقال : سيدتي هذه جريمة قتل مخططة ومدبرة فلابد من إثارة المتاعب لنصل إلى الحقيقة لنصل للقاتل .

أتت الخادمة وهي تحمل أكواب العصير البارد ، فتناول الضابط رامي كوبه وقال وهو يرشف من الكوب : حذار أن تكوني وضعت فيه سما .

فسقط كوب السيدة سما من كلام الضابط الساخر ، فاعتذرت لهم ، وشرب المحقق كأسه ، وسار للقاء البستاني أو السائق ، فوجد البستاني يجلس في طرف الحديقة فناده وسأله عن اسمه وكم له من الأيام في خدمة بستان السيد نارم فقال إن اسمه فريد، وله في الخدمة في هذا القصر منذ خمس سنوات ، وبينه وبين السيد نارم طرف قرابة من جهة الأب ، وعلاقته بالسيد نارم علاقة ودية ، ولا خصومات بينهما ، وراتبه الشهري مائة دينار ، وليلة الحفلة كان موجودا ، وكان يجلس مع السائق في غرفته القريبة من مدخل القصر الرئيسي ، ولما سمعوا الضجة في الداخل تركا الغرفة إلى قاعة الحفلة ، فوجدا السيد نارم قد فارق الحياة وأنهم يريدون نقله للمستشفى ، وعلموا لما جاءت سيارات الشرطة أنه مات مقتولا بالسم فأصابتهم الدهشة والقلق ، ثم سأله المحقق : هل دعوت لهذه السهرة العائلية ؟

رد بسرعة : لا .. ولكن السيدة سما طلبت مني الحضور وقضاء هذه الليلة مع السائق لطفي ، فوافقت ولم أسألها عن السبب ؛ لأنها كانت تطلب مني أحيانا النوم في القصر .

فقال المحقق : كيف صحبتك مع السائق لطفي ؟

ـ هو صديق مقبول رغم فارق السن بيننا .. أنا في الستين وهو في الثلاثين وهو شاب نشيط وقوي .

ثم استفسر منه عن العلاقة بين الخادمة وأولاد الزوج السيد نارم ، وبينه وبين الخادمة والأولاد فقال عن نفسه : بيننا ود واحترام متبادل حتى أنهم يعطونني بعض المال والملابس القديمة و...

وفجاءة قال الضابط : علمت أن السيد نارم أخبرك بأنه قد أوصى لك بخمسة آلاف دينار .

قال البستاني بارتباك وبطء: لا علم عندي يا سيدي .. ومن أخبرك بذلك ؟

ـ أحد الناس على كل سوف نتكلم معك مرة أخرى قبل أن أذهب أتذكر تلك الليلة جيدا ؟ عندما كنت تجلس مع لطفي .. هل غادر لطفي المكان إلى داخل القصر ولو للحظات؟

قال بسرعة : لا أذكر إلا أنه خرج بالسيارة ، وأحضر علبة سجائر من الخارج ..إنه يشرب الدخان كثيرا .

قال المحقق : أحسنت سيد فريد .

والتقى المحقق بالسائق لطفي ، واستمع له وعن نشاطه تلك الليلة وحركته وعلاقته بالسيد نارم ، فقال الشاب : السيد نارم جيد ؛ ولكنه عصبي وكثير السب والإيذاء .. ولكن الراتب الذي يدفعه لي جيد ، فكنت أصبر عليه ، ولكثرة توصية المحامي صبرت لي بالتحمل .. فهو الذي يسر لي العمل هنا ، فكلما يراني يحثني على تحمل غضبه وتوتره وثورته، وأتحمله أيضا لعملي الطويل مع المهندس راجي سائقا في الشركة فأصبر على آذاه الشخصي لي .. فأنا مجرد سائق عند السيد نارم .

ـ ليلة الحادث .. خرجت لشراء علبة سجائر فقط أم اشتريت معها شيئا آخر ؟

ـ أظن أني لم اشترِ إلا الدخان وعدت سريعا .

ـ لما رجعت هل كان فريد في الغرفة ينتظرك أم ... ؟

قال السائق : كان في انتظاري.. منذ دخلنا الغرفة لم أره يخرج إلا مرة واحدة ذهب لقضاء الحاجة

ثم عاد بعد فترة .

ـ لا يوجد حمام ملحقا بهذه الغرفة ؟

ـ الحمام داخل الفيلا ، ولكن يوجد حوض صغير للغسل .

فقال رامي : كم غاب فريد عنك ؟

ـ تقريبا عشر دقائق .. ولما عاد قال إنهم يستمعون للموسيقى .

ـ من دعاك لهذه الحفلة ؟

ـ السيد نارم بنفسه .. وفي العادة يدعونني لذلك .. فلربما يحتاجونني في شراء حاجة أو أمر أقوم به .

قال المحقق : سيد لطفي .. هل تنام هنا في هذه الغرفة ؟

ـ ليس دائما وإنما عند الضرورة عندما يشتد المرض على السيد نارم .. واعلم أن دوامي يبدأ من التاسعة صباحا للتاسعة ليلا وعند الظهر أترك العمل ساعتين لفترة الغداء .

ـ السيد أوصى لك بالسيارة القديمة في حالة وفاته ؟

قال السائق باسما: أعرف ذلك .. أخبرني ذلك منذ عملت معه .. وأنا استعملها في الذهاب للبيت ثم أعود للعمل .

صمت الضابط فترة من الوقت ثم عاد يقول : أريد أن أعرف منك كيف هي علاقة السيد نارم مع أبنائه وأصدقائه ومحاميه الخاص صبرت .

فقال السائق : اسأل وأنا أجيب .

جلس الضابط مع السائق لطفي جلسة طويلة ، ومع المساء عاد لبيته .

ذهب المحقق لشركة المهندس راجي وطلب الحديث معه ومع زوجته بشأن الحادث ولما جلس قال : علمت أنه كان بينك وبين أبيك مشاكل مالية .. أليس كذلك يا سيدة فاتن ؟

فقالت المرأة : لا أدري أيها السيد عن أي مشاكل تقصد ؟

وقال المهندس : أيها السيد المشاكل المالية لا يخلو منها أحد حتى أصحاب الثروات.

قال الضابط : قد يكون هذا صحيحا ؛ ولكنك كنت ترغب أن يعطيك مليونا فرفض وتدخل المحامي صبرت وأصلح بينكم .. وعلمنا من مصادرنا الخاصة أنكم تمرون في أزمة مالية حادة فاختصر المهندس الإجابة وقال : هذا صحيح ومعروف في أواسط الشركات المنافسة ، وكل هذا لا يدعوني لقتل والدي أيها السيد .

ـ أحسنت ! .. وأنا لم أقل ذلك .. ولكنه دافع قوي .. ولكن أحب أن استمع منك هل تشك بأحد ؟ .. وحدثني عن قوة علاقة أبيك بالمحامي صبرت .. وكيف كان والدك يتعامل معه ؟

أجاب المهندس إجابة مقتضبة ، وتكررت الأسئلة والزوجان يجيبان عنها حتى وصل الضابط للقول : إذن لقد فكرت بالجريمة والتخلص من الوالد لحل مشاكلك المالية ..وإنني أصدقك بأنك لم تفعل ولا زوجتك السيدة فاتن .. قد أعود إليكم مرة أخرى استودعكم الله أيها السادة

ثم زار الأخ الأوسط عدليا الذي كان في انتظاره فقال له : لم أجد زوجتك سحر في الشركة سيد عدلي ؟

ـ نعم هي في البيت إنها متعبة .. هل ترغب بالحديث معها ؟

ـ لا مانع من الحديث أمامها .. هل البيت بعيد ؟

فقال عدلي : لا .. بضعة كيلومترات .

وأوصى موظفيه بالمعرض ، وخرج برفقة المحقق إلى منزله، وهناك قامت السيدة سحر بالترحيب به وجلسوا في صالون البيت للإجابة عن أسئلة المحقق الذي قال : سلامتك أولا يا سيدة سحر .. أحب أن أزعجكم بضع دقائق .

ردت قائلة : سلمك الله .. ازعجنا كما شئت هذا واجبك .

فقال المحقق : سيد عدلي .. صراحة .. لماذا كنت تفكر بالخلاص من أبيك نارم أنت وزوجتك سحر ؟

صعق الاثنان لهذا السؤال الصريح والمباشر، ولما زال ارتباكهما قال عدلي بصوت هامس : سيدي .. من قال لك هذا ؟ هذا كذب ! هل يفكر الرجل بقتل والده ؟

قال الضابط : في هذا الزمان يجوز كل شيء ؛ لأن المال يعمي القلب .. وأنت رجل غرقان في الديون وتعشق القمار والشراب .

فقالت سحر : سيدي الضابط .. من أخبرك بذلك ؟

ابتسم المحقق : هذا أمر لا يخفى على أحد من الناس .. فأي صاحب لعدلي يقول لنا إن السيد عدليا مقامر خسران وسكير مدمن .. اذهبي إلى ثلاجتك فستجدين فيها الخمر .

فرفع عدلي من صوته قائلا : سيدي الضابط هذا شأني الخاص .. ولكني لم أقتل أبي لا أنا ولا زوجتي .

ـ أنا لم اقل إنك قتلت أباك إنما قلت إنك تفكر بذلك .. ومع ذلك فقد حاولت من قبل، لقد أغضبت والدك حتى انفعل غضبا ، وحصلت له أزمة وكاد أن يموت، فحرم عليك زيارته في البيت ؛ ولكن قبل الجريمة بأسابيع أصلح بينكم المحامي صبرت ، وعادت المياه لمجاريها كما يقال .

فقال : هذا صحيح ؛ ولكني لما أغضبته لم أقصد إيذاءه .

ـ النيات علمها عند ربي .. فأبوك مريض بالقلب وفي وضع صعب يحتاج للهدوء والسكينة .

ـ لم أقتله أيها السيد .

وحاورهما الضابط واستمع لهما ثم ودعهما وانصرف لمقابلة الابن الثالث الذي وجده في حالة إدمان فلم يستفد منه كثيرا ، فجلس مع زوجته واستمع لبعض مشاكلها مع زوجها ومع والد زوجها ، ثم غادرها للصيدلانية صفا وزوجها المحامي وشربوا الشاي معا ثم قال بأدب جم : تعرفون مهمتي أيها الكرام .. فواجبي يا سيدي المحامي معرفة القاتل.. وهذا يتطلب منكم

مساعدتي والإجابة على أسئلتي .

فقال المحامي زاهر : اسأل ما بدا لك يا حضرة الضابط رامي .

قال : المهندس راجي عنده دافع قوي للقضاء على أبيه ليحصل على المال اللازم لإنقاذ شركته من إعلان إفلاسها .. وبان لنا أن السيد عدليا كان يفكر بهذه الأمر بل فعله بطريقة غير مباشرة ليستمر في لعب الميسر وتسديد ديون البنوك .. والابن الصغير مدمن مخدرات ولديه أيضا الدافع للقتل ، ولكن عرفنا أن والده كان يغدق عليه من المال والمصروف الشهري ويعطي الزوجة ما يرضيها للبقاء عند زوجها وعلى ذمته.. وأنتم هل لديكم دافع للخلاص منه أم لا ؟ سؤال عنيف وشرس ولكن لابد منه يا سيدي المحامي ؛ لأنني علمت أيضا أنك متورط في قضية مالية صعبة مع أناس غرباء .. فما تقول ؟

ـ لديكم تحريات جيدة ؟؟ ولكن قضيتي الخاصة لا تدفعني لقتل عمي .

ـ ولكن طلبك من زوجتك بيع الصيدلية للسفر من هذا البلد والهرب لحل مشاكلك المالية القاسية أراه عامل ضغط عليها ودافعا للتخلص من السيد نارم الذي رفض مساعدتكم .. والبنك يحجز على كل العقارات التي تملكونها .. ومغامراتك المالية هنا وهناك جعلت حالك صعبا .. وأنت كما أشرت تحاول الهرب ولا ينقذك من هذه الورطة إلا ميراث الزوجة من ثروة أبيها .. وما قولك أنت يا سيدة رندا ؟

التزم المحامي الصمت ونظرت السيدة لزوجها ثم نظرت للمحقق وقالت : جميل لديكم معلومات مفصلة .. نحن فعلا في ورطة بل ورطات مالية .. وفعلا ضمنت الصيدلية لأحد الأصدقاء وفعلا نحاول الهرب للتخلص من مطاردة الدائنين حتى يتوفى الوالد وأخذ نصيبي من مال أبي المخزون ونسدد ديوننا ولكن لم نفكر بقتل أبي لنرث ثروته .

ـ أنا قلت هو دافع لديكم للتفكير ..أنا لم أتهمكم بالقتل لديكم سبب فقط .

قالت: وإن خطر في قلوبنا ذلك فصدق أننا لا يمكن تنفيذه .. وأقسم لك أننا ما حاولنا قتله حتى أنا لم أطلب من والدي المساعدة ولكن حصل أن طلبت من خالتي سما بعض المال للسفر

ـ منذ متى طلبت ذلك منها ؟

ـ منذ شهر تقريبا ولم أسمع منها ردا ولكنها قالت لما تسافري سأساعدك .

فقال المحقق : من من الناس مطلع على مشاكلك المالية الحادة أيها السيد ؟

فقال زاهر المحامي : هذا أمر معروف لدى العائلة حتى لعمي نارم ، ولكن كما أكدت زوجتي نحن لم نقتل والدنا الكبير نحن نفكر بالهرب فقط .

فنهض المحقق وقال : حسنا أيها الكرام سأنصرف على أمل اللقاء بكم قريبا بعون الله وأرجوكم مساعدتي بأي شيء يساعدنا في الوصول للجاني ليتم حصر الميراث وتقسيمه لتستقروا في البلد من جديد ولا تعودون تفكرون بالهرب من الدائنين .. فأي شيء تعرفونه يسهل المهمة .. كلكم خائفون وتخفون كثيرا من الملاحظات والحقائق لأن كل منكم لديه هاجس الجريمة .. وكلكم لديه شوق لمعرفة من الذي سبق بالقتل .. مساء الخير وإلى لقاء آخر .

وخرج الضابط وقد تركهم في حيرة واضطراب وامتقاع لون ، واتجه المحقق للأخت الأخيرة وزوجها الطبيب سامي ، فرحبا به وبلقائه وبأسئلته فقال بعدما رشف من فنجان القهوة الذي وضع أمامه : سيد سامي وسيدة رانيا هل أنتما سعيدان في حياتكما الزوجية ؟

تبادل الزوجان النظرات وقالت المعلمة : أجل نحن سعيدان والحمد لله رب العالمين

وقال الزوج : حياتنا طيبة.. هدوء .. أولاد .. قناعة .. مال .. فهذه هي الدنيا .

فقال الضابط : كيف أنت وعمك نارم ؟.. بل كيف تزوجت السيدة رانيا نارم ؟

فقال الزوج : أسئلتك لطيفة .. تعرفت عليها عن طريق العيادة ..جاءت مريضة ثم تعارفنا وتعمقت المعرفة وتزوجتها كما يتزوج باقي خلق الله ..علاقتي جيدة مع عمي نارم .. لا خصومات ولا مشاكل .. ونحن لا نزوره كثيرا في بيته ، مرة واحدة في الشهر ووقت المناسبات والأزمات المرضية .

ـ سيدة رانيا ..هل تحبين خالتك سما بعدما أصبحت زوجة لأبيك ؟

ـ أجل خالتي امرأة طيبة وهي صابرة وتتحمل أبي كثيرا .. فأبي كما تعلم مريض وبسبب كثرة

المكث في البيت زاد توتره وعصبيته .

قال الضابط : هذه الحفلة السنوية من يقوم على تنظيمها في العادة ؟

قالت : كانت تقوم بها والدتي في حياتها ؛ لتجتمع فيها العائلة ونفرح معا ويرى بعضنا بعضا ، ولما ماتت أمي اهتمت خالتي بهذا الأمر ؛ لأن أبي كان يحب أمي كثيرا ، وكان المحامي صبرت يقوم بمساعدة خالتي في تنظيم هذه السهرة العائلية ، ولكنه هذا العام لم يحضرها ؛ ولكنه شارك في الإعداد لها واعتذر لأمر خاص به عن حضورها .

وبعد جلسة هادئة غادرهم رامي إلى بيته ، وفي اليوم التالي زار المحامي صبرت ولما انتهى الترحيب والضيافة قال رامي : سيد صبرت الأمر محير لحتى الآن ، المهندس لديه دافع للتخطيط لجريمة ، والتاجر عدلي لديه مثل ذلك ، والمدمن لابد أنه يفكر بمثل هذا الأمر ، ولمسنا أن المحامي زاهرا عنده هذا التفكير ، فكل هؤلاء يعانون من مشاكل مالية صعبة .. المعلمة رانيا هي الوحيدة التي ما وجدت لديها رغبة في وفاة أبيها .. والسائق ليس عنده دافع للمغامرة ، ولكنه كان يتحمل الكثير من الإهانات ..وزوجته سها كانت أيضا تتحمله، أما أختها شها فهي بريئة إلا إذا تعاطفت مع أختها .. والخادمة والبستاني سأجتمع بهما مرة أخرى السؤال هل يمكن أن يكون هناك اتفاق وترتيب بين الجميع .. أو بعضهم على الأقل ؟.. ولكن لم ألمس من حواراتي معهم ذكاء خاصا في أحدهم ، هذه جريمة تحتاج إلى ذكاء وقوة قلب .. سيد صبرت بما أن علاقتك مع الجميع مقبولة ويسمعون منك ...

تبسم المحامي وقال مقاطعا : إنني صديق العائلة ، وأعرفهم منذ خمس وعشرين سنة أمضيتها قريبا منهم قبل أن يتعلموا ويتزوجوا ... فقطع الضابط تباهي المحامي بطول معرفته وقال : كلهم يثنون عليك وعلى إخلاصك وتفانيك في خدمة السيد نارم ومع ذلك فإن هناك محاميا آخر يعمل مع السيد نارم . اصفر وجه المحامي فجاءة وقال : سيد رامي .. ماذا تقول ؟!

ـ لا تنزعج كثيرا .. اتصل بي شاب محامي يقول إن له علاقة عمل مع السيد نارم ، وأثناء موته كان خارج الوطن ، ولما عاد وعلم بموته مسموما اتصل بي وذكر لي أن لديه أوراقا تخص السيد

نارم فماذا تقول ؟

رد المحامي : لا علم لي بذلك ، فزوج ابنته محامي أيضا لماذا لم يلجأ إليه؟! .. قابله يا سيدي وافهم منه واطلع على كتاب توكيله وأخبرني بذلك إن أحببت .

فقال المحقق : لقد قابلته فعلا وتأكدت أن نارم يعرفه .. وأخبرني السائق لطفي أنه كان يذهب بالسيد نارم إليه في مكتبه ويقول مرة أو مرتين وقبل موته بأقل من شهر زاره .. وكان السائق ينتظر في السيارة ولا يدخل معه المكتب .

فاستفسر المحامي : وهل كان بينهما عمل أم لا ؟ ـ وجدت عنده وصية غير التي عندك .

كان الضابط يحدق النظر في المحامي الذي قال ببطء : وصية ! وما فيها أيها الضابط؟

قال رامي : تقريبا نفس الوصية التي عندك ؛ ولكنه يوصي فيها لأزواج بناته بمبالغ كبيرة ، وخص زوجة ابنه الصغير بمبلغ اكثر الزوجات الأخريات ، ويوصي لك بعشرين ألف فقط والأهم أنه أعلم المحامي بأن كل الوصايا التي عندك لاغية وفاسدة .

لزم المحامي الصمت وقال بعد حين : من حكم في ماله ما ظلم .

فقال الضابط : ألم تعلم بهذا التعديل سيد صبرت ؟

ـ أبدا أبدا ـ سامحه الله ـ عشرون ألف مبلغ لا بأس به .

قال الضابط وهو ينهض قائما : يوم الجمعة القادم الاجتماع في منزل السيد نارم لقراءة الوصية الأخيرة فالرجاء أن تحضر ومعك الوصية الأخيرة له عندك .. لأن القضية تقريبا انتهت ، وقد وقعت العصابة في الفخ المرسوم .. فعليك أن تحضر لترى المجرمين القتلة .

وودعه وهو يبتسم ، وقبل الجمعة التقى المحقق مع السائق والخادمة والبستاني مرة أخرى وسألهم بعض الأسئلة ثم انصرف بعد أن أكد عليهم على حضور موعد يوم الجمعة .

الاجتماع

في الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة كانت أسرة نارم على موعد لسماع وصية الميت ، فكان أفراد الأسرة مجتمعين في إحدى قاعات القصر ، كلهم حضر الجلسة ، وكانوا يجلسون صامتين في انتظار الضابط الذي أتى ومعه عدد كبير من الأفراد والضباط ، ومعه الشاب المحامي ، وأتى صبرت بدوره وهو يحمل حقيبته السوداء ، وجلس الجميع فوقف الضابط أمامهم وقال : أيها الاخوة الأفاضل دعوناكم إلى المنزل الذي حدثت فيه الجريمة لتسمعوا لوصية السيد نارم ومن ثم نلقي القبض على القاتل الأثيم الخائن اللئيم الموجود بينكم .

ثم طلب من المحامي صبرت أن يقرأ الوصية القديمة ، فلما انتهى من قراءتها طلب منه أن يقرأ أمامهم الوصية الخاصة به ، وبعد أن انتهى قال المحقق : أيها الأخوة السيد نارم لم يحتفظ بهذه الوصية لقد لغاها وأمر بوصية أخرى ، وهي صحيحة وقام على تحريرها المحامي الشاب زكي وهي المعترف بها في المحاكم الشرعية وغيرها سيقرئها عليكم السيد المحامي زكي .

فلما انتهى زكي من قراءتها عليهم صمتوا وتعجبوا من تخفيض حصة المحامي صبرت من خمسين ألف إلى عشرين ألف ، وبعد تمتمات وهمسات لزم الجميع الصمت ليعرفوا المجرم القاتل فابتسم الضابط وقال : أيها الاخوة سيقوم رجال الشرطة بتفتيشكم لإخراج ما تحملون من أسلحة .. والأحسن أن يسلم كل من يحمل سلاحا سلاحه بدون تفتيش .

لم يفعل أحد ، فقام رجال الأمن بإخراج الأسلحة النارية ، فوجدوا مسدسا مع السيد صبرت وآخر مع الابن الصغير لنارم مدمن المخدرات ، ولما انتهى التفتيش وقف الضابط يقول أمام أعين الناظرين : أيها السادة .. أعلن أمامكم أن القاتل والمدبر لهذه الجريمة .. هو ..

وسكت وتطاولت إليه الأعناق ثم قال : هو .. المحامي السيد صبرت..

فحدثت ضجة في القاعة واحتجاج ، ولكن الشرطة كانت تلقي القبض على المحامي المدهوش، وتابع الضابط الكلام : وقام بتنفيذ الجريمة البستاني فريد وبمساعدة السيدة شما .

فعندئذ صاح المحامي مقرا : نعم أنا الذي رسمت جريمة القتل .. وأن السيد فريدا هو الذي

وضع السم ، وأن السيدة شما هي التي أسقته الكوب المسموم .

خيم الذهول على القاعة ، وبدأت العيون تنظر إلى القتلة وهم في دهشة كبيرة وقال المحقق : سأشرح لكم الآن التفاصيل وعلى المحامي صبرت تصحيح ما أخطئ به .. بدأ التخطيط للجريمة بسبب خلاف حاد بين السيد نارم والسيد صبرت.. السيد نارم كان يعتمد كثيرا على السيد صبرت في شئونه المالية والعامة والخاصة وفي سفره وعلاجه وإدارة منزله وحل مشاكله مع أفراد الأسرة .. وهو يتقاضى راتبا جيدا منذ خمس وعشرين سنة ألفي دينار في السنة مقابل هذه الخدمات ، وكل قضية قانونية يرافع فيها عنه يأخذ عليها مكافأة ، ولما تزوج السيد نارم من السيدة سما بعد وفاة زوجته الأولى وتخلص من باقي أعماله وتفرغ لمرضه أكثر خف عمل صبرت القانوني إلا من بعض الاستشارات والخدمات الخفيفة ؛ لذلك قلص السيد نارم راتب المحامي إلى ألف ومائتين دينار ، مائة دينار شهريا ، وقبل السيد صبرت المبلغ على مضض لأنه في الحقيقة لا يعمل لدى نارم وطمعا بالمبلغ الموصى له بعد وفاة السيد نارم الخمسون ألفا ..وبصفته المحامي الخاص والصديق للأسرة كان يطلع على مشاكل الأسرة ، وكان الأولاد يعتمدون عليه في إصلاح الود بينهم وبين أبيهم كلما توتر واشتد .. والمشكلة الكبرى التي دفعت المحامي للتفكير بهذه الجريمة أيها الاخوة .. هو تفكير السيد نارم بتطليق زوجته سما للزواج من أختها شما بعدما ترملت لعلاقة وقصة قديمة بينهما ، ولكن شما لما علمت بذلك انزعجت وصارحت المحامي بما يعرضه عليها نارم .. وخوفها على أختها من الصدمة والأسرة من الدمار والمشاكل ، فطلبت من المحامي أن يصرف نارم عن هذه الأفكار وكان المحامي الأرمل منذ سنوات قد وضع عينه على شما وأموالها التي ورثتها عن زوجها الميت ، فلما تدخل المحامي في الموضوع وأراد أن يمنعه من تطليق زوجته سما والزواج من أختها الأرملة الجديدة طلب منه إلغاء الوصية، وأنه سيحرر وصية جديدة فماطله صبرت ، ثم أخذ يدبر للجريمة والقضاء عليه قبل تغيير الوصية ، وطلب مساعدة شما والبستاني مقابل عشرة آلاف دينار سوى ما لهما في الوصية ، وشعر نارم بالمماطلة والمراوغة فذهب إلى المحامي زكي وحرر وصية جديدة عنده

وأخفى علاقته بالمحامي الجديد عن الجميع إلا السائق بصفته سائقه الخاص، ولم يكن يعرف السائق بالطبع بالمشاكل بين صبرت ونارم ، ولم يعرف لماذا تردد نارم على المحامي الجديد ؟فهو غير مكترث لم يقوم به السيد نارم ، صبرت طمعا بالخمسين ألف التي تكاد تطير من بين يديه ، وشما للتخلص من الزواج من السيد نارم وعدم طلاق أختها، والبستاني الطمع بالثروة والاستفادة من الوصية قبل أن يموت قبل نارم ، ورتبوا الأمر أو رتبه المحامي لهم واختاروا يوم احتفال نارم بذكرى زواجه من أم الأولاد ، وقد أثار المحامي الأولاد على التخلص من أبيهم بطرق غير مباشرة بأن دفعهم للتفكير والتخطيط بالقتل لحل مشاكلهم المالية ، وهذا ما حصل نتيجة ظروفهم السيئة وتم ترتيب الجريمة .. أحضر المحامي السم للبستاني فريد ، والسم المستخدم هو مادة يستخدمها السيد لمعالجة عضلة القلب فاذا أخذت بكمية زائدة عن الجرعة المطلوبة فستؤدي للموت العاجل أو الغيبوبة قبل الموت ، والسيد صبرت يعرف تفاصيل مرض السيد نارم والعقاقير التي يتعالج بها ، أظهر البستاني للسائق حاجته لدخول الحمام بعد الأكل والشرب ، فتسلل للمطبخ ووضع السم في أحد الأكواب حسب اتفاقه مع السيدة شما ، وكانت الخادمة قد أعدت أكواب العصير للجميع والسيد نارم يعد له شراب خاص في كوب خاص ، قامت شما بإعداده وقدمته للسيد نارم بنفسها ، وكان التخطيط أن يتعرض السيد نارم لازمة قلبية ، فيظن أنها السبب وراء موته ؛ لأنه مريض بالقلب ويأخذ أدوية للقلب فيها بعض المواد السمية ولكنها بدرجات ضعيفة .. المهم أن لا ينتبه أنه مات مسموما ، فينسب الموت للأدوية ولكن يبدو أن كمية السم زائدة وقوية ، وظهرت أعراض السم على العيون والبدن واضحة .. وقد أدرك طبيب المستشفى أن الرجل مات بالسم ، وليس بالقلب فاضطر لتبليغ البوليس والباقي تعرفونه .. شما شاركت في الجريمة إنقاذا لأختها سما من الطلاق الذي كان على وشك الوقوع.. وأرملة خير من مطلقة ، وهناك دافع آخر فبعد أن تهدأ العاصفة تفوز بزواجها من المحامي صبرت ، والبستاني فاز بعشرة آلاف ، وكان عنده حقد قديم على السيد نارم ، فاستغله المحامي لوضع السم في كوب خاص بالسيد نارم ؛ لأنه خاف أن تضعف شما

عن ذلك ، وأقنعه أنه دواء خاص للشفاء يرفضه السيد نارم ، وقد يؤدي لوفاته وقد يشفى شفاء كاملا ، ولما مات نارم تحدث مع المحامي فطلب منه لزوم الصمت ، وأنزل له في حسابه في البنك عشرة آلاف فلزم الصمت .. وأخيرا شكرا لكل من ساعدنا في معرفة هؤلاء القتلة ، وشكرا للمحامي زكي جميل على شجاعته وتعاونه معنا ، وشكرنا أيضا للسيد لطفي السائق الذي اطلعنا على كثير من المعلومات التي استطعنا بواسطتها الوصول للعقل المدبر لهذه الجريمة .. وهكذا الطمع في المال والغنى الفاحش دفعهم للقتل والإجرام ، وهكذا انتهت قصة مقتل السيد نارم .

تمت بحمد الله

* وصية جديدة *

كانت حفلة لإدخال السرور على الأب

تحولت لجريمة اغتيال للأب

لماذا قتل الرجل ؟!

ولماذا كتبت الوصية الجديدة ؟!

الجواب خلال صفحات هذه القصة



التحقيق الجنائي والجريمة



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين

٢

٢

مغامرة النادي

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

مغامرة النادي

جمال شاهين



المغامر سعد

بطل هذه المغامرة اسمه سعد!

ووالده هو المدرس في إحدى المدارس العليا في مدينة الأزهار الخضراء السيد سعيد محمود.

وبطل هذه المغامرة يقطن في حي من الأحياء الحديثة من أحياء مدينة الأزهار الخضراء واسم هذا الحي الكبير " حي الأمير"

وعندما سألناه عن سبب اسم حمل هذا الحي هذا الاسم قال :" كان يعيش في هذا الحي في ماضي الزمان أمير يقال له زيدان ..وما زال قصره العتيد يدل عليه.. ولكنه قصر قديم ومهجور .. فلما انتشر العمران حول هذا القصر سمي الحي بحي الأمير الذي مات منذ أكثر من مائة سنة ، كما يقول الآباء والأجداد."

وأما سكن هذا المغامر فهو يقع في شارع الأسماك رقم " ٧ " بناية سعيد محمود " وهو منزل كبير مكون من ثلاثة طوابق.

ويحيط في المنزل الكبير حديقة من الأشجار العالية والأشجار المثمرة وأحواض الأزهار الجميلة ، فالبيت يبدو كقصر في قلب غابة صغيرة.

فالأسرة تعيش عيشة كريمة ، فلهم كثير من العقارات المؤجرة في المدينة والبلد قبل رحليهم للمدينة منذ عشرات السنين.

والأزهار الخضراء مدينة تتوفر فيها الخدمات كلها من مياه وكهرباء وهواتف وشوارع منظمة وحدائق عامة ، وتصل إليها السيارات من أماكن مختلفة وفيها نادي كبير يسمى " نادي الأمير زيدان"

مغامرة النادي

نادي الأمير زيدان نادي كبير يقع في مدينة الأزهار وهو قريب من حي الأمير .. وهو نادي رياضي اجتماعي ثقافي ، وكثير من أهل الحي والمدينة أعضاء فيه ، ففيه ملاعب رياضية متنوعة قاعات احتفالات ومحاضرات متنوعة .. مطاعم مختلفة أشجار حدائق مسابح ملاهي وغير ذلك.

وكان السيد سعيد محمود من الأعضاء القدامى والبارزين في النادي ، وهو المسؤول عن ترتيب المواسم الثقافية والندوات العلمية التي يقيمها النادي لأهل المنطقة.

قال سعد بدأت حكايتي هذه من نادي الحي ، كنا في العادة نذهب للنادي في المساء بعد صلاة العصر ، ولي أصدقاء كثر في النادي أو زملاء مدرسة ، فإما أن نتشارك في اللعب .. نلعب كرة الطائرة أو كرة السلة أو نذهب لحوض أو حمام السباحة الجميل .. وإما أن نتفرج على اللاعبين في مختلف الملاعب والصالات أو نتنزه في الحدائق الجميلة وبين الأشجار الفاتنة نجلس نتحدث أو ندرس أيام الامتحانات .. الحقيقة أن نادي الحي كان مكانا رائعا وجميلا وهادئا بالنسبة لنا. ذات مساء كنت أنا وابن عم لي اسمه " حسن " نلعب في غابة النادي مكان كثيف بالأشجار الحرجية كأشجار الصنوبر والسرو والجوز والكينيا والبلوط ، كنت ألعب مع حسن بالقرب من تلك الغابة ، فمزحت معه بيدي فغضب مني فشردت منه نحو الغابة ، وهو يركض خلفي كنت أسرع منه وأخف وزنا ، ولما ابتعدت عنه أخفيت نفسي بين الأشجار، وأخذ هو يبحث عني حتى ابتعد ، فخرجت من دغل قد رميت نفسي فيه ، وما كدت أقف حتى سمعت أقداما فظننت أن حسنا قد عاد فأخفيت نفسي ثانية ، ولكن القادم لم يكن حسنا بل رجلا الشرر يتطاير من عينيه ، ويتكلم مع رفيق له بغضب حتى أنني خفت من منظره ، وكان خلفه رجل مثله في الطول واللباس وسمعت الأول يقول بصوت حاد : يا أبله .. لقد فشلت بالمهمة ولم تعرف أن تعود بالأوراق.

ففرض الموقف عليّ الإنصات لكلامهم فلذت بالصمت وسمعت الآخر يرد وهو يرتجف من

الخوف ويقول : يا سيدي .. يا سيدي ! ذهبت بنفسي معهم إلى المكان ، وفتشنا الغرفة تفتيشا دقيقا ، ووجدنا فيها صندوقا فخلعنا قفله ، ولم نجد فيه إلا ورقة .. صدقني يا سيدي .. وهذه هي الورقة.

وأخرج الرجل الخائف من سيده ورقة بيضاء من جيبه وقدمها للرجل الغاضب، بالطبع قال سعد : شعرت بخطورة موقفي ؛ ولكني كتمت أنفاسي ، ولا أدري ما الذي دفعني للحذر والصمت ؟

أخذ الرجل الغاضب الورقة وهو يقول : المهم أنكم فشلتم ولم تحصلوا على المعلوم .. حسنا سوف يغضب الزعيم ..أخشى أن لا يصدقنا ويقتلنا .. هذه هي المرة الثانية التي تهرب من بين أيدينا هذه الأوراق اللعينة.

ثم فتح الورقة وقرأها بصوت مسموع فإذا فيها : " أتعبتم أنفسكم " فسمع سعد الرجل يردد العبارة عدة مرات ثم قال :" أتعبتم أنفسكم " .. يا له من ماكر إنه يعرف أننا نريد الأوراق!
ثم قال وقد خفف من حدة صوته وغضبه : حسن يا أحمق !.. ادفع للرجال أجرهم .. وسوف اتصل بك .. ولا تأت إلى هنا ثانية .. ولكنك أحسنت بلبسك هذه البدلة الجميلة ! .. فأنت كما تعلم هذا مكان محترم لا يدخله إلا السادات من القوم والأهالي . .

فقال الرجل وقد خف أو زال خوفه من الرجل الغاضب : بحثت عنك في كل مكان أعرفك تتردد عليه فلم أجدك ، وكان عليّ أن أبلغك ما جرى معنا .. وعلمت أنك اليوم في النادي فاستأجرت هذه البدلة وأتيت لأراك والحمد لله أنني وجدتك .. فهؤلاء الرجال يريدون ألف دينار .. ولا أملك درهما واحدا.

فعاد الغضب للرجل من جديد وصاح : ألف دينار .. على قصاصة ورق تسخر منكم .. إنك مجنون يا هذا!

فأجابه الآخر : أنت يا سيدي تعلم أن الحرباة لا يعمل بأقل من ذلك المبلغ .. وهو يقول " لو وقعت لا تكفي الألف أتعاب محامين " .. ولا تنسى يا سيدي أنهم ثلاثة.

عاد الهدوء للرجل الغاضب من جديد ، وهز كتفيه عدة مرات وقال : حسنا ـ وأخرج من جيبه رزمة ودفعها للرجل ـ وهو يقول : خذ هذه ألف ، وإذا احتجت إليك فسأتصل بك على ذلك الرقم .. اغرب عن وجهي ولا تعد لهذا المكان ثانية.

قال سعد : فاختفى الرجل وبعده بدقائق انصرف الرجل الغاضب ذو البشرة الحمراء ، فهو لم يكن بالأبيض ولا بالأسود .. هكذا كانت البداية، سمعت كلام الرجلين ووعيته ، وأدركت أن هناك أمرا خطيرا يجري ، ووجدت نفسي انخرط في مغامرة بوليسية ..وهكذا كانت البداية

لما ذهب عني الذهول تساءلت قائلا مع نفسي : ولكن ما هي هذه المهمة التي فشل فيها الرجل وأعوانه وقبض عليها ألف دينار رغم فشلها ؟! ..إنه مبلغ كبير فعلا كبير!

خرج سعد من بين الأشجار مشغول الفكر في هذين الرجلين ، وأخذ يبحث عن ابن عمه حسن ، وترجح لديه أنه مشى لمبنى النادي مبنى الإدارة ، فسار حيث مبنى الإدارة ، وهناك وجد صاحبه وتصافيا وتصالحا، وما زال ذهنه منفعلا مع الحوار الذي سمعه ويسأل عن الخطوة المطلوبة حيال القضية ، فأخذ يتنقل بين المكاتب لعله يرى الرجل الغاضب بين أعضاء النادي وزائريه ؛ ولكنه لم يلتق بالرجل ، ولم يعثر عليه ، فقال محدثا نفسه: هل أقص ما سمعت على أبي ؟ ماذا أقول له؟ أأقول له أنني سمعت حوارا غاضبا بين رجلين شككت بأنهما مجرمان أو يدبران لجريمة .. ؟!

فقرر سعد الاحتفاظ بما سمع ، وقال بجد وحماس : بداية مغامرة وأنا لها!

بعد أيام من تلك الحادثة نسي أو تناسى سعد الموضوع وغرق في المطالعة وقراءاته المختلفة ، فلدى والده مكتبة كبيرة تجمع فيها من الكتب والعلم الكثير الكثير، فوالده مدرس للغة العربية فتجد في المكتبة من كتب الأدب واللغة والمعاجم الكثير ، فمنها لسان العرب المعجم المشهور، وقد صنفه العالم اللغوي ابن منظور، ومنها معجم كبير للفيروز آبادي ، وفيها المنجد في اللغة والأعلام .. ومعجم أساس البلاغة للإمام الزمخشري ، وغيرها الكثير كالمفردات للراغب الأصفهاني ، ومن كتب اللغة الأخرى البيان والتبيين والحيوان والبخلاء وكلها للجاحظ وله

غيرها الكثير أيضا، وكتاب المبرد المشهور في الأدب الكامل ، وهناك دواوين الشعر القديم والحديث ، وفيها من كتب التفسير كتفسير الإمام ابن كثير ومن قبله كالإمام الطبري والزمخشري ومن بعده كتفسير المنار ، وتجد فيها من كتب التاريخ عيون الأخبار لابن قتيبة وتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير وتاريخ ابن خلدون المغربي وتاريخ مصر وغيرها من البلدان ، وفيها من كتب الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد ، وهناك كتب عن تاريخ أوروبا القديم والأوسط والمعاصر والثورة الفرنسية وتاريخ أمريكا .. وسعد كان عاشقا كبيرا للقراءة منذ طفولته المبكرة ، فهو يقرأ في المجلات والدوريات الحريص والده على شرائها ، ويقرأ الروايات العالمية المترجمة فهو يقضي أيام العطل والإجازات بين الرجال والعلماء والشعراء القدامى والجدد ، وعند المساء يسير للنادي للالتقاء بالأصحاب والأحباب، وأحيانا أخرى يتزاورون ويلتقون في حفلات الشاي الصغيرة.



حكاية مهرب

كاد سعد بعد مضي أيام أن ينسى الحادثة والرجلين والحوار إلى أن ذهب مساء ليلة مع أخيه الكبير "أحمد" إلى زيارة ابن عم لهم اسمه "جابر" وهو أخ شقيق لزميل دربه حسن ، وجابر هذا ضابط بوليس في التحقيقات الجنائية برتبة مقدم في الأمن ، ذهب إليه أحمد في حاجة فاتصل به فطلب منه الحضور ، وبما أن سعدا يحب ابن عمه وعمله أحب أن يرافق أخاه ، فهو يسر بسماع أخباره عن مطاردة المجرمين والعصابات ، فبعد صلاة العشاء قال : تحركت مع أخي وكلي حماس وشوق للجلوس معه ، وبالطبع أخذ أخي معه زوجته وأولاده الثلاثة رامي وراسم ورابح ، فأصبحت الزيارة زيارة عائلية ، استقبلهم جابر على مدخل البيت ورحب بهم كثيرا ، وقادهم لغرفة الاستقبال ، وهو يداعب سعدا ، فهو يعرف عشقه لسماع قصص العصابات والمغامرين ، ولما تحدث أخي معه بما جاء من أجله ، وقد تناولنا العصير البارد ، وأكلنا الفاكهة الطازجة واللذيذة خلال ذلك ، عاد سعد للكلام مع ابن عمه الكبير فقال : يا أبا عبد الكريم .. ما آخر أخبار الجرائم في المدينة ؟

فنظر إليه باسما وقال : للأسف الشر لا ينتهي .. الجرائم يا سعد كثيرة ولا تنتهي ؛ ولكنها تخف أحيانا وترتفع أحيانا أخرى.. فجرائم القتل موجودة رغم قلتها وجرائم المخدرات تزداد .. وجرائم اللصوصية والاحتيال موجودة .. ومشاغبات الملاهي والنوادي الليلية مستمرة ..وشيكات من غير رصيد منتشرة في البلد.

فقطع الكلام سعد وقال : صحيح إن الشر لا ينتهي إلا بانتهاء هذه الدنيا ؛ ولكن ما أغرب جريمة حدثت هذه الأيام ؟

وعلق أخي أحمد ثم قال جابر بعدما سمع كلام أحمد : الحقيقة يا سعد حدثت منذ أيام جريمة غريبة .. وقد تكون أول مرة أسمع بمثلها خلال خدمتي الشرطية الطويلة نسبيا فذكرك كلمة جريمة غريبة نبهني إلى هذه الجريمة.

فقال سعد بحماس ظاهر طالبا الحديث عنها : " حدثنا عنها ؟ " وقد أحس في داخله بأن

هذه الجريمة لها علاقة بما يعلمه عن الرجلين اللذين سمع كلامهما في النادي ، وتعجب أحمد من حماس أخيه للسماع وقال جابر : الحق أن سعدا فتى نبيه ويحب عمل الشرطة فمن أجل هذه تراه متحمسا لسماع هذه القصص ؛ فلعله يكون في المستقبل القريب بإذن الله ضابطا في جهاز الأمن.. سأقول لكم القصة الغريبة قبل أن ننسى ويعتب علينا الفتى النبيه سعد.

فشكر سعد ابن عمه وأصغى لحديثه ، فقال جابر : لقد اطلعت على تقرير وصلني قبل أيام عن رجل أجنبي يسكن في أفخم أحياء العاصمة .. استأجر شقة في عمارة كبيرة في ذلك الحي .

وجاء في التقرير أن هذا الرجل تعرض للاعتداء البدني والأذى من قبل ثلاثة أشخاص دخلوا عليه في شقته ، وجاء من أقواله في محضر شرطة تلك المنطقة أن ثلاثة رجال اقتحموا عليه البيت وطلبوا منه أوراقا خطيرة ، ولما أنكر وجودها معه انهالوا عليه بالصفع والضرب بالأيدي والأرجل ، وتورط أحدهم فضربه بكأس في رأسه فشجه وأثناء الاعتداء عليه رن جرس الهاتف في الشقة فتوقفوا عن الضرب فاستغل فرصة الانبهار وخطف السماعة وتكلم مع المتصل ففزعوا وهربوا ، ثم اتصل الرجل بالإسعاف فاقبلوا وأخذوه للمستشفى وهناك تم إبلاغ الأمن والشرطة ، فذكر لهم هذه الأقوال أو هذه القصة والمشكلة الحقيقية أنه لا يعرف هؤلاء الرجال ولكنهم كما يقول من لهجتهم وسبهم من أهل هذه المدينة وليس هذا الغريب في الأمر .. الغريب هو الأوراق التي تطارده هذه العصابة من أجلها .. فأثناء وجوده في المستشفى لم يقل شيئا عما في هذه الأوراق ؛ ولكنه لما عاد لشقته وجد أن الأوراق قد اختفت، فأعاد الاتصال في شرطة المنطقة وذكر لهم ما في هذه الأوراق .. وصمت المقدم جابر برهة ثم قال : ماذا تتوقعون أن يكون في هذه الأوراق التي تطارده العصابة من أجلها ؟!

فلما لم ينطق أحد قال جابر وقد ارتسمت على فمه ابتسامة هازئة :اعترف هذا الرجل الأجنبي أن في الأوراق مذكرات رجل مجرم خطير كتبها وهو في سجنه في جزر الفلبين .. يتحدث فيها عن عصابات التهريب العالمية في تلك المنطقة يذكر فيها أساليب تلك العصابات والشبكات المنظمة في تهريب المخدرات .. ويذكر أسماء كبار العملاء في مناطق كثيرة من العالم ، وعرفنا

من الرجل أن هذا المجرم برفسور في إحدى الجامعات هناك ، ويدير شبكة مخدرات عالمية ، ثم وقع في أيدي البوليس ، وقضي عليه بالسجن وأحس بالخطر المحدق به من الرجال الذين يعمل معهم ، فكتب الأسرار التي يعرفها وأمن عليها هذا الرجل الذي أتى لهذه البلاد في انتظار رجل وصفه له الزعيم ليسلمها إليه ليتصرف على ضوئها ، ولكن كما قال كأن العصابة لما تخلصوا من البرفسور ومات أو قتلوه في سجنه أحسوا وعرفوا بكتابته المذكرات .. فلحقوا بحاملها ولهم شهر أو أكثر من شهر يطاردونه من بلد إلى بلد وجاء إلى هنا للالتقاء بالذي يحق له امتلاك هذه المذكرات .. ولكن المطاردين جاءوا إلى هنا ودخلوا الشقة أكثر من مرة يبحثون عن الأوراق حتى وجدوها .. هذه هي القصة الغريبة .. مذكرات رجل مخدرات .. ألستم معي بأنها غريبة ومثيرة ؟! .. وقد حولنا القضية بالطبع لدائرة شرطة مكافحة المخدرات .. ووضع الرجل تحت المراقبة بعد هذه الاعترافات ، ولما نقبض على الرجال الذين سرقوا المذكرات أكمل لكم القصة

لما سمع سعد هذا الكلام من المقدم جابر أحس إحساسا قويا أن حكاية النادي سيكون لها دور في هذه القضية ، عاد سعد للبيت وذهنه مشغول بما سمع من المقدم جابر وبما سمع من رجلي العصابة ، وبعد تفكير عميق والخطوة المطلوبة اتصل في اليوم التالي بالمفتش جابر ، وذكر له الحوار الذي سمعه صدفة في غابة النادي فأبدى الضابط اهتماما بما سمع ، فاستأذن من أمه بناء على رغبة المفتش جابر بسماعه مباشرة ، وذهب إليه ووجده في انتظاره وأدخله مكتبه واستمع للقصة ثانية ثم قال له : سعد البطل.. ما الذي دفعك لتربط بين الحكايتين ؟

ففكر سعد قليلا ثم رد على المفتش جابر : موضوع الأوراق الخطيرة .. وأنت ذكرت أن الرجل تعرض أكثر من مرة للتفتيش ، وذاك الرجل قال هذه المرة الثانية التي نفشل فيها .. وأن الزعيم سيغضب .. فهذه إشارات قد تجمع بين الأمرين .. وكذلك من كثرة تفكيري بالموضوع ـ حوار النادي ـ وممكن أن نتأكد من ارتباطهما بالتجربة التالية.

فقال جابر بدهشة : ما هي التجربة التالية ؟!

قال سعد : في المرة الثانية عندما فتشوا بيت الرجل وفتحوا صندوقا مغلقا وجدوا فيه قصاصة

أو رسالة من الورق سمعت الرجل الغاضب يقول: إنه فيها " أتعبتم أنفسكم " فعلق فقال كان الرجل يعلم أننا نطارده .. فيا أبا عبد كريم اسأل الرجل الأجنبي هل فعل ذلك ؟ والجواب منه بنعم يؤكد ارتباط ما سمعته عن غير قصد بما سمعته منك.

فابتسم المفتش جابر ابتسامة كبيرة وقال مشجعا : كل يوم ازداد اقتناعا بأنك نادر الذكاء وأن لك عقلا بوليسيا وتصلح أن تكون محققا جنائيا ، وسوف أهتم بك أكثر يا سعد وسأرسلك غدا إلى صديق لي في دائرة مكافحة المخدرات والتهريب .. فالقضية من ضمن اختصاصهم وحدثه بما تعلم ، وتعاون معه فسوف يرحب بك وسأوصيه عليك والإصغاء إليك.

بدأ سعد سعيد بشجاعة وبدون تردد بالتعاون مع رجال الأمن والمشاركة في أعمال الشرطة ، سماع حديث غريب بين رجلين ولقاء عابر مع المقدم جابر ، فحشر أنفه في موضوع بوليسي ، وبالفعل ذهب سعد لمقابلة الضابط الكبير في دائرة المخدرات كان زميلا لابن عمه ونائب رئيس الدائرة المقدم طلال نور وبعد التعارف السريع قدم له كوبا من الشاي الجميل المعطر ، واستمع الضابط لقصته بانتباه ، وقد أصاب الخجل والحياء سعد من كثرة ثناء المقدم طلال عليه وعلى شجاعته وحب تعاونه مع الشرطة وذكائه في ربط القصتين معا ، وأعجب بفكرته البسيطة للتأكد من علاقة القصتين معا ، فاتصل المقدم طلال بضابط أصغر منه رتبة وهو النقيب شادي .. المسؤول عن هذه القضية .. فسر النقيب بهذه المعلومات الجديدة التي قدمها سعد ورحب بفكرة الاتصال بالرجل الأجنبي المدعو "جواكر فورش" من مواطني جمهورية الفلبيين ، وهو يجيد العربية إلى حد مقبول وعاش في البلاد العربي أكثر من عشر سنوات متنقلا بين عدة أقطار.

وقال النقيب عنه : وهو مهرب دولي .. ولقد حصلنا على معلومات عنه من الشرطة العالمية وهو موضوع تحت مراقبة رجالنا لنعرف من هو الرجل الذي يسعى لمقابلته ليأخذ منه المذكرات المفقودة ؟.

وصمت النقيب لحظات ثم عاد يقول : يا ولدي يا سعد ! .. الرجل الذي رأيته في النادي هل

تعرفه إذا رأيته ؟

قال سعد بحماس : بالتأكيد أعرفه وأعرف الرجل الآخر .. والآن بدا لي أنه رجل ذكي وحذر رغم غضبه .. لم يذكر أحد منهم خلال اللقاء اسم الآخر ولا كنيته أو لقبه .. إنما جاء على لسان الرجل الثاني اسم الحرباة .. كان يناديه يا أحمق يا أبله رغم طول الحوار بينهما.

فقال شادي : هذا أمر بديهي بين رجال العصابات عدم ذكر الأسماء أثناء الحديث لخوفهم من رقيب سري .. وأظن أن اسم الحرباة سقط سهوا بينهما.

وتبسم الضابط طلال لذكاء سعد وتحليله وقال : ما القرابة التي تربط بينك وبين زميلنا المقدم جابر ؟

تبسم سعد هو الآخر وقال بتواضع وحياء : هو ابن عمي.

فعلق النقيب شادي : أنت فتى شجاع وفطن .. في أي سنة دراسية الآن ؟

قال سعد : أنهيت تسع سنوات من التعليم وأنا تلميذ في مدرسة الحق المبين.

فقال النقيب : هذه مدرسة أهلية.

قال سعد : نعم ، وأبي الأستاذ سعيد محمود.

ضحك الضابطان وقال طلال : أنا أعرف والدك يا سعد ، كثيرا ما التقينا في النادي أو عند المحافظ .. نشكرك يا سعد ومطلوب منك أن تبحث في النادي وبحذر شديد عن رجل العصابة الذي دفع الألف دينار .. وإذا عرفته لا تفعل شيئا سوى الاتصال بي .. خذ هذه البطاقة ـ وأخرج كرتا صغيرا مطبوعا عليه أرقام هواتف ـ فعليها أرقام يمكنك أن تتصل بواسطتها فيّ في أي وقت .. وسنتعاون في الموضوع .. فأرى لديك حماسا قويا لمساعدتنا .. ولسوف أخبرك عن تحرياتنا في موضوع "أتعبتم أنفسكم" فإذا ثبت أن الرجل كاتب الرسالة فلحادثة النادي ارتباط أكيد مع هذا الرجل .. وسوف نبحث عن الحرباة .. وعن رجل النادي

وكتب النقيب رقم هاتف بيت سعد ، وشكراه وهما معجبان به وبحماسه ، وغادر الفتى دائرة مكافحة المخدرات وهو نشوان من السعادة في سيارة من سيارات الدائرة جزاء تعاونه ولمعرفة

منزله ، لقد كان حلما بالنسبة لسعد أن يشارك في قضية بوليسية ، فهو كلما قرأ قصة من قصص المغامرات والمطاردات ظن نفسه أنه البطل لهذه المغامرة ، وأنه هو الذي وصل للمجرم في نهاية كل مغامرة ، فدخل البيت وكله حماس وشوق لمتابعة هذه المغامرة الأولى في حياته ، فعاش لحظات من السعادة والخيال الجميل ، وعند العصر تحرك للنادي بشعور يختلف عن المرات السابقة ، شعور فيه الانفعال الباهر والحماس المندفع والغاية الجميلة وليس لمجرد اللهو والمتعة فقط .. إنه يعيش في مغامرة .. يريد أن يبحث عن الرجل الذي رآه منذ أسبوع وأكثر ؛ ولكنه توقف عن التفكير لحظة وهمس قائلا لنفسه : قد يكون هذا الرجل لا علاقة له بموضوع " جواكر فورش."

ثم عاد يقول : ابحث عنه وانتظر اتصال المقدم طلال أو النقيب شادي .. فإن كان هناك صلة بين القضيتين تابعت نشاطي وبحثي وإلا انهار الحلم...

أمضى سعد ساعات المساء يتنقل في أرجاء النادي يمحص النظر في الوجوه بشكل ذكي ؛ وكأنه لا يبحث عن شخص معين يتحدث مع الأصدقاء والمعارف هنا وهناك وفي النهاية عاد مع حسن في اتجاه البيت بدون نتيجة ، وقد دعا ابن عمه لشرب الشاي الذي علق قائلا : وهل في مثل هذا الجو الحار يشرب إنسان الشاي .. ادعوني لزجاجة من المثلجات " الكولا " " البيبسي " .. العصير..

فتبسم سعد وهو يقول : يا أخي تفضل وادخل .. ثم سوف تشرب أفضل زجاجة من البارد مثلك .. وعصير وشاي .. وفواكه .. بس ادخل وإذا نمت عندنا سيكون لك عشاء من مطعم " آب لو " .. ما تقول في هذا العرض الطموح ؟

هرش" حسن ساعد محمود " رأسه وبعد تفكير سريع قال : الواقع أنها أشياء مغرية .. ولكن عندي مقابلة مع أحد الأخوة في العاشرة ليلا .. مالك الرابع صديقنا في المدرسة القديمة.

وعند مفترق الطرق الذي يؤدي إلى شارع الأسماك وحي الدوحات ومنه إلى حي الميدان الذي يسكن فيه حسن افترق الصديقان وعاد سعد للبيت ولما دخل والتقى بأمه سألها : هل اتصل به

أحد اليوم ؟

فنفت أن يكون أحد اتصل به ، فهدأت أعصابه ودخل غرفة الطعام وأكل ما قسم الله له من الطيبات، ثم أسرع إلى حجرة نومه يستريح ويفكر بما زج نفسه به، وأخذ يفكر كيف تنهار أحلامه بالمغامرة الغريبة التي كان يحلم بها ..؟

وفي الصباح استيقظ على يد أمه تهزه قائلة : يا سعد.. اصح .. فأبو عبد الكريم على التلفون .. يريد أن يكلمك في موضوع يهمك..

وكان سعد يحلم فما كاد يسمع ويستوعب كلمات أمه حتى دفع الغطاء عن بدنه ونهض سريعا نحو الهاتف وسمع أمه تقول بدهشة: ماذا جرى في الدنيا ؟!ولما هذه اللهفة ؟! ماذا يريد منك ابن عمك ؟!

استمع سعد بشوق لمكالمة المفتش في البوليس جابر مما دفع الآخر أن يقول : ما بك يا سعد .. مالي أحس بأن صوتك مضطرب ؟!

فقال : آسف .. يا عماه .. لقد أيقظوني من النوم .. كيف أصبحت ؟ .. بخير .. وقد أكرمني المقدم طلال وعرفني على النقيب شادي المكلف بهذه القضية وأعادوني للبيت بسيارة الشرطة ، وكلفوني بمهمة البحث عن الرجل الغاضب رجل النادي.

واستمع سعد للمقدم وصاح فجأة بفرح : حقا .. يا الله !! هو كاتب تلك الرسالة .. على الفور سأذهب للدائرة .. لا تؤاخذني على انفعالي العنيف .. أنا متحمس جدا يا سيدي .. لقد كانت المشاركة في عمل شرطي حلما كبيرا لديّ .. فما أقرأ قصة بوليسية أو لغزا من الألغاز إلا تمنيت أن أكون أحد الأبطال الذين يخدمون العدالة .. معذرة يا سيدي .. في الساعة العاشرة سأكون عنده .. مع السلامة.

وترك السماعة ومسح العرق المنحدر على جبينه وسمع أمه تقول له : ما بك يا سعد تصرخ وتكاد تطير فرحا ما الذي أسعدك وأفرح قلبك ؟!

فعاد إلى واقعه وابتسم في وجه أمه وقال : لا شيء يا أمي .. أمر خاص بيني وبين أبي عبد الكريم

المقدم جابر .. عفوا للإزعاج الذي سببته لك يا أحلى أم !

وفي العاشرة صباحا كان سعد يجلس في مكتب النقيب شادي يسمع ثناءه على قدرته على الربط بما سمعه من رجل النادي والمقدم جابر وقال له النقيب شادي : ذهبت أمس وقابلت فورش هذا وحدثته بعد مقدمات ومسايرات عن الورقة فاستغرب وأقر قائلا : فعلا لقد وضعت هذا الرسالة ليعرفوا أنني أعرف بمتابعتهم لي .. ومع ذلك فقد وصلوا للأوراق والمذكرات ، ولما سألني كيف عرفت ؟ ضحكت بالطبع وقلت له هذه أسرارنا فلزم الصمت والعجيب يا أستاذ سعد أنه مهرب دولي ومع ذلك فهو غير مطلوب من قبل الشرطة الدولية ونحن هنا لا نستطيع القبض عليه لأنه غير مطلوب لنا بقضية تهريب .. وعندما دخل البلاد دخلها بصفة سائح وليس معه أي ممنوعات .. فلا نستطيع القبض عليه لنقدمه للمحاكمة .. بل من حقه علينا أن نقبض على غرمائه ونعيد له الأوراق المسروقة ونتعقب الجناة الذين اعتدوا عليه.

وقال سعد : الحمد لله أننا وجدنا خيطا يربط بينهما، وهذا بالتأكيد سيساعدكم في الوصول للجناة .. وأنا ذهبت أمس للنادي وبحثت عن الرجل هنا وهناك ولم أعثر عليه ولسوف أتابع المهمة .. فكما يبدو من كلامه مع الرجل الآخر ؛ فإنه من المترددين على النادي .. وهل بحثتم عن الحرباة ؟؟

فقال النقيب باسما : طلب مني المقدم طلال أن أتعاون معك لأقصى درجة لأنك الرجل الوحيد الذي رأى نائب الزعيم بناء على كلامك .. فرجل النادي هو الوسيط بين الزعيم والرجل الذي قبض الألف دينار ، وذاك هو الوسيط بين رجل النادي والحرباة وشركائه الذين اقتحموا الشقة ـ شقة جواكر ـ أكثر من مرة ، وقد يكون هناك غيرهم وراء هذه المذكرات .. وبحثنا في ملفاتنا عن شخص يسمى الحرباة فلم نجد .. المهم أنت مهمتك أيها البطل الصغير واضحة لك تماما .. البحث عن رجل النادي والاتصال بي أو بالمقدم طلال أو حتى بابن عمك المقدم جابر ساعد .. ومعك أرقام هواتفنا.

وأخرج سعد الأرقام التي أخذها في المرة الماضية من المقدم طلال ، فلما نظرها الضابط قال :

رائع سعد !.. أتمنى أن أراك رجلا في جهاز الأمن العام ما دمت تحب وتهوى الأعمال البوليسية فأبدى سعد شكره وامتنانه لثقة النقيب به ، ووعده ببذل أقصى جهده في التنقيب والبحث عن رجل العصابة الذي يتردد على النادي ، وودع سعد النقيب وعاد بواسطة السيارات إلى حي الأمير في مدينة الأزهار الخضراء وقد قويت عزيمته بالبحث عن رجل النادي المجهول.

والتقى سعد بوالده على مائدة الغداء فسأله قائلا : سمعت والدتك تقول إنك مشغول هذه الأيام وتتردد على أبي عبد الكريم .. ما القصة ؟!

فقال سعد : موضوع بيني وبينه فيما بعد سأذكره لك بالتفصيل .. هل من نشاطات مثيرة هذا الصيف في النادي يا أبي ؟

لم يشأ الوالد أن يطيل الحديث فيما بين ابنه وابن أخيه الأكبر جابر ساعد فرد على استفسار سعد قائلا : كما تشاء يا سعد .. سوف أنتظر لأسمع منك التفاصيل .. أما بالنسبة للنادي .. ألا تذهب إلى هناك يا سعد ؟

فرد سعد : أذهب كل مساء ..وأعود برفقة حسن.

فعاد الأب يقول : آه .. ما دمت تذهب فلماذا لم تطلع على نشاطات هذا الصيف في لوحات الإعلانات ؟.. فهناك برامج للأطفال والشباب هذا الموسم ..فهناك برنامج رياضي حافل بالمسابقات .. لهواة الشطرنج ولهواة كرة المضرب وكرة الطاولة .. والنادي سوف يشارك ببطولة كرة السلة لهذا الصيف على مستوى الأندية .. وغير ذلك من نشاطات النادي الصيفية وهناك ندوات ثقافية وعلمية .. وسيأتي دكتور من هولندا ويلقي محاضرة طبية عن جهاز طبي جديد شارك في تصميمه .. وهناك محاضرة عن أضرار التبغ لطبيب عربي من الخارج .. وهناك يا ولدي نشاط أدبي وليلة شاعرية مع ثلة من شعراء الوطن .. اقرأ برامج الصيف في مجلة النادي .. تعرف أخبار ونشاط النادي.

فقال سعد : يا أبي .. ما رأيك بإلقاء محاضرة عن ضرر وخطر المخدرات وانتشارها بين شباب الأمة ؟

فرد سعيد : موضوع طيب .. وقد اقترحه الدكتور مازن .. ولكن لماذا هذا الموضوع ؟ !

قال سعد : علمت أن المخدرات لها أضرار كبيرة على الفرد والمجتمع .. والناس بحاجة دائمة لتوعيتهم في هذا الأمر .. وعلمت أن تجارتها في البلد تزيد ولا تنقص وزاد عدد المدمنين حسب إحصائيات الدوائر المختصة .. فضروري أن يشارك النادي في مثل هذه النشاطات لتوعية الجماهير ..وهناك موضوع آخر يستحق الاهتمام في نظري يا أبي ! وقد قرأت عنه.. وهو مرض العصر وأخطره مرض الإيدز.

فقال الأب وهو ينهض عن مائدة الطعام : وهذا الموضوع يوجد في برامج الصيف ندوة أو أكثر عنه.



ملعب كرة السلة

كان سعد في المساء يتجول في أرجاء النادي في الملاعب الصالات الحدائق، وقد ترك اللهو واللعب ، وكانت مهمته البحث عن رجل الغابة الغاضب ، كان يطمع أن يراه فجأة كما سمع حديثه فجأة ، ومضى النهار ودخل الليل دون أن يراه فخاطب نفسه قائلا : لقد ظهر من كلام الرجلين أنه من رواد النادي وليس عابر سبيل ، وقد أثنى على مساعده بأنه حضر بلباس جميل وأنيق؛ فكأن ذاك الرجل رجل سوق وحرمنه ، ولما أتى لمقابلة زعيمه في مكان محترم لبس ثيابا أنيقة ليبدو أمام رواد النادي رجلا محترما.. سأجتهد في حضور المحاضرات والندوات قد أراه محاضرا في إحداها.

فصار سعد يتردد على النادي في الصباح والمساء ويستمع للمحاضرات دون أن يعثر على ضالته المنشودة ، فاتصل ذات مساء بالنقيب شادي وعبر له عن يأسه من العثور على الرجل المجهول فشجعه النقيب على الاستمرار وبين له أن المطاردات والتفتيش يحتاجان إلى وقت ، فربما مرض الرجل أو سافر أو تغيب لأي عذر ، وحذره من اليأس، ولابد أن تراه إن كان من رواد النادي وحثه على المتابعة، وكشف له أنهم وصلوا للحرباة وأنه لص مشهور ومختص في فتح الأقفال والخزائن، وهذا ما يؤكد تعاونه معهم وهو تحت مراقبة رجال المباحث السرية ، ورغم أنه لص فهذه أول مرة يكتشف أن له علاقة مع وسطاء التهريب ، وقد أثنى الضابط من جديد على تعاون سعد وحفظه لاسم الحرباة ، وأمره بالاستمرار بالتفتيش والبحث دون كلل أو ملل ، فعاد الحماس لروح سعد من جديد وأخذ يتردد على النادي صباح ومساء ، وذات مساء التقى بصديق له في النادي وبعد الترحيب والسؤال عن الصحة والأخبار، وذكر سعد لصاحبه اهتمامه هذا الصيف بالنشاطات الثقافية المختلفة.

فقال له الصديق : إذن تعال معي الليلة وغير هذا النمط وشاهد المباراة القوية في كرة السلة بين فريق نادينا ونادي الملاح الأزرق على صالة النادي.

وحاول سعد التملص من مشاهدة هذه المباراة ، ولكنه أمام إصرار صديقه "عماد" وافق

على الحضور للمشاركة في تشجيع النادي ورغبة في سماع المزيد من أخبار ونشاط عماد هذا الصيف ، وللاتفاق على تسيير رحلة جماعية إلى إحدى المناطق الأثرية في الوطن، وكان سعد يعلم أن صديقه من هواة ومشجعي كرة السلة ، فهو يحفظ قانونها أكثر من بعض حكامها وبعض لاعبيها ويعرف أسماء كثير من مشاهير هذه اللعبة ، وهو أيضا يمارس هذه الرياضة ويفضلها على غيرها من ألعاب الكرة ، ومع هذا فهو يحب أن يكون جمهورا ولم ينضوِ في فريقها الرسمي في النادي ، فتراه قد اشترى تذكرتين ، وحجز مقعدين في الصالة ، وقام بشراء اللب والفستق وعلب العصير مظهرا كرمه وتودده لصديقه سعد ، واندمج الصديقان في الحديث والحوار ، وذكر عماد لصاحبه آخر أخبار هذه الرياضة في العالم وتفوق الفرق الأمريكية في هذه الرياضة على سائر فرق العالم ، وأن هذه اللعبة تحتاج للاعبين عمالقة مع اتصافهم بالقوة وثبات الأعصاب واللياقة البدنية العالية وشرق وغرب، وقبل الساعة الثامنة ظهرت الفرق في الملعب ولما اكتمل الإعداد بدأ اللعب عندما أطلق حكم الميدان صافرته واندمج الرفيقان بالمشاهدة وخلال اللعب يحق للمدرب ـ مدرب أي فريق ـ أن يطلب من الحكم اجتماع قصير مع اللاعبين ليوجههم ، وهذا ما حدث فقد طلب المدرب لفريق النادي وقتا مستقطعا فتوقف اللعب والتف كل فريق حول مدربه ، وهنا كانت المفاجأة بالنسبة لسعد عندما نظر لمدرب فريق السلة بدقة وفضول ؛ فإذا هو الرجل الذي يبحث عنه منذ أيام فصدم للوهلة الأولى وقال لنفسه : أمعقول هذا ؟! مدرب فريق السلة يعمل مع العصابة ؟

فأخذ يتلفت يمينا وشمالا ثم ضبط نفسه وأعصابه المتوترة للمفاجأة وقال لعماد : من هو مدرب الفريق ما اسمه يا عماد ؟

استأنف اللعب من جديد ورد عماد : مدرب الفريق يا صديقي هو الأستاذ شوقي مكرمة .. كان لاعبا ماهرا ثم أصبح مدربا ، وله أكثر من سنة يدرب فريقنا .. لقد كان يدرس ويتدرب في الفلبين ، وكان هناك منذ شهور ثم أتى من قريب وعاد لتدريب الفريق.

فهمس سعد : الفلبين ؟!

قال عماد : نعم درس الرياضة هناك في إحدى جامعتها الكبيرة.

فهمس سعد مرة أخرى : إحدى جامعتها ؟ !

فقال عماد : مالك يا سعد .. مشغول ؟! اجلس دعنا نتابع اللعب الجميل.

كان الأمر مفاجأة مثيرة لصاحبنا سعد ، فترك المكان واقترب من مكان جلوس المدرب وسمعه وهو يتحدث مع زملائه ، فتأكد من شخصه ومن صوته العالي ، ثم أشار لعماد مودعا وانسحب إلى خارج الصالة ، واتصل بالنقيب شادي فقيل له إنه في البيت ، فاتصل بابن عمه جابر ساعد، وروى له المفاجأة فقال له الضابط : تمالك أعصابك يا بطل نحن قادمون سأتصل بالنقيب شادي ونأتي سريعا لا تفعل شيئا انتظرنا أمام القاعة.

في أقل من نصف ساعة كان سعد يروي للضابطين الصدفة التي جمعته بالرجل المجهول رجل النادي ؛ فإذا هو مدرب كرة السلة للنادي، وذكر لهم المعلومات التي سمعها من صاحبه عماد عن مدرب فريق كرة السلة من دراسته في الفلبين وأنه يعمل في النادي منذ سنة ذهب خلالها للفلبين ثم عاد من قريب ، وبين لهم أن عدم سبب رؤيته خلال هذه الأيام الماضية ؛ لأنه كان مشغولا في تدريب الفريق وانشغالهم في معسكرات تدريب استعدادا لموسم الكرة ، وسر الرجلان بفطنة وذكاء سعد وربطه بين هذا المدرب والرجل الفلبيني جواكر فورش وأستاذ الجامعة السجين، وتركهم سعد وعاد للجلوس مع صاحبه عماد ، وبعده بقليل دخلوا وهم يرتدون ملابسهم المدنية ، وأشار لهم سعد على المدرب فرسموا صورته في أذهانهم ، وكان سعد يجلس بجوار صديقه مسرورا بما قدم للعدالة والشرطة.



مهمة لسعد

بعد أيام من التعرف على رجل النادي طلب النقيب شادي سعدا في منزله ، وطلب منه المجيء لدائرة مكافحة المخدرات ، وأكد له أنهم يتابعون حركات ونشاط المدرب شوقي ، وبين له أنهم في حاجة إلى خدمة أخرى منه ، وتتلخص هذه الخدمة بأن يذهب سعد متنكرا مع رجال مباحث سريين إلى مقهى عتيق يقع تحت الأرض في سوق أثري قديم يرتاده الغرباء، وأكثر زبائنه من أصحاب السوابق والقضايا الجنائية والجنح ، لينظر بين رواده عن الرجل الذي كان مع شوقي المدرب في غابة النادي ، ولما وصل سعد لدائرة المكافحة أخذه ضابط إلى غرفة خاصة وألبسوه ملابس عتيقة وقذرة تظهر أنه عامل تشحيم في محطة ، ونفش شعره المسترسل ولطخ وجه ببعض الشحمة والسواد ، ثم أخذه النقيب شادي إلى مكان ما وعرفه على رجلين متنكرين في ملابس عمال عتيقة ، وانطلق الثلاثة إلى ذلك المقهى في قلب العاصمة "مقهى الأوحال"، نزل الثلاثة درجا إلى أسفل البناء واجتازوا محلات صغيرة للخضار والفواكه وغير ذلك حتى وصلوا لمقهى واسع قديم ، ويدل على ذلك رائحة المكان والكراسي القديمة ، ودخل سعد مع الرجلين الذي ظهر له أنهم من رواد المقهى ، فكثير من عمال المقهى يعرفونهم ، وأعجب سعد برجال الشرطة وذكائهم وجرأتهم، وكانت مهمة سعد أن يبحث عن الرجل الآخر الرجل الذي رآه مع مدرب السلة في النادي، وهناك عرفه الشرطيان المتنكران على الحرباة ؛ فإذا هو رجل كالوحش ، وجهه ممتلئ بالنتوءات ، شاربه كثيف ، شعره أشيب ، أخذ سعد من خلال شربه الشاي يتفرج على زبائن المقهى ويتفحصهم ، وكلما انتقل الرجلان لطاولة بحجة الحديث مع الجالسين عليها يتبعهم سعد ، ومكثوا في المقهى حتى الليل ، ثم خرج الثلاثة إلى الدائرة ، وخلع سعد ثياب التنكر وارتدى ثيابه وقام الرجلان بتوصيله للبيت وطلبا منه أن يتصل بالنقيب شادي ويروى له ما جرى معهم.

وفي صباح اليوم التالي كانت سيارة خاصة تنقل سعد إلى دائرة المكافحة ، فقد أخبره السائق أنهم قبضوا الليلة على الحرباة في بيت أحد الرجال ، ويريدون من سعد أن يشاهد ذلك الرجل

ودخل سعد إلى قاعة كان في انتظاره بداخلها النقيب شادي الذي قال معتذرا : أهلا يا سعد البطل .. نأسف على إزعاجك .. ولكنك شاهد مهم في هذه القضية ، وشجاعتك ومساعدتك الكبيرة لنا شجعتنا على متابعة التعاون معك .. لقد قبضنا أمس بعد منتصف الليل على الحرباة وهو يزور رجلا خيل لنا من أوصافك له أنه الرجل المطلوب .. تعال معي

وفي غرفة كان محجوزا فيها الرجلان دخل سعد بضع دقائق ، ثم خرج فوجد النقيب في انتظاره وقال : آ .. يا سعد ؟

فقال سعد بكل ثقة : نعم هو الرجل الذي رأيته ذلك المساء يتحدث مع المدرب شوقي.

فاستدعاه النقيب إلى مكتبه وحده وحدثه بذهابه للنادي وقبضه ألف دينار من السيد شوقي مقابل اعتدائه على الرجل الأجنبي ، وأخذ يراوغ و يصيح : أنا لم أفعل شيئا.

فقال النقيب : الإنكار لا ينفعك .. وقص عليه الحوار بالتفصيل ، فتعجب الرجل وأحس أن الشرطة كانوا يسمعون حوارهم كلمة كلمة وقال الضابط : والحرباة هو الذي ساعدكم في فتح الأقفال وخاصة الصندوق ..وأنتم اعتديتم على الفلبيني " جواكر فورش " ونحن عرفناكم لا تنكر.. وفورش قادم بعد قليل لتتم المواجهة بينكم .. قد يتعرف عليكم ، وقد لا يتعرف ؛ ولكننا متأكدون من فعلتكم .. أين الأوراق التي سرقتموها؟

فأقسم له الرجل المدعو "أنور" أنه لم يستولِ على الأوراق فقال الضابط : ولكنك حاولت أنت وهذا ـ وأشار للحرباة الموجود في غرفة أخرى ـ سرقتها أكثر من مرة ، وفشلتم وكتب لكم رسالة في إحدى المرات " أتعبتم أنفسكم " ثم أخبرت رئيسك بفشلك وقبضت منه ألف دينار بالقرب من غابة النادي.. وكررتم المحاولة مرة أخرى ، ولما فشلتم اعتديتم على الرجل وضربتموه وأدميتموه وهربتم، وذهب هو للمستشفى، ولما خرج منه لم يجد الأوراق.. هذه المعلومات لدينا ولدينا المزيد .. فهل تعترف بما قلت ؟

فقال الرجل : سأعترف بدوري .. ولكن صدق أنني لم آخذ الأوراق .. هناك أناس سبقونا إليها .. حاولت فعلا سرقة الأوراق ، وفشلت وقبضت من الأستاذ شوقي ألف دينار ، ونحن

لسنا عصابة إنما كلفنا الرجل بمهمة مقابل مبلغ من المال وفشلنا.. أنا لا علاقة لي بالمخدرات ولا بالتهريب.. أنا شغل نشل ونصب ، وقد أسرق إذا تيسرت لي فرصة.

فقال النقيب : أرجو أن لا يكون لك علاقة بالمخدرات والترويج.

وخرج الضابط وبرفقته سعد ، وذهب لمطعم الدائرة وتناول الطعام والشراب بصحبة سعد ، ثم قابلا المقدم طلال الذي استمع لتلخيص للموقف ، وسُر من سعد وكرر الشكر له وشدّ على يده وتمنى له مستقبلا زاهرا ، وطلب سيارة خاصة لتنقله للبيت وكان سعد يقول : أرجو أن أعرف نهاية القصة وأين استقرت المذكرات ؟

فتبسم الضابط طلال وقال: عند ابن عمك المقدم جابر ستعرف نهاية هذه المصادفات العجيبة إلى اللقاء يا سعد.

هكذا كان دور سعد في هذه القصة؛ ولكنه كان سعيدا به.. المهم أنه قد اشترك في عمل مع الشرطة ، وكانت هذه المغامرة الأولى لسعد وتعاونه مع رجال الأمن وظهور نجابته وفهمه.

بعد فترة من الزمن اتصل به المقدم جابر ، فذهب إليه على وجه السرعة ؛ لأنه يريد أن يسمع منه نهاية القصة ، ولما استقرا جلوسا وشرب سعد كوب العصير الذي قدم له قال له جابر : لقد قمت بدور كبير يا سعد.. واعلم أن رجال الأمن معجبون بك وبشجاعتك وتطوعك وحبك العمل معهم ..ولولا تطوعك وكشفك عما سمعته أمامك في النادي لطال البحث عن المجرمين.. فالفضل الكبير يرجع إليك في القبض على هؤلاء المجرمين.. والقصة تبدأ من أكثر من نقطة .. فلنبدأ من مجيء فورش للبلد .. فقد قدم لتسليم المذكرات الخاصة بزعيم العصابة لصديق له هنا ، وتبين لنا أن هذا الصديق هو مدرب كرة السلة الأستاذ شوقي ، وتبين لنا أنه عضو في شبكة تهريب دولية، وهو عميل كبير لهم هنا ، وقد تم تجنيده أثناء دراسته في الفلبين ، وكان يتظاهر أمام أعوانه أو الرجال الذين يستخدمهم في أعماله بأنه مرؤوس ليأمن من غدرهم وطمعهم ، جاءته رسالة من الزعماء الكبار هناك يطلعونه فيها بموت أحد الزعماء في السجن وهو البرفسور وكاتب المذكرات، وذكروا له أنه ترك رسالة خطيرة فيها اعترافات خطيرة ،

وطلبوا منه أن يعترض طريق فورش ؛ لأنه سيكون تسليم المذكرات في هذا البلد ؛ فكأنهم لا يعرفون أنه المقصود بالأوراق فكلفوه بسرقتها .. وفورش قدم للالتقاء به بناء على وصف الرئيس، ولثقة البرفسور بشوقي لعلاقة قوية نشبت بينهم وهم هناك وأثناء تجنيد شوقي للانخراط في شبكات التهريب العالمية ، وكانت مهمة المدرب شوقي هنا استلام المواد المهربة وتدبيرها إما إخراجها للأقطار المجاورة أو تصريفها هنا .. كان البرفسور يثق بشوقي ، فيريده باستلامها وطبعها وإرسالها للبوليس الدولي ، فاحتار شوقي في الأمر هو يستطيع ترك أمر وطلب الشبكة ، وفي نفس الوقت لابد له من لقاء جواكر ، فحاول سرقة المذكرات من فورش قبل أن يلقاه ، ولكن فورش أدرك الخطر المحيط به ، ولما تعرض للأذى خشي على حياته واعتبر ضربه تمهيدا للتخلص منه ، فلجأ للبوليس ، ولما عاد للبيت وجد شوقيا في انتظاره فأخذ منه المذكرات ودفع له عشرين ألف دولار ، وطلب منه أن يخبر الشرطة بسرقتها ليشغل الشرطة في البحث عنها حتى يستطيع تهريبها للبنان وطباعتها هناك ، ونفذ جواكر دوره وتظاهر لنا بأن الأوراق عثرت عليها العصابة وسرقت من بيته ، وكان يستعد للسفر والرحيل وينتظر الإشارة بذلك من الشرطة عندما تخبره الشرطة بعجزها عن استرداد الأوراق والوثائق .. ولكن تدخلك يا سعد كشف الأوراق المبعثرة ، وجمعها في أيدي رجالنا .. فوصلنا إلى شوقي وأنور والحرباة وغيرهم .. ولكن للأسف الأوراق هربت للخارج أو قل نسخ منها.. فشوقي لديه نسخة ، واعترف فورش نفسه بتصوير نسخة منها .. هكذا المجرمون لا يثقون ببعض .. وقمنا بالقبض على شوقي ، ووجدنا في بيته مخزنا كاملا فيه من أثمن المخدرات في العالم وعلى رأسها الهيروين والكافيين .. وما زالت شرطة مكافحة المخدرات تتابع الموضوع وتحاول القبض على أعضاء شبكته ومساعديه في التهريب .. وهو رجل ذكي ؛ ولكن الصدفة أوقعته وكذلك ذكاء سعد وشجاعته وعدم نسيانه الموضوع .. كم من إنسان قد يسمع حديث شر صدفة ولكنه ينساه !.. واعلم يا سعد أن جهاز الأمن العام سوف يقدم لك جائزة جميلة تقديرا لجهودك الطيبة .. وسوف أتصل بك في الوقت المناسب لتستعد لذلك ، والآن اذهب وحدث والدك العزيز بما

وعدته أن تحدثه به.

فضحك الفتى سعد وقال : أسألك والدي عما بيننا ؟

فقال جابر : نعم .. أبوك أستاذ ومربي ؛ فإذا أنت لم تعترف له فلسوف يبحث عمن يخبره .. لقد حدثته ببعض الشيء عن الموضوع .. وأنت ستكمل له التفاصيل.

فقال سعد ضاحكا : الآن أدركت لماذا لم يكن يلح عليّ بالحديث بما يشغلني؟! .. لقد علم بالدور الذي أقوم به.. آه يا أبا عبد الكريم إنني متحمس الآن لأن أشترك بمغامرة جديدة أخرى.

فقال المقدم جابر مشجعا : هذه البداية وابحث وسوف تجد .. احشر أنفك في أي سرقة أو حادثة في الحي ولسوف تلقى ما يحقق لك حلمك.

فقال سعد : شكرا لك سيدي .. سوف أجد مغامرة أخرى .. إلى اللقاء.

وختم المفتش جابر المغامرة قائلا : لا تنسى أن تستعد لاستلام جائزة مدير الأمن العام لدورك الشجاع في هذه المغامرة.



* مغامرة النادي *

كانا يلعبان

اختفى سعد في غابة النادي

سمع حديثا خطيرا بين رجلين في غابة النادي

ثم تحول السماع لمغامرة ومطاردة لرجل يعمل في النادي

كانت المفاجأة في ملعب كرة السلة

وكانت النتيجة مذكرات رجل يتزعم عصابة مخدرات .



التحقيق الجنائي والجريمة

١	وصية جديدة	٢	**مغامرة النادي**
٣	مصرع المدير	٤	شارع البحيرة الخامسة
٥	ليموت الماضي	٦	صورة أمي
٧	بصمة وراثية	٨	رجل اسمه سنار
٩	جثة في البركة	١٠	مسبحة اللؤلؤ
١١	لغز القصر الصحراوي	١٢	الزواج الخطأ
١٣	نفس الشعب	١٤	لغز مقتل علياء
١٥	العالم المزيف		



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين

٣

٣

مصرع المدير

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

مصرع المدير

جمال شاهين



الفصل الأول

١

كان الأخوان أحمد وعماد زكي يتحدثان في منزلهما عن الجريمة الجديدة التي عصفت بالمصرف الذي يعملان فيه ، فهما محتاران في أمر هذه الجريمة ، والسبب أن القتيل في هذه الحادثة كانت تحوم الشبهات حوله في الجريمة الأولى ، وهنا يتردد السؤال " من القاتل في الجريمة الأولى ؟ ومن القاتل في الجريمة الثانية ؟! " ، وبعد حديث طويل جرى بينهما حول هذه الحادثة المثيرة للحيرة والارتباك أيضا قال أحمد : لقد وقع في فكري وظني أن فريجا له يد في مقتل عمه مرعي .. مع أن الشرطة لم تتهم أحدا في مقتل السيد مرعي!

فقال عماد : رغم التحقيق الشامل والدقيق كما يقول رجال البوليس فإنهم لم يصلوا للقاتل .. هناك نقص كبير في الأدلة الجنائية .. وها هو شخص آخر يسقط من العائلة .. فمن يا ترى المجرم القاتل الرهيب في هاتين الجريمتين ؟! لقد دب الرعب في أوصالي ..فهذه أول مرة في حياتي أشاهد جريمة ، وأكون ضمن الأشخاص القريبين من مسرح الجريمة كما يقول رجال الشرطة عن مكان وقوع الحدث ، ثم أكون قريبا من جريمة أخرى ، ولسوف يعود رجال الشرطة للتحدث معنا مرة ثانية وسماع أقوالنا من جديد مع أن الرجل قتل عند مدخل شقته.. إنني أنفر جدا منهم إنهم مزعجون ..لا أدري لماذا ينتابني هذا الشعور من هؤلاء الرجال ؟!

فقال أحمد : هكذا الحياة !! مشاكل .. شقاء .. جرائم !! فعندما ذهبنا لنحضر الاجتماع الشهري التقليدي في قصر الأستاذ مرعي ما كان يخطر ببالنا أننا على موعد مع جريمة .. وأن هناك مجرما سفاحا يتربص بالرجل .. مع أن أجواء وأحوال ذلك اليوم كانت كئيبة وحزينة ، كان العمل في البنك غير طبيعي ، كان المدير متوترا .. وكان ابن أخيه الأستاذ فريج متوترا .. وحتى مازن الهادي بل حتى ماريا خليل قريبة المدير كانت متوترة ذلك الصباح .. تقول كأن الجميع اشترك في معركة فاشتدت أعصابهم .. لقد فكرت بالاعتذار عن اجتماع تلك الليلة .. ألا تذكر ونحن ذاهبان إلى هناك وأنا أقول لك ليس لي رغبة في حضور تلك الجلسة ؟!

فقال عماد متنهدا : آ .. والله ما زلت أذكر هواجسك تلك الليلة المشؤومة حتى أن أحاسيسك الموحشة انتقلت إليّ ليلتها ؛ ولكني قلت لك لم نتخلف يوما ما عن اجتماع المدير في قصره وشجعتك وتابعنا المسير .. وكان ذلك من حسن حظنا وإلا اتهمتنا الشرطة بمصرعه أو المشاركة في اغتياله .. ولكن من قتل المدير ؟! ومن قتل ابن أخيه ؟؟ مازن لا يطمع باستلام إدارة البنك ليمكر بهما بهذا الشكل الجنوني.

فقال أحمد : حتى فريج لم أشعر يوما بأنه طامع بأن يصبح مديرا للمصرف .. حكاية محيرة ! لعل الشرطة تخلصنا من التفكير في مثل هذه القضية .. لقد تعبت أعصابنا وأدمغتنا .. الإنسان أحيانا يقع في ظروف وأحوال لم تخطر له على بال.

ولما سكت أحمد خيم الصمت على المكان فترة ثم عاد عماد يقول : فنحن عندما نشاهد فِلما بوليسيا أو مسلسلا قد نتفاعل معه ؛ ولكننا لا نـفكر كثيرا بمعرفة المجرم ؛ بل نصبر ونتحمل حتى يصل المحققون للمجرم فنبدأ التعليق .. أما أن نعيش الجو البوليسي في حياتنا وأعصابنا فهذا شيء صعب ومؤلم .. اللهم لطفك . فرد أحمد قائلا : والله معك حق ..فهذه أجواء مرعبة ومثيرة ؛ الأستاذ خالد نصري يعمل بكل جد ونشاط ، وعندما يجتمع مجلس الإدارة سوف يرشح مديرا تحت التجربة .. وأعتـقد بأنه سوف يصل لكرسي المدير.

فقال عماد متشككا : ولكنه لا يمت بصلة قرابة للمدير ، وأنت تعلم أن أكثر رأس مال المصرف للمدير مرعي وأقاربه.

وقال أحمد : لقد بدأت أفكر جديا بترك المصرف يا أخي العزيز.

فأجابه أخوه قائلا : رغم كفاءتك في عملك لن تجد مصرفا يدفع لك ما تتحصل عليه من راتب في مثل هذه الأيام الكاسدة .. وعليك ألا تفكر بذلك الآن .. فتثار حولك شبهات أنت في غنى عنها .. فانتظر حتى ينتهي أمر التحقيق الجديد ويكتشف الجاني اللعين.

فقال أحمد : ملاحظتك جديرة بالاهتمام والأخذ بها في مثل هذا الظرف .. فقد كنت أفكر بأن أطلب إجازة فسوف أؤخرها قليلا حتى نرى ما ينتهي به الحال والمآل.

دخلت عليهما أمهما ، فقطعت عليهما خلوتهما ، وكانت تحمل صينية فوقها إبريق الشاي وأكوابه ، فتغير مجرى الحديث وأخذوا بالحوار حول مواضيع عائلية اجتماعية ، وقالت الأم مخاطبة ابنها عماد : ألا تريد تطليق زوجتك ؟! .. فلها أكثر من خمسة شهور في بيت أهلها .. فإما أن تتصالحوا كالعادة المستمرة بينكما أو تطلقها وتخلص من نفقتها الشرعية .. فهذه المرة طال الفراق بينكما!

ودار الحديث عن مشاكل عماد وقرينته الغاضبة منذ شهور ، فرد عماد على أمه قائلا : يا أمي لا تتعبي نفسك في همومي .. لقد اعتدت على ذلك .. لما تتصل فيّ أذهب وأحضرها .. أما الطلاق فلا أفكر فيه حاليا .. لقد كلفني زواجها ما يزيد عن خمسة عشر ألف .. فلن تضيرني بضع مئات أخرى تنفقها على زينتها ..أما زواج جديد فمن أين أحضر له مالا جديدا .. أم تريدين أن يحصل معي كما حصل مع أحمد أفندي.

فقال أحمد : وماذا حصل مـعي يا أفندي ؟

فقال عمادا ضاحكا : ألم تتزوج أجنبية أمريكية أحضرتها معك من إنكلترا ؟! .. ولم تمكث معك سوى سنة أو أقل ثم عادت لبلادها، ولها أكثر من خمس سنوات هناك لم تحضر إلى هنا.

فقال أحمد : ولكنها في انتظاري ، وزرتها مرتين فلم تعجبها حياة الشرق ، لم يعجبها سحر الشرق .. وعرضت عليها الانفصال .. ولكنها ما زالت تعشقني وتنتظر هجرتي إليها في يوم من الأيام

فعقبت الأم قائلة : حياتكما عجيبة يا أولادي ! .. أنت تزوجتها من أيام دراستك في لندن ، وما زلتم من غير إنجاب ، وأخوك تزوج من ثلاثة أعوام وامرأته لم تنجب أيضا .. لماذا لم تنجبوا ؟!

فضحك أحمد وقال : كم مرة قلت لك يا أمي إننا رتبنا أمرنا على عدم الإنجاب.. لا أريد أبناء ولكنك تنسين كثيرا ؟

قالت الأم : لا، لم أنس .. ولكن الأولاد بين الزوجين من الأسباب المهمة والمشجعة على استمرار الحياة الزوجية ، فأمام حب الأولاد ورعايتهم يضطر الطرفان للتحمل والتضحيات وتستمر العلاقات الزوجية.

فقال عماد بعد أن تنهد ووضع الكوب من يده : أما أنا يا أمي فلي مشاكلي الخاصة ، وأنا أتداوى من أجل هذا الأمر؛ ولكن السيدة المحترمة لا صبر عندها .. فهذا نصيبي وقدري فماذا أفعل ؟

فقهقه أحمد ومال على أذن عماد وهمس : أنت لا تريد الخلف!

نظره عماد بغضب وأشار له بعينيه بالصمت وقال لأمه : أمي ما أخبار أم سامر هل ولدت ؟

فردت الأم على مضض : إنها في شهرها الأخير .. فأخوكم سعيد أفضلكم فها قد أصبح عنده أربعة أطفال ، وربما عندها ثلاثة وسوف تضع الرابع قريبا.

ولما انتهوا من شرب الشاي أخذت الأم الصينية والأكواب الفارغة وتركتهم إلى حجرتها ، ولما ابتعدت صرخ عماد في وجه أخيه : ويلك كدت أن تفضحني .. أنا أتعاطى ابر منع الحمل لأسباب خاصة بي .. وليس عندي تعلق بالأطفال فلا داعي لكشف سري .. واعلم أن زوجتي لا تعلم ذلك.. فهي تظن أنني مريض وأتـعالج من أجل الإنجاب .. ولكن خطر في بالي أمر . وسكت لحظات ثم قال : ونحن سائرون للاجتماع الذي قتل فيه السيد مرعي كنت تحمل مسدسا فما قصة المسدس الذي كان معك ؟ ولو لا أنني شاهدتك تتركه في السيارة لظننت ليلتها أن لك يدا في الأمر.!

فضحك أحمد وقال بغضب : ويلك أأنا اقتل؟! .. وماذا أجني من القتل ؟ .. فلا ناقة لي ولا جمل في البنك .. المسدس الذي معي كالمسدس الذي معك.

فجحر عماد أخاه مرة أخرى وقال : أو تـعرف به ؟ ! إنك خطير يا أحمد.

فأخذ أحمد بالضحك العالي وقال : الذي أعطاك المسدس هو الذي أعطاني المسدس.

فقال عماد : أمعقول هذا ؟! لم يكن مسدس عماد من نفس المصدر.

قال أحمد وقد سرح ذهنه في يوم الجريمة : صدق يا عزيزي أن أمر هذه الجريمة كان مدبرا ومخططا له تخطيطا تاما وماهرا ؛ ولكن ما يحيرني الآن هو مقتل الأستاذ فريج.

فقال عماد كأنه ملقيٌ قنبلة : أرجو يا أخي العزيز أن لا يكون لك شأن في هاتين الجريمتين فالأمر جد محير ، مقتل السيد مرعي سعد الدين ، وبـعده بشهور قليلة قتل ابن أخيه فريج سعد الدين

فعاد أحمد للقهقهة وقال : اطمئن يا أخي ما ترجوه لي أرجوه لك ، فلقد كانت علاقتك بالأستاذ فريج جيدة جدا.

قال عماد : هذا ما يقلقني لولا أنني واثق من براءتي لوقع في نفسي أن لي يدا في هذه الجرائم.

فهمس أحمد وهو ينهض للذهاب إلى حجرة النوم التي تخصه : سوف يكشف رجال الشرطة هذه المرة الجاني ؛ فإن الصحافة تتحدث عنهم بقسوة هذه الأيام وتتهمهم بالبلادة والتهاون والغباء.

٢

لقد كان مصرع فريج صبري مرعبا لموظفي مصرف الرعاية ، فقد قتل على مدخل شقته ، فتح الباب للقاتل بنفسه قالت زوجته سارة : إن رجلا أو شخصا طرق الباب بعد ساعة واحدة من نصف الليل ، فترك فريج غرفة نومه .. فهو لم ينم بـعد ، فمن عادته التأخر في النوم .. فتح الباب .. ثم صرخ صراخا حادا .. فهرعت إليه ، ولم أكن قد استغرقت في النوم ؛ فإذا بزوجي مطروح على باب الشقة مضرجا بدمائه.. فأصابني الذهول والرعب .. اقتربت منه فكان يلفظ أنفاسه الأخيرة وكان مما سمعته وهو بين الحياة والموت "قتلني المجرم .. قتلني اللعين" ثم مات . فأخذت بالصراخ ، فاستيقظ الأطفال الثلاثة على الصراخ ، وهرع بعض الجيران من الشقق المجاورة على الصراخ المرعب ، اتصل أحدهم بالإسعاف الفوري ورجال الشرطة ، ولما حضر الإسعاف، وجدوا الرجل مفارقا للحياة ، فانتظروا رجال الشرطة الذي أتوا مسرعين ، وكان على رأسهم ضابط كبير ، وقام رجال البحث الجنائي بإجراءاتهم التقليدية فقاموا بالتصوير الفوتوغرافي والفيديو ، وقام رجال المختبر بما يهمهم ، وحضر بعض أهل الزوجة والزوج ، ولما انتهى رجال البحث الجنائي من عملهم أمروا بنـقل بدن الجريمة إلى المستشفى ليتم تشريحها ويوافيهم الطبيب الشرعي بتقريره ، وأخذت أقوال الزوجة المنهارة بسرعة ، ومن ثم أذنوا بنقلها للمستشفى لأخذ العلاج اللازم من الصدمة التي ألمت بها ، ونـقل الأطفال إلى بيت جدهم والد أمهم السيد " رملي شاهد " ، وتم التحفظ على الشقة ، ووضع شرطي على

بابها يمنع دخول أي شخص من دخلوها.

كان موظفو مصرف الرعاية مذهولين للحادثة الجديدة ؛ لأنها كانت بعد مقتل مديرهم مؤسس المصرف السيد مرعي سعد الدين ، فلم يمض على الحادثة الأولى سوى أشهر قليلة ، فهذا ما أزعجهم وأقلق راحتهم ، وإلا فإن الجرائم تحدث يوميا ، ففي مثل هذه المجتمعات الطبقية والمادية تتصارع الناس على جمع المال وتكديسه ، فيحدث النصب والاحتيال والغش والاختلاس والتزوير ، ولـقد اختفت القناعة والرضا والإيثار من بين الناس ، ولنقل إنها أصبحت نادرة وضعيفة من الناس.

ولقد علم الموظفون أن هناك تحقيقا جديدا سوف يحدث في المصرف، ويتعرض فيه العاملون للاستجواب من قبل رجال المباحث ، وقد يعاد التحقيق في جريمة مصرع المدير مرعي ، فدب القلق في نفوس الموظفين ذكورا وإناثا ، وممن انزعج جدا لهذه الأخبار المدير المؤقت للبنك الأستاذ خالد نصري ، فكان في صباح أحد الأيام يتحدث مع رئيس المحاسبة والموازنة في البنك الأستاذ فارس عبد الحميد في مكتبه الواسع في عمارة البنك قائلا : أستاذ فارس .. الأمر مزعج للغاية ومثير للشبهات نحن ما كدنا نتعافى من قضية قتل السيد مرعي .. تخرج لنا جريمة مقتل ابن أخيه فريج .. وسمعتنا حساسة لم نعد نستطع الرد على استفسارات كبار عملائنا ، الكل يسأل ما الأخبار ؟! ما الحكاية ؟ .. سمعة البنك حساسة.

رد فارس بعد أن رشف من فنجان القهوة : كان الله في عوننا فالعمل مضطرب منذ الأزمة الأولى ، والقلق والتوتر مسيطران على الجميع ، فالعاملون في توتر عصبي مكبوت، ونحن لنا ثلاثة أيام ننتظر رجال التحقيق الجنائي ولم يحضروا بعد، فلعل الموظفين بعد انتهاء التحقيق الأولى أن تخف حدة أعصابهم وينسحب بعض القلق من قلوبهم ، فتحقيقات البوليس مثيرة ومخيفة.

فقال المدير المؤقت بعد صمت قصير : لو أن الشرطة أنهت قضية مرعي ما حصلت هذه الجريمة .. فأنا أخشى من جريمة وضحية جديدة ، ولولا أن المصرف لا دخل له في معرفة الجاني لكلفت

مكتب تحقيق خاص بمتابعة الموضوع ؛ لكن فريق المؤسسين لا يرون ذلك الاقتراح مهما بالنسبة لهم.

فقال فارس : بل يا سيدي أرى أن البنك له أثر كبير في هذه الجرائم.

فقال خالد نصري : وكيف ؟!

فقال فارس : هناك مبالغ للبنك في ذمة المرحوم فريج صبري.

فقال نصري : وما دخل هذه المبالغ في مصرعه أمام شقته يا عزيزي ؟.. نحن لم نطالبه بها !

فرد المحاسب المالي للبنك : ولكن الأستاذ مرعي ـ رحمه الله ـ حدثه بها وطلبها منه .. ولولا حادثة قتله لحصل المبالغ منه فقد قال له : إنه لم يعد يصبر على إسرافه وتبذيره.

فقال خالد : لم أفهم بعد ما علاقة موت فريج بديون البنك ؟! .. فالأستاذ مازن فريد في ذمته أموال كثيرة للبنك ..ومع ذلك لم يقتل.

فقال فارس بخوف واضح في كلامه : صدق أنني أخشى من جريمة ثالثة.

فقال خالد بتوتر مرتفع : ويلك هل من خطر على الأستاذ مازن ؟!

فبعد تردد في الإجابة قال فارس : لا أدري ! .. ولكنني أشعر بأن الأموال المستلفة من البنك هي سبب هذه المشاكل المخيفة.

فرد خالد : ولكن حياة البنك كما تعلم قائمة على إقراض الأموال .. فهل قلت هذا لرجال الشرطة أثناء تحقيقهم في الجريمة الأولى ؟

رد فارس : نعم ، نعم ؛ ولكنهم كما تعلم كانوا يشتبهون فينا جميعنا .. فكل الذين حضروا ذلك الاجتماع الملعون في تلك الليلة المشؤومة . . كانوا في دائرة الاتهام والشبهات.

فقال خالد باستسلام لقدره : أعصابنا تعبت ومللنا هذا الجو المفعم بالإرهاق والتعب النفسي فلابد أن يعرف القاتل ويكشف أمره .. أمعقول أنه يعيش بيننا في جوانب هذا المصرف سفاح ؟! .. لا أصدق ذلك.

قال فارس : لقد أشرت يا أستاذ خالد إلى محقق خاص فما رأيك أن نكلف مكتبا بكشف

غموض هاتين الجريمتين ؟..فهؤلاء المحققون سريعو العمل.

فقال خالد : لا أرى ذلك الآن ، والمؤسسون لا يرون هذا أيضا، والمحقق الخاص يحتاج لمبالغ كبيرة للسير في هذه القضية .. والأمر مربك فلننتظر خطوات رجال المباحث فقد أخبرني أحد الضباط الذين أعرفهم جيدا أن التحقيق يجري على مستوى عال جدا .. فقد يكلف بمتابعة القضية أحد الضباط الكبار المهرة القادرين على حل ألغاز هذه الجريمة ، فقد قال لي إنهم قد يكلفون المقدم عزيز سالم في فك طلاسم هذه الجريمة ، وهذا الرجل كما قال صاحبي من أكفأ الضباط في التحريات وفك غموض الجرائم ، وله سمعة جيدة في مثل هذه القضايا ويكلف عادة في القضايا الاستثنائية لذكائه وشجاعته .. فقد همس في أذني صاحبي هذا أنه من المرجح أن يدفعوا إليه هذه القضية لدور الصحافة المزعج لهم .. وأنا لي معرفة قديمة بهذا المقدم .. فأرجو أن يكلف بها يا سيد فارس.

فقال فارس بارتياح لما سمع : حقيقة نحن بحاجة أن ننتهي من هذه القضية فوضعنا سيئ مع أنني غير متحمس لتحقيقات الشرطة فهي بطيئة ويتركون كثيرا من الملفات للصدف والحظ .. نرجو أن ينتهوا منها بسرعة.



٣

بالفعل كان مقتل السيد فريج على أثر مصرع عمه مزعجا للدوائر الأمنية ، فقد التقى وزير الداخلية بمدير الأمن العام وكبار ضباط الشرطة وكبار موظفي وزارته ، وعقد معهم اجتماعا كبيرا وهاما من أجل هذه القضية التي أزعجت المجتمع والرأي العام في البلد ، وأفسحت لرجال الصحف والجرائد المجال في الثرثرة والتعليق وحتى السخرية من قوى الأمن، ولما انتهى الاجتماع التقى وزير الداخلية بممثلي الصحف ووعدهم بـقرب حل غموض هذه الجرائم ، وأما مدير الأمن فقد أرسل وراء أكفأ ضباطه المقدم الشرطي عزيز سالم لما له من شهرة في تعقب ومتابعة الجرائم الذكية والتي يلفها الغموض ويهتم بها الرأي العام ، وقد عرف هذا الشرطي بذكائه الحاد فاستدعي من الدائرة التي يخدم بها ، وكلف بمهمة الكشف عن ملابسات جريمة مصرع المدير مرعي سعد الدين وابن شقيقه فريج ، وأثنى عليه المدير ثناء حسناء ومهما ، وتقبل المقدم عزيز الثناء بكل احترام وشكر ثقة الرئيس به وكذلك الوزير وعلى الفور انتـقل إلى مكتب الضابط الذي كان يحقق في القضية في الأيام الخالية ، فاطلع على ملف القضية وتـقرير الطبيب الشرعي ، وقرأ ملاحظات زميله ، وقرأ أقوال الزوجة " سارة رملي " وأقوال الجيران الذي هرعوا للبيت عندما سمعوا صراخ الأرملة وبعد أن استوعب كل ذلك قال لزميله النقيب زايد : ما رأيك في الموضوع يا سيدي ؟

فقال النقيب بـعد أن أبدى ترحابه بزميله وأنها فرصة للعمل معه والاستفادة من خبرته وفطنته : حسب المعلومات أن الزوج قتل بثلاث طلقات أخطرها التي أصابت رأسه وهي التي عجلت بوفاته .. ووقت حدوث الجريمة الساعة الواحدة ليلا وحسب أقوال الزوجة والمشاهدة أن فريجا قام بنفسه ليفتح الباب للطارق ، وحسب الآثار والبصمات فتح الباب ، وكأن القاتل عندما رآه أطلق عليه النار سريعا من مسدس وضع عليه كاتما للصوت ، والمسدس من نوع كولت عيار ٣٨ مم ولاذ بالفرار سريعا فمسافة القتل كانت قريبة .. صرخ فريج صراخا حادا ووقع على ظهره وقفاه ، وأخذ يتلوى ويصيح فجاءت الزوجة وهي مذهولة مصدومة

وسمعته يقول "قتلني المجرم ..قتلني اللعين" .. وهذا الكلام يدل على معرفة بينهما سواء كان القاتل رجلا أم امرأة ولم يذكر اسما معينا كما تقول أو أنها لم تفهم عليه ؛ لأنها أخذت بالصياح وهو كان يلفظ أنفاسه الأخيرة.

قال عزيز : هل تشك فيها ؟

قال النقيب: لم يشعر أحد من سكان العمارة ، ولا حتى بواب العمارة بدخول رجل غريب .. وهؤلاء كما تعلم ـ سيدي ـ غارقون في مثل هذا الوقت بالنوم أو ساهرون مع المحطات الفضائية والقاتل القادم للقتل يتسلل تسللا وبخفة.

فقال عزيز : أو أحدهم يعرف شيئا وليس عنده الشجاعة ليدلي به الآن.

ـ ممكن .. ولكن صدمة المرأة كانت كبيرة .. ولقد كنت مع كبار الضابط عندما ذهبنا لمعاينة الحادثة فشاهدتها وتألمت جدا لمرآها .. ولم نجد عندهم مسدسا من نفس عيار الرصاص الذي قتل فيه فريج ، فهذان الأمران يرفعان الشبهة عنها في الوقت الحالي.

ـ إذن وجدتم في البيت مسدسا ؟

ـ نعم .. مسدس للسيد فريج وجدناه في جيب جاكيت البدلة ، وهو مسدس مرخص ويحمله دائما.

ـ كيف كانت علاقة فريج بسكان الشقق الأخرى ؟

أجاب النقيب زايد : ظهر لنا أن علاقته بجيرانه باردة جدا لا معاشرة لا اختلاط .. وهو يسكن الشقة منذ شهور قليلة.. ونحن ما زلنا نتحرى عن السكان فردا فردا.

وسكت الضابطان بضعة دقائق ثم عادا للحوار فقال عزيز : أنت ترى أن للحادثة علاقة بالجريمة السابقة ؟

ـ نعم ، أرى ذلك رغم اختلاف الرصاصات القاتلة في الجريمتين ؛ ولكنّ القاتل محترف وجريء ، ويدل على ذلك أنه في الجريمتين لم يترك أثرا مهما يدل عليه .. وهذه الجريمة لم يظهر لها دافع واضح ، فهذا يشير على أنها مرتبطة بسبب الجريمة السابقة .. والجريمة الأولى كان

الرائد حردان مسؤول عن متابعتها.

فقال عزيز : أريد كل ملفات القضية الأولى.. والضابط حردان شخصيا.

ونهض وهو يقول : أنا في انتظاركم في مكتبي .. علينا أن نتعاون أيها الأصدقاء ..لا تتأخرا عليّ

ـ أمرك سيدي المقدم.

وما كاد عزيز يستريح في مكتبه الذي خصص له في إدارة الشرطة الكبرى ويرشف فنجان القهوة حتى أدركه الضابطان سلموا على بعضهم البعض ، أخذ عزيز ملف القضية السابقة" ملف مصرع مدير مصرف الرعاية" لينظر فيه ، وقد طلب لهما من عامل الخدمة ما يرغبان شربه ولما انتهيا من شربهما كان عزيز قد قلب الأوراق الموجودة في الملف الخاص بجريمة مصرع المدير لمصرف الرعاية فقال عزيز : سيدي حردان ما انطباعاتك عن تلك الجريمة ؟

ـ يا حضرة المقدم .. تلك الجريمة لم تكن عشوائية أو بنت ساعتها، تلك الجريمة مدبرة ومخطط لها بشكل جيد ..وتبين لنا أن القاتل كان من خارج القاعة المجتمع القوم فيها ..فالصالة أو القاعة أو قل غرفة الاجتماع أو مسرح الجريمة .. كان فيها سبعة أشخاص .. وهم معتادون على هذا الاجتماع وحريصون عليه باستمرار .. وهذا اجتماع شهري خاص يعقده المدير منذ سنوات في قصره أو فيلته في الأيام الأخيرة من كل شهر، ويكون قبل منتصف الليل بساعة .. في الحادية عشرة ليلا .. يلتقي المدير بمساعديه الكبار ساعة من الزمان .. وعند الثانية عشرة من شاء أن ينصرف انصرف ، ومن أراد السهر ظل ، ثم تدور عليهم كؤوس الخمور والفواكه والحلوى .. هذا غالب ما يحدث في اجتماعهم في بيت المدير .. وفي ليلة الجريمة .. حضر هذا الاجتماع كما قلت سابقا سبعة أشخاص قد يكون لأحدهم يد أو مشاركة في قتل المدير لأسباب مجهولة لدينا ولكن من المؤكد أن منـفذ عملية القتل كان من الخارج لوجود آثار خفيفة لحذاء ، وأيضا كانت النافذة التي تلي ظهر القتيل مفتوحة .. وعملية الفتح للنافذة لا شك أنها تمت من الداخل .. والقاتل محترف للرماية ، واستخدم مسدسا مركبا عليه كاتم صوت ، كما في الجريمة الثانية .. وكان الشك يحوم حول السيد فريج؛ لكن لا أدلة كافية تثبت ذلك ؛ لأنه كان بجوار عمه ،

وكان من الممكن أن تصيبه الرصاصات القاتلة .. وبعد مقتله أصابتني حيرة .. هل كان هو المقصود في المرة الأولى ؟ وأخطأه القاتل .. ولكن القاتل المحترف في الرماية من الصعب أن يخطئ هدفه ورمايته .. رصاصة في الرأس من الخلف والأخريتان من الظهر حيث القلب .. وأماكن الإصابة تقريبا هي نفسها التي أصابت فريج ولكن من الأمام .. وإذا كان القاتل محترفا كما يبدو لنا هل يمكن أن يخطئ في تحديد ضحيته وهدفه ؟ ولماذا أخطأ في المرة الأولى ؟! .. وقد أجرينا تحرياتنا عن كل شخص حضر تلك الجلسة .. ومن تخلف عنها كالآنسة منيرة يوسف سكرتيرة المدير .. والسيدة ماريا خليل موظفة في الإدارة ومن أقارب المدير.. وقد علمنا أنه كانت مشاكل بين المدير وابن أخيه فريج ومازن وحتى ماريا ، بينهم مشاكل ؛ ولكنها وحدها لا تدفعهم للقتل العمد ؟

فقال عزيز : عمال وخدم القصر ؟

فقال حردان : البواب رجل عجوز ضعيف السمع ، والخادم آسيوي ومعه زوجته وهم أشخاص بسطاء ، وليس بينهم وبين مخدومهم أي مشاكل.

ـ أين الزوجة ؟

فقال حردان : زوجة السيد مرعي امرأة أجنبية أمريكية ، وهي مسافرة من قبل مصرعه بأشهر ثلاثة .. ولا يوجد بينهما أولاد .. تعرف عليها أثناء وجوده في أمريكا وتزوجا ، وهو رجل لا ينجب ، وتأكدنا من سفرها وعدم عودتها للبلاد ولو سرا.

ـ أشكركم .. حقيقة بين أيدينا معلومات كثيرة ومهمة ؛ ولكننا بالتأكيد بحاجة للمزيد من التحريات البوليسية .. وسوف نتعاون في حل غموض هذه القضية وسأقرأ أقوال الشهود في الجريمتين ، وأنت يا أخ زايد رتب لنا لقاء مع الزوجة سارة رملي أرملة فريج صبري.

ـ سأفعل يا سيدي ونحن أخذنا أقوالها .. فهل تظن أنها ستزيد عليها ؟ .. لقد انهارت أمام مقتل زوجها وأدخلت المستشفى .. على كل سأرتب لقاء معها إذا غادرت المشفى.

وقال عزيز : وأيضا أريد تحريات عن نزلاء العمارة كلهم ؛ لعل أحدهم لمح القاتل وسوف

نخرجه من خوفه ليحدثنا بما رأى .. ويلزمنا تقرير عن علاقة الزوجين سارة وفريج .. فمطلوب منا أن نصل للمجرم بأقصر وأسرع وقت لتتوقف الصحافة من غمزنا والاستهزاء من قدراتنا ، وكما تعلمون المدير العام مهتم بالموضوع شخصيا وكذلك الوزير ، وقد يكون هناك مستويات عليا تنتظر نتائج بحثنا فليقم رجالكم بالمطلوب منهم سريعا.

٤

كانت سارة زوج فريج قد غادرت المستشفى بعد معالجتها من الصدمة التي ألمت بها على أثر مقتل زوجها أمام شقتهم وعلى مسمع منها، وانتقلت بعد خروجها من المستشفى إلى بيت والدها حيث أولادها ، وقد اتصلت الشرطة بها وأبلغتها عن رغبة الضابط المحقق في قضية زوجها الحديث معها في هذا الموضوع ، فرغم الحالة النفسية التي أصابتها والتوتر والخوف وافقت ، فلما قرع جرس الباب ذلك المساء أدخلت الأم الضابط ورفيقه إلى صالة الضيوف وبعد دقائق أقبلت سارة وهي تلبس ملابس الحداد السوداء ، واستأذنت الأم بالخروج فقام الضابطان بالتعزية وذكر الألفاظ المناسبة لهذا المقام ثم قال عزيز : أنت تعرفين يا سيدتي .. أن زوجك مات في ظروف خاصة .. ولابد لنا من الكشف عن الجاني .. المجرم اللئيم الغادر فأرجو أن تعذرينا ولابد من القيام بواجبنا ونصل للمجرم .. لتهدأ نفسك وأنفس الأولاد والمجتمع كذلك ..فعلينا أن نتعاون لمعرفة خصمك وقاتل زوجك.. فأرجوك أن تتعاوني معنا بشكل جيد لتحقيق هذه الأهداف وبسرعة ..وعلى رأسها تقديم المجرم إلى العدالة لينال جزاء ما اقترفت يداه.

أحضرت الأم الشاي للضيوف وسكبته في الأكواب ثم خرجت ، وكانت سارة ترد على الضابط : أنا أقدر واجبكم .. وأنا تحت أمركم .. ولكني رويت ما جرى لزميلك ـ وأشارت بيدها نحو زايد ـ هذا.

فقال زايد : أجل سمعنا منك صفة وقوع الجريمة ..ولكن لم تحدثينا عن أعداء زوجك ، ومن له مصلحة في القضاء عليه .. وعن أصدقاء زوجك .. فنحن نريد معلومات تساعدنا وتقربنا

من المجرم.

فقال عزيز وهو يشرب من الشاي : سوف نسمع منك أجوبة عن بعض الأسئلة .. نأمل أن تساعدنا في تحقيق هدفنا جميعا وهو القبض على الفاعل الآثم.

ولما انتهى عزيز من شرب الشاي عاد للحديث فقال : سيدة سارة .. هل تتهمين أو تشكين في شخص ما له غاية في التخلص من السيد فريج ؟

قالت بثقة : لا أشك أو أتهم أحدا .. والحق أنني لا أعرف عن حياة زوجي الخاصة شيئا كثيرا إلا أنه كانت بينه وبين عمه المرحوم مرعي قبل وفاته عدة مشاكل بسبب قروض للمصرف علينا.

بعدما نظر الضابط في وجه المرأة لحظات قال : اسمحي لي بهذا السؤال .. فأشارت برأسها أن نعم فقال : كيف تزوجت السيد فريج ؟ .. آسف لهذا السؤال ولكن قد يفيدنا يا سيدتي في البحث والتحري.

فردت بسرعة : لا حرج عليك ، وأنا يهمني معرفة المجرم أكثر منك ـ ومسحت دموعا ترقرقت في عيونها ـ وقالت : يا سيدي أنا كنت عاملة في مصرف الرعاية .. ولما التحق فريج بالمصرف بعد عودته من أمريكا تعارفنا بسبب العمل ، وبعد سنوات تزوجنا ، ولما ولدت ابني الأول معروفا تركت العمل للتفرغ لرعايته .. ولي عشر سنوات لا أعمل في البنك .. هكذا تزوجت من فريج.

ـ شكرا لك .. أين كنتم تسكنون قبل السكن في الشقة الأخيرة ؟ .. فقد علمنا أنكم تعيشون فيها من وقت يسير.

ـ نعم .. لقد كنا نسكن مع أسرة زوجي .. في قصر أو فيلا السيدة حماتي .. فللمرحوم حماي قصر كبير .. فكنا نسكن في جناح منه ؛ ولكن بعد مقتل السيد مرعي سعد الدين كثرت المشاجرات بين حماتي وزوجي .. فاستأجرنا الشقة في تلك العمارة التي قتل على بابها زوجي المحترم وذلك كان من أشهر ثلاثة فقط . ومسحت من جديد دمعات متساقطات على خديها

ـ سيدتي المحترمة .. أصدقاء زوجك كيف كانت علاقته معهم ؟

ـ صدق يا سيدي .. أن زوجي ـ رحمه الله ـ لم يكن يأتي البيت بصديق من أصدقائه ، فلم يكن يزرنا منهم أحد ، فكل لقاءاته معهم تكون خارج البيت .. وهذا ليس فقط في شقتنا المشؤومة بل ونحن نسكن قصر عمي لم أره يستقبل صديقا ..كان أكثر وقته في العمل ، وعندما يعود مساء يأكل وينام ساعة أو ساعة ونصف ، ثم يغادر للسهر مع أصدقائه في المقاهي والنوادي كما يقول لنا .. أحيانا نزور أهلي وإخوتي وأخواتي المتزوجين أو أخواته المتزوجات .. وهو وحيد أمه ..وإذا زارنا هؤلاء الناس فمن النادر أن يصدفوه في البيت.

ـ إذن أصدقائه خارج البيت.. ألا تذكرين اسما منهم؟ هل يتأخر في السهر معهم ؟

ـ للأسف لا يعود قبل منتصف الليل وأحيانا قبيل الفجر .. الحق أيها الضابط أن زوجي مولع بالشراب .. الخمر .. تعلق بها أثناء وجوده بأمريكا .. وكذلك أسرة عمي أهل زوجي يتعاطونها من غير حرج .. آسف لقول ذلك.

ـ فاعلمي أن التقرير الطبي أفاد أنه كان ليلة الجريمة شاربا لها.. متى عاد تلك الليلة يا ترى ؟

ـ قبل أن أجيبك على هذا السؤال اعلم أنني الآن لا أذكر اسم صديق له ، وإن سمعت بعض الأسماء يرددها على الهاتف .. نعم عماد نعم نعمان .. فليس بالضرورة أن يكون هؤلاء أصدقاء ربما كانوا عملاء أو أصحاب محلات يتعاملون معه.

ـ شكرا لك سيدتي ..متى عاد ليلتها ؟

قالت : المحير ليلتها أنه فعلا جاء البيت مبكرا ، إنني أذكر ذلك جيدا حوالي العاشرة والنصف ليلا أتى ـ ولم أكن نائمة بعد ـ وجلسنا في الصالة نتفرج على التلفزيون صامتين .. كان فريج قليل الكلام معنا .. وأثناء ذلك استيقظ أحد الأولاد فذهبت إليه أتفقده ، ولما عدت كان فريج يضع سماعة الهاتف فنظرت إليه فرد " تكلمت مع أمي وهي ترغب بلقائنا قريبا " وطلب كوبا من الشاي .. ثم جلسنا نتابع التلفزيون ، وعند نصف الليل تركته لأنام مع أني قضيت تلك الساعات معه بين النائمة واليقظة .. ولم يلبث بعدي إلا دقائق فإذا هو في الغرفة ، كانت

حالته في الحق قلقة ؛ ولكنه لم يكلمني عن ذلك ، وبدوري لم أسأله يا سيدي .. نمت وكلما أصحا من النوم المتقطع على حركاته أجده جالسا ؛ كأنه يفكر في شيء يشغله ، فأعود للنوم ثانية إلى أن ارتفع رنين الجرس فصحوت ؛ ولكني لم أقم من الفراش ، أما هو فعندما سمع الجرس تحرك نحو الباب .. وأنا حقا لم أتعب نفسي بالتساؤل عن من يطرق الباب في مثل هذا الوقت من الليل؟.. ولكني قبل أن أغفى ثانية سمعت فجأة الصراخ فقمت مرعوبة ولما وصلت باب الشقة كان الباب مفتوحا وفريج على الأرض مطروحا والدماء تنزف منه وهو يقول بثقل "قتلني المجرم.. قتلني اللعين" فأخذت بالصراخ ، ففزع عليّ الجيران الساهرين على الفضائيات والباقي تعرفونه .. انهيار عصبي ونـقلوني إلى المستشفى.

فقال الضابط عزيز وهو يقف : أتعبناك معنا .. فندعو لك بالشفاء الكامل من هذه الصدمة والحقيقة أنك أعطيتنا معلومات ممتازة .. وإذا تذكرت سيدتي أمرا مهما فاتصلي بنا على هذا الرقم ـ ودفع لها بطاقة خاصة عليها أرقام هواتفه ـ ثم تابع قائلا : أرجو أن نصل للقاتل بسرعة حتى تسكن النفوس وتعود لهدوئها.

ومشت معهم حيث باب البيت وهنا قال عزيز : نحن نرى يا أم معروف أن هناك علاقة قوية بين مقتل زوجك ومصرع عمه مرعي سعد الدين .. هل ترين من الممكن أن يكون هو المقصود في الجريمة الأولى ؛ ولكن القاتل أخطأه فأصابت الرصاصات عمه؟.

ظهرت المفاجأة على وجهها ولكنها قالت : لا أدري !

ـ ألم يتكلم معك المرحوم عن شيء من ذلك ؟.

هزت رأسها بالنفي ثم قالت بصراحة : فاعلم يا سيدي الضابط أن علاقتنا الزوجية في السنوات الأخيرة لم تكن دافئة أصابها كثير من البرود والفتور.

فقال عزيز وهو يحدق النظر في صاحبه زايد : أحقا ؟!

٥

كان الأخوان أحمد وعماد ينتظران رجال الشرطة في منزل الأسرة فما رن جرس الباب حتى هب أحمد مسرعا لفتح الباب ونظر إلى الساعة فكانت قريبة من العاشرة والنصف ، واستقبل الضيفين وساقهما إلى غرفة الاستقبال وبعد تعارف سريع بين عزيز وزايد وبينهما ، بدأ الحديث حول الجريمة الأخيرة فقال المقدم : هذه الجريمة لها علاقة بالجريمة السابقة .. فمن أجل هذا أحببنا الالتقاء بكم أيها الكرام ، هل كان فريج صديقا لكم خارج إطار العمل ؟

فتلاقت عيون الأخوين ثم أجاب أحمد قائلا : لم نكن أصدقاء نحن زملاء عمل فحسب .. ليس بيننا جلسات عائلية .. ولم نسهر معا إلا في جلسات اجتماع المدير ، والسهرة التي تتبع ذلك الاجتماع الخاص .. وأحيانا ننصرف قبل تلك الحفلة.. أما غير ذلك فمن النادر جدا جدا إلا إذا تصادفنا في نادي أو حفلة زواج أو أي احتفال لأحد الزملاء.

كان رجل الأمن عزيز يسمع كلام أحمد وهو يتابع وينـقل بصره بين الاثنين ، فلما سكت أحمد قال عزيز : أخ عماد هل تؤيد كلام أخيك ؟.. أكيد أنك لم تصحبه في رحلة في سهرة خاصة .. ألم تكن بينكم علاقات خارج نطاق العمل كما يقول أخوك ؟

تململ عماد قليلا وبدأ عليه بعض الارتباك من أسئلة الضابط ثم قال : كنا زملاء عمل فقط ولكنني سافرت معه مرة واحدة إلى أوروبا .. رحلة عمل كانت في الأصل ، وذلك إن لم أنس منذ أكثر من خمس سنوات يا سيدي.

فقال عزيز : نافذة الصالة التي كنتم تجلسون فيها ليلة مصرع السيد مرعي في ذلك الاجتماع الأخير .. من فتحها ؟ وهل رأيتم أحدا يقترب منها ؟

فقال أحمد قبل عماد : تقصد النافذة التي أطلق منها النار ؟

رد عزيز : نعم ، يا سيد أحمد هل تذكر تلك الليلة ؟ .. لابد أنكما تذكرانها ؛ فإنها ليلة لا تنسى بسهولة ..هل كان المدعوون يجلسون حول الطاولة أثناء إطلاق النار من تلك النافذة ؟

تمهل أحمد قبل الإجابة ولزم عماد الصمت منتظرا إجابة أخيه وسمعه يقول وهو يـفكر:

كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة ليلا ، ونحن على وشك فض الاجتماع .. وهذا الاجتماع التقليدي لأهم أعضاء المصرف في فيلا المدير يبدأ قبل منتصف الليل بساعة واحدة ويستمر ساعة واحدة فقط .. ثم تتبعه سهرة لمن شاء .. والحق سيدي الضابط أنني لم ألحظ أحدا ترك مقعده خلال الجلسة ، فالمدير لا يحب ذلك ؛ ولكن وصل يومها ابن أخيه متأخرا عن بداية الاجتماع حوالي عشر دقائق ، فأنبه عمه فورا ، وعدنا ننظر في الأوراق التي بين أيدينا .. كانت أثناء وجودنا في الغرفة نسمة باردة .. ولكن لم يخطر على بالنا أن هناك نافذة مشقوقة أو مفتوحة لأن الستائر السميكة تخفي ذلك .. وكنت أظن أن البرودة تأتي مع الخادم كلما فتح الباب وخرج بين الحين والآخر أقصد باب قاعة الاجتماع .. ولا أدري يا سيدي كنت تلك الليلة منقبضا ومتوترا ، وقد حاولت النكوص عن ذلك اللقاء.. ولكن أخي عماد بين لي أن التخلف عن هذه الجلسة فيه إساءة للمدير ولنا .. لقد كان مديرنا ذلك النهار متوترا وكأنه متشاجر مع أحد الناس..

فقطع عماد استرسال أخيه قائلا : يبدو أنه تشاجر مع السيد مازن فريد .. أو مع فريج .. وقد تخلفت عن حضور الاجتماع الأخير يا سيدي المقدم منيرة يوسف سكرتيرة المدير .

فقال عزيز : علمنا أنها اعتذرت للمدير عن جلسة تلك الليلة لمرض والدها ، وتأكدنا فعلا من مرض والدها وأنه أدخل المستشفى ، وكانت معه حتى وقت متأخر من الليل ..القاتل المنفذ أي الأداة في هذه الجريمة من الخارج ، ولابد له من مساعدة داخلية فله شركاء .. وأيضا لم تحضر اجتماعكم ذلك ماريا خليل .. وبينت لرجال التحقيق أنها غير مواظبة على حضور تلك الاجتماعات .. وتقول عندما يصدف وتحضر جلسة تنصرف قبل سهرة الخمر والسكر .

فقال عماد المتوتر قليلا: هل تظن يا سيدي المقدم أن هناك علاقة بين الجريمتين؟

ابتسم عزيز وقال : ستظهر الحقيقة قريبا .. أليس كذلك نقيب زايد ؟

فهز النقيب زايد رأسه مؤكدا هذا المعنى وتابع عزيز حديثه : ولكن تعاونكم الجدي معنا يعجل الأمر .. سؤال مهم أيضا فهل تعتقدان بعد مقتل فريج أنه كان المقصود في الجريمة الأولى

وأخطأه المجرم ؟.

فقال أحمد بكل صراحة ووضوح: كنت أرى وأظن أن للسيد فريج يدا في مقتل عمه، أما بعد مصرعه بعده بشهور قليلة فقد احترت .. وأنا ذكرت هذه الهواجس في التحقيق الأول ، ولم يكن لدي دليل معين .. لقد كانت الأمور في الأشهر الأخيرة قبل موت المدير متوترة فوق العادة بين المدير وأقربائه في البنك .. فوقع في فكري أن فريجا أراد التخلص من عمه طمعا في وراثته للخلاص من ديونه.. كان ذلك إحساس فقط ؛ ولكن بعد موته مقتول فأقول الحمد لله إنه كان إحساس .. لعله فعلا هو المقصود في المرة السابقة فلم تصبه طلقات المجرم .. أنا حائر لا أدري شيئا ولا أعرف شيئا !

فقال عزيز بعد صمت أحمد : أستاذ أحمد أنت متزوج من امرأة أجنبية .. ألم يكن زميلك فريج المتعلم في أمريكا يسهر معها ؟.. خصوصا بعدما سمحت لها بالسفر مع أخيك عماد وزوجته التي كانت خطيبة يومذاك إلى أوروبا ؟!

تكهرب الجو بـعد هذه المعلومات الخاصة واحمر وجه أحمد وحدق بالضابط برهة وقال بعد تفكير عميق : نعم أذنت لزوجتي الأجنبية " فلورا " بصحبتهم في تلك الرحلة .. هم رغبوا بالاستفادة من قدرتها على لغة قومها وبـعض اللغات الأوروبية.

فقال عزيز مجادلا : ولكن فريجا رفيقهم بالرحلة تعلم في أمريكا، وعاش فيها فترة لا بأس بها وهو يتقن اللغة الأمريكية ولا أظنه يحتاج لمترجم.

فرفع أحمد من صوته قائلا : ماذا تريد وإلى ماذا تريد أن تصل يا سيدي الضابط ؟؟

قال الضابط : أريد أن أصل إلى أن بينك وبين فريج علاقة أكبر مما وضحت لنا سابقا .. ولماذا لا تمتد سهرات الاجتماع الشهري إلى سهرات أخرى ما دامت الزوجة كانت على علاقة جيدة مع زميلك في البنك ؟ .. أكيد لم تكن زوجة فريج تسهر معكم.

فرد أحمد لا شعوريا : امرأة مـعقدة . وكأنه أدرك أنه تعجل في الرد فقال : أو مريضة نفسيا.

فقال عزيز : هل سبب هجرك لزوجتك هذه السهرات أم لعودتها إلى بريطانيا ؟ نحن نريد

الحقيقة كل الحقيقة لترتاح أنت وغيرك واعلم أن هذه الأسرار وغيرها لا يعلمها إلا نحن والمصدر الذي ذكرها لنا .. سيد أحمد .. صدق أنني لا أرى لحتى الآن لك مصلحة تدفعك للقتل.

فصاح أحمد قائلا : نعم .. لقد خانتني اللعينة مع السيد فريج .. فمن أجل ذلك تركتها تعود لبلادها .. فهؤلاء الأجانب لا شرف عندهم .. وكنت أنا وفريجا أصدقاء ولكن ذلك قبل سنوات وقبل اكتشافي لعلاقته الآثمة مع ممن تسمى زوجتي.

كان عماد يحدق النظر في وجه أخيه وهو يسمع هذا الاعتراف الجديد على مسامعه ، وهو زنا امرأة أخيه الأجنبية مع فريج ، فكان مصعوقا مما يسمع.

فقال عزيز : رائع هذا الاعتراف !.. لقد كنتم أصدقاء أنا أريد أن أعرف الأماكن التي كان يتردد عليها أيام صداقتكما .. أسماء النوادي الليلية .. الخمارات .. دور الدعارة .. المقاهي أسماء أصدقائكم في مثل هذه الأماكن.

ذكر أحمد الأماكن التي كان يتردد عليها أيام مجونه ورفقته لفريج ، ولما انتهى من اعترافه المهم والمفيد التفت الضابط المحقق نحو عماد قائلا : ألديك شيء تحب أن تبوح به ؟ صدقوا أيها الأعزاء إن كل شيء يصل إلينا يساعدنا في مثل هذه الجرائم .. كلمة .. ورقة .. اسم .. ملاحظة .. تصرف غريب.

فقال عماد : فريج شخص فاسد .. وهو مقامر .. وقد ورطني في هذه الألعاب .. وعندما سافرنا أوروبا كان أكثر الوقت يمضيه على موائد القمار أو ما يسمى بالموائد الخضر .. بل له أصدقاء هناك.

فقال عزيز : وهنا!

عماد : وهنا .. وهو يتردد على نادي" فورمون " للعب القمار .. ومرات على ملهى "شوهو " للميسر.. وأنا تعلقت بالميسر وهو الذي علمني ذلك ؛ ولكن ظروفي وأحوالي المادية لم تكن تساعدني على الاستمرار معه دائما.

فقال عزيز : والسبب زوجتك .. تتشاجر معك كثيرا من أجل ذلك .. أليس كذلك ؟!

تنهد عماد تنهدا عميقا وقال : أرى أنكم تحريتم عنا هذه المرة جيدا .. فأخي أحمد لا يعرف أن سبب مشاكلي مع زوجتي القمار .. فالأسرة تظن أن سبب ذلك عدم الإنجاب..

فأكد عزيز قائلا : أكدت لنا السبب القمار وليس الإنجاب

فاعترف عماد قائلا : إنها الوحيدة التي تعرف أنني مولع بالقمار .. لأنني اضطررت مرة أن أقامر بعقد لها.

فكان أحمد يضحك وقال ضاحكا : لا يا بطل .. أنا أعلم أنك مقامر صغير أحمق .. أنت مقامر غبي، فصاحبك فريج أخبر كثيرا من الزملاء، وأنا على رأسهم أنك مقامر، وبين لي أن له في ذمتك خمسة آلاف من الدنانير.

٦

عندما خرج رجلا الشرطة من منزل أسرة زكي ، وجلس المقدم على مقعد القيادة وأمسك بمقودها بعد أن أشعل شرارة الانطلاق قال لرفيقه ومساعده في التحقيق بهذه القضية : هذا الذي سمعناه الليلة يؤكد الترابط بين الجريمتين.

فقال زايد : كثير من المعلومات التي سمعناها اليوم لم تكن موجودة في ملف القضية الأولى.

اشتغل الماتور وانطلقت السيارة نحو هدفها وقال عزيز : كان التركيز في التحقيق السابق على السيد فريج المقتول.. ولم تكن زوجة السيد عماد غاضبة على زوجها عندما قتل مرعي المدير .. والناس لا يتكلمون كثيرا في مثل هذه الجرائم ، الكل عنده خوف وهمي من القاتل .. أو الشعور الوهمي أيضا "أنا لا أريد أن أضر أحدا" فتجدهم سلبيين مع التحقيق ، فعلى رجل الشرطة سحب ألسنتهم وجرجتهم بالكلام ويأخذ منهم ما يخشونه ، وأحيانا عليه أن يشعرهم بأنهم متورطون بصمتهم القاتل .. وهكذا تخرجهم من صمتهم وخوفهم .. فانظر غضب الزوجة دفعها لتمدنا بمعلومات خاصة عن زوجها وأخيه .. ومعروف لدينا أن القاتل المنفذ لم يكن من الحاضرين الجلسة .. وبالتأكيد أن له شركاء شخص أو أكثر ، ومع ذلك ممكن أن يكون

دافعه للجريمة من غير الجلساء ، ولكن الأرجح من الداخل .. شخص فتح الشباك سرا .. ولكن القاتل كيف حدد هدفه ؟! هذا ما يحيرني الآن ؟ أي كيف أصاب المدير دون غيره ؟! الإصابة كانت من الخلف بمعنى آخر أنه لم ير وجه الضحية ! .. وعدم اهتمام المحققين السابقين في الحياة الشخصية لهؤلاء الأشخاص ؛ لأنه لم يظهر الدافع الأساسي للجريمة .. المال .. الوارث للسيد المدير فريج صبري ابن أخيه وهناك الزوجة الأمريكية .. فريج كان مع الجلساء فكيف يوجه له اتهام بدون القبض على شريكه؟ أين دليل الإدانة؟ .. ولكن بعد الجريمة الثانية تغير مجرى التحقيق.. المتهم أو قل المشبوه قتل .. هل هو المقصود في المرة السابقة ؟ .. فقد كان يجلس بجوار عمه .. هل العم أراد التخلص من ابن أخيه لسبب ما فأخطأ القاتل ؟ فهو الذي يمكنه فتح النافذة قبل الاجتماع .. السيد فريج بعد مقتل عمه لم يرث شيئا ، ولم يعين مديرا عاما للمصرف .. بل زادت مشاكله وطردته أمه من بيت العائلة .. وزوجته ذكرت أنه لم يكن مهددا بقتل في يوم ما ، بل كان في نظرها ونظر أم زوجها أن له يدا في موت عمه .. فمهمتك الآن يا سيادة النقيب اختراق الملاهي ونوادي القمار التي كان يتردد عليها المذكور لنتعرف على أصدقائه وخصومه في تلك البؤر الفاسدة.

فقال زايد : وهذان الأخوان ألا دور لهما في هذه الجرائم؟

قال عزيز : فالسيد عماد لا أرى أنه يقتل للخلاص من دين .. فالدين لا يسقط عنه بالقتل .. فهو مدين للبنك ببعض المال ومدان للسيد فريج وموت فريج لا يسقط عنه الدين سيدفعه ويسدده للورثة ، ولابد أن فريجا لديه وثائق تثبت هذه الدين .. فالآن علينا القيام بزيارة للأستاذ فارس عبد الحميد رئيس دائرة المحاسبة والموازنة فلابد أنه بانتظارنا رغم تأخرنا الكبير عليه.

فقال زايد : وأحمد هل هو بريء أيضا ؟

فرد المقدم : أظن ذلك الآن .. فهما حضرا الجلسة الأخيرة .. واستئجار قاتل يحتاج إلى شجاعة وجرأة فلا أرى أن أحمد يستطيع ذلك .. فاستئجار قاتل يحتاج لمال كثير .. ومعناه كذلك الحياة تحت تهديد دائم.

فقال زايد : معك حق ، وحكاية المسدسات التي وهبها مرعي سعد الدين لبعض موظفيه .. لماذا ؟؟

ـ هذا لغز أيضا .. ولكننا سنجد له حلا سريعا .. فالقاتل في الجريمة الأولى ليس من هؤلاء ، أما المدبر فالراجح أحدهم ، وأما في الأخرى فاحتمال أن يكون منهم ممكن ؛ ولكن القاتل في المرتين محترف في الرماية .. متدرب جيدا .. رصاصة في القلب وأخرى في الرأس .. وقول سارة" قتلني المجرم .. قتلني اللعين " يدل على أن فريجا يعرف قاتله جيدا.

كان السيد فارس في انتظارهم رغم تأخر الوقت وهو متوتر وقلق من هذا اللقاء وبعد ترحيب بارد قال المقدم : نحن آسفون لإزعاجنا لكم يا سيد فارس.. وإنما نفعل ذلك ليعود لكم الصفاء والهدوء..

فتمتم فارس : أرجو ذلك .. فأعصابنا متعبة جدا مما أصاب البنك وهذه الأسرة المحطمة.

فقال المقدم : الجريمة هذه لها صلة بالجريمة الأولى .. ونحن نعلم أن الشبهات كانت تحوم على السيد فريج ؛ لأنه هو صاحب المصلحة الأولى من مقتل عمه .. ولكنه لم يعترف بالقتل ولا يوجد دليل ضده .. وكلكم تعلمون أن المجرم قتله من خارج القاعة ، وكل شخص منكم ممكن أن يكون له علاقة بالقاتل الفاعل منفذ الجريمة الغادرة .. ومقتل فريج أكد أن هناك قاتلا يحسن الرماية بل رامٍ ماهر ؛ ولكن من يسير هذا القاتل ؟ فهذا ما نريد أن نصل إليه .. القاتل هو اليد .. فنحن نريد الوصول للعقل المدبر .. لديّ سؤالان أولهما وضع البنك المالي الآن وعندما قتل المدير السابق .. والثاني لماذا أهداكم المدير المسدسات ؟

تنهد المحاسب تنهدا عميقا وقال : وضع البنك المالي حاليا صعب .. وقبل وفاة المدير كان الوضع على الأوراق لا بأس به .. فقد تبين لنا أن كل الأموال التي كنا نحولها للخارج قد اختفت .. كل استثمارات البنك الخارجية قد سحبت وأغلقت أكثر تلك الحسابات .. ولا أحد يدري أين تحولت ولما حولت ؟

فقال المقدم بقلق : سيدي .. كيف هذا ؟؟!

ـ نعم ، قلت كيف ؟! .. كل مال لا يمكن استثماره هنا في البلد .. كنا نحوله لبعض البنوك الكبيرة في أوروبا .. أو بمعنى آخر نستثمره هناك خارج القطر لنستفيد من أرباحه بدلا من تجميده هنا .. وهذا المال لا أحد يستطيع التصرف فيه سوى المدير الكبير للمصرف .. فكان مديرنا كل فترة من الزمن شهرين أو شهر ونصف على الأقل يغادرنا إلى هناك لمراجعة مصرف أو مصرفين من أجل حساباتنا عندهم فيقوم بإيداع أو سحب من الأرصدة .. وأحيانا يسافر وحده أو برفقة ماريا خليل موظفة مهمة في قسم الودائع .. والحق أنها من أقاربه يا سيدي وبعد عودتهما يقدمان تقريرا سريا للإدارة العليا .. ولكن بعد موت المدير وانتهاء فترة التحقيقات البوليسية ذهب المدير المؤقت خالد نصري وأنا برفقته لترتيب الأمور المالية مع تلك البنوك وإخطارهم بموت المدير السابق .. تبين لنا أن الأرصدة مسحوبة وأن الأموال قد سحبها المدير مرعي ونقلها لبنوك أخرى مجهولة.. فلا نعلم أين وضعها؟ .. ولما سألنا السيدة ماريا عن تقاريرها ردت قائلة بأنها كانت تكتب ما يملأ عليها من قبل السيد المدير ويقدم لها الأوراق والمستندات اللازمة.. وأنها كانت تقضي رحلتها في الفندق والنزهات ولم تدخل مصرفا مع المدير .. والسيد مازن ابن أخت المدير .. لا علم عنده بذلك بل تفاجأ بالأمر.. وكذلك السيد فريج؛ بل صدم عندما اكتشف أن عمه المقتول لا يملك باسمه دينارا واحدا في أوروبا أو أمريكا ؛ إنما هي بضعة آلاف وعقارات هنا ، فهو قد كان يعتقد أن عمه من أصحاب الملايين .. فوضع البنك بعد فقد هذه الأموال صعب .. فأكثر من عشرة ملايين من الدولارات في الخارج قد فقدت ..

فقال المقدم ببطء : غريب .. وما الإجراءات التي اتخذتموها على المدير؟

قال فارس : قدمت الدائرة القانونية ملفا مهما للبنك الرئيسي المركزي وملفا آخر موضوعا أمام المدعي العام .. وعلى أثر ذلك أمر بالتحفظ على أموال المدير وأملاكه حتى يتبين لنا أين اختفت تلك الملايين ؟ .. فهناك يجري تحقيق سري للكشف عنها .. وظهر لهم أن أرصدته في الخارج كلها فارغة .. صفر .. وهذه معلومات يا سيدي كما تعلم غير قابلة للنشر من أجل

ذلك لم توزع تركة مرعي الموجودة هنا على ورثته.

وبعد تفكير وصمت قال عزيز : من يرثه غير ابن أخيه وزوجته ؟

فقال فارس : الزوجة لا ترث لأنها على ملة غير ملته .. زوجته أمريكية كما تعلمون ولم تدخل الإسلام .. فهي لا ترث في قانون الميراث ؛ ولكن هناك وصية لدى المدير القانوني للمصرف ، فقد كتب لها مائة ألف دولار ومنزلا في ضاحية الأحلام ..وكتب أو أوصى بمبلغ لبواب فيلته بألف وخمسمائة دينار ، وهناك مبلغ للخادمين الآسيويين اللذين يخدمونه في القصر ، وألف دينار لسائقه جبري نعيم عند موته .. وقد أوصى بمبلغ خمسة آلاف دينار لجمعية خيرية ، وكان قد أوصى لابن أخته مازن ثم ألغاه ..والوارث الشرعي الوحيد له ابن أخيه فريج ، ولكنه لم يرث بعد ، وقد لا تنفذ الوصية إذا لم تظهر أموال البنك المختفية .. فالحقيقة أرى أن الجريمة تعقدت بعد مقتل فريج .. فلماذا قتل ؟؟

فقال عزيز : وسؤالنا الثاني .. المسدسات ؟؟

فارس أجاب : الغريب أن المصرف كان يمر بفترة توتر وشد أعصاب قبل موت المدير .. فكان المدير كثير الغضب .. واجتماعات مستمرة .. فشجار مع صبري .. وثاني مع مازن .. الوضع النفسي لمديرنا قبل الحادث بأشهر كان مقلقا لماذا لا ندري ؟! فهو مدير للمصرف منذ ثلاثين سنة .. أما المسدسات فقد أهداها أو اشتراها للموظفين الذين يلتقي بهم في بيته لحماية أنفسهم وحماية الأوراق التي معهم من اللصوص ، فذات مرة من سنوات تعرض الأستاذ خالد نصري لعصابة من اللصوص وهو منصرف من الاجتماع الشهري عند المدير وكادوا أن يسطوا على الأوراق التي معه، وهي مهمة بالنسبة للمصرف ؛ ولكن الله سلم فعلى أثرها اشترى هذه المسدسات وطلب من كل واحد منا أن يرخصها لدى مكتب ترخيص الأسلحة النارية والحرص على إحضارها معه عند الاجتماع .. فيكون الاجتماع عادة ساعة من الزمن ويتبعه ساعات من اللهو والسهر .. فهذا سبب حملنا للمسدسات والأكثر منا يتركها في السيارة لا يدخل بها القاعة.

فقال عزيز : المجموعة التي حضرت الاجتماع كلها تملك مسدسات ما عدا السيد عماد زكي ؟

فرد فارس : فالأخ عماد ضم لهذا المجلس منذ سنة واحدة تقريبا .. وكان ذلك بضغط من فريج وفي العادة يأتي مع أخيه ؛ فكأن سيادة المدير رأى أنه لا يلزمه ذلك .. وعن نفسي كثيرا ما كنت أنساه في المنزل .. ولا أذكر أني أطلقت منه طلقة منذ رخصته.

عندئذ نهض الضابطان وقال عزيز وهو يصافح فارس : شكرا لك يا سيد فارس .. فمعلوماتك ثمينة وإلى لقاء آخر .

ـ أنا رهن إشارتكم .. مع ألف سلامة.

وقال لنفسه وهم يبتعدون : ولكن السيد عمادا يملك مسدسا .



٧

وفي أثناء عودة الضابطين لمكتبهما في دائرة الأمن الكبرى قال عزيز لصاحبه : الأمور فيها نوع من التعقيد أيها الصديق .. إفلاس البنك .. أو قل إفلاس البنك في أوروبا .. لم يذكر في التحقيق السابق فهل يا ترى ليس له دخل في مصرع المدير ؟ هذه الأموال أين أخفاها المدير ؟ لمن حولها ؟ .. المسدسات كذلك لم يجر التحقيق بشأنها في السابق لماذا ؟!

فقال زايد : إنها مذكورة في التحقيق السابق .. عندما قتل المدير وجدنا مع بعض الجالسين أسلحتهم الشخصية .. وكان فريج يحمل مسدسا وكان ناقصا طلقتين مما أدهشنا أثناء التحقيق .. وفارس هذا الذي كان يتحدث معنا قبل قليل لم يكن معه مسدسه أثناء الجلسة ، ولم يكن في السيارة وجدناه فعلا في بيته .. والأستاذ خالد كان يحمل مسدسه ؛ ولكنه لم يستعمله ولو مرة واحدة ، والمدير نفسه مع أنه في بيته أو قصره كان يضع المسدس في درج الطاولة التي يجلس خلفها أقصد طاولة الاجتماع .. أما مازن وأحمد فلم يكونا يحملان مسدسيهما .. وبما أن الجريمة قد ثبت من تحاليل المعمل الجنائي أنها من الخارج فما كان هناك داع لمتابعة قضية هذه المسدسات والقانون يخول لكل شخص بالغ حمل سلاح مرخص ..فأعتقد أن الرائد حردان لم يكترث للأداة التي ارتكب بها المجرم جريمته .. وتقرير الأطباء الجنائيين أو الشرعيين بين أسباب وصفة الوفاة .. ونوع الطلقات القاتلة التي أدت للقتل وهي طلقات من نفس عيار المسدسات المضبوطة مع الموجودين.

قال عزيز : هذا كلام صحيح .. ولكن لم يذكر التحقيق أن هذه المسدسات كانت هدية من المدير .. هذا قصدي أيها الأخ العزيز غدا ـ إن شاء الله ـ سنزور المرأتين منيرة وماريا ، ولنا لقاء مع المدير الجديد خالد نصري .. ثم نأخذ مازن فريد إلى الفيلا إلى قاعة الجريمة فجهز لنا تصريح دخول القصر.

ـ أمرك يا سيدي المقدم .

وقضى المقدم ساعة من الزمن في مكتبه وقام ببعض الاتصالات الهاتفية ، ثم أغلق المكتب

وعاد لبيته قبل الفجر بساعة ، وكان يقول لنفسه قبل النوم : " من المستفيد من قتل فريج ؟ فهو لم يرث شيئا عن عمه ليقتل من أجل المال .. وهو المستفيد الأفضل من موت عمه .. ولكن هناك الزوجة مستفيدة مبلغا مهما أيضا ..مائة ألف وفيلا .. وواقع الحال لا يدل على أن سارة هي القاتلة .. هل لها شريك .. أو عشيق ؟ .. ممكن ! حاول العشيق قتله في منزل عمه وفشل ..فهي تعلم بأيام الاجتماع من زوجها وتعرف الفيلا .. ولقد كانت موظفة في نفس المصرف ؛ ولكنها زوجة ولها أولاد .. هل فعل ذلك عشيقها من دون علمها ؟ .. هل يوجد عشيق فعلا ؟ .. إنها إنسانة طيبة .. جاءت طلقات القاتل بالمدير خطأ ؛ ثم أعاد الكرة فنجح هل تفعل ذلك تلك المرأة ؟ علمت أو لم تعلم ؟ هي المستفيدة الوحيدة من مقتل فريج لو ورث ..لابد من القيام بالمزيد من التحريات عنها .. ثم عاد يهمس : ولكن من هو هذا العاشق السفاح ؟

هذا إذا كان موجودا ..ماذا سترث عن فريج غير الديون ؟.. فلقد حزن فريج لاختفاء أموال عمه .. وعاد يقول : سارة امرأة وديعة ..صادقة .. هل كانت تمثل عليّ ؟!.. لا يبدو عليها الذكاء والفطنة لتخطط لمثل هاتين الجريمتين .. القاتل اللعين رام ماهر طلقة في الرأس وأخرى في الصدر هذا فعل رجل قناص متمرن .. والقاتل معروف لفريج .. أم أن سارة كاذبة في هذه العبارة التي نطق بها الرجل قبل الموت لتضليل الشرطة .. الجريمة الأول ، فأقوال الشهود وحتى أقوال فريج غير الواعية ترشد على أن له يدا في القتل ؛ ولكن لا يوجد بين أيدينا دليل قطعي .. إذن له شريك من هو هذا الشريك ؟ .. ثم غدر به هذا الشريك .. فعماد زكي جبان وكان موجودا في القاعة ليلة مقتل المدير .. وأخوه لا غيرة عنده فهو ابن أوروبا .. وفارس لماذا ترك مسدسه في البيت ليلة مصرع مديره ؟ ..عليّ معرفة أوضاعهم المالية .. قد يكون عليه ديون للمدير ليناموا عن أفعاله في أوروبا ..قد تكون هناك مصالح خفية بعد .. أين أخفى مرعي أموال البنك ؟ ولماذا السفر إلى أوروبا كل شهرين ؟ فوسائل الاتصال متقدمة ومتطورة .. إني على وشك الوصول للحقيقة .. عندما أسمع أقوال السكرتيرة منيرة يوسف قد نعرف أشياء جديدة ومهمة .. ماريا ما دورها في اختفاء أموال العم مرعي .. ولماذا كانت تسافر معه ؟ ملايين تضيع بسهولة .. إنه المدير!!

الفصل الثاني

١

في صباح اليوم التالي كان المقدم عزيز ومساعده النقيب الشرطي زايد يجلسان مع الآنسة منيرة في مكتبها في مبنى المصرف ، ولما تمت المجاملات التقليدية همس عزيز قائلا : أنت سكرتيرة المدير السابق وموظفة في البنك منذ ما يزيد عن عشر سنوات ، وأصبحت السكرتيرة الخاصة من قبل سنتين وأشهر ، وقد كنت ثقة المدير ، ويعتمد عليك بترتيب أموره كثيرا كما قيل .. فيا آنسة كانت هناك مشاكل في الآونة الأخيرة بين فريج والمدير وبين مازن والمدير وبحكم موقعك ووظيفتك لابد أنك سمعت وعلمت شيئا من هذه المشاجرات ؟!

نظرت الفتاة في وجه المحقق وقالت : أحب بداية أن أوضح لك يا سيدي فأنا علاقتي بالمدير علاقة عمل فقط وأثناء العمل فحسب ، وأحيانا أشارك في مؤتمراته وندواته وحفلاته المتعلقة بالعمل.. هذا ما أحب أن تفهموه .. علاقات عمل وبس .. وفي بعض الأحيان أحضر اجتماعهم الشهري المنزلي وأنصرف فور انتهاء الاجتماع لا أشاركهم السهر نهائيا .. والسيارة التي أملكها هي هدية من المدير وذلك منذ سنوات حتى لا أتأخر في الوصول لمكان العمل .. وقد تأكد رجال الأمن من مرض والدي ليلة مقتل السيد المدير .. وتأكدوا من وجودي معه في المستشفى .. هذا ما عندي يا سيدي .

وكانت تتكلم بسرعة وتدافع وتعب فلما انتهت قال الضابط وهو يبتسم : أحسنت على هذه التوضيحات !.. أنا سألتك يا سيدتي العزيزة عن مشاكل المدير مع أفراد الأسرة .. الأقارب ؟

قالت : بصراحة فريج مدين للمصرف بحوالي سبعة عشر ألف دينار .. وكذلك الأستاذ مازن وقد تكون ماريا أيضا مدينة ؛ ولكن لا أعلم عنها شيئا .. قبل شهور من موته طالبهم فريجا ومازنا بتسديد ديونهم ملمحا لهم أن البنك يمر بضائقة مالية فعليهما بإبراء ذمتهما نحو البنك فغضب فريج واعتذر عن السداد لإفلاسه فأشار عليه عمه أن يبيع الفيلا التي ورثها عن أبيه صبري فاحتد وقال : سدد عني أنت واخصم من راتبي . فأجابه المدير : راتبك .. نحتاج عشرين

سنة حتى يسدد ما عليك دبر نفسك .. المهم جرى بينهما حديث حاد .. هذا حصل ولكني لم أسمعه يهدده بالموت أو القتل .. وطلب من ابن أخته مازن تسديد الدين الذي عليه وهو حوالي عشرة آلاف فوعده بالتسديد قريبا .

فقال الضابط : هل جرت هذه المشاجرات أمامك ؟!

ـ طبعا .. لا .. ولكن من مكتبي هذا يمكنني سماع ما يجري في مكتب سيادة المرحوم .. وبعد ذلك توترت العلاقات داخل البنك .. قل المزح والمداعبة بين الزملاء .. الكل صامت يراقب الوضع عن كثب .. فأصبح يخيم على الوجوه النكد والوجوم .. وكرر المدير أكثر من مرة الطلب على السيد فريج ببيع الفيلا وهو يقول إن والدته وأخواته والورثة لا يريدون البيع ويرفضون هذه الفكرة بشدة .

فقال الضابط : هل تظنين أن يقتل فريج عمه للتخلص من هذا القرض ؟ .

فكرت الفتاة قليلا وقالت : لا .. فلو قتل عمه فلن يتخلص من الدين ، فهناك أوراق مكتوبة عليه وعلى مازن .. إلا إذا ورثوا ثروته ؛ ولكن ظهر بعد موته أنه لا يملك شيئا .. فكل الحسابات الأوروبية صفر ، وهناك تحقيق سري حولها .

فقال الضابط : أخلاق فريج كيف هي ؟

قالت : هو هادئ أثناء العمل يدخل مكتبه في قسم القروض ولا يفارقه حتى انتهاء الدوام إلا لمهمة.. وهو قليل الكلام .. ولكنه يشرب الدخان بشراهة .. وأسمع من الزملاء أنه يعشق الخمر والنساء .. ولا أعتقد أنه يحترم الحياة الزوجية .. واعلموا أنه قبل أن يتزوج الزميلة سابقا سارة كان بيني وبينه مشروع خطبة ؛ ولكنه لما التقى بسارة تحول إليها وانتهى مشروع زواجنا، وحاول أن نبقى أصدقاء فرفضت .

ابتسم عزيز لهذه المعلومة الأخيرة وقال : كنت أريد أن أسألك فعلا عن هذه الخطبة ..الحق أنني تحدثت مع فراش قديم في المصرف تسمونه " أبا موسى " عن الموظفين العاملين هنا .

فقطعت الكلام قائلة : نعم هو أقدم فراش ..استمرت فترة التعارف بيننا حوالي ستة أشهر ،

ثم أحب سارة وتزوجها ، وابتعدت عن حياته ، وما زلت عزباء يا سيدي .

قال المقدم مشجعا : أنت متعاونة جدا إجابات صريحة وواضحة من غير لف ودوران .. حدثينا عن السيد مازن .

قالت : هو الآخر نشيط في عمله ، وهو الآخر يحب الخمور والسكر وقد تورط فترة بالمخدرات ولكن تم إنقاذه منها .. ولا أعلم له مغامرات نسائية .. وهو يخاف من خاله جدا ويبدو لي أنه يعلب القمار .. لقد سمعته يتحدث عن خسارته مرة مع الأستاذ عماد زكي .. موظف عندنا في قسم الكمبيالات .

فقال عزيز : والسيد فريج صبري يمارس القمار .؟

سكت منيرة وحملقت في وجه الضابط لحظات ثم تكلمت وهي تهز رأسها : الحق أنني أسمع بذلك من همسات العاملين ولم أسمع ذلك منه ..

وتحدث معها الضابطان في أمور أخرى حول البنك والحياة الخاصة للمدير الميت ، وبعد ذلك طلبا الموظفة الأخرى ماريا التي جاءت بعد وقت يسير ، وبعد ترحاب بارد وتعريف سريع تركت الآنسة منيرة لهم المكتب وخرجت ، فلما أغلق الباب قال لها عزيز : أنت كنت تسافرين مع المدير إلى أوروبا ..ماذا كان يفعل هناك؟ .. أين يذهب؟ أين يمشي ؟؟

فردت بتكبر وعجرفة : أنا جئت لتسألني عن مقتله هنا .. فهو لم يقتل هناك كما أعلم !

فنظر الضابطان إليها بدهشة وقال عزيز : قد يكون لاختفاء الأموال من بنوك أوروبا شأن في مصرعه يا سيدتي العزيزة .

فقالت بقوة : لا أعتقد ذلك .. فقاتله من هنا .. لا أعداء له هناك .

ـ الله ! .. أواثقة مما تقولين ؟ أعندك برهان أيتها السيدة الفاضلة ؟!

فقالت : أنا لا أعرف قاتله ولكن أحوال الأيام الأخيرة والصراع في داخل العائلة كان يوحي بوقوع شيء .

ـ ولكن القتل وإثبات جريمة القتل يحتاج إلى أدلة مادية قطعية واعتراف صريح من غير

ضغط أو تأويل ليس وحي وعلامات وقرائن فقط .. فهل يعقل أن يؤدي الصراع على القروض بينه وبين أقربائه إلى القتل والجرائم ؟! .. وقد يكون لفريج يد في قتل عمه ؛ لأنه هو المستفيد الوحيد من مصرعه طمعا بميراثه .. أما مازن فلا يرث فكيف يتخلص من قروض البنك بموت خاله ؟ .. ثم إن السيد مرعيا لم يترك شيئا كبيرا مهما وراءه ليتنازع عليه يا سيدة ماريا ..

فقالت : القصر والعقارات الأخرى .

ـ ولكنها مجمدة للمصرف ..وهل قيمتها تساوي عشر ملايين ؟

فقالت : قد تظهر في يوم ما ..

ـ لم تجيبي عن نشاط المدير أثناء سفركما ؟ حسنا .. يوم مقتل المدير الساعة الحادية عشرة وخمسون دقيقة ليلا أين كنت ؟

ضحكت وقالت بنبرة تهكمية : في البيت أتفرج على فضائية فرنسية .. أنا أتقن اللغة الفرنسية جيدا ..جيدا

فقال مقاطعا : وماذا شاهدت ليلتها ؟

فردت بسخرية : لا أذكر .. بل فِلما عن مقتل مدير بنك زراعي .

فقال الضابط باسما: رائع ! لا أريد معرفة اسم هذا الفِلم ولا من هي القائمة بدور البطلة ؟ هل كان معك أحد في البيت ؟ فنحن نعلم أنك تسكين في شقة وحدك .

فقالت : نعم ، أسكن وحدي ولكن عندي خادمة .. فأنا قد تزوجت قديما من شخص اسمه " يوسف قدا " كان موظفا في البنك ، ثم انتقل بعد انفصالنا إلى عمل آخر ، ولي منه ولد عمره الآن تسع سنوات ، وهو في رعاية والده ، ويزورني هذا الابن نهاية كل أسبوع .

فقال : أنت الآن من غير زوج ؟

ـ أجل .

فقال عزيز : ليلة الحادث أكان ابنك عندك والخادمة ؟

قالت بتردد : لا أدري أنا كثيرة النسيان .

فقال : جيد.. لماذا لم تحضري الاجتماع تلك الليلة أتخافين من رؤية الدم والموت ؟

صعقت المرأة لهذا التلميح وقالت بحدة وهي تنظر في عيني المقدم : تتهم ! .. أنا قلت في التحقيق السابق لماذا لم أحضر الاجتماع ارجع إليه .. ولكن لا بأس أنا لا أريد أن أتعبك .. أنا تخلفت لأن المدير طلب مني عدم الحضور .. واعلم أنني لا أستطيع التصويب في المسدس رغم أنني أضع في حقيبتي مسدسا ..

ـ المسدس هدية من المدير .

قالت : نعم .

فقال عزيز : الخادمة شهدت بأنك كنت في البيت ليلة مقتل السيد مرعي .

قالت بغضب : رشوتها لتقول ذلك .

قال بهدوء : ممكن .. سيدتي .. هل تستفيدين من موته ؟!

ـ لا إلا إذا جعلني في قائمة الوصية .

ـ ألم تطلعي على وصيته ؟ .

ـ بأي صفة ؟

ـ هل تتهمين فريج صبري بالتآمر على حياته ؟

ـ كما قلت أنت سابقا .. الأمر يحتاج لدليل قاطع .

ـ هذا اتهام له !

ـ المهم أنا لست قاتلة ولم استأجر قاتلا .. ولا يفيدني موته العاجل .

ـ صارحينا بشكوكك لدينا معلومات كثيرة .. من قتل فريج ؟

ـ لست أنا ، ولم أقتله .

ـ أشكرك يا أم فريد .. هل ترغبين بإضافة ملاحظة كلمة ؟

ـ اعلم أن أوروبا لا دخل لها في مقتل السيد مرعي ، بل لو كانت أخبار أوروبا معروفة في البنك ؛ لربما لم تحدث أي جريمة .

هتف الضابط فرحا وهو يقف : صح .. هذه معلومة ممتازة لآخر درجة ؟؟ ولكن ما الدليل أن فريجا هو القاتل ؟

قالت وهي تقف مودعة لهم وتبتسم : هذه مهمتك يا سيدي.. فأنا لست شرطيا ولا محققا !

فقال عزيز: ولكن قد يكون المقصود فريجا في الجريمة الأولى وقتل مرعيا بالخطأ ؟

ضحكت وقالت بقلق : فريج المقصود بالقتل! وفكرت قليلا ثم أردفت : والله ممكن ! .. ولكن لماذا يقتل ؟!

فقال باسما : ولكنه قتل ؟!

ـ على كل سوف تصل للقاتل إني أراك نبيها فتابع أعمالك .. وإذا تذكرت شيئا أرى أنه يفيد التحقيق سأقوله لك.. هات عنوانك هاتفك.

انصرفت وتركت الضابطين مذهولين من جرأتها على الاتهام ، فقال عزيز وهو يقعد ثانية : امرأة تتظاهر بالكبر والتعالي .. هذه المرأة تحتاج لمراقبة رجالك يا زايد ، ونريد المزيد من المعلومات الخاصة عن حياتها الخاصة لديها كلام.. فلنتحدث مع السيد مازن فريد .

وأرسلوا إليه ، فجاء بعد دقائق ودخل وهو يدخن والاضطراب والخوف واضحان على وجه فبعد ترحيب معتاد قال عزيز بصوت هامس : كيف أنت يا أخ مازن ؟

رد بعجلة : بخير .. اسأل .. اسأل ما بدأ لك .

ـ هل عندك معلومات تفيدنا في البحث والتحري عن الجاني ؟

ـ لا معلومات زيادة عما قلته في التحقيق السابق .. فبينما نحن نستعد لإنهاء اجتماعنا انطلقت رصاصات ، فرأينا المرحوم مرعي ينقلب أو ينحني على المكتب .. فاتصل الأستاذ خالد بالإسعاف والشرطة على الفور.

ـ ما رأيك بأن تذهب معنا لموضع الجريمة لتصف لنا المشهد بالتفصيل .. أم لا تحب ذلك ؟

فقال مازن : أنا تحت أمرك .

فقال عزيز : شكرا لك .. فلنأخذ المدير الجديد أيضا معنا .. وبعد ربع ساعة كانوا يغادرون

المصرف برفقة الأستاذ خالد نصري ونائبه مازن فريد إلى قصر السيد مرعي سعد الدين .. وتنفس العاملون في المصرف الصعداء لخروج المحققين من المصرف .

٢

كان قصر السيد مرعي منذ مصرعه تحت حراسة الشرطة ، وما زال البواب والخدم في أعمالهم والبستاني ما زال يتفقده باستمرار ، والبنك يصرف لهم معاشاتهم وأجورهم حتى يتم تصفية تركة المدير ، إما بالمصادرة لصالح البنك أو إلى الورثة ، وقبل أن تصل سيارة المقدم عزيز إليه كانت سيارتا أمن في انتظارهما في واحدة منهما الرائد حردان الذي خاطب المقدم عزيز قائلا : آثار أقدام المجرم تدل على أنه دخل من الباب الخلفي الصغير للقصر .. وأكد البواب يومها أن المفتاح الذي معه لم يأخذه منه أحد ، ومنه نسخ أخرى مع السيد مرعي ، ووجدنا مفتاحا مع السائق وآخر مع الخدم والباب لا يستعمل كثيرا .. ولم يوجد أي عنف أو خلع لتجاوزه .. ويقول البواب من الممكن تركه مغلقا من غير المفتاح وذكر لنا أنه لا يذكر ليلة الحادثة هل كان مغلقا أم لا ؟ وذكر الخادمان مثل ذلك ، والبستاني كان في نهار الجريمة قد دخل منه ومعه المهندس الزراعي ، ومكثا ساعة من الزمن ، ثم غادرا منه ورداه ورائهما.. ومن عادة البستاني الدخول والخروج منه منذ أكثر من عشر سنوات .

فقال المقدم عزيز : لا تهمنا الآن قضية المفتاح والباب .. المهم آثار حذاء القاتل تؤكد دخوله منه وسار نحو قاعة الاجتماع .

فقال حردان : آثار الأقدام تدل على أنه دخل منه وخرج منه ، ومن جهة النافذة التي تم إطلاق الرصاص منها على المدير لا توجد إلا أقدام شخص واحد يلبس حذاء خفيفا كأحذية الرياضة الخفيفة .. وبتتبع هذه الآثار من النافذة تنتهي عند الباب الصغير .. ويقول خبير الآثار إنها تدل على أن الرجل يعرف المكان الذي يسير فيه ، خطوات متتابعة ومستمرة وضغطها خفيف على الأرض .. فلا توقف في الخطوات ..ومن الصعوبة أن يشعر الخدم أو البواب بخطوات ذلك الحذاء فهي غير مسموعة وقياس درجة هذه الحذاء بين ٤٢ و ٤٤ كما بينها الرسام .. دخل

المجرم من الباب الصغير بخفة كما نتصور وسار جهة المطبخ ومخزن الأثاث القديم ـ وأشار لهم الضابط إلى المطبخ ـ وكانت هنا خطواته واضحة .. ولما وصل نهاية المطبخ من الخارج واجهه فراغا صغيرا ثم أتى طرف قاعة الاجتماع ..وهناك مقعد قديم قريب من النافذة تبين لنا أنه صعد عليه وأزاح الستائر والنافذة كانت مفتوحة من الداخل وغطاء النافذة الخشبي كانت مفتوحا أيضا ، وهذه الأشياء في الغالب لا تفتح إلا من داخل الفيلا .. والخدم بينوا لنا أنهم لا يفتحون هذه النوافذ إلا في الصبح بضع ساعات ثم يغلقونها بقصد تجديد الهواء في الغرف ، ويذكر الخادم أنه فتحها في الصباح كالمعتاد ، ويؤكد أنه أغلقها بعدما نظف ومسح الغبار عن مقاعد وطاولات القاعة .. وكل هذا يا سيدي يدل على أن هناك ترتيبا مدبرا .. وأتصور أن المجرم عندما وقف على المقعد القديم ـ وأشار لمقعد بالقرب من جدار النافذة التي تم إطلاق النار منها للداخل ـ حرك الستائر بإحدى يديه بخفة وصوب مسدسه على رأس ضحيته فأصابه من الخلف ثم رصاصتان أخريان في الظهر أصابت واحدة العمود الفقري فانقلب الرجل على المائدة وقد مات فورا ..طبعا القاتل كان يضع كاتم صوت على مسدسه ..والذي ساعده في سرعة الإصابة أن المقاعد التي كان المجتمعون يجلسون عليها لها مساند ظهر قصيرة .. فرأس الضحية يرى من الخارج وخاصة إذا وقف على الكرسي .. المهم في القضية كيف عرف وميز المجرم ضحيته من بين كل هؤلاء الرجال ؟

عزيز : سنعرف هذا بعد قليل .

دخل الضباط القاعة التي كانت مسرحا للجريمة الأولى ، فشاهدوا طاولة مكتب كبيرة من الطاولات المخصصة للاجتماعات ، ويدور حولها مقاعد وثيرة ولكن مساند الظهر قصيرة لم تكن مرتفعة مما ساعد القاتل على إصابة الهدف ، وأشار الرائد حردان إلى مكان وقال : كان هنا يجلس المدير وظهره للنافذة وعن يمينه قدر نصف متر كان فريج يجلس على مقعده ، وعن يساره يجلس ابن أخته الأستاذ مازن .

فهز مازن رأسه مؤكدا قول الرائد ، وتابع حردان الوصف وكان على يمين فريج مقعد فارغ ثم

عماد وأخوه أحمد وكان في مقابل المدير يجلس خالد نصري وبجواره فارس .. ودخل عليهم الخادم مرة بفناجين القهوة ثم انصرف .. ونهض فريج مرة أو مرتين نحو الحمام وشهد الخدم أنهم رأوه يدخل المرحاض ، وعلل ذلك بأنه مريض ويصيبه بول كثير ، وقال الشهود إن غيبته لا تطل أكثر من بضع دقائق، ولما كانوا يستعدون لفض الاجتماع .. أطلقت النار على المدير فلم يفق الحضور من الصدمة حتى كان المجرم قد أصبح خارج المبنى من الباب الصغير الخلفي .. والعجيب يا سيدي المقدم أن البواب يشهد أنه لم ير فريجا في القصر منذ أكثر من أسبوع ، وكذلك الخدم لم يروه إلا ليلة الاجتماع لنقول إنه فتح الشباك للمجرم إن كان متآمرا معه كما يشك الكثيرون .. وكان السؤال المهم كيف عرف القاتل شخص المدير من وراء ظهره ! .. هذا ما عندي يا سيدي المقدم .

فقال عزيز : إنها جريمة محكمة التدبير والتنظيم ، مخطط لها قبل الاجتماع بدقة .. لا يوجد عند النافذة إلا أقدام شخص واحد ؟

ـ نعم يا سيدي .. وشاهدوا الجلسة اتفقوا جميعهم على أن أحدهم لم يقم بفتح النافذة أثناء الجلسة تحت أي ذريعة من الذرائع .

ولم يزد خالد نصري ومازن شيئا على إفادة الرائد حردان سوى أنهم قالوا بأنهم كانوا يهمون للقيام حيث يسهرون ويروحون عن أنفسهم فقال مازن : قمت .. فإذا بالمدير ينكفئ على الطاولة وتتطاير منه الدماء وسمعنا أزيز الرصاصات الغادرة فأصابنا الهلع والخوف ، فقام خالد بالاتصال بالإسعاف السريع والشرطة ، ولم يتحرك أحد منا من الغرفة حتى أتى رجال البوليس وقاموا بالإجراءات اللازمة .

فقال عزيز موجها الخطاب لمازن : هناك مشاكل مالية بينك وبين خالك ؟

ـ نعم للبنك عليّ عشرة آلاف دينار ، وكان يطالبني بها في الآونة الأخيرة باستمرار ولكن ظروفي لم تكن تسمح بالتسديد ، وخالي يعلم ذلك ولكنه كان يصر على تسديدها .. والحقيقة أنه في الشهور الأخيرة كان كثير الغضب والعصبية .. ولكن لم أفكر بالقتل يا سيدي لحل مشاكلي

..وأنا مديون للمصرف .. ولا استفيد من موته بأي شعرة .. وبعد موته تمكنت من تسديد نصف المبلغ ، ويخصمون الباقي من مرتبي .

فكر الضابط قليلا ثم قال : هل من أسرار تعرفها عن خالك يا سيد مازن ؟

فرد مازن بقلق : خالي كله أسرار ؛ ولكنه لا يثق بإنسان ليكشف له خزانة أسراره .. واعلم أن علاقتي الشخصية لم تكن على ما يرام مع السيد الخال .. وحتى مع أسرتي كلها ، وقال بغضب مكبوت : فهو شخص أناني وحقود وأضف حسود .. ولا أحبه يا سيدي ومع ذلك ما تمنيت موته في أي لحظة .

ـ علمنا أنه أوصى لك ببعض المال ثم ألغاه .. أكنت تعرف ذلك قبل موته ؟

ـ لا يهمني ذلك لست بحاجة لمال منه ، ولكنه هو نفسه حدثني بذلك قبل موته بأيام فشكرته وبينت له أنني بغنى عن ماله .

ـ أوروبا ؛ هل تعرف عن أسراره في أوروبا شيئا ؟

ـ أكيد له أسرار فيها ولكني لا أعرفها .. فرفيقته في السفر السيدة ماريا خليل

ـ ولكنها لا تعرف شيئا .

رد مازن بسرعة : تعرف الكثير ؛ ولكنها لا تريد الكلام .. بل تدعي أنها تعرف قاتل السيد مرعي .

ـ أخيرا سيد مازن علمنا أنك تلعب القمار .. في أي محل تمارس هذه الهواية ؟!

رد مازن بقرف مثير : أحيانا أمارس هذه الرغبة المجنونة في نادي الكلب الذهبي لصاحبه صبحي موسم .

فقال الضابط : هو أحد الأماكن التي يلعب بها فريج القمار .

ـ نعم ؛ ولكنه يلعب في نادي شوهو أكثر ..

شكر المقدم مازنا والتفت للسيد خالد قائلا : سيدي المدير ما تقول في هذه الجريمة ؟ أو الجرائم ؟

فقال خالد بتمهل : حقيقة أرى أن الجريمة بعد الثانية تعقدت أكثر وأكثر .. فكنا نرى أن مقتل السيد المدير يصب في مصلحة فريج ومصلحة زوجته ؛ ولكننا بعد مقتل فريج ذهب بنا التفكير بأنه قد يكون هو المقصود في الأولى ؛ ولكن مقتله لمصلحة من ؟ فهذا ما يحير بالتأكيد !

تحرك عزيز في الغرفة قليلا ثم قال : هيا نخرج وقريبا جدا ـ إن شاء الله ـ ستعرفون الجاني القاتل الذي رتب لهذه الجرائم .

وأشار المقدم لأحد سائقي سيارات الشرطة بأن يوصل الرجلين لمكان عملها ، وقال لزميليه زايد وحردان : علينا أن نحل لغز النافذة .. أي كيف فتحت وهيئت للمجرم ؟ ولغز كيف عرف ظهر المدير دون الآخرين ؟ ..كيف فتحها المجرم أو من فتحها له ؟ ..عليك يا أخ زايد أن تلتقي بخادمة السيدة ماريا التي شهدت بأن ماريا ليلة مقتل السيد مرعي كانت في البيت فعلا ، وتضغط عليها لتأخذ منها معلومات مهمة حول العلاقة الخاصة بين ماريا والمدير ما نوعها وأهميتها .. وأنت يا سيد حردان اجتمع بصاحبي النوادي التي كان يلعب بها فريج القمار .. شوهو .. الكلب الذهبي .. والنادي القديم فورمون ..اعرف منهم أصدقاء فريج ومع من كان يكثر الجلوس واللعب ؟ .. وغدا نلتقي في مكتبي لنحل هذه الألغاز .. وسأقوم الآن ببعض الزيارات الخاصة .

وركب سيارته وحيدا وانطلق بها إلى مكان ما أو أكثر .



٣

في صباح اليوم التالي اجتمع مدير الأمن العام بالضابط عزيز واستمع له ، فأوجز المقدم له نشاطه منذ استلم القضية وقال في النهاية : يوم أو يومان بإذن الله يكون المجرم بين يدي العدالة وبين يديك ملف كامل حول القضية التي شغلت الصحف والأخبار .

فرد عليه رئيسه : أنا واثق بذكائك مقدم عزيز .. أرجو أن تظفر بالقبض على المجرم سريعا .

وانصرف عائدا لمكتبه فوجد صاحبيه في انتظاره ، فلما جلس خلف المكتب قال لهما : وعدت المدير أن ننهي القضية اليوم أو غدا على الأكثر .. هات ما عندك يا زايد ؟

فقال زايد بانفعال ظاهر : عندي مفاجأة حقيقية .

قال المقدم بحماس : تكلم أيها الصديق ؟

رد الضابط وما زال في انفعاله الظاهر : تبين لنا من الحديث الحاد مع خادمة ماريا أنها خادمة جديدة تعمل عندها من بعد مقتل السيد مرعي بأيام .. فقد صرفت القديمة وأتت بأخرى جديدة .. فمشينا إلى القديمة ...

الضابطان : فعلا إنها أخبار مدهشة . . رائع نقيب زايد !

فقال عزيز: أين المفاجأة يا صاحبي ؟

رد زايد: المفاجأة أن الخادمة بعد كلام مثير اعترفت لنا أن السيد مرعيا كان متزوجا من ماريا خليل سرا .. سرا عن زوجته الأمريكية وسرا عن الأهل

والأقارب وقل عن موظفيه . وقبل مصرعه بشهرين تقريبا انفصل عنها وطلقها

وقال المقدم مفكرا: الآن أدركت لماذا لم يذكر لها شيئا في الوصية مع أنها قريبته ؟ .. مرعي تزوجها سرا .. كم مكثت زوجة له ؟

قال زايد : إنها لا تدري ، فالخادمة قضت عندها سنة ومنذ عملت عندها وهو يتردد عليها كزوج .. ثم حصل الطلاق والفراق .

فقال حردان متسائلا : هل تكون قاتلة لسبب ما ؟! ومن أجل ذلك أشاعت أن فريحا هو القاتل ؟

فقال عزيز :علينا بالقبض عاجلا على الفاعل المنفذ ليحل لنا هذه الألغاز .. وأنت يا رائد حردان ما الجديد عندك ؟

أجاب الرائد حردان قائلا : العمارة التي قتل فيها فريج ، تبين لنا أن هناك شقة أسفل شقة فريج كان يسكنها رجل وحيد ، ومنذ مقتل فريج لم يظهر في العمارة ، ويقول حارس العمارة إنه مهندس كيميائي ، ولا أحد من الجيران يعرف عنه شيئا ، ولا حتى موضع عمله ، وقد استأجرها لمدة شهرين ؛ ولكنه قبل الحادث بيومين لم يره أحد ، وكان من عادته أن يلقي التحية على البواب كل صباح ؛ ولكنه قبل الجريمة لم يظهر للبواب ، وذكر لنا أوصافه ودخلنا شقته فلم نجد بها شيئا مهما سوى أكوام الصحف والمجلات السياسية الأجنبية وعلب طعام فارغة ونحن مستمرون بالبحث عنه .

ـ مفتاح الشقة أما زال معه ؟

ـ أجل ، وهو غائب وقد انتهت مدة الإيجار من قريب كما أخبرني البواب ، ويريد أن يعرف هذا البواب هل نشمع الشقة أم نسمح لهم بتأجيرها ؟ .

ـ ما دمت قد ألقيت نظرة عما بداخلها.. دعهم يحتفظوا بما في الشقة من أشياء في مخزن ثم ينظفوها ويؤجروها. . واستمروا بمراقبة العمارة وإجراء التحريات عن سكانها، واعلموا أني علمت من السيد خالد نصري مدير المصرف الجديد أن السيد أحمد زكي كان صديقا لماريا ، وقد أراد الزواج منها بعد أن هجرته امرأته ، وأن المدير مرعيا اعترض على هذا الزواج .. فقد اتصلت به لأسأله عن ماريا وأخلاقها وطباعها فذكر لي هذه القصة .. وها أنتم جئتم بخبر عجيب .. سنقوم بزيارة لها في بيتها .. فخذوا لنا معها موعدا وقبل ذلك سنمر على المصرف ونتحدث مع بعض الموظفين وأرى أحمد وزكي .. النوادي .. نوادي القمار ما فعلت فيها ؟

قال حردان : تحدثت مع مدير نادي الكلب الذهبي فجمعني مع المسؤول عن صالة القمار فأخبرني أن فريجا فعلا كان يتردد على صالة القمار ويلعب مع المقامرين ، وكان يحضر مرات قليلة بصحبة السيد عماد زكي وأكثر مع مازن ، وأحيانا مع شخص اسمه شاهر براعمي الشهير

بالمكار ، وهو مقامر بارع .. هؤلاء فقط يحضر مع أحدهم .. وأكثر الوقت يأتي وحيدا ويأتي النادي في كل أسبوع مرة أو مرتين ، أما نادي شوهو لا يكاد يمضي نهار إلا ويدخله يلعب أو يتفرج ، فنادي شوهو صاحبه رجل إنجليزي أو مؤسسه أما المدير الحالي السيد برصوم فقد قال : إن فريجا من زبائن النادي الدائمين لا يكاد يمر يوم إلا وشاهدناه بيننا ، فإن لم يلعب يعاقر الخمر ثم ينصرف مع نصف الليل ، وكل رواد الملهى يعرفونه وقد حزنوا لمقتله ، وكان أكثر الناس صحبة له صاحبه شاهر براعمي ، فهما صديقان حميمان في النادي .. والبراعمي هذا رجل أعمال فاشل ، ورث عن أبيه ثروة عظيمة .. وقال لنا برصوم : إنه كان ضابطا في الجيش ، فلما ورث الثروة الكبيرة ترك الجندية ، وكثر تردده على الملاهي والخمارات ، وسمي بالمكار لخبثه وبذاءته ، فهو يعتبر من أكثر الناس جلوسا مع فريج ؛ ولكنه قبل مقتل السيد فريج كما علمنا من برصوم أراد السفر إلى باريس ، وقبل سفره مرض وسقط في الملهى فنقل إلى المستشفى ومن يومها لم يظهر في النادي ، ولا أحد يعرف مكان عمله ؛ لأنه لا يعمل ، ولا حتى مكان سكنه بالضبط إلا أنه يسكن في حي ليلى أما البيت فلا يعرفه أحد .

ـ هذا الشخص يجب أن نلتقي به ما دام هو من أكثر الناس صحبة لفريج في مثل هذه الأماكن ..اذهبوا إلى المستشفى الذي كان نزيلا فيه واعرفوا صفة مرضه ومتى خرج وهل سافر إلى باريس ؟ اعرفوا ذلك عن طريق رجالنا في المطار الدولي .. فنحن بحاجة لمثل هذا الصديق لفريج .. قوموا الآن بواجباتكم ودعوني أزور البنك ورتب لي يا زايد لقاء هذا المساء مع السيدة ماريا وليكن في بيتها لن أتحدث معها في المصرف ، وسوف أمر على بواب القصر وأتحدث معه ومع الخادمين علينا التحرك بسرعة للوصول إلى الجاني اللعين قبل أن يرتكب جناية جديدة .. نسيت أن أسألكم عن سارة ما أخبارها ؟

أجاب زايد : هي تحت المتابعة الأمنية لم تخرج من بيت والدها سوى بضع مرات لمدارس الأولاد وتعود إلى البيت ثانية .. راجعت العيادة مرة واحدة ثم عادت إلى البيت تحدثت مع حماتها مرتين وكان كلاما مقتضبا وحول مصاريف الأولاد .. أمور عادية والمراقبة مستمرة .

عزيز : الليلة بعد لقائنا بماريا سنضع تصورنا لهذه الجريمة .. فلدينا معلومات كثيرة سأقوم بترتيبها جيدا .. السلام عليكم وإلى لقاء .

٤

رحب المدير خالد بالمقدم عزيز ترحيبا حذرا والذي استفسر منه عن أموال البنك الضائعة في الغرب ، ثم تركه بعدما سمع الإجابة، ثم التقى بالسيد مازن وسأله عن سبب حذف اسمه من وصية الخال فقال مازن : خالي رجل مزاجي عندما يكون راض عن شخص والعلاقات طيبة تأخذ منه ما تشاء وإذا ساءت العلاقة يغضب ويتحامق .. السبب يا سيدي أنه تشاجر مع والدتي أخته ؛ لأنها تدخلت في موضوع القرض الذي بيني وبين المصرف وعاتبته في الأمر فنـقم منا وغير وصيته .. وهذه ليست أول مرة .

قال المقدم عزيز : هل تعلم أن خالك .. وسكت لحظات ثم أردف قائلا : كان متزوجا من ماريا خليل ؟

فغر مازن فمه استغرابا وحدق في المقدم بدهشة وقال : سيدي ماذا قلت ؟! .. وضحك قليلا وقال : خالي متزوج من ماريا .. هل هذا ممكن ؟!

ـ أمعقول أنك لم تعرف هذا وأنت تشتغل في البنك ؟

قال مازن : هذه أول مرة أسمع بذلك .. ولا أظن أن أحدا يعمل في هذا البنك يعرف ذلك ! لابد أنك تسخر مني يا سيدي وتريد أن تصل لشيء .

ـ أبدا ، لقد تزوجها بسرية تامة وطلقها بسرية تامة .

ـ آه ! .. تذكرت الآن لماذا ؟

ـ ماذا تذكرت ؟

ـ ذات يوم أراد السيد أحمد زكي الزواج من ماريا ..فالأخ أحمد متزوج من فتاة غربية ؛ ولكنها تركته وعادت لوطنها ، ثم التف حول ماريا وبعد قصة حب من طرف واحد ابتعد عنها، وعلمنا أن المدير أو الخال أوقف هذه المهزلة .. فهذا سبب معقول لابتعاد ماريا المطلقة عن أحمد

.. ثم نسينا الأمر.. وماريا هي التي كانت تصاحب المدير في رحلات أوروبا .. ولكنك قلت إنه طلقها .. هل لهذا دخل في مصرعه؟

أجابه المقدم عزيز : ليس بالضرورة .. تحياتي لك سيد مازن وشكرا على تعاونك معنا .

وغادره إلى مكتب رئيس قسم المحاسبة والموازنة السيد فارس واستفسر منه "هل كان يصرف السيد المدير أموالا إضافية على السيدة ماريا ؟ "

فقال : لا .. راتبها المقرر شهريا فقط ؛ ولكنه كلما عاد من أوروبا يأمر بصرف مبلغ خمسمائة دينار فقط لها على سبيل الأتعاب التي سببها لها السفر والمكافأة أيضا .

ـ هل لديكم رصيد شخصي للسيد مرعي في البنك ؟

ـ مبلغ بسيط حوالي عشرة آلاف .. كان يحب ادخار أمواله في الخارج .

ـ هل لديك علم عن علاقته مع زوجته الأجنبية ..هل كان بينهم مشاكل غير طبيعية؟

ـ الحق .. نعم .. كثيرا ما يتشاجران .. حتى أنهما كانا يتشاجران عندما نكون معه في البيت أثناء سهرنا معهم فنسمع مشادات بينهما ، وكانت دائما تعيبه وتعيره بعقمه ، فلقد كان الرجل عقيما وقد يئس من العلاج هنا وهناك ولم يتحقق له المطلوب ، وكانت امرأته تضغط عليه ليتبنى طفلا ولكنه رفض ولم ينحنِ للضغط .. على الإجمال لم تكن حياته الزوجية سعيدة .. فأحيانا تشكو لنا من سوء أخلاقه معها ؛ ولكننا لم نكن نرى ذلك فيه .. إنما السبب هو عدم الإنجاب بينهما ورفضه لفكرة تبني طفل أو طفلة.. أنا أعرفه قديما ، فقد كانت تتركه وتسافر إلى أمريكا بالسنة أحيانا وبالشهور ولا يكترث لغيابها ومع ذلك يرسل لها أموالا ومصروفا .

ـ ألم تطلب منه الطلاق ؟

ـ حسب معلوماتي لا ..وهو أيضا لم أسمعه مرة يفكر بالطلاق .

ـ هل تصدق أن السيد مرعيا كان متزوجا من قريبته ماريا سرا ، ثم طلقها قبل حادث مقتله بشهرين أو ثلاثة ؟

تظاهر فارس بالدهشة وقال : حقا ! هذا شيء جديد .

ابتسم عزيز وقال : ولكنك لم تفاجأ بالخبر كثيرا ؟

قال فارس : الحق أنه كانت لديّ شكوك في ذلك .. ولم أحاول تأكيدها فعلاقات المدير الخاصة لا تهمني ، نحن أصدقاء عمل في الغالب يا سيدي ..وقد تردد من سنتين تقريبا تهامس بين الموظفين أن المدير يتقرب من ماريا .. ثم خفت الموضوع .. وعندما أراد السيد أحمد زكي الاقتران بها منعه المدير بشدة ، ولم نعر الأمر اهتماما فظنّنا أنها شكت له فأوقفه عند حده ثم انتهى الأمر عند هذا الحد وعادت ماريا للهدوء بعد قصة عاطفية قصيرة من قبل السيد أحمد .

- العلاقة الشخصية بين فريج وعمه مرعي كيف كنت تراها ؟

- لم تكن حميمة .. ولكنها صحبة كأس وميسر .

- المدير يلعب القمار ؟!

- هو متعلق بها أشد من أقربائه يا سيدي المقدم .

- أين يمارس هذه القمار ؟

- هنا في هذا القطر .. لابد أنك تعلم أنه يوجد نادي خاص في البلد لا يدخله إلا علية القوم للعب القمار .

فقال المقدم : وما أدراك به ؟

- لقد حاول جر رجلي كما يقولون لهذا الوكر ..ابتليت بها قديما ؛ ولكنني أبغضها اليوم بشدة مع شدة ابتلائي بالشراب اللعين .. ما استفدنا من تعلمنا في الغرب إلا التعلق بمثل هذه الموبقات .

- ما اسم هذا النادي؟

- لقد رافقته إليه بضع مرات .. إنه يقع في الشارع السابع .. عمارة الغراب .

- لقد عرفته .. فعلا هناك ملهى لرجال المال الكبار .. فهذه أول مرة أعرف أنهم يلعبون الميسر .. كنت أظنه مشربا للخمور والجلسات الشاعرية .. شكرا سيد فارس .

وتركه ليتحدث مع السيد أحمد زكي الذي انزعج لما رآه وقال هامسا : نعم أيها السيد .. إنني

لا أحب الجلوس والكلام مع رجال الشرطة والأمن .

ـ الضرورة لها أحكامها .. لولا وجودك على مسرح تلك الجريمة لما وجدتنا بقربك أيها البطل

ـ أنا لست بطلا .. ماذا تريد مني اليوم ؟

ـ جئت لأتحدث معك عن علاقتك بماريا .. وقصة الحب التي كانت بينكم .. ولماذا منعها المدير من الزواج منك ؟؟

فرد أحمد بدون تفكير : لأنه يحبها!

نظر المقدم في عيني أحمد وقال : يحبها .. ومن أعلمك أنه يحبها وهو أكبر منها بأكثر من عشرين سنة ؟

ـ هي أخبرتني بذلك .. صارحتني بعشق المدير لها .

ـ وهل تعلم أنه تزوجها ؟

ـ قالت لي ذلك بعد أن أمرني بالابتعاد عنها .. جعلتني مطية لتتدلل عليه .

ـ وهل تعلم أنه قبل أن يموت بفترة قد طلقها ؟

قال أحمد بدهشة : هذه أعلمها منك يا سيدي !

٥

كانت السيدة ماريا خليل العاملة في مصرف الرعاية في ذلك المساء على موعد هام مع رجال الشرطة في قضية زوجها السابق السيد مرعي سعد الدين مدير المصرف الذي تعمل فيه ، ولما دق الباب كانت الخادمة تفتح لهم باب الشقة وتدخلهم إلى غرفة الاستقبال أو الزوار ، وما كادا يستريحان حتى أقبلت عليهم بثوب جميل وزينة كاملة ترحب بهم وبعد السلام والكلام المعتاد أمرت الخادمة بإحضار القهوة لهم ، قالت موجهة الكلام للسيد عزيز : عجبت لك حضرة المقدم .. فأنت اليوم كنت في البنك وتكلمت مع السيد فارس والسيد مازن والسيد المحترم أحمد ولم تأت إليّ لتسألني ما دمت كنت تريد الحوار معي .. فقد انتظرتك في مكتبي .. فلم تحضر .. نعم أنا كنت زوجة للسيد مرعي منذ سنتين وهو الذي اشترى لي هذه الشقة التي نجلس فيها

الآن وكتبها باسمي .. كان المسكين يأمل أن ينجب ولدا يرثه .. مع أنه كان موقنا أنه عقيم ، فقد عرض نفسه على كل أطباء أمريكا وأوروبا وحتى اليابان ، كان يرى أن زوجته هي المريضة ولا تستطيع الحمل .. ولما علم بأنني أنا المطلقة التي لديها ولد أريد أن أتزوج من السيد أحمد اشتد غضبه واعترف بحبه لي .. وأعطاني هذه الشقة وخمسين ألف دينار رصيدا في أحد البنوك .. على القبول به زوجا ؛ لعل الله يرزقه ولدا مني فوافقت .. بيت ومال وزوج .. ولكنه أراد أن يبقى هذا الأمر في غاية الكتمان عن أقاربه وزوجته .. وهذا ما حصل

ـ ولماذا انفصلتما ؟

ـ لما يئس من حملي وزاد يقينه أنه هو العقيم بردت العلاقة بيننا ..فلما عدنا من فرنسا في المرة الأخيرة ، وكنا قد تغاضبنا هنالك طلبت منه الطلاق ولكنه رفض .. فشتمته وعيرته بعقمه كما تفعل زوجته الأمريكية ، وهددته بكشف أمر زواجنا فوعدني بالطلاق على شرط أن لا أتزوج السيد أحمد زكي فوافقت .. ولما عدنا تم الطلاق خفية عن الأصحاب والمعارف كما كان الزواج خفية .. ولكن زواجي موثق في أوراق دائرة الزواج والطلاق .. إنه زواج شرعي وطلاق شرعي

ـ سؤال آخر أيتها الحسناء .. القمار هل كان زوجك أو طليقك يقامر في باريس لندن ؟ .

ـ هو مدمن خمر وقمار ..أما في أوروبا فعندما كنا ننزل في فندق يتركني أفعل ما أشاء ، وينصرف لأعماله ، فلا يحب صحبتي في تحركاته .. ومن النادر أن تتجاوز رحلتنا الثلاثة أيام أيها المقدم .

اعتدل المقدم وهو يأخذ القهوة من الخادمة ويرشف منه رشفة ثم يضعها أمامه ، ولما انصرفت الخادمة قال : سيدة ماريا .. نحن وضح لدينا أن السيد فريج صبري قد شارك بقتل عمه، وله دور مهم في الجريمة ، فقد تبين لنا أن السيد المذكور دخل قصر عمه ليلة الجريمة قبل الاجتماع المذكور ..وفتح له الخادم الآسيوي ، وكان عمه يجلس في مكتبه ، فقد ذكر لنا هذا الخادم بعد التدقيق والتحقيق أنه ترك السيد فريجا في صالون الفيلا ؛ لأن من عادة المدير أنه لا يخرج للاجتماع إلا في الوقت المحدد بالضبط عندما ترتفع دقات الساعة معلنة الحادية عشرة ليلا ، وبعد أن تركه الخادم قليلا ناداه فريج وقال له : إنه نسي صندوق السجائر في السيارة .

ففتح له الباب وخرج فريج ، ويبدو أن السيد فريجا في هذه الدقائق التي دخلها دخل قاعة الاجتماع وفتح النافذة والأباجور الخشبي غطاء الشباك ـ وهو يعرف القصر جيدا ـ وتظاهر للخادم بأنه نسي صندوق السجائر.. فهذه الدقائق لم يذكرها أحد في التحقيق ؛ لأنه لا ينتبه لها أحد ولم يشاهدها إلا الخادم .. خرج من الباب الخلفي للقصر ويبدو أنه دخل منه؛ لأن البواب لم يذكر أنه رآه عندما دخل أو خرج لجلب صندوق الدخان .. قد تبين لنا أنه يملك مفتاحا للباب الخلفي فقد ترك الباب الخلفي مفتوحا ، ودار حول القصر حيث الباب الكبير حيث ركن سيارته أمام الفيلا وسلم على البواب ، وكانت الساعة قد زادت عن الحادية عشر فدخل قاعة الاجتماع متأخرا ، فظن الحاضرون أنه قدم متأخرا ، وعاتبه عمه على هذا التأخير ، فلم يذكر أمامهم أنه دخل وخرج بل تظاهر أنه تأخر فعلا .. فهذا هو حل لغز النافذة .. ولما رفع رجل المختبر الجنائي البصمات عن حافة الشباك ورفعوا البصمات لم يجدوا له أي بصمة .. فهذا يؤكد أنه كان يخطط لهذه الجريمة مع شريك آخر يعرف المدخل جيدا .. قد يكون فريج دخل به القصر من الخلف بدون أن يشعر بهم البواب العجوز قبل الجريمة بفترة مع أن الخادمين لم يروهم لأنهم في العادة مشغولون بالداخل ولو سمعوا حركة ظنوا أنه البواب أو البستاني .. لأن آثار القاتل تدل على حركة رجل يعرف المكان .. ولم يذهب فريج في الآونة الأخيرة للفيلا للمشاكل التي بينه وبين عمه ولتنفيذ الجريمة المدبر لها بإتقان ، فلما تعين يوم الاجتماع نفذ فريج الدور المطلوب منه وهو تسهيل مهمة القاتل .. والشريك سوف نصل إليه قريبا فهو تحت المطاردة .. والراجح أنه شاهر البراعمي وهو مختف من قبل مصرع فريج بأيام .. وهو من أهم أصدقائه على موائد القمار.. سيدة ماريا ما الذي دفعك لاتهام السيد فريج ؟

قالت : هل يعني هذا أنك لا تشك بي ولا تتهمني بمقتله ؟

فقال المقدم باسما : نحن لم نتهم أحدا بعد .. نحن ليس لدينا دليل ملموس على القاتل .. إنما هي تخيلات تصورات من المعلومات المتوفرة بين أيدينا .. دائما المستفيد الأول من جريمة القتل هو موضع اشتباه ..والمستفيد بعد التمحيص في هذه الجريمة إن ثبت أن الهدف هو المال هو

السيد فريج وزوجته وثبت لدينا أن زوجته منذ غادرت البلاد لم تعد .. ويظهر أن فريجا هذا لم يكن يعرف باختفاء ثروة عمه قبل قتله وإلا غير رأيه وخططه ، المهم أنه قام بالجريمة بالاتفاق مع قاتل محترف أو شخص محترف بالرماية كالسيد شاهر .. ثم تنازعا فقام الشريك بالتخلص من فريج لتضليل العدالة وحماية شخصه أو الانتقام من فريج الذي خذله ولم يدفع له أجره إذا كان قد طمعه بميراث عمه .. أعندك دليل على ضلوع السيد فريج بالجريمة ؟

قالت : دليل مادي .. فأنا لم أشاهده يقتل ؛ ولكني سمعت فريجا يهدد عمه بالقتل إن لم يكف عن المطالبة بالقرض .. وذلك كان في بيتي قبل طلاقي من السيد المدير .. جاءني فريج بحكم القرابة التي تربطنا وطلب مني مالا سلفة .. فهو مقامر خاسر دائما ، وبينما نحن نتحدث أتى السيد مرعي ، ولما علم بغرض فريج من هذه الزيارة زجره وشتمه ورغبه ببيع البيت الكبير الذي ورثه عن أبيه لسداد ديونه بدلا من التسول ، واحتد النقاش بينهم وارتفع الصياح فغضب فريج وهدد وتوعد عمه بالقتل ؛ ولكننا لمعرفتنا بضعف شخصية فريج لم نحمل كلامه على محمل الجد ونسينا الأمر ؛ ولكن لما قتل مرعي احترت هل اتهم فريجا أمام الشرطة ؟ ولكنّ فريجا كان مع الحاضرين الاجتماع ، والمشاجرة التي حدثت عندي لم يسمعها إلا أنا فلزمت الصمت هذا ما أعرفه .. وليس كل شخص يهدد شخصا بالموت لابد أن يقتله .

٦

رجع المقدم عزيز لمكتبه المؤقت بدائرة الأمن الكبرى ، وأخذ يقلب بالأوراق والمعلومات التي جمعها من الأشخاص الذين شاهدوا الجريمة الأولى والثانية ، وكان قد أحضر له ملف سيرة ذاتية عن السيد شاهر البراعمي أثناء خدمته في الجيش ، فلما قرآه بإمعان ودقة قال لصاحبيه : هو ضالتنا المنشودة ، فحل الألغاز كلها عنده ، والأدلة اعترافه الذي لابد منه .

قال حردان بعدما تحدثوا حول الجريمتين : ليلة مصرع السيد مرعي كان شاهر في المستشفى .. فهو يعاني من آلام في الكبد ، وسببها إدمانه الكحول ، وعنده أمراض أخرى .. وهو يسكن في شقة وحيدا ، لم يتزوج لليوم مع أنه زاد عن الخمسين ومخالطته لأهله قليلة .. وبالفعل قد ورث

ثروة كبيرة عن أبيه نمر البراعمي الذي أدخله الجيش ضابطا ، وبعد عشر سنوات من الخدمة استقال على أثر وفاة أبيه ، وأهمل أعمال أبيه ، ثم تخلص منها وباعها ، وبعد سنوات ماتت أمه ، فلم تعد له علاقة بالأقارب ،ولم يختلط بهم ، فهو يقضي وقته بين الخمارات والمقاهي ، وقد تعرف على فريج من سنوات يسيرة في خمارة، فجرفه فريج إلى نوادي القمار ، هذه المعلومة عرفناها من عماد زكي ، وقد تأكدنا منها .. وبيته تحت المراقبة والمثير أنه ترك المستشفى يوم مقتل فريج .. لقد صرفه الطبيب صباحا بناء على رغبته وقال لهم إنه مسافر إلى فرنسا ، ثم عاد في صباح اليوم التالي وهو في وضع صحي صعب كما قال الدكتور المعالج ، وأمضى ثلاثة أيام أخرى ثم غادر المستشفى بعد ذلك .

قال عزيز : لم يسافر إلى باريس ؟

رد حردان : لم يغادر البلد عن طريق المطار شخص يحمل الاسم شاهر نمر البراعمي من قبل تاريخ مقتل فريج بأسبوع إلى اليوم هذا إلا شخصا واحدا اسمه الأول شاهر فقط .

قال عزيز : هذا الرجل يجب أن نقبض عليه فورا .. فالأدلة تشير أن له يدا في الجريمتين .. فهو ذو أخلاق سيئة في وحدته العسكرية ، وهو ممن يجيدون الرماية بالمسدس ، وكان قد رشح مرة لحماية الشخصيات الهامة ، ولولا سوء سلوكه لسمح له بذلك العمل ، فتصوري للجريمة هكذا ..فريج بعد مشاجراته المتكررة مع عمه ، وفي كل مكان يلتقيان فيه يتنازعان ، فكر بقتله وقد يكون تحدث بهمومه أمام البراعمي أو عنده معلومات عن شاهر، فرتب معه صفقة .. وصفقة قتل السيد مرعي .. ذهب فريج ليلة الجريمة إما وحده وإما معه القاتل حيث الفيلا ، طبعا وصل قبل الموعد دخل من الباب الخلفي للفيلا فهو معه مفتاح له قد وجدناه ضمن مفاتيحه ، وهو لم ينكر ملكيته للمفتاح كما في التحقيق الأول معه ، فهو بصفته مساعد عمه يدخل ويخرج كما يشاء ..وقد يكون الباب مفتوحا أصلا لدخول البستاني أو خروج الخدم منه دخل الفيلا واستقبله الخادم وكان عمه في المكتب يستعد للاجتماع ، فلم يتقابلا فجلس بالصالة ، وتركه الخادم وعاد لمطبخه أو غرفته فتسلل فريج حيث قاعة الاجتماع ففتح الغطاء الخشبي

بواسطة السحاب وضغط زر النافذة الزجاجي أو شقها والستائر السميكة تخفي ما فعل وعاد لمكان الجلوس ، ثم تظاهر للخادم بأنه نسي صندوق التبغ وخرج من باب الفيلا الخلفي وتركه مغلقا من غير مفتاح ، ودار بالسيارة حول القصر ثم جاء من الباب الرئيسي كباقي الشباب وجاء متأخرا عشر دقائق حتى لا يثير الشبهة حوله لو جاء أولا لربما شكوا بأنه سبقهم وفتح النافذة .. فجاء القاتل في الموعد المتفق عليه بينهما ، وهو كما قلنا يعرف طريقه جيدا ، وصعد المقعد القديم الذي يستعمله البستاني ، وأزاح الستائر شيئا فشيئا وأطلق الرصاص على الهدف وهرب سريعا .

فقال زايد : قلنا هذا حل لغز فتح النافذة .. ولكن كيف عرف السيد مرعيا من بين هؤلاء الرجال ألا يحتمل أن يخطئ فتصيب رصاصته رجلا آخر ؟

رد عزيز : هذا أيضا لغز مهم .. ولكن الأمر رتب له ، السيد فريج يجلس على يمين السيد مرعي فيكون مرعي على يساره ، فلابد أن فريجا كان حريصا على هذه الجلسة والذي فهمته من كلام مازن وغيره أن فريجا دائما يجلس على يمين عمه ليتناول أي ورقة أو ملف من الزملاء ويضعه بين يدي عمه .. وهناك علامة أخرى كما علمت من بعض الحاضرين السيد فريج يلبس جاكيتا سوداء فعندما دخل القاعة متأخرا متظاهرا بالحرارة من الجو والعجلة فخلع الجاكيت فظهر قميصه الأبيض ، وقبل نهاية الاجتماع كان يحرك يديه يمينا ويسارا بضع مرات متظاهرا بالإرهاق ، وكان القوم يستعدون للانصراف ينتظرون دقات الساعة نصف الليل ؛ ولكن الرصاصات انطلقت قبل دقات الساعة ، فهكذا عرف المجرم هدفه وهو لا يبعد عنه سوى ثلاثة أمتار ..هذا ما تذكره السيد خالد نصري وعماد زكي عن لباس فريج وحركاته ، وارتبك القوم من المفاجأة ، وانصرف القاتل بكل هدوء ، وأنا لا أرى أن فريجا هو الذي رتب هذه الخطوات ، فهو من مجمل كلامهم ليس بالذكي الفطن ، فلابد أن شريكه هو الذي رسم له كل هذا الرسم ، فاعتراف هذا الشريك هو الفيصل في هذه القضية .. اتصل يا زايد بالسيدة سارة وأنت يا نقيب حردان ابحث عنه في المستشفيات قد يكون غير المستشفى فهو رجل مريض فهو

مفتاح هذه الجرائم .

خرج حردان لينفذ تعليمات عزيز ، واتصل زايد بالسيدة سارة ولما أصبحت على الخط قال لها إن المقدم عزيز يريد أن يتكلم معها .

ودفع السماعة للمقدم عزيز الذي ألقى عليها تحية المساء مع الاعتذار الشديد لهذا الاتصال الليلي فقال : سيدة سارة مع أسفي الشديد لهذا الإزعاج .. ليلة مقتل السيد فريج ذكرت أنه تحدث بالهاتف .. ألم تسمعي شيئا ؟ .. هل هو الذي اتصل أم رن جرس الهاتف فرد عليه ؟ تذكري جيدا يا سيدتي الفاضلة .

قالت : الحق يا سيدي أنني لم أسمع صوت جرس .. فعندما خرجت من غرفة الأولاد لمحته يضع السماعة ، قد يكون تكلم أو لم يتكلم ؛ ربما كان يعبث ولكن وضعه يؤكد أنه كان يتكلم وأنهى المكالمة لما شعر بخروجي من غرفة الأولاد وادعى أنه يكلم أمه .

ـ شكرا سيدتي سؤال أخير؟ .. لماذا تركتم البيت بيت أم فريج ؟ .. أرجوك صارحيني بالإجابة نحن على وشك القبض على القاتل الحقيقي .. قاتل زوجك !

فردت : آسفة يا سيدي الضابط .. ليتك توجه هذا السؤال لزوجة عمي أم فريج .. هي التي طردتنا .

فقال : وصل الجواب يا سيدتي شكرا لك ووضع سماعة الهاتف وقال : إنها تشك بأن زوجها قتل عمه والأم تشك بذلك .. فزر يا زايد هذه الأم وتحدث معها غدا .

وبينما هما يتحدثان أقبل حردان متهلل الوجه قائلا : لقد صدق حدسك يا سيدي العزيز فلقد قام رجالنا بالاتصال بعدد كبير من المستشفيات في آن واحد فذكر لنا موظف الاستقبال في مستشفى النهضة أن لديهم نزيلا بهذا الاسم ، والمستشفى مستشفى خصوصي وكبير ويقع في ضاحية الأصدقاء الخضر .

فقام عزيز وهو يقول: عجلوا بالذهاب إلى هناك قبل أن يشعر بكم هذا اللعين .. "ألم يقل فريج قتلني المجرم قتلني اللعين ؟!" إنه يعرف قاتله .. فريج لم يدفع له ؛ لأنه لم يرث شيئا، فخاف

الرجل فقتله ليضلل العدالة وأيضا لينتقم لنفسه .. أسرعوا أرجو أن يكون الساعة أمامي .. فسوف يتحدث معه موظف الاستقبال عن حسن نية أن أحدهم اتصل يسأل عنك أو يقول له الشرطة تسأل عنك فسيدرك أننا وصلنا إليه .

٧

بعد ساعتين كان وزير الداخلية يتلقى مكالمة مهمة من مدير الأمن العام يعلمه فيه بإلقاء القبض على القاتل في جريمتي مقتل السيد المدير مرعي والسيد فريج ، فاتصل الوزير بدوره عن طريق سكرتيره بعدد من كبار الصحافيين يعلمهم برغبته بعقد مؤتمر صحفي لكشف ملابسات مقتل مدير مصرع الرعاية وابن أخيه في العاشرة صباحا في قاعة المؤتمرات الصحفية في مبنى وزارة الداخلية .

ذهب رجال الشرطة مسرعين إلى مستشفى النهضة للقبض على السيد شاهر نمر ، فلم يجدوه في غرفته فقد غادر سريره ، واعترف لهم موظف الاستعلامات أنه تكلم معه عن طريق الهاتف وسأله عن سبب سؤال الشرطة عنه ، فتظاهر أنه لا يدري وقطع المكالمة .. وشاهدته إحدى الممرضات العاملة وهو يغادر غرفته متسللا فأخبرت أمن المستشفى فورا ، فأدركوه قبل أن يقفز عن سور المستشفى وقبضوا عليه ، وهم يعتقدون أنه يحاول الفرار للتهرب من دفع الأجرة المستحقة عليه ، فاتصلوا بالمسؤول في المستشفى فقال : احجزوه حتى أحضر .

وقد حاول إغراء ورشوة الموظفين ورجال أمن المستشفى ليدعوه ، ولكنهم لم يفلتوه ، وبينما هم يتحاورون معه أتى مدير المستشفى ، وكان رجال الشرطة قد أتوا لغرفته فلم يجدوه ، فأخبرتهم الممرضة التي لمحته وتعمل في ذلك الجناح بأنه حاول الهرب ، وقد أمسك به رجال أمن المستشفى ، وبعد دقائق معدودة كان رجال البوليس يستلمونه من المدير ، وبعد حديث يسير مع المقدم عزيز أدرك أن الشرطة تعرف عنه كل شيء فاستسلم قائلا : سأعترف لكم .. بدأ تفكيري بالقتل .. من كثرة شكوى فريج من عمه .. وضغطه عليه لتسديد ديونه وإلحاحه عليه باستمرار ببيع بيت العائلة وأخذ نصيبه من الميراث لتسديد ديون البنك .. فكثر شجاره مع

والدته من أجل ذلك ، وذات مرة بعد خسارتنا مبلغا كبيرا على مائدة القمار جلسنا نتحسر فقال فريج : آه .. لو يموت عمي مرعي قد أورث عنه بضعة ملايين .. إنه يملك ثروة هائلة في بنوك أوروبا !

فسألته : وكيف سترثه وهو عمك ..وأغلب الميراث يذهب للأبناء؟ فأخذ بالحديث عن عقم عمه ، فلما انتهى من الحديث عن عمه همست بأذنه قائلا: نحن نعجل بموته .

فبعد صمت ممل قال: وكيف ؟؟ .. فقد أخذت موافقته على اغتيال عمه مرعي .. والسبب الخمر والقمار هما أساس الإجرام .. المهم أننا أخذنا نخطط للقضاء على المدير المليونير ليرث فريج هذه الملايين ويعطيني نصيبي منها .. وأي نصيب ؟! .. فرسمت له الخطة بعد أن عرفت معلومات عن عمه .. ونفذ فريج ما طلبته منه بالتفصيل .. زرت القصر أكثر من مرة لمعرفة المكان .. وتم تنفيذ عملية القتل كما خطط .. أنا مريض دخلت المستشفى ، فريج داخل القاعة كغيره من الموجودين لم يطلق الرصاص .. القاتل من الخارج .. القضية ضد مجهول.. وهذا ما حصل فعلا ؛ ولكن بعد الجريمة ظهر لنا أن السيد مرعيا قد أخفى أمواله وأموال البنك المدخرة في أوروبا ؛ ولكن فريجا يعتقد أن عمه قد خسرها في أندية قمار أوروبا ، المهم خرجنا من الجريمة من غير شيء ديون فريج ما زالت باقية ، نصف الميراث الذي وعدني به تبخر في الهواء ، الشرطة تشك فيه ، الأسرة تتهمه بالغدر في عمه حتى أن أمه قد طردته من البيت ، فأصبح يشكل عليّ خطرا فرسمت خطة للقضاء عليه .. اسودت حياتنا بعد موت عمه ، وكان كثيرا ما يبكي بين يدي ويظهر ندمه ، فخشيت على نفسي ، وسولت لي نفسي بالخلاص منه لحماية نفسي .. فتعرفت على العمارة التي سكن فيها ، وكذلك الطابق الذي ينزل فيه ، والشقة التي يحيا فيها ، وأخذت أتحين الفرصة لاقتناصه وإزاحة كابوس الخوف منه على روحي المجرمة إلى أن كان ذات ليلة اتصل بي وحدثني عن ضيقه فقلت إني قادم إليك فلا تحدث زوجتك بشيء قد لا أحضر .. فريج من الناس الذين لا يتكلمون أمام زوجاتهم بشيء عن أصدقائهم .. وكانت الأمور في العائلة متوترة وسيئة كما كان يقول لي .. بعد منتصف الليل ذهبت إليه بسيارتي وركنتها في مكان

بعيد عن العمارة ثم تسللت خفية، وفتحت الباب الخلفي للعمارة بهدوء مظهرا أنني لا أريد إزعاج البواب إن لم يكن يغط في سباته، وصعدت بخفة الفهد إلى شقته .. ولما فتح الباب كان يقول : " شاهر إنني متعب لا أريد الخروج " وما كاد ينطقها حتى واجهته بطلقة في جبهته واثنتان في صدره من مسدس قد وضعت عليه كاتما للصوت وهبطت سريعا وقد تناثرت عليّ بعض الدماء ، ولما وصلت الشارع سمعت صراخا عاليا ؛ ولكني كنت قد ابتعدت وركبت سيارتي إلى بيتي ، وكنت في صباح يوم ارتكابي لجريمة مقتل صاحبي قد غادرت المستشفى مدعيا أنني أريد السفر لباريس للعلاج .. فلما حدثت الجريمة رجعت للمستشفى ثانية مدعيا بأنني أصبت بنكسة جديدة ، ولا أستطيع السفر فعدت إلى نفس الغرفة والسرير، ومن لا يدقق في الأمر لا يظن أنني قد خرجت ، وكنت أتابع مجريات التحقيق عن طريق الصحف .. لقد قتلت أول مرة من أجل المال والثروة ومن أجل القمار والخمر ، وقتلت في الثانية لحماية نفسي وخوفا من ضعف صاحبي ..ولكن ما يدهشني كيف عرفتم أنني القاتل .. أنني المجرم ؟

قال المقدم: أنت كشفت نفسك بنفسك ، نحن تيقنّا منذ البداية أن لفريج يدا في مقتل عمه ، ولكن من هو شريكه ؟ والحق أنه حدثت ملابسات أبعدتنا من الوصول إليك عاجلا ، وقد يكون اختفائك عن الملهى هو الذي وضعك في الشبهة ، فأنت المنفذ والمدبر ، والعدالة لا يمكن الهرب منها وإن طال الزمن فإن هرب الإنسان من عدالة أهل الأرض فهناك عدالة رب السموات والأرض التي لا مفر منها .. المهم كنا مقتنعين أن فريجا له شريك ، وهذا الشريك لابد أن يكون محترف في الرماية ولديه قوة قلب ، وأنت كنت محترفا فملفك العسكري واختفائك عن مسرح الأحداث بعد مقتل فريج ساعدا في الوصول إليك .

وشكر مدير الشرطة العام الضباط الثلاثة على جهودهم الكبيرة ومحاصرتهم للمجرم ، وفي الصباح كان وزير الداخلية يتحدث أمام الصحفيين عن إنجازات رجال الشرطة وكفاءتهم ونشاطهم .

وكان المقدم عزيز يحمل حقيبته السوداء الصغيرة ، ويركب سيارته منطلقا بها إلى الدائرة التي يعمل فيها في محافظة أخرى حيث كان يدير شؤون الأمن فيها .. فالمقدم عزيز لا ينتظر حتى

يأتي المشتبه بهم إلى مكتبه ؛ بل مكتبه متحرك هو يمشي إليهم .. فهذه إحدى الجرائم التي ساعد في الكشف عنها المقدم عزيز فإلى لقاء آخر في قصة بوليسية أخرى .

تمت قصة جريمة مصرع السيد المدير

* مصرع المدير *

المشتبه به في جريمة قَتل المدير قُتل

من المقصود بالقتل في الجريمة الاولى ؟

المال الدافع للجريمة ولم يوجد مال لدى المدير

لماذا قتل الرجلان ؟

لماذا الزواج السري ؟

هذا ما ستجيب عنه هذه القصة



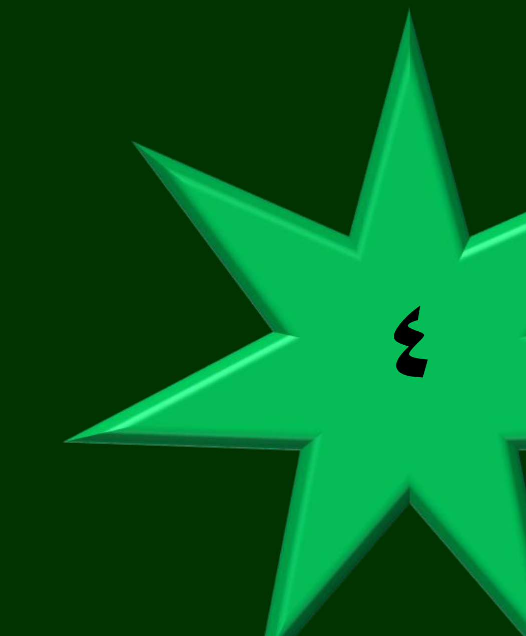
التحقيق الجنائي والجريمة

١	وصية جديدة	٢	مغامرة النادي
٣	**مصرع المدير**	٤	شارع البحيرة الخامسة
٥	ليموت الماضي	٦	صورة أمي
٧	بصمة وراثية	٨	رجل اسمه سنار
٩	جثة في البركة	١٠	مسبحة اللؤلؤ
١١	لغز القصر الصحراوي	١٢	الزواج الخطأ
١٣	نفس الشعب	١٤	لغز مقتل علياء
١٥	العالِم المزيف		



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



شارع البحيرة الخامسة

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

شارع البحيرة الخامسة

بقلم

جمال شاهين



الفصل الأول

شارع البحيرة الخامسة من الشوارع الطويلة في قلب المدينة الكبيرة ، في منتصف هذا الشارع المكتظ بالعمارات الشاهقة البنيان ، وفي عمارة تتكون من عشرة طوابق ، وفي الطابق الثاني منها يوجد المركز العلمي الذي يديره الدكتور جميل عازلي.

وهذا المركز مركز علمي مهم ومعروف في طول البلاد وعرضها ، وخصوصا لطلبة العلوم والفيزياء والصناعة، فهو مركز يهتم بالاختراعات والصناعات المهمة، فأي باحث أو مخترع لديه اختراع أو بحث علمي مفيد ، يمكنه التعاون مع هذا المركز لنشر بحثه أو تصميم اختراعه فيتقدم صاحب الاختراع أو البحث إلى مدير المركز الدكتور جميل أسعد عازلي ببحثه ، فيطلع عليه الرجل هو وفريق العمل المتعاون معه ، وبعد الدراسة يتعاونون مع المخترع أو الباحث لتنفيذ الاختراع وعرضه على الشركات الصناعية المهتمة ، وبمعنى آخر المركز همزة وصل بين الباحث وشركات الإنتاج والصناعة أو مراكز علمية خارجية ، فالدكتور جميل هو مدير "مركز الأبحاث العلمية والصناعية"، فالطابق الثاني في عمارة الطيارة العربية ، بل قل نصفه يشغله المركز الآنف الذكر ، وهذا المركز مربوط بمراكز بحث أوروبية وأمريكية تقوم على تمويله ، فهو وسيط بين شباب هذا البلد وبلاد الدول الصناعية الكبرى العالمية.

أما الدكتور جميل فهو رجل في الخمسينيات من العمر ذكي ونشيط ، أرسله والده أسعد للدراسة في مقتبل العمر في بريطانيا ، فتخصص في الفيزياء العامة ، ولما عاد للبلد التحق للعمل في أكبر الجامعات ، قضى عشر سنوات فيها ، ثم عاد لبريطانيا لنيل شهادة الدكتوراه في نفس تخصصه ، ولما حصل عليها وعمل فترة في لندن عاد للقطر ، وأنشأ هذا المركز الذي عرفناه سابقا ، فهو يديره ، ويتعاون مع جامعات ومراكز علمية أجنبية ، فهو يقوم بالاستفادة من مواهب الطلاب والباحثين في البلاد وتحويل أحلامهم أو أفكارهم لتطبيقات عملية ، إذا وجد البحث قبولا ، فيقوم المركز بشراء البحث من صاحبه أو يتشاركون في تطبيقه ، وهو رجل معروف في الوسط العلمي والثقافي وعلى مستوى الحكومات والصحافة، ولكن ما حدث مساء

يوم الاثنين في العاشر من إبريل سنة ١٩٩٥ أثار دهشة الناس والصحف والمفكرين، وما هو الذي جرى مساء يوم الاثنين ؟؟!

جميل عازلي بحكم عمله في إدارة مركز الأبحاث العلمية والصناعية، فقد كان كثير السفر والسياحة ، وذلك الصباح كان السكرتير الدكتور فرج حسيب تامر يدخل العمارة مسرعا ، وصعد للطابق الثاني حيث المركز، وألقى التحية على الفراش "أبي سالم" وهو يقول : هل وصل أحد من الموظفين ؟

وكان أبو سالم الفراش قد انتهى من تنظيف المكاتب ، فنظر إلى ساعته قبل الرد وقال : لم تبلغ التاسعة يا سيدي! ظل عشر دقائق .

وكان الدكتور فرج يتقدم نحو مكتبه والفراش يتبعه ، فلما جلس على كرسيه خلف المكتب قال : فعلا ! .. لقد جئت مبكرا .. إذن هات لي فنجان قهوة .. وعندما يصل الدكتور المحامي وليد بكرز أخبرني بذلك .. أو أدخله عليّ فورا..

وغادر الفراش المكتب ، وأخذ السكرتير فرج يقلب في الملفات والأوراق التي أمامه ، ويضع بعضها في حقيبة سوداء أمامه ، وبينما هو منهمك في أوراقه دخل عليه الدكتور المحامي وليد ، فقام يرحب به ويصافحه ثم عاد لمقعده ـ وهو يشير للمحامي بالجلوس ـ فقال المحامي وهو يجلس : هل من وقت للجلوس ؟؟.. فالطائرة سوف تصل قبل العاشرة كما علمت من استعلامات المطار.

ـ اجلس .. نشرب القهوة ، ثم ننطلق.

وضغط على جرس الفراش ، وطلب منه فنجانا آخر للدكتور وليد بكرز.

الدكتور فرج حسيب قصير القامة بعكس الدكتور جميل فهو طويل القامة إلى حد ما، ولكنه ليس بالقصير البشع ، ممتلئ الجسم ؛ ولكنه كثير الحركة وخفيفها ، وهو يعمل في المركز ، وبرفقة الدكتور بعد أن فتح المركز بخمس سنوات ، التقيا في سهرة فاتنة من سهرات الدكتور جميل ، وبعد عدة لقاءات قبل الدكتور جميل عمل الدكتور فرج سكرتيرا له وللمركز ، وأثبت فرج

نشاطا متميزا ، فتمسك به الدكتور جميل ، وكان يعتمد عليه اعتمادا كليا أثناء رحلاته الخارجية في إدارة المركز ، فلقد كان السيد جميل يمكث الشهر والشهرين في أوروبا ، فيقوم السكرتير بالأعمال الموكلة إليه خير قيام ، وأما السيد المحامي وليد بكرز ، فهو يعمل من خمس سنوات محاميا للمركز فقط ، فله مكتبه الخاص ، ولكن قضايا المركز القانونية والعقود هو الذي يقوم بها نيابة عن المركز العلمي ، وكانا قد تلقيا أمس مساء فاكسا من الدكتور جميل يخبرهما بأنه قادم في طائرة الخطوط الإيطالية من روما لبلده صباح الاثنين العاشر من إبريل، ويرغب برؤيتهما في المطار، فالدكتور جميل رجل عملي لا يحب الإجازات ، وقبل خروج الرجلين للمطار كان موظفو المركز قد استلموا أعمالهم ، فهناك سكرتيرة للدكتور فرج وهي الآنسة "ريما حسان"، وهناك محاسبان لمتابعة دفاتر المحاسبة وأموال المركز ، وهناك موظفو قسم الكمبيوتر والطباعة والمراسلات ، وهناك سائق المركز ، وهناك أيضا السائق الخاص بالدكتور جميل ، والفراش الذي مر ذكره قبل قليل ، فبعد أن مر الدكتور فرج على مكاتب الموظفين وأعلمهم بعودة المدير، أشار للسائق عماد سامح الربيع بأخذهم للمطار ، فهبطوا حيث تقف السيارة في انتظارهم أمام مدخل العمارة ، فلما ركبوا انطلق بهم مسرعا حيث يوجد المطار الدولي لاستقبال الدكتور القادم من روما بعد عشرة أيام غياب ، فقد سافر للندن ومنها لباريس ، ومن ثم روما لحضور بعض المؤتمرات العلمية هناك، وفي الموعد المحدد وصلت الطائرة الإيطالية التي كان على متنها مدير المركز ، ولما التقى جميل بأعوانه قاموا بالسلام على بعضهم والتهنئة بالسلامة ، ثم انطلق بهم السائق عماد نحو المركز في شارع البحيرة الخامسة ، وخلال رحلة العودة كان الدكتور فرج يقدم تقريره عن المركز خلال فترة الغياب ، ويقدم له بعض الأوراق ، وأخبره أن بعضهم تقدم ببحثين جديدين للمركز للنظر فيهما ، وهما من دكاترة الجامعات ، ولخص له موضوعهما الإجمالي ، ومدى أهميتهما ، ويبدي الدكتور إشاراته وملاحظاته ، ثم استمع لمشاكل المركز القانونية ثم قال : قضية الدكتور خالد الضبرة ما آخر أخبارها ؟

فرد الدكتور المحامي وليد : جرت جلسة منذ يومين فقط ، فهو يتهمنا بالاحتيال والخديعة ،

وأننا سرقنا بحثه وهربناه لخارج البلد للاستفادة منه دونه ، ومن أجل ذلك رفضنا التعاون معه ثم أجلت القضية لجلسة أخرى بعد شهر للنظر في أدلة الاتهام والادعاء.

فعلق جميل قائلا : الحق أن بحثه جميل!.. ولكنه يحتاج لدراسات أكثر للتأكد من صحة النتائج التي توصل إليها .. ثم إجراء المزيد من الأبحاث عليها..

ولما سكت المدير قال المحامي : لا تهتم يا سيدي ! سنخرج منها كما خرجنا من أعقد منها .. فهو يريد أن يصبح مليونيرا في يوم وليلة.

فعقب الدكتور جميل من جديد : ألم يكن من الأفضل له قبض خمسة آلاف دينار والابتعاد عن المحاكم ؟.!

ـ يعتبرها رشوة ..ولكنه يهددنا بالويل والموت إن اكتشف أننا خدعناه وبعنا بحثه لجهات أجنبية.

وعندئذ وصلوا لمدخل العمارة ، فنزلوا متوجهين للطابق الثاني حيث كان الموظفون العاملون في استقبال حضرة المدير والسلام عليه ، ذلك الرجل المديد القامة النحيف الحجم ذو الشعر الأشيب ، وكان الفراش أبو سالم قد هيأ مكتب الدكتور منذ الصباح ، وبعد جلوس قصير غادر المحامي المركز ، وهو يستمع للدكتور يدعوه إلى بيته مساء هذا اليوم للترحيب بضيف قادم من باريس وهو الدكتور "شارل برس" عالم في الأحياء المائية.

وبعد الظهر غادر الدكتور جميل عازلي المركز العلمي برفقة سائقه الخاص عماد أحمد متوجها إلى منزله الجميل في الضاحية الجميلة "حي الشجرة" ، وهو من الأحياء الحديثة في العاصمة الكبيرة حيث تنتشر فيه القصور والفيلات المبنية على الطراز الأوروبي الحديث ، وفي شارع النهر العظيم وأمام فيلا فخمة توقف السائق عماد، وهبط مسرعا ليفتح باب السيارة لولي نعمته ومخدومه الدكتور المشهور الذائع الصيت جميل عازلي ، وقبل أن يدخل الدكتور من باب الفيلا الرئيسي قال عماد: هل أعود في المساء يا سيدي ؟

فكر الدكتور قليلا وقال : لا داعي .. شكرا لك عد في الصباح.

ودخل الدكتور الباب ، وركب عماد السيارة منطلقا إلى بيته ، ولقد كان في استقبال الدكتور على مدخل الفيلا نفسها من الداخل الخادم الخاص به " صدقي عمران " ، وخادمة الفيلا "سعدى عبد القادر" ، وبعد أن صافحهما ورحبا به أحر ترحيب قال : أين أبي ؟ وكيف حاله اليوم ؟ رد صدقي وقد اجتازوا الباب الجميل للفيلا وأصبحوا في داخلها : إنه في حجرته .. وهو يعاني من وعكة صحية ، ولقد زاره الطبيب صباح اليوم.

فقال الدكتور: سعدى ! اعدي لي الطعام ، وأنت يا صدقي أخبر أبى بقدومي .. سوف أدخل مكتبي بضع دقائق..

يحسن بي أن أصف لكم فيلا الدكتور جميل ، فبعدما يدخل المرء من الباب الحديدي المطل على الشارع والرصيف يمشي عدة أمتار في ممر محاط ببعض الأشجار الباسقة من الطرفين ، وبينهما أشجار قصيرة من الورود الجميلة ذات الروائح العطرية والألوان الخلابة ، وقبل الوصول لسلم الفيلا هناك ممر يقود المرء إلى حديقة واسعة تحيط بالفيلا ، وهذا الممر وغيره من الممرات بين أشجار الفيلا الملتفة حولها مرصوف بالأحجار الملونة ، وإذا سرنا في الحديقة نرى أحواض الأزهار والورود ، وفي نهاية الحديقة نافورة ماء ذات بهجة ورونق ومحاطة بأسود تخرج من أفواهها المياه ، وقريب منها عريش ذات قبة حمراء داخلها منضدة كبيرة حولها مقاعد وآرائك وثيرة ، وبعدما يصعد المرء الدرج أو السلم الذي أبدع الصانع في تركيبه حتى أصبح شكلا جميلا ، فبعد صعود الدرجات السبع يواجه المرء باب ضخم أمامه ساحة صغيرة ، وهذا الباب الضخم المزخرف بأيدي فنانين مهرة في داخله باب أصغر وهو المستخدم للدخول والخروج ، فعلى هذا الباب الكبير رسومات لبعض الجوارح من الطيور ، يخالها المرء طيورا حقيقية من إبداع النحات والرسام الذي رسمها ، ويمكن فتح الباب كله أو جزء منه ، وبعد الدخول من هذا الباب التحفة تواجه الداخل صالة كبيرة في وسطها بضع موائد وحولها مقاعد على شكل نصف دائرة بيضوية ، وعلى يمين الداخل باب يؤدي إلى مكتب الدكتور جميل وهو مزخرف ومكون بشكل مثير ، وبعد المكتب درج يصعد بالمرء إلى الطابق الثاني من الفيلا ، وبعد الدرج

حمام واسع ، وغرفة خاصة بملابس الزوار ، وفي الطابق الثاني غرفة نوم الدكتور، وغرفة نوم والده أسعد المعلم المتقاعد منذ سنوات ، وغرفة الدكتور فيها مكتب صغير خاص بالدكتور ، وهناك مرافق حمامات خاصة بالدكتور وحده ، وهناك غرفة المكتبة ثم المطبخ والحمامات الأخرى ، وغرفة تنام فيها الخادمة، أما الخادم فهو ينام في مكان داخل المكتبة كان في الأصل مخزن ، وهناك مخرج آخر للفيلا من الخلف حيث كوخ أغراض الفلاحة من أدوات وأدوية وبذور وبئر الماء وموقف لسيارة الدكتور الخاصة ينفذ على الشارع الآخر ، هذا وصف عام للمكان فعندما يصير المرء في الطابق الثاني على يمنيه غرفة المكتبة ومقابلها غرفة نوم الدكتور وبجوارها غرفة نوم الأب ثم الحمامات ثم المطبخ في جهة المكتبة وحجرة الخادمة ثم السلم الصغير الذي يؤدي للحديقة من الخلف ، هذا هو المكان الذي حدثت فيه الجريمة المعقدة مساء يوم الاثنين العاشر من إبريل عام ١٩٩٥ ، وهو نفس اليوم الذي وصل فيه من روما كما قصصنا من لحظات ، كيف كان ذلك فهذا ما ستوضحه السطور القادمة ؟

في الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين وقفت سيارة صغيرة فخمة أمام فيلا الدكتور جميل عازلي ، ونزلت منها الطبيبة فريدة حسن حمدان وبصحبتها زوجها الدكتور خضر جبر الصابر فاستقبلهما خادم الدكتور أولا ، ثم أقبل جميل مرحبا ، وتصافح الأصدقاء ، وقادهم الدكتور حيث العريش عند النافورة في طرف الحديقة ، وجرت بينهم المجاملات التقليدية، ولما استقروا على مقاعدهم في العريش ذات القبة الحمراء والمزدانة بالأزهار والورود عادت الطبيبة تقول: الحمد لله على سلامتك يا دكتور .. كيف صحتك اليوم ؟ لقد أخبرني سكرتيرك العتيد بأنك سوف تقوم ببعض الفحوص الطبية في لندن.

فضحك الدكتور خضر وقال : هل يعني هذا أن "الدكتور جميل " بدأ يستغني عن خدماتك يا حضرة الدكتورة ؟

فضحكت الدكتورة لتلميح زوجها الماكر وقالت :لا أظن ذلك.

وجاراهم جميل في الضحك وقال : أنا أثق بصديقتنا فريدة ، ولن أتخلى عن خدماتها .. فأهلا

وسهلا بكم ، والحقيقة أني أسر برؤيتكم فمرحبا بكم .. ويشرفني أنكم قبلتم دعوتي للعشاء الليلة .. فهناك ضيف آت من فرنسا .. سيذهب الدكتور فرج لاستقباله ويأتي به إلى هنا .. إن طائرة باريس تأتي بعد السادسة مساء كما علمت من استعلامات المطار .. فالدكتور فرج له معرفة سابقة بالدكتور العالم شارل برس .. لقد التقينا بباريس ، وأخبرني أنه آت قطرنا ، فدعوته لزيارتي في أول ساعات وصوله ، فرحب بذلك ، وأخبرته أن سكرتيري الخاص سيكون في انتظاره في صالة الاستقبال.

وتحدثوا في مواضيع متفرقة في الطب والأمراض ، وبينما هم مندمجون في الحديث أتى المحامي وليد بكرز ، فاقترب منهم وألقى عليهم تحية المساء وجلس ، وعاد الجميع للثرثرة ، وقد قدم لهم الخادم صدقي أنواعا مختلفة من العصير والفواكه اللذيذة ، وقبل السادسة بدقائق وصل الدكتور فرج فرحبوا به ، وجلس يدخن ، فقالت له الطبيبة فريدة حسن : مالك مرهق يا دكتور فرج ؟! تلهث كأنك هابط علينا من القمر؟ أين دعابتك ؟ أم أنت متضايق من مشوار المطار ؟

ضحك الجميع على غمز الطبيبة بالدكتور ، وضحك فرج نفسه ورد على الطبيبة : لا شيء، ولكن قبل المجيء إليكم مررت على طبيبي الخاص الدكتور سلامة فوزي فأخبرني أن قلبي يحتاج إلى فحوصات وتخطيط قلب فأقلقني على صحتي..

فقال خضر : أكيد من السجاير الغريبة التي تدخلها صدرك!

فقال فرج : معك حق ..

ودار الحديث بينهم حول الدخان وأمراضه، وتعلق الناس به رغم اشتهار ضرره وخطره بين الناس ، فعقب المحامي الدكتور وليد بكرز : فكلنا يعرف خطر الدخان والتبغ ومع ذلك كلنا ندخن.

فقال خضر : ولكن سجائرنا تختلف عن سجائر الدكتور فرج..

فقالت الطبيبة : كله دخان ، وكله مسبب للأسقام والقحة والرائحة السيئة..

فقال جميل : ائذنوا لي أيها السادة بالدخول لمكتبي قبل أن يحضر ضيفنا العزيز الدكتور العالم شارل .. وأنت يا دكتور فرج متى ستذهب لإحضار الضيف ؟

فقال فرج : عشر دقائق ثم أنطلق .. هات لي يا صدقي كوبا من الشاي .. هل يريد أحدكم الشاي ؟

فقال الدكتور المحامي : لا بأس يا صدقي نشرب الشاي بمعية صاحبنا فرج.

فقال الدكتور جميل وهو ينصرف : يا صدقي .. أحضر لهم الشاي وأحضر لي القهوة على مكتبي .. أعتذر أيها الأصدقاء.

فتمتم الجميع قائلين " خذ راحتك يا دكتور فالجلسة أمام هذه النافورة وبين هذه الأزهار وهبات البرد الناعمة رومانسية .. فهذا من النعيم الذي يتمتع به الإنسان في هذه الدنيا "

وتركهم جميل إلى مكتبه داخل الفيلا، أحضر لهم صدقي الشاي ، وعاد للفيلا، ولما شربه فرج نهض وهو يقول : استأذنكم للذهاب إلى المطار .. فالساعة السادسة والربع وعلمت أن الطائرة سوف تصل في السابعة إلا ربع.

فقال المحامي : هل تحب أن أرافقك يا دكتور فرج ؟

قال فرج وهو ينظر في وجوههم : لا .. ابق مع ضيوف الدكتور جميل.

فقال خضر : أنت تعبان يا دكتور فرج .. دعه يذهب معك ؟

فقال فرج : صحيح أني مرهق ؛ ولكني ما زلت قادرا على القيام بواجباتي.. شكرا لكم أيها الأصدقاء .. ساعة وأكون عندكم.

فقال وليد : على راحتك يا فرج .. تعود سالما إن شاء الله.

وغادرهم فرج ، وعاد الرجلان والمرأة للثرثرة حول الدخان وأمراض القلب من جديد، وتغير حديثهم بعد ذلك عن الضيف القادم، وفجأة قالت فريدة: دكتور وليد! ..اتصل بي الدكتور خالد الضبرة .. وأطلعني على بعض مشكلته معكم.

- ماذا يريد منك ؟!

ـ كما تعلم، فهو يعلم أني الطبيبة الخاصة للدكتور جميل فيريد أن يوسطني بينكم.

ـ ولكنه يتهم الدكتور بسرقة بحثه!

فضحكت وقالت : وهل هذه غريبة على الدكتور جميل؟. !

فغـر المحامي فمه لحظات وقال : أوه !.. ماذا تقولين ؟!

فقالت وهي ضاحكة : مالك دهشت ؟! ..ففي أوساط العلماء معروف اعتداءات الدكتور على أبحاث الآخرين .. لا تخف هكذا ؟! .. ألم يطلب منك الدكتور أن تدفع مبلغا من المال للدكتور خالد ؟

فتعجب المحامي من جراءتها وقال : طلب ، ولكن خالد أفندي رفض ويريد مبلغا كبيرا أو المشاركة في تطبيق المشروع أي البحث.

فضحكت الدكتورة ورغبت في هز أعصاب المحامي وقال : أرأيت؟! فهذا يؤكد أن الدكتور استولى على أصول البحث وإلا لماذا يدفع ؟

ـ يدفع بدل التأخير الطويل في الرد على السيد خالد.

فعادت تقول : أظن أن السيد خالدا صادق في اتهامه.

فتمالك المحامي نفسه وقال : ولكن ما دليله ؟.. نحن لم نتفق مع أي جهة لتبني البحث والدكتور نفسه أكد لي أنه لم يستفد من البحث ولم يقدمه لأي جهة.

فقالت : على كل حال سوف أتحدث مع الدكتور جميل حول ذلك .. فالدكتور خالد صديقنا كما هو معروف لديكم ، وربما خلصناكم من تعب المحاكم.

ـ والله يا حضرة الدكتورة لو قدمنا البحث لمؤسسة علمية خارج البلد أو جرى شيء من ذلك لاتفقنا معه ، ولكن الدكتور يريد أن يدفع الخمسة آلاف دينار للتأخير الذي حصل منا ، ودفعا لشوشرة وأقوال الصحف ، فأنتم تعرفون أن مركز الدكتور يقوم على السمعة والشهرة المتميزة والصدق.

فنطق خضر بعد صمت طويل فقال : ولكن يا دكتور وليد منذ سبع سنوات ـ كما أذكر ـ حدثت

مشكلة شبيهة بذلك ، ثم تبين أن الدكتور قدم البحث لشركة عالمية خارجية ، واكتشف الأمر عندما ظهر الجهاز موضوع البحث في الأسواق ، وشركة أخرى كانت قد اشترت البحث من صاحبه اتهمت الشركة بسرقة البحث ، وأصبح صراع بين الشركتين وتبين أن سبب المشكلة الدكتور جميل ، فقد باع البحث من وراء صاحبه للشركة الأولى .. ومن سوء حظ الدكتور جميل أن صاحب البحث قدمه لشركة أخرى ، ولم يلقه على رف مكتبة أو جامعة فافتضح هذا المركز .

فقال المحامي ممتعضا مما سمع : أنا لم أكن أعمل يومها مع الدكتور جميل .. فعلى صاحبكم خالد أن يقدم بحثه لشركة ما ..أأنا أرضى بالاحتيال والنصب يا سادة؟! .. وذلك البحث المشار إليه لابد أن ظروف معينة حدثت.. فأخطأ الدكتور جميل .. وقد يكون الخطأ من العاملين في المركز.

فقال خضر : قد يفعل الدكتور خالد ويقدمه لشركة أو مؤسسة علمية أخرى .. ونحن سنحاول التوسط للملمة الموضوع.

وبينما هم يتجادلون ، فتح شباك من طابق الفيلا الثاني ، فالتفوا إليه فإذا رأس صدقي الخادم يبرز منه قائلا : تلفون يا دكتورة فريدة ؟

فرفعت صوتها قائلة : ممن ؟

ـ من العيادة .. القاعة فيها هاتف.

فقامت وهي تقول : شكرا يا صدقي إنني آتية.

وغادرتهم الدكتورة إلى داخل الفيلا ، وكانت قد نظرت لساعتها فقالت لزوجها : السابعة إلا ثلث وأنا قد أخبرت المرضة نهاد أنني الليلة استراحة.

وغابت بضع دقائق ، ثم عادت تقول بعدما سألها خضر " ما الأمر ؟ " : مريضة تريدني.. ومصرة على ذلك ، فاتصلت المرضة في البيت فأعطوها رقم هذه الفيلا ، فاعتذرت لها لانشغالي وأعطيتها موعدا صباح الغد.

فقال الدكتور المحامي : سأدخل أتكلم تلفونا مع أمي بالإذن أيها الأصدقاء.

وسار إلى الفيلا ، وبعد انصرافه بقليل قال الدكتور خضر : هيا ندخل نجلس في الداخل بدأت أحس بنسمات برد تسري في بدني.

فقالت الدكتورة : وأنا كذلك هيا بنا.

وتمشيا نحو باب الفيلا ، ولما صعدا الدرج ـ كان وليد يفتح الباب خارجا إليهم ـ فالتقوا فقال : أين ذاهبون ؟

رد خضر : شعرنا بالبرد.. الجو بدأ يبرد مع الظلام .. فقلنا نجلس في صالون الفيلا.

دخلوا إلى الصالة الكبيرة ، وجلسوا على المقاعد الوثيرة ، وكان صدقي يرحب بهم من جديد ، وهو يقول : لابد أن البرد أثر عليكم .. هل أصنع لكم شيئا ؟

فقال وليد : هات ماء أيها الرجل المحترم.

ـ حاضر .. وحضرات الدكاترة ؟

قال خضر : أنا أشرب قهوة مرة يا سيد صدقي.

قالت فريدة : قهوة للجميع مع الماء يا محترم.

صعد صدقي للطابق الثاني حيث المطبخ ليحضر لهم المطلوب .. وبعد شربهم للقهوة والماء نظر وليد في ساعته وقال : الساعة تقترب من السابعة والنصف ، ولم يحضر فرج بعد !.. لقد تأخر.. وبرامج التلفزيون هذه الأيام مملة .. والدكتور جميل قابع في مكتبه.

فقال خضر : قد تكون الطائرة تأخرت كعادة مطارات العرب.

وقالت الدكتورة : سأقرع الباب على جميل مع معرفتي أنه يتضايق من ذلك .. أين صدقي منذ أن أحضر القهوة لم يتفقدنا ؟

ومشت حيث الدرج الذي يصعد للطابق الثاني ، وأخذت تنادي على الخادم صدقي ، فأقبل مسرعا وهو يقول: آسف أيها السادة .. آسف أيها السادة .. لقد انشغلت عنكم .. كنت مع والد الدكتور .. فهو متعب منذ أيام.. وقد زاره الطبيب مساء اليوم وأنتم تجلسون في الحديقة مع الدكتور جميل .. ماذا تريد حضرة الدكتورة ؟

فقالت : متى العشاء يا سيد صدقي ؟

فقال : في التاسعة ، عشاء من مطعم فخم .. وهو وجبة فرنسية تكريما لضيف الدكتور الفرنسي .. وقد تكلمت مع المطعم وأكدت الحجز.

قالت : لا بأس ، سنصبر ساعة وزيادة .. نريد أن نتكلم مع الدكتور جميل اقرع عليه الباب.

فقال : ولكنه أمرني أن لا أفتح عليه الباب حتى يصل الضيف المحترم.

فقالت بملل : كما تشاء يا صدقي .. فالساعة تجاوزت السابعة والنصف ، ولم يحضر حضرة المحترم.

فقال الخادم بثقة : سيحضر بعد قليل .. اتصلت بالمطار وأخبروني بوصول الطائرة القادمة من باريس في موعدها السابعة إلا خمس دقائق .. وبناء على هذا اتصلت في المطعم .. وأكدت موعد الحجز .. فلابد أنهما قادمان من المطار الآن.

فعلقت فريدة ساخرة : على ذلك ـ يا صدقي ـ لو لم يحضر الفرنسي فلن نأكل الليلة.

فقال وهو يبتسم : لا.. لا.. يا سيدتي .. ستأكلون بإذن الله.

فقالت : مع السلامة .. وسلم على الأستاذ أسعد ..آ.. ما أخبار سعدى ؟

فقال : بخير.. فهي قابعة في المطبخ.. وقد أطعمت والد الدكتور، وقد سهت عيناه.

وبعد اختفاء الخادم اقتربت الدكتورة من مكتب الدكتور جميل وطرقت على الباب طرقا خفيفا ثم كررت الطرق ، ثم التفت نحو القوم وقالت : الله أكبر! ..هل يعقل أن الدكتور لا يسمع كل هذا الطرق ؟!

فعقب خضر قائلا : لابد أنه مستغرق في بحث من الأبحاث المهمة..

فوضعت الدكتورة يدها على مقبض الباب وحركته ، فلم يفتح فقالت بدهشة : الباب مغلق عليه من الداخل .. أما عجيب هذا الدكتور !

ثم عادت للجلوس ، وأخذت تقلب في محطات التلفزيون المختلفة ، وبينما هم يتذمرون نزل عليهم فجأة صدقي عمران وهو يصيح صياحا غريبا : اتصال غريب ..اتصال غريب!!

ففزع الثلاثة عليه، وأغلقت الدكتورة التلفزيون ، ومشوا خلف صدقي الذي أسرع نحو المكتب ، فقال وليد : ما بك يا رجل ؟!

فقال باضطراب : أتاني تلفون مخيف .. يخبرني فيه المتصل بأن الدكتور جميل ميت في مكتبه!

أصاب الذعر الجميع وصاحت الدكتورة : ماذا قلت ؟! ميت . .! ومن أدرى المخبر بموته ؟ فنحن هنا ولم ... ـ تذكرت الطرق عليه الباب ـ فسكتت

فقال الخادم : أخبرني المنحوس الخبر ، وأغلق السماعة .. وكان يحاول فتح الباب فقال : الباب مغلق .. ليس من عادة الدكتور غلق الباب

حاول فتحه بالقوة وقال : الأمر غريب.. سأحضر المفتاح من فوق .. فمعي نسخة منه لأقوم على تنظيفه أثناء غياب الدكتور..

وغاب إلى الطابق الثاني، ثم أتى مسرعا وهو في غاية التوتر والاضطراب والخوف ، وفتح الباب وأنار الإضاءة .. وعلى المكتب الكبير كان الدكتور يجلس على مقعده الأوروبي المتحرك ورأسه وصدره على المكتب ؛ كأنه نائم فوق الأوراق .. دماء سائلة على الأرض المفروشة بالسجاد العجمي ، وعلى طاولة المكتب وضع مسدس كولت ٤٥ ملم .. اقترب الأربعة إلى المكتب وهم في غاية الذهول ، فقال المحامي بقوة وذهول : مقتول ! ..لابد أنه مقتول .. فهذه الدماء تملأ الأرض والسجاد .. وهذا المسدس!!

ثم خرج مسرعا للصالة واتصل بالبوليس وعاد يقول : أيها الأصدقاء لا تلمسوا شيئا .. جريمة اغتيال حدثت هذا المساء..

ولكن الدكتورة قد اقتربت من الجثة وفحصت النبض وقالت : لا نبض .. لا أوكسجين إنه ميت .. هل قتل أم انتحر؟!

وبينما هم كذلك دخل الدكتور السكرتير فرج وحيدا وهو يقول : ما بكم؟!.. أمعقول ما يقوله المحامي ؟! ..كان وليد قد عاد للصالون لما طلب منهم عدم لمس أي شيء ، لم يستطع الوقوف ارتخت ساقاه من الصدمة، وأخذ السكرتير الحزين يتطلع إلى المكتب والجثة فقالت فريدة : أين

الضيف ؟ أين صديقه يا دكتور فرج ؟

فقال : لم أجده .. إنني أسمع سيارات البوليس تقف أمام البيت.

دخل عدد من الضباط ورجال البحث الجنائي والمختبر الجنائي والتصوير والطبيب الشرعي ووكيل النيابة أو نائب المدعى العام ، وتقدم كبير هؤلاء الضباط وهو رائد في التحقيقات الجنائية نحو الجثة ، وبرفقته الطبيب الشرعي ، وبدأت الإجراءات التقليدية لرجال الشرطة ، فحص الدكتور الجثة وأكد الوفاة بعيارات نارية وقال : رصاصة أو أكثر في الصدر والقلب .. وعن قرب ، وقد تكون الجريمة حدثت منذ ساعتين أو أقل بربع ساعة .. لم تبرد الجثة بعد .. موت سريع .. التشريح لابد منه سيدي الضابط !

رفع الضابط المسدس بمنديل وقال : أداة الجريمة على ما يبدو .. يبدو أن لا بصمات عليه .. ممسوحة .



الفصل الثاني

كان الدكتور جميل مدير مركز الأبحاث مصروعا على كرسيه ، وقد اسند أو انحنى رأسه وصدره على المكتب ، وتحته ملفات وأوراق يبدو أنه كان يقلب بها قبل حدوث الجريمة ، وقد قام أحد أفراد الأمن بتفتيش جيوب القتيل وأخذ ما فيها من أشياء ، وبعد أن قام فريق التصوير بتصوير المشهد ، أشار ضابط التحقيق الرائد عوني بصارة بنقل الجثة إلى سيارة الإسعاف ، ومن ثم إلى مستشفى التشريح ، ولما أخرجت الجثة من المكتب الفاره ، قال الضابط بعد أن قلب بصره في الغرفة : من الذي أبلغنا بالحادث؟

فتقدم الدكتور المحامي وهو مكفهر الوجه : أنا يا سيادة الرائد .. أنا المحامي وليد بكرز محامي المقتول.

فقال الضابط : كيف عرفتم أنه مقتول ؟

قال المحامي : هذا المقتول اسمه الدكتور جميل أسعد عازلي .. مدير مركز الأبحاث العلمية والصناعية المشهور في شارع البحيرة الخامسة ألا تعرفه ؟!

فكر الضابط قليلا ثم قال : آه! تذكرته .. أجل ، مدير مركز الأبحاث ! .. هو هذا الميت ، أنا وأنا أنظر إلى هذه الوجه قلت لنفسي إني سبق أن رأيته .. الآن أدركت أين رأيته ؟! لقد رأيته عددا من المرات في برامج تلفزيونية .. كيف اكتشفتم الجريمة ؟

فقال وليد : كنا مدعوين وثلة من الأصدقاء على العشاء هنا على شرف الدكتور شارل برس ضيف قادم من فرنسا ، فجلسنا بعض الوقت في الحديقة .. نحن وإياه أنا والدكتور خضر وزوجته الدكتورة فريدة وهي طبيبته الخاصة أيضا ، ثم أتى الدكتور السكرتير للمركز فرج ، وفي السادسة تقريبا تركنا الدكتور جميل لإنجاز بعض الأشياء قبل وصول الضيف من باريس فدخل المكتب ثم غادرنا بعده بقليل الدكتور فرج إلى المطار لاستقبال الضيف ، ولما زاد الظلام علينا في الحديقة، وكانت عيادة الدكتورة قد اتصلت بها فدخلت ترد على الهاتف، فقمنا ودخلنا للبيت، والدكتور ما زال في مكتبه ، وكانت الساعة لما دخلنا الصالون هذا لم تبلغ السابعة ،

وعلى ما أظن كانت السابعة إلا الربع ، جلسنا في الصالون نحتسي القهوة التي أعدها لنا خادم الدكتور ، وجلسنا نقلب في محطات البث التلفزيوني المختلفة ، وقد أصابنا الملل والضجر ، فقامت الدكتورة فريدة تتحدث مع الخادم وتسأله عن موعد العشاء ، وحاولت دفعه لدخول المكتب ، ولكنه أخبرنا أن الدكتور طلب منه أن لا يزعجه أحد حتى يصل الضيف ، فعاد إلى حجرته ، وطرقت الدكتورة الباب ـ باب المكتب ـ عدة مرات ، فلم تتلق جوابا ، ثم حركت أكرة الباب عدة مرات فوجدت المكتب مغلقا ، فدهشنا ولزمنا الصمت ، وعدنا نتفرج على التلفزيون ، وعللنا عدم الرد باستغراق الدكتور في النظر في الأوراق والملفات ، فهو قد وصل صباح اليوم من روما ، وله غائب عن المركز عشرة أيام ، وبينما نحن هكذا في انتظار وصول الضيف والعشاء ؛ فإذا بصدقي ينزل من الطابق الثاني يصيح ويولول ويقول : اتصال غريب ! .. اتصال غريب ! .. ففزعنا على صراخه وذعره .. وأصابنا القلق والخوف ، ثم قال وهو يسير نحو المكتب : جاءني تلفون من شخص مجهول يقول " إن الدكتور ميت في مكتبه " فدهشنا .. وهجمنا على المكتب ، فوجدناه مغلقا ـ ونحن نعرف ذلك، عندما حاولت الدكتورة فتحه والتشويش على الدكتور ـ فتفاجئنا أن صدقيا تفاجأ مثلنا ، فأحضر مفتاحه الخاص وهو يقول لنا : الدكتور لا يغلق الباب ! .. وهو موجود في داخل المكتب .. أمر غريب !.. ولما فتحنا الباب وأضأنا النور الكهربائي كانت المفاجأة أمامنا كما شاهدتها يا سيادة الرائد!.. فأدركنا أن أمرا كبيرا قد حدث فاتصلت بكم.

ولما صمت المحامي قال الضابط عوني وهو ينظر في الموجودين : أين صدقي ؟

فهمس صدقي الذي كان غارقا بالبكاء ويبكي بحرقة وحرارة قال : أنا هو يا سيدي إنها ضربة قاصمة .. عشرة عمر .. لي في خدمته أكثر من عشر سنوات.

فعزاه الضابط وقال : صبرك الله يا سيد صدقي ! ..ذكر الدكتور المحامي أن باب الغرفة كان مغلقا وأنك فتحته بمفتاحك ؟

مسح الرجل الحزين دموعه المتساقطة وقال : نعم، يا سيدي !.. الدكتور يفتح ويغلق مكتبه

بنفسه .. وإنما أفتحه للتنظيف من الغبار أو للتخلص من النفايات المكونة من أوراق تالفة أو أعقاب سجائر .. ومن عادة الدكتور أن يترك الباب مفتوحا عندما يكون في الداخل ؛ لأدخل عليه كلما احتاجني ، ويكون ذلك بالضغط على زر خاص عنده فيرن الجرس فوق فأهرع إليه سريعا .. فهذه أول مرة أراه مغلقا والدكتور في داخله ، ويمكن غلق الباب من الداخل بدون مفتاح فهناك زر خاص لذلك .. وأما من الخارج فلا بد من المفتاح ليغلق هذا الباب . وأشار إليه.

فقال الرائد : متى آخر مرة رأيت الدكتور حيا أو آخر جرس تلقيته منه بعدما ترك الحديقة وضيوفه؟

فرد صدقي قائلا : كما قال الدكتور وليد يا سيدي ، بعدما وصل السكرتير فرج بقليل وطلب السيد فرج الشاي ، وقد تحدث معه الدكتور جميل عن الذهاب إلى المطار ، فقال لما أشرب الشاي سأنطلق ، فاستأذن الدكتور من الضيوف ودخل للمكتب ، وطلب مني قهوة وها هو الفنجان في مكانه .. فأرسلت الشاي إلى السادة في الحديقة ، ثم عدت وتناولت فنجان القهوة من الشغالة سعدى ودخلت به على الدكتور ، وكان يتحدث بالتلفون ، ولما دخلت وضعه .. وأشار لي بوضع القهوة وقال " هل ذهب فرج ؟ " قلت " إنه يشرب الشاي ويستعد للذهاب .. فرن جرس الهاتف فتناول السماعة وأمرني أن لا أزعجه حتى يحضر الضيف وأشار لي بالخروج .. فتركته يتكلم بالهاتف ، وخرجت وأغلقت الباب خلفي ، وصعدت للطابق الثاني حيث الخادمة ووالد الدكتور السيد أسعد عازلي المريض .. فهو موعوك الصحة من أيام .. وقد زاره الطبيب مساء هذا اليوم.

وبعد صمت قصير عاد الرائد عوني يسأل صدقيا قائلا : كم كانت الساعة عندما وضعت القهوة للدكتور وخرجت ؟؟

فكر صدقي قليلا ثم قال : تزيد عن السادسة بقليل إن لم تكن السادسة .. أنا لا أهتم بالوقت كثيرا يا سيدي.

ـ بعدها لم تدخل عليه ؟

ـ لم يتصل بي .. حتى جاءني الهاتف المرعب.

فقال الضابط مخاطبا المسؤول عن رفع البصمات : هل انتهيتم ؟

فقال المخاطب : نعم.

فأخذ الضابط يتنقل في المكتب الواسع ، واقترب من خزائن الكتب والملفات ، وعاد يقول لصدقي : ألم تسمع صوت رصاص أثناء تحركك في المنزل ؟ .. وأنتم أيها السادة ـ وأشار للدكاترة ـ ألم تسمعوا صوتا وأنتم في الحديقة ؟

فقال وليد : الحقيقة أننا لم نسمع صوت طلقات مسدس .

وأكد الباقون كلام المحامي فقال الضابط: ولكن المسدس لا يوجد عليه كاتم صوت، ولا يوجد هنا خرقة قماش لنقول إن المجرم خنق المسدس بها ليخفف من صوته .. ولكن القاتل يبدو محترفا بمعنى آخر إنه يجيد استعمال المسدس ..ويعرف أين يصوبه ؟! ..آ.. يا صدقي هل سمعت صوت رصاص ؟.

فهز صدقي رأسه نافيا ثم قال : لا ، يا سيدي لم أسمع صوت رصاص.

وهنا غير الضابط اتجاه التحقيق فقال للدكتورة ـ التي كانت صامتة وهي في ذهول كامل ـ قال : يا دكتورة هل يعاني الدكتور جميل من حالات نفسية ؟ .. باختصار هل يمكن أن ينتحر؟!

حملقت الدكتورة في الضابط ثم قالت : لا أعتقد ذلك يا سيدي !.. فجميل حيوي ويحب الحياة

أخذ الرائد عوني يبحث في جرارات المكتب فترة من الوقت ثم قال : أيها الدكاترة المحترمون أرجو أن تشرفونا صباحا في دائرة الأمن.. مركز شرطة حي الشجرة مكتب الرائد عوني بصارة لتسجيل أقوالكم ، وأنا في انتظاركم ، أرجوكم أن تتعاونوا معنا في كشف غموض هذه الجريمة .. والآن يمكنكم الانصراف .. أما أنت يا صدقي فلي حديث معك الليلة وعلى انفراد .. وأرجو يا دكتورة فريدة أن تخبري السيد أسعد بوفاة ابنه قبل انصرافك ، قد يحتاج لمساعدة طبية فكما أشرتم فهو مريض اذهب معها يا صدقي.

خرج صدقي والدكتورة حيث يرقد الوالد المريض ، واستأذن الدكتور فرج بالانصراف فأذن له الرائد بعد أن تأمله بضع لحظات وسأله : ألم تذهب للمجيء بضيف الدكتور فأين الضيف الفرنسي ؟ !

فقال فرج : بلى يا سيدي.

ـ هل أتى معك أم أوصلته للفندق ؟

فقال فرج وهو يظهر الأسف : لم أجده .. لم يكن على متن الطائرة الفرنسية التي وصلت في السابعة إلا خمس دقائق.

ـ أتعرفه ؟

ـ أكيد ، لقد حضر مرة قبل لقاء اليوم ، من سنوات زار القطر.

ـ غير موجود على الطائرة ؟

ـ أجل .. عجيب !

ـ يمكنك الانصراف ، ولا تنس لقاءنا غدا صباحا في مركز الأمن لأخذ أقوالكم وانطباعاتكم حول المجني عليه والجريمة بشكل عام.

ـ تحت أمرك.

ثم تبعه الدكتور وليد بكرز ، وركب كل منهما سيارته، وانطلق بها إلى هدفه ، وكانت الساعة قد زادت عن منتصف الليل عندما انصرفا.

ولما نزلت الدكتورة فريدة قالت : الوالد قد عرف بالأمر؛ فإن الشغالة قد أخبرته بذلك ، وقال لي إنه بخير وتمنى أن لم يمت ولده هذه الميتة.

فتعجب الرائد وقال : هكذا قال !..سنسمع أقواله في الوقت المناسب.. يمكنك الانصراف أنت وزوجك وموعدنا غدا إن شاء الله.

وضعت حراسة مناسبة من أفراد الأمن على الفيلا ، وانصرفت سيارات الشرطة والمختبر الجنائي ، ولم يبق في الفيلا إلا الرائد عوني ومساعده الملازم دشهان علي ، وأفراد الحراسة الثلاثة

ومكث الرائد ومساعده الملازم الأول دشهان علي ساعة من الزمان في داخل الفيلا والمكتب ثم الحديقة ، وعرف بعض المعلومات عن السيد جميل ، ثم قال للخادم : صدقي عمران سنلتقي غدا بإذن الله .. إياك أن تغادر البيت ..

***

لما دخل الرائد عوني مكتبه صباح يوم الثلاثاء ، وجد معاونه في انتظاره، وبعد تحية الصباح ، وقد جلس على كرسي المكتب قال مستفسرا : ما الأخبار؟

وكان قد ضغط على زر كهربائي أمامه ، فلبى نداؤه فراش المكتب ، فطلب منه كوبين من الشاي، وبعض قطع البسكويت ، ولما خرج الفراش ، قال دشهان : وصلنا تقرير يؤكد لنا أن المسدس الذي وجدناه على المكتب هو أداة الجريمة.. ثلاث طلقات في القلب والصدر ، وأكد الطبيب أن الجريمة كانت عن قرب ، لا يبعد القاتل عن جسم القتيل سوى بضع سنتمترات ، بل قد تكون فوهة المسدس على صدر القتيل ببضع سنتيمترات فحسب ، وخلال هذا اليوم سيكون تفصيل التقرير الطبي بين أيدينا هذا ما قاله لي الطبيب عواد.

فقال عوني : إذن المسدس الكولت الأمريكي هو أداة القتل ، ولابد أن القاتل ذو معرفة بالدكتور جميل ، لقد كانت قسهات الوجه عندما رفعناه عن المكتب تدل على الدهشة والصدمة والمفاجأة .. نريد معلومات دقيقة وكاملة عن الخادم صدقي عمران فهو آخر شخص رأى الدكتور أمس وهو المسموح له بإدخال زوار الدكتور عليه ، ولولا المكالمة الغريبة التي تحدث عنها أمام الدكاترة لاتهمته ، أريد كذلك سجلا بالمكالمات التي حدثت في الفيلا من السادسة مساء حتى الثامنة مساء ، فصدقي هذا يدعي أن شخصا من الخارج أخبرهم بموت الدكتور ، لماذا تحدث القاتل بذلك؟ تأكدوا من ذلك من شركة الهاتف الدولية فإذا ثبت أن اتصالا جرى قبل الثامنة بقليل فيكون كلام صدقي صحيح ويكون في صالحه .. ونريد معلومات شخصية عن الأشخاص الذين تواجدوا في القصر أو الفيلا الكبيرة ذلك المساء .. فهذه القضية لا تبدوا لي هينة وسهلة ، فهي جريمة مدبرة بذكاء .. والدكتور الفرنسي شارل نريد أن نعرف هل تخلف

عن رحلة السابعة فعلا كما يزعم فرج ؟ ففرج يؤكد وصول الطائرة الفرنسية ، ولم يكن فيها حضرة الدكتور .. هذه خيوط أطلب من رجالنا إحضار معلومات كافية عنها .. فمقتل الدكتور جميل أسعد سيثير ضجة صحفية داخل القطر وخارجه .. فها هي الصحيفة التي أمامي تكتب " جريمة في حي الشجرة .. ضحيتها الدكتور البرفسور العالم جميل أسعد عازلي " ورفع الصحيفة الأولى ونظر في الثانية الموضوعة أمامه " يد غادرة تصرع الدكتور الفذ المعروف جميل عازلي"

وقال الرائد وقد عاد يرشف الشاي ويأكل قطع البسكويت : هل قرأت الجرائد ؟

فرد دشمان ـ وهو يضع الكوب الفارغ على المنضدة الصغيرة التي بجانبه ـ فقال : عناوين مثيرة وتفاصيل اكتشاف الجثة ، ويبدو أن بعض الصحفيين اتصل بزملاء الدكتور .. فهناك حوار مع الدكتور فرج فيقول فيه " كنا نجلس في الحديقة نشرب الشاي ، فدخل الدكتور البيت أو مكتبه في البيت، وشربت الشاي وسرت للمطار بكل سرعة لاستقبال ضيف الدكتور العالم الفرنسي الكبير في الأحياء المائية، ولما عدت من المطار بدون الزائر وجدت الدكتور مصروعا بيد مجرم .. ثم قال لهم : ليس لدي معلومات تفيد الصحفيين فالأمر كله بين يدي رجال الأمن .. والمحامي اعتذر عن أي تعليق حول الجريمة ، بل بعض الصحفيين حاول أخذ أقوال من السيد صدقي خادم الدكتور، فادعى أن الشرطة منعته من الكلام إلى الصحافة حتى ينتهي التحقيق.

هزّ عوني رأسه مرات وقال مادحا : خادم ذكي!.. جريمة ستشغل الرأي العام في القطر .. وجه رجالك لإجراء اللازم ، وهيا بنا نرى مسرح الجريمة على ضوء النهار، وقبل مجيء أصدقاء الدكتور لنسمع أقوالهم.

انتقل الرجلان بعد إجراء اللازم إلى الفيلا ، وبعد حديث قصير مع رجال الحراسة التقى الرائد بالسيد صدقي فقال : يا سيد صدقي .. الصوت الذي تكلم معك في التلفون هل شعرت أنك سمعته من قبل ؟

قال محاولا التذكر : لا أذكر يا سيدي! ..فهو عندما أخبرني بموت الدكتور، فقدت السيطرة على نفسي ، فأول كلمة نطقها قال : أليس هذا منزل الدكتور جميل ؟ فقلت : بلى هو ، فقال : هو ميت في مكتبه ، فصعقت للخبر وقلت: من أنت ؟! وكيف علمت ؟! فأغلقت السماعة من الطرف الآخر فوضعت السماعة أنا الآخر ، وأنا مضعضع الفكر، ونزلت مضطربا وأنا أصيح بصوت مرتفع وأنا في غاية الصدمة .. كان الأمر صعبا يا سيدي!.. لا أدري هل سمعت هذا الصوت من قبل أم لا ؟! .. ولكن هل هذا يفيد في البحث ؟

ـ ربما .. هل تلقى الدكتور تهديدا ما قبل سفره إلى أوروبا أو أي شيء من هذا القبيل ؟

قال : حسب اطلاعي وقربي من سيدي الدكتور .. لا .. ولكن يوجد في المكتب هاتف خاص مستقل أي ليس له تفريعات في الفيلا .. فهو خط مستقل للمكتب

ـ ذكرت لي سابقا يا صدقي أنك دخلت بالقهوة على سيدك الدكتور فوجدته يتكلم بالهاتف ألم تسمع كلمة .. جملة ؟ تذكر جيدا كل شيء يقدم معنا شيئا في الوصول للجاني.

بعد تفكير وصمت قال الخادم : للأسف لا .. فعندما دخلت كان يضع السماعة .. ولما أراد أن يتكلم مرة أخرى صرفني.

ـ ولا كلمة.

ـ ولا كلمة يا سيدي.

قال الضابط : سيد صدقي هل للدكتور أعداء حسب علمك وعشرتك للدكتور خلال السنوات الماضيات ؟

ـ أعداء .. أعداء .. لا أظن .. ولكن هناك بعض الخصوم الذين بينه وبينهم مشاكل بسبب العمل.. خصوم قضايا.. وقد تجد تفصيل ذلك عند الدكتور المحامي بكرز.

قال الضابط : قلت سابقا يا سيد صدقي .. إنك تركت الدكتور قريبا من الساعة السادسة مساء .. ألم تنزل إلى الدور الأول مرة أخرى بعدما صعدت ؟.

ـ لا يا سيدي .. إلا عندما دخل ضيوف الدكتور الجالسين في الحديقة فنزلت أرحب بهم من

جديد .. وطلبوا مني بعض فناجين القهوة المرة.

ـ ما شعرت بأي حركة تحت وأنت فوق ؟

ـ من الصعب إذا كان الإنسان مشغولا فوق أن يشعر بحركات الذين تحت .. فهناك جرس خاص يضغط عليه الدكتور إذا أرادني.

قال الضابط عوني : المسدس الذي كان على المكتب أمس .. هل رأيته قبل هـذه المرة يا سيد صدقي ؟

ـ هناك في غرفة نوم الدكتور مسدس مثله يا سيدي! ولكنني بعد انصرافكم أمس تأكدت من وجوده .. قد يكون لديه مسدس آخر.. ولكن المسدس الذي كان على المكتب أول مرة أراه.

ـ ثبت لدينا بالفحص أنه قتل فيه .. ولكن كيف لم تسمعوا الطلقات ؟ ولا يوجد كاتم صوت على مسرح الحادث ؟! .. حتى ولو ألصق المسدس على صدر القتيل لابد أن يخرج صوت الانفجار ولو ضعيفا.

ـ إذا قتل يا سيدي بالوصف الذي تقول فمن الصعب أن يسمع من فوق ، ومن في الحديقة كذلك وخصوصا أن النوافذ مغلقة.. ولا يوجد أحد في الصالة.. فأرى أن عدوه قتله والقوم في الحديقة .. ونافورة الماء والأسود ربما تمنعهم من سماع صوت الطلق المخفي.

ـ جيد تفسيرك هذا يا صدقي ! سنجرب ذلك فيما بعد .. فما تقول في ضيوف الدكتور تلك الليلة؟ وهل يمكن أن يفعلها أحدهم ؟

ـ صعب ذلك .. وما الفائدة التي يجنونها يا سيدي من مقتله ؟!

فقال الضابط : هل علمت يا صدقي أن الضيف الذي كنتم تنتظرونه لم يحضر ؟

فقال صدقي : عجبت من ذلك ..فلقد تحدثت مع الدكتور فرج عن سبب ذلك ، فأخبرني أن الطائرة وصلت في موعدها ، ولم يكن الدكتور شارل فيها.

ـ عجيب .. أجل .. أخبر الخادمة أنني أريد الحديث معها قبل الانصراف للقسم.

ـ إنها مرعوبة يا سيدي .. ولا أظن أن عندها شيئا .. فهي لا تنزل من فوق إلا نادرا .. فهي

تتنقل بين غرفة السيد أسعد والد الدكتور جميل وغرفتها والمطبخ.

ـ لابد من سماع أقوالها؛ لعلها شاهدت شيئا وخائفة منه .. قد تكون رأت القاتل وهو يغادر الفيلا أو وهو يدخل .. وكذلك لنا حديث مع الأب أخبرهم بأننا نقصد اللقاء بهم.

فقال صدقي : إنه مريض جدا .. لقد استدعينا الطبيب ليلة أمس مع الفجر مرة أخرى يا سيدي من أجله. قال الضابط : نلقي عليه التحية ونعزيه .. هيا أخبرهما.

وخرج صدقي لتنفيذ رغبة الضابط ، وعاد الضابط يقلب في الأوراق والملفات ويحدث زميله قائلا : نحن لم نحدد الهدف والدافع لهذه الجريمة يا دشمان!

فقال دشمان : ما زال الغموض يلف هذه الجريمة .. فهدف الجريمة غير واضح أمام أعيننا ، فليس للدكتور زوجة ، ولا أولاد .. ليس في الصورة إلا والد مريض كبير في العمر .. ولا أعتقد أن مشاكل قانونية من المتعاملين مع المركز تؤدي إلى هذه الجريمة المحكمة التدبير والتخطيط .. ماذا يستفيد الدكتور خضر أو زوجته من مقتل جميل؟ ماذا تكسب ؟ بل خسرت رجلا كان يتردد على عيادتها .. والمحامي مثلها .. وحتى السكرتير إلا إذا كان هناك فضائح يعرفها الدكتور عنهم قد تدفع أحدهم لهذه الجريمة المرتبة بذكاء .. علينا أن نتابع حركات هؤلاء الضيوف منذ حضروا للبيت وحتى مقتل السيد جميل أسعد .. كلهم غادر بعد حدوث واكتشاف الجريمة.. إلا فرج شرب الشاي معهم في الحديقة ، ثم انطلق إلى المطر للإتيان بضيفهم ولما عاد بعدما تأكد من عدم مجيء الدكتور كانت الجريمة قد حدثت واكتشفت ..على كل رجالنا يتحرون عنهم ، وسنسمع أقوالهم ، وقد نضعهم تحت المراقبة إلى حين من الزمن.

وأتى صدقي يقول لهم : إنهم في انتظاركم يا سيدي الرائد.

أغلق الرائد المكتب وأوصى الشرطي الحارس بعدم السماح لأي شخص بالدخول، وصعدا إلى الطابق الثاني حيث تحدث الرائد مع الخادمة ، ولم يجد عندها شيئا يذكر سوى الدموع والخوف ودخلا حجرة الوالد أسعد وقاما بتعزيته بموت ابنه، وكان في حالة سيئة ، ثم انصرفوا مسرعين إلى دائرة الأمن في حي الشجرة حيث وجدا الدكاترة الأربعة في انتظارهم .

الفصل الثالث

وقبل أن يبدأ الرائد عوني بأخذ أقوال أصدقاء الدكتور المقتول الذين كانوا زواره، وعنده ليلة الحادث ، كان عامل المقسم في القسم الأمني يقول له " إن مدير الأمن اتصل به "، فطلب منه أن يصله به ، وطلب القهوة للدكاترة الأربعة ، وما كاد يصدر أمره لفراش المكتب حتى كان معه عبر أسلاك الهاتف مدير الأمن العام قائلا له : رائد عوني .. ما آخر أخبار جريمة حي الشجرة ؟

ـ ما زالت غامضة يا سيدي! وسيكون مساء هذا اليوم بين أيديكم تقرير مفصل عنها ..عندما نستلم تقرير الطب الشرعي ، وتقرير المختبر الجنائي .. والآن عندي الأخوة الذين كانوا في بيت الدكتور عندما اكتشف موته لأخذ أقوالهم وانطباعاتهم عن الجريمة.

ـ أريد أن تمر عليّ عندما تنتهي من أخذ أقوالهم واستجوابهم .. لقد تحدث معي السيد " نهري بربش " صاحب شركة الحماية الخاصة ، وأخبرني أن الدكتور جميلا كان يتفاوض معهم أو معه حول حمايته الشخصية .. وذلك قبل سفره الأخير لأوروبا .. وقد طلب منهم حراسا لمرافقته.. ولم يتحقق ذلك ..وأمس عندما وصل اتصل به من مكتبه في الشركة ليؤكد الموضوع ولقد كان بينهم موعد نهار اليوم .. ولما قرأ الصحف التي تتحدث عن مقتله اتصل بي..

كان عوني يسمع كلام مديره وهو يهز رأسه ، وأحيانا يحدق النظر في الموجودين فلما سكت المدير قال : سألتقي به .. نعم ، سوف أمر عليك بعد قليل .. شكرا سيدي .

ووضع السماعة وقال : أخبار جديدة .. وقد تكون مهمة .. أهلا بالسادة الكرام ..

استدعى كاتب التحقيق ، ولما أعد أوراقه قال الرائد : فالأفضل أن نبدأ بالأستاذ المحامي .. اذكر يا سيدي اسمك وسنك ومكان إقامتك وعملك ؟

ولما كتب الكاتب المعلومات التعريفية قال الرائد عوني : متى وصلت منزل الدكتور جميل وسبب تواجدك هناك ؟.

قال السيد المحامي : أتصور أنني وصلت بعد الخامسة وقبل الخامسة والنصف، فوجدت

الدكتور جميلا يجلس مع ضيفيه الدكتور خضر وزوجته الدكتورة فريدة في عريش الفيلا تحت الأشجار الباسقة .. وأمامهم نافورة الماء الجميلة .. وذهبت بدعوة من الدكتور جميل نفسه للمشاركة في الترحيب بضيفه الفرنسي ..وتناول العشاء بمعيتهم .. وقريب من السادسة مساء أتى الدكتور فرج كئيبا وحزينا على غير عادته ،، فحدثنا أنه كان عند طبيبه الخاص .. فأخبره أنه يعاني من مشاكل في صدره وقلبه، وسببها الدخان والسجائر .. وكان الدكتور مكلفا بالذهاب للمطار للمجيء بالضيف.. فلما شرب الشاي غادرنا إلى المطار .. وقبل انصراف فرج استأذن الدكتور بدخول مكتبه لإنجاز بعض الأعمال لغيابه عن أرض الوطن خلال الأيام العشرة الماضية ، وذلك قبل مجيء الضيف ، ومن بعد انصرافه لم أره إلا جثة هامدة ، في السابعة إلا ربع أو إلا ثلث طل علينا الخادم صدقي من نافذة الطابق الثاني يخبرنا أن هاتفا يطلب الدكتورة فتركتنا الدكتورة لترد على الهاتف ، والتلفون موجود في صالة أو صالون الفيلا ، وبعدها دخلنا الفيلا لإحساسنا بالبرد الليلي، وجلسنا في الصالة نتفرج على التلفزيون ، وننتظر عودة السيد فرج ، وقدم لنا الخادم المحترم قهوة ، ثم حاولت الدكتورة إزعاج الدكتور جميل فاستدعت الخادم ليطرق الباب ؛ لكنه رفض وقال : إن الدكتور طلب منه عدم الدخول إلا عندما يصل شارل برس .. فانصرف إلى حيث يجلس .. فطرقت الدكتورة الباب عدة مرات فلم يرد، فحركت أكرة الباب فوجدته مغلقا فعجبنا من ذلك التصرف .. وبينما نحن نتحدث ونستمع لمحطات البث ونعلق عليها هبط علينا صدقي يصرخ ويصيح قائلا " اتصال غريب " وفهمنا منه أن مجهولا يخبره بموت الدكتور جميل داخل مكتبه، والباقي تحدثنا به في مكان الجريمة .. اقتحمنا الغرفة المغلقة فوجدناه ميتا فعلا فاتصلنا بالبوليس فورا.

فقال الرائد : حسنا يا سيدي المحامي .. ألم تشعر وأنتم تجلسون في الحديقة بأن أحدا دخل الفيلا ؟

ـ الحق من الصعب رؤية القادم أو الشعور به .. فالعريش في آخر الحديقة ، وهناك الأشجار الكثيفة تحجب الرؤية .. ولا تنسى انسجامنا في الحديث والثرثرة فذلك يشغلنا عن الانتباه ..

فكما سمعنا من صدقي أن الطبيب حضر لمعالجة والد جميل ولم نحس به داخلا وخارجا.

ـ وبصفتك محامي الدكتور والمركز .. هل يمكن لأحد من خصومه أن يحقد عليه حقدا يدفعه لقتله؟

ـ سؤال كبير ..ولا يوجد خصوم بيننا وبينهم قضايا كبيرة .. فهناك الدكتور خالد الضبرة رفع على المركز قضية بسبب الأبحاث التي قدمها وردت إليه ، متهما المركز بسرقتها والغدر به فقام بالتهديد والوعيد ؛ ولكن لا أعتقد أن يصل

الخصام إلى رغبة في الانتقام والقتل وإلا لما رفع علينا قضية غش وسرقة بحثه.

فعاد الضابط يستفسر فقال : ما قضية هذا الدكتور؟

فعاد وليد يوضح الموضوع قائلا : قضيته ـ يا سيدي الضابط ـ تتلخص أنه قدم للمركز بحثا علميا مهما عنده طبعا لندرسه أو يدرسه الدكتور جميل ، ثم يقدمه لمراكز العلم في أوروبا وأمريكا التي يتعاون معها المركز.. ويكون الدكتور جميل وسيطا بين الباحث والمراكز الغربية ولكن الدكتور جميل رآه غير مناسب ، فاعتذر لصاحب البحث ، وأعاد له أوراق البحث ولأن المركز تأخر في الرد على الدكتور خالد لانشغال الدكتور في السفر والترحال ..فاتهم الدكتور بسرقته ، وأننا نريد أن نستفيد منه وحدنا من ورائه ..فرفع علينا قضية اختلاس بحث علمي رصين ومهم في نظره .. ونحن نراه غير مفيد للصناعة ، فهدد وتوعد .. فحاول الدكتور إنهاء المشكلة من غير شوشرة بمبلغ من المال .. خمسة آلاف دينار .. فرفض وقال " هذا المبلغ توكيد أنكم سرقتم البحث " ولكن قصد الدكتور إنهاء الموضوع بدون شوشرة وحفاظا على سمعة المركز العلمي .. وللزمالة بينهما ولتأخره في الرد عليه .. فرفض واتهم ، ورفع علينا قضية ، وقد حضرنا جلسة واحدة من أجلها في المحكمة .. وطلب منه القاضي أن يقدم أدلة الاتهام.

وهنا تدخلت الدكتورة فريدة قائلة : اسمح لي أن أتكلم في الموضوع يا حضرة الضابط اتصل بي الدكتور خالد الضبرة ظهر أمس عندما علم بوصول الدكتور جميل من الخارج .. وهو صديق وزميل لي .. وهو يعرف أنني طبيبة الدكتور جميل .. فاتصل وطلب مني التوسط بينهم

وإنهاء الإشكال .. وعلى الفور تحدثت مع الدكتور جميل في عمله مهنئا له بالعودة من السفر سالما.. وأشرت لموضوع الدكتور خالد فدعاني للعشاء مع ضيوفه.. وخاصة الدكتور شارل برس .. وكنت أريد أن أحدثه فيه بعد العشاء.. ولكن سبق السيف العذل كما يقال في الأمثال القديمة .. آسف لهذه المداخلة.

فقال الرائد : أبدا لا داعي للأسف بل هي مداخلة ومعلومة في محلها ؛ ولكنها قد تكون لصالح خالد وقد تكون ضده .. شكرا لك .. اكتب يا عماد طلب استدعاء للدكتور خالد الضبرة لسماع أقواله .. وخذ عنوانه وهاتفه من الدكتورة فريدة .. إذن سيدي المحامي لم تلاحظ دخول شخص غيركم قد دخل الفيلا.. وأنتم تجلسون في الحديقة أليس كذلك ؟

ـ فعلا لم أرَ أحدا يدخل الفيلا للعوائق التي ذكرتها لك.

ـ أنتم بعد دخول جميل لمكتبه هل دخلتم الفيلا ؟

ـ قلت لك سابقا إن الدكتورة طلبتها العيادة فدخلت ثم دخلنا بعدها بقليل.

ـ شكرا لك سيدي المحامي نرجو توقيعك على المحضر ، وضع بصمتك على هذه البطاقة إبهامك الأيسر والأيمن وبعد ذلك يمكنك الانصراف.

فقال المحامي : أرجو أن تسمح لي بالبقاء .. وسأنصرف برفقة الدكتور فرج لنقوم على استلام الجثة من المشرحة وعلى إعدادات الدفن.

فقال الرائد : كما تشاء ، فأنا لحتى الآن أعتبركم أصدقاء الدكتور الميت ، وأتصور أنكم أبرياء من قتله .. أنت يا دكتور فرج سكرتير لحضرة المدير من سنوات كثيرة

قال فرج : أظنها تزيد عن عشر سنوات.

ـ رائع .. اسمك وعمرك وعملك وعنوانك.

وذكر الدكتور للكاتب أجوبة تلك الأسئلة التقليدية ولما انتهى منها قال الرائد : جميل يا دكتور !.. دخلت الحديقة قبل السادسة بقليل ؟

ـ نعم سلمت على الجميع .. تحدثنا عن الصحة والدخان.. استأذن الدكتور لدخول مكتبه ..

شربت الشاي ، وغادرتهم حوالي السادسة والربع .. ولم أرجع إلا عندما تأكدت من عدم وصول الدكتور على طائرة باريس الساعة السابعة ليلا ، ولما عدت وجدت الدكتور وليدا قد أخبر الشرطة بالجريمة .. وسمعت الخبر المرعب منه فصدمت بعض الوقت.. ثم دخلت للمكتب فشاهدت الدكتور الفقيد منحنيا على مكتبه مفارقا للحياة ودماء نازفة على المكتب والأرض.

ـ وأنت تغادر الفيلا ألم تلاحظ شيئا شخصا سيارة أمام الفيلا ؟

ـ الحق أنني لم أنتبه لشيء ، ولكن أمام سيارتي كانت سيارة ألمانية صغيرة سوداء اللون .. وهي لم تكن لأحد الأصدقاء ؛ وربما تكون لأحد سكان الفلل المجاورة .. والذي لفتني إليها عندما أتيت كانت سيارة الدكتور وليد تقف أمام الفيلا ، فصففت أمامه ، ولما خرجت كانت تلك السيارة تقف أمامي وملاصقة جدا لسيارتي ، فلم أتمكن من الخروج بسهولة، فضغطت على المنبه ، ثم نزلت من سيارتي لأكلم الرجل الذي يجلس فيها ، فوجدت شابا أشقر اللون ؛ كأنه أجنبي ذو شعر طويل فكلمته بالعربية ليتقدم للأمام قليلا حتى أخرج براحتي، فلم يفهم ، فحادثته بالبريطانية فحركها للأمام قليلا ، فركبت سيارتي وخرجت بسهولة ، وانطلقت إلى المطار .

قال عوني لما انتهى فرج من كلامه: ما تقول في مقتل صديقك الدكتور جميل؟

ـ الأمر مذهل ومفاجئ للجميع! .. واعلم يا سيدي الرائد أن علاقتي بالسيد جميل أسعد علاقة عمل فقط.

وبعدما ران الصمت على غرفة التحقيق لحظات ، سأل الرائد فرجا قائلا : من سيصبح مديرا للمركز يا دكتور فرج ؟

فرد فرج بعد تردد: لست أدري .. ولكني أرسلت فاكسا للجامعة المسئولة عن دعم هذا المركز ماديا أخبرتهم بوفاة الدكتور .. فإما أن يعينوا مديرا جديدا أو يغلقوه يا سيدي .

ـ ألا تصبح مديرا له؟

ـ هذا يرجع للممولين للمركز ليس بالضرورة أن أعين مديرا..

أشار الرائد لمسدس أمامه على طاولة التحقيق وقال: هذا المسدس .. هل رأيته مع الدكتور جميل ؟

حدق الدكتور نظره في المسدس وقال : لقد شاهدته على مكتب الدكتور مساء أمس ، ولولا الهيئة التي وجد عليها الدكتور لظننت أن هناك انتحارا .. لقد رأيته أكثر مرة ، لم يكن يخفي الدكتور أنه يحمل مسدسا.

ـ أكان الدكتور يعاني من خوف من تهديد ما ؟

ـ لست أدري .. ولكن قبل سفره الأخير أخبرني أنه ينوي استئجار حارس مسلح لحمايته .. فظننت أن ذلك من باب الموضة والعصرنة والتقليد .. فهو لم يحدثني عن تهديد يتعرض له شخصيا.. وأما مسألة خالد الضبرة فلا أعتقد أنها تصل للقتل، فالدكتور خالد رجل طيب.. وكان يبني آمالا كبارا على بحثه إذا تحول لشركة صناعية ؛ ولكنه فوجئ بسقوط هذا الحلم ، وخصوصا أن الدراسة أو البحث مكث عندنا ما يقارب سنة ، وقد أخطأ الدكتور جميل عندما عرض المال.. وقد نصحته ألا يفعل حتى لا يساء تفسير ذلك ، فقال "مساعدة للدكتور مقابل التأخير الذي سببناه له .. فالبحث بين أيدينا من سنة وأكثر" ، فهذا سبب تقوّل الدكتور علينا بأننا سرقنا البحث.

ـ لا بأس هل من أقوال أخرى؟!

ـ لا، يا سيدي .. وإذا تذكرت شيئا سأخبرك به ، إن مقتل الدكتور جميل صدمة لي وللعاملين في مركز الأبحاث العلمية والصناعية.

ـ وقع على أقوالك وابصم بإبهاميك .. وعليكم اليوم استلام الجثة من المشرحة ومواراتها التراب .. شكرا لكم.

فبعدما وقع فرج على أقواله حول جريمة حي الشجرة ، وبصم على البطاقة الخاصة بالبصمات انصرف مع المحامي وليد بكرز حيث المستشفى لاستلام جثة جميل أسعد ، وتابع المحقق

الحديث مع الزوجين خضر وفريدة فقال مخاطبا الدكتور خضر بعدما ذكر اسمه الكامل وسنه وعمله وعنوانه : وأنت يا سيدي الطبيب .. أعندك شيء حول هذه الجريمة ؟

فقال الدكتور وهو يداعب نظارته : لقد كان شهودي لهذه الجريمة صدمة لي! .. لقد ذهلت وأنا أرى الدكتور العالم صريع الغدر .. نحن يا سيدي الرائد وصلنا بعد الخامسة ، فقد دعانا الدكتور جميل للعشاء مع ضيوفه ، وكان واجب التسليم عليه مطلوبا منا لصداقتنا الخاصة معه .. وزوجتي هي طبيبته الخاصة وهو يعرفها منذ كانت طالبة في كلية الطب .. وظلا أصدقاء وبعد زواجي منها عرفتني عليه ، وكثيرا ما نلتقي ونتقابل في سهرات وحفلات ومناسبات وحتى مؤتمرات وندوات، فيمكن أن تعتبرنا من أعز أصدقاء الدكتور جميل عازلي أما لماذا قتل؟! .. فهذا ما يحيرني منذ ليلة أمس ، لماذا قتل الدكتور العالم ؟! لا يخلوا عملا من مشاكل وهموم .. أما أن يصل الأمر للقتل والدم فهذا صعب وشنيع يا سيدي الضابط .. جلسنا بصحبة الدكتور ساعة من الزمن في الحديقة ، ثم غادرنا لمكتبه .. ولم نره بعد ذلك إلا مقتولا مضرجا بدمه .. ونحن نجلس في الحديقة الجميلة لم أحس وأشعر بدخول أي إنسان ، ومن الصعب الشعور بالقادم إلا إذا أراد الداخل لفت نظرنا بحركة ما .. فصوت الماء في النافورة يمنع سماع حتى خطوات الماشي.

ولما سكت الطبيب عاد عوني يسأل : صدقي عمران .. أتعرفه معرفة جيدة ؟

ـ أتعتقد أن صدقيا يقتل ؟! .. لا .. لا .. ماذا يجني الرجل من مصرعه ؟! .. ولا أعتقد أنه بهذا الذكاء الذي دبرت فيه الجريمة .. وراءها يا سيدي عقل كبير.

ـ مدفوع من ناس ؟!

بحلق الطبيب في الرائد قليلا وقال : وماذا يستفيد ؟

ـ الآن لا نعرف .. فهو بإمكانه أن يدخل عليه ويصرعه غيلة ، وكأن شيئا لم يحدث ، ويغلق الباب بحجة أن الدكتور يريد إنجاز أعماله لحين قدوم الضيف ، ولما قرب موعد الزائر تظاهر أن أحدا اتصل به وأخبره بموت الدكتور.

كان الطبيبان يسمعان كلام المحقق وهما في غاية الذهول ، وكان كلامه منطقيا ، وهو الوحيد الذي يمكن أن يرتكب الجريمة كما حدثت ، وهو آخر من رأى الدكتور وقدم له القهوة فقال خضر ببطء : من ناحية نظرية ممكن ولكن لماذا ؟ ومن دفعه للقتل ؟

ـ هل لديك شيء يفيد التحقيق ؟

ـ الآن .. لا

ـ أحسنت !.. وقع وابصم أيها الطبيب المحترم على هذه البطاقة .

ووضع أمام الطبيب بطاقة ليضع بصمات إبهاميه عليها ثم قال : وأنت يا دكتورة فريدة .. عرفينا على اسمك الكامل والسن والعنوان والعمل .. وما تقولين في هذه الجريمة التي شاهدتيها ؟ فبعد أن ذكرت المعلومات الأولية قالت : كما قال الدكتور خضر .. أنا حائرة في أحداث هذه المصيبة !.. ومن هو المستفيد منها ؟ ..فالدكتور ليس له إلا أخ واحد في فنزويلا منذ سنوات طويلة .. وهو طبيب اسمه جلال ، ولهم أخت كما أذكر أيضا في إحدى بلدان أمريكا اللاتينية قد تكون فنزويلا متزوجة من صديق للطبيب جلال .. وكلهم يملكون من المال الكثير .. ووالد الدكتور مدرس متقاعد قديما ..وهو معتل الصحة .. وللحق أقول إنه لا يحب ولده جميلا كثيرا لأسباب أجهلها .. ولكن يشعر بها المرء من برود العلاقة بين الرجلين .. ولقد كان الأب يسكن وحيدا ؛ ولكن لما كثرت عليه أمراض الشيخوخة أسكنه جميل في قصره ، وكلف خادمة وهي سعدى على رعايته .. وأما صدقي فماذا يكسب من موت سيده ؟ لست أدري ماذا يستفيد؟ .. بل سيفقد عمله ، وله ولد متزوج وهو يعيله أكثر راتبه .. فهو بحاجة للعمل في كنف الدكتور .. المال قد لا يكون دافع هذه الجريمة.

ـ قد يكون أحدهم حرضه فالطمع يؤدي لكثير من الجرائم.

ـ الله أعلم .. وهذه مهمتك يا سيدي .. ومرة أخرى أقول أن الدكتور خالدا الذي أعرفه جيدا لا أعتقد أن غضبه وكرهه للدكتور جميل يدفعه لسفك دمه .. وأنا تحت خدمة العدالة في أي وقت .. وهذه ـ وأخرجت بطاقة تعريفية ـ أرقام هواتف البيت والعيادة.

وشكرهم الرائد عوني بصارة على حسن تعاونهم ، وسمح لهم بالانصراف وهو يقول : أرجو ألا تبخلوا علينا بأي ملاحظة أو حركة أو همسة حدثت مساء يوم الاثنين .. قد تكون معلومة تافهة ؛ ولكنها تساعدنا على حل غموض كبير.

ـ ولا يهمك سيدي الرائد .. نحن متشوقون حقيقة لمعرفة المجرم الأثيم.

صافحهم الرائد وهو يقول : رافقتكم السلامة.



الفصل الرابع

بعد أن اجتمع عوني المحقق مع مدير الأمن العام ، وحدثه عن الجريمة والمعلومات المتوفرة بين يديه ، غادره متوجها إلى موقع شركة الحماية الخاصة التي يديرها لواء متقاعد من المباحث " نهري بريش " ، فاستقبله المدير استقبالا حسنا ، وقال : أهلا بالرائد عوني بصارة أعلمني مديرك أنك المكلف بالتحقيق الآن في هذه القضية ؟

ـ أجل ، يا سيدي .. وأعلمني المدير أن حضرة الدكتور جميل كان على وشك أن يوقع على عقد حماية معكم ..هل ـ يا سيدي ـ حدثك بشيء يمكن أن يساعد على كشف غموض هذه الجريمة؟!

تمهل اللواء نهري قبل الإجابة ثم قال : الأشخاص المتواجدون على مسرح الجريمة هل ثبتت براءتهم ؟

ـ نحن لم نتهم ، ولم نبرئ ، الأمر غامض جدا .. فما زلنا نتحرى عنهم ، فمع وجودهم على مسرح الحدث فلا دليل يدل الآن على ارتكاب أحدهم للجريمة .. لأن الدافع للجريمة ما زال مجهولا .. وأقوى الشبهات تحوم حول الخادم .. خادم الدكتور ولكن السبب ، لا يوجد لديه سبب يدفعه إلى القتل.. وليس هو بالذكاء الذي يخطط لمثل هكذا جريمة .. بل مصلحته الآن في بقاء سيده حيا .. وإذا خطط له ، ودفع له مال مغري.. فمن هو المخطط والدافع له ؟ .. لحساب من يقتل ؟ هذا ما زال مجهولا .. وأنت يا سيدي ما عندك ؟

ـ قبل سفر الدكتور الأخير اتصل بي .. فأنا أعرفه منذ كنت في الخدمة الشرطية.. ثم التقينا .. وأخبرني أنه يرغب بحارس شخصي له .. ويريده حارسا محترما ليس كحارس مصنع أو مؤسسة.. وهمس لي بأنه بدأ يحس بخطر مجهول على حياته ؛ ولكنه لم يحدد لي نوع الخطر .. وهذا النوع من الحراسة غير متوفر لدينا .. الحراسة الشخصية .. ثم أجلنا الموضوع ريثما يرجع من سفره .. ولما رجع صباح أمس كلمني صباحا في الموضوع .. ثم تكلمت معه بعد الظهر..

قال عوني : عفوا يا سيدي هل اتصلت به بعد السادسة مساء ؟

ـ الحق أنني تكلمت معه مرتين ، مرة بعد الظهر في مكتبه في المركز ، والثانية بعد السادسة على ما أذكر.

فقال عوني : الخادم صدقي عمران يقول إنه أدخل له القهوة بعد السادسة فوجده يتكلم بالهاتف ، فلما دخل صدقي عمران كان قد أنهى المكالمة وبعد دقائق رن الهاتف مرة أخرى فرفع السماعة وقد صرف الخادم .. فهل تذكر يا سيدي كم كانت الساعة بالضبط عندما اتصلت به ؟

ـ بالضبط لا أذكر .. أما أكيد بعد السادسة وقبل السادسة والنصف ، وكان حديثنا في المرتين حول استئجار حارس أجنبي من فرنسا أو أمريكا .. ولكنه أبى ذلك وقال إنه يرغب بحارس عربي ممن خدم مع القادة والأمراء والشخصيات الرسمية الكبرى ، ثم وعدته أن أحقق رغبته في أقرب وقت وانقطع الاتصال.. ولكنه كما بدا لي أثناء حديثنا في هذا الموضوع أنه يعاني من خوف شديد ؛ ولكنه لم يفصح بذلك صراحة ..ولم يفصح أيضا بشيء يساعدك في كشف غموض هذه الجريمة.

ـ حتى سكرتيره الدكتور فرج حسيب قد علم برغبته باستئجار حارس خصوصي ، ولكنه كان يظن أن ذلك من باب المحاكاة والتقليد لرجال الأعمال الكبار .. وأنا لما أخبرني المدير العام للأمن ظننت أن أعود من عندكم بكم هائل من المعلومات يا سيدي الفاضل.

ابتسم اللواء المتقاعد نهري قائلا : آسف آسف.. أنا لم أقل للمدير إلا أن الرجل كان يحس بخطر مجهول دفعه للبحث عن حارس خاص .. وأنا طلبت لقاءك لأمر آخر..

فضحك الرائد عوني وقال : خير ـ إن شاء الله ـ خير

ـ خير بالتأكيد .. نحن يا سيدي الرائد .. كما تعلم شركة أمنية خاصة .. مهمتها الرئيسية توفير الحراس ورجال الأمن المدنيين للمؤسسات والشركات الكبرى.. وعندنا أيضا مكتب خاص للتحقيقات الجنائية والتحريات الخاصة .. وممن يستفيد من خدماته شركات التامين المختلفة الصور .. والدكتور جميل كان بينه وبين شركة التأمين " الأمان الوطنية للتأمين" عقد تأمين على الحياة بمبلغ كبير يزيد عن مائة ألف دولار أمريكي .. وهذا المبلغ أصبح الآن من حق

الورثة .. وهم أبوه وأخته وأخوه .. فلما علم مدير شركة التأمين بمصرع الدكتور جميل اتصل بي وكلفنا بمهمة البحث عن القتلة أو القاتل .. وأنا بدوري اتصلت مع المدير العام للأمن وأطلعته على الأمر.. وقلت له : بدل أن تتبعثر جهودنا في التحريات ، فليكن هناك تعاون بين الضابط المكلف بمتابعة الجريمة والتحري من عندنا وهو من زملائك القدماء .. بالطبع التحقيق بالأمور المشتركة التي تخص الجريمة ، وليست من اختصاص الدائرة .. بمعنى آخر تسمح له بمعاينة مسرح الجريمة ، والاطلاع على تقرير الطب الشرعي ، ومحاورة أصدقاء الدكتور .. تعاون من أجل الوصول للجاني .. فهذا السبب الأهم للاتصال بك يا حضرة الرائد

فكر عوني وقال : جميل هذا.. المدير العام على علم بذلك ؟

- نعم .. والهدف الوصول للجاني الأثيم..

- من هو الضابط المكلف بالبحث عندكم في هذه الجريمة ؟

- عقيد شرطي متقاعد.

وضغط المدير على جرس أمامه فردت السكرتيرة قائلة : نعم ، يا سيدي

فقال نهري : أين أبو خالد؟

- خرج في مشوار إلى البقالة..

- حسنا .. أرسلي لي أبا أسماء الأستاذ جرير خالص.

- أمرك . وأغلقت الباب وراءها ، وبعد دقائق كان جرير خالص في مكتب المدير نهري وبعد تعارف بينه وبين الرائد عوني قال عوني : يا مرحبا بك سيد جرير .. لابد أن يكون لديك فكرة عن الجريمة.

فرد المحقق الخاص في شركة الحماية الخاصة : لقد قرأت كل ما كتبته الصحف الصادرة صباح هذا اليوم .. ولكن يسرني أن أسمع من الزميل الفاضل عوني.

فقص الرائد عوني القصة ، كما علمها منذ اتصال المحامي وليد بكرز ولغاية التحقيق مع الأشخاص الذين كانوا على مسرح الجريمة وختم أقواله قائلا : وسأسمح لك بالتأكيد الاطلاع

على محاضر الاستماع للشهود..

فأبدى جرير شكره ، وطلب من عوني الإذن له بزيارة غرفة الجريمة فقال عوني : هل تحب أن تذهب وحدك أم أرافقك ؟

ـ مرافقتك أفضل .. حتى نسمع ملاحظاتك .. إذن نلتقي في الرابعة مساء في شارع النهر العظيم حي الشجرة أمام فيلا المغدور الدكتور جميل أسعد عازلي.

فكر عوني قليلا ثم أجاب : جيد يكون الأهل قد انتهوا من دفن الجثمان.

ـ متى تسمح لنا بقراءة تقرير الطب التشريحي للجثة ؟

ـ الليلة أيضا ..والآن اسمحوا لي بالانصراف.

فقام اللواء المتقاعد نهري ، وكذلك العقيد المتقاعد جرير يصافحان الرائد ويشكرانه على تعاونه فقال المدير بعد ذلك : لا بأس أن تتحدث مع مديرك في الأمر حتى يطمئن قلبك نحونا . وضحك الجميع.

وقال عوني : العفو .. أيها السادة .. ما دام المدير أرسلني إليك ؛ فإنه موافق على تعاوننا ، والغاية كما أشرت سابقا واحدة وهي تحقيق العدالة والوصول للجاني والجناة وتقديمهم للقضاة .. ولحتى الآن لا يوجد أسرار في القضية .. جريمة في وضح النهار تقريبا وبأعصاب باردة.

فقال جرير معلقا : يبدو مما حدثتنا به أنها جريمة محبوكة ، ولكن لابد أن نجد ثغرة ننفذ منها فمهما أوتى القاتل من ذكاء وفطنة فرجال الأمن والبوليس أعطوا من هذا الذكاء والدهاء.

وشكرهم عوني بدوره مجددا ، وعاد لدائرته وتحدث مع مديره وسأله عن مدى تعاونه مع شركة التحقيق ، فقال له المدير : أنت تقدر المناسب .. وأنت تعلم أن هذه الشركات رديف لأجهزة الأمن والمباحث .. هم يبحثون عن القاتل لأجل شركة التأمين حتى تحاول التخلص من قيمة التأمين أو التقليل منها .. ونحن يهمنا الوصول للقاتل من أجل إقامة العدالة وأمان المجتمع يا سيدي الرائد.

عاين الشرطي السابق جرير خالص مكتب الدكتور جميل الكائن في بيته، وتحدث مع الخادم

صدقي عمران ، ثم غادرا المكان هو والرائد عوني حيث الأقارب والأصدقاء مشغولون للذهاب بالميت للمدافن حيث يوارونه الثرى بعد أن سمحت لهم الشرطة بنقل الجثة من المشرحة ، فقال جرير وهم يقتربان من سيارتيهما : ما رأيك بأن نلتقي غدا في مكاتب المؤسسة نسمع أقوال الموظفين والفراشين قد نجد شيئا هناك ؟

ـ كنت أفكر بذلك.. التاسعة صباحا نلتقي أمام العمارة .. ألا تريد زيارة المركز الأمني للاطلاع على بعض التقارير والتحقيقات ؟.

ـ سأفعل الليلة .. سوف أمر على مكتبك يا سيدي الرائد.

ـ أنا في انتظارك حتى الثامنة ليلا.

ـ أشكرك يا أخي .. قد أعود إلى هنا لأتحدث مع الخادم وأقدم العزاء للوالد.

ـ افعل ما تراه مناسبا .. نلتقي ليلا.

وصافحه ودخل سيارته ، وانطلق بها نحو مركز عمله ، وأما جرير فجلس في سيارته قليلا ثم قال لنفسه : لماذا لا أذهب معهم إلى المدفن لعلي أسمع شيئا ؟

بعد قليل تحركت السيارات في موكب جنائزي حزين حيث تتم إجراءات الدفن، لم يكن في رفقة الجنازة سيارات كثيرة .. موظفو المؤسسة وعلى رأسهم السكرتير فرج حسيب ، والدكتور خضر، والمحامي وليد ، وبعض الأقارب ، وبعض أصدقاء الدكتور ، وبعض أنسبائهم ، وأما الوالد أسعد فلم يسير معهم ولا الخادم صدقي ، وكان مع الجنازة رجل أجنبي أدهش وجوده جرير فسأل عنه فقيل له " هذا الدكتور الفرنسي شارل برس " ، وعلم من بعض موظفي المركز أنه الدكتور الذي كان ينتظره على العشاء ، وعلم منه أنه كان قد وصل البلاد في الصباح صباح الاثنين من باريس ، وهم كانوا ينتظرون طائرته في الليل ، وهذا أدهش جريرا بالطبع ، فلذلك لما التقى بعوني وحدثه عن ظهور شارل برس على المسرح ، وأنه كان في العاصمة من الصباح ، والجماعة ينتظرون مجيئه في المساء ، تفاجأ عوني من ذلك فدهش وقال متعجبا : لابد من مقابلته .. لماذا لم يتصل بالدكتور جميل يخبره بوصوله ؟! .. أم لم يعلم بوصول جميل ؟

ـ لا تنسى أن الدكتور كان موعده ليلا .. قد لا يعلم فعلا بوصول جميل للبلد صباحا أيضا.

ـ كان لابد أن يتصل بالمكتب في المركز أو ببيت الدكتور .. تصرفات غريبة .. الدكتور أرسل سكرتيره للمطار يسأل عنه في طائرة فرنسا السابعة ليلا ..نحتاج لمزيد من التحريات لجلاء غموض هذا الرجل ...فعمران والضيوف كانوا ينتظرون مجيء الرجل من المطار بصحبة فرج للعشاء سوية على مائدة الدكتور جميل.

ـ ما رأيك بالذهاب إلى الفندق الذي ينزل فيه شارل برس ونسمع منه قبل أن يغادر البلد ؟

فقال عوني وهو يفكر في الأمر : ولكنه من الرعايا الفرنسيس قد يحتاج الأمر إلى مخاطبة السفارة الفرنسية.

ـ ليس هناك تحقيق رسمي ، إنما هي دردشة عادية ، فلا تحتاج لمحضر ولا لسفارة.

ـ ألا تريد الاطلاع على محاضر التحقيق ؟

ـ تؤجل .. لا عليك .. المعلومات التي سمعتها منك تؤدي الغرض .. هيا.

وغادرا المركز الأمني إلى حيث ينزل الدكتور شارل في الفندق الكبير، وبعد اتصالات يسيرة كانوا يجلسون في صالة من صالات الفندق مع الدكتور العجوز شارل برس ، وبعد تعارف مناسب بينهم كان الحديث يجري بينهم باللغة البريطانية التي يحسنها الرجلان ، وكذلك العالم الفرنسي فقال عوني : أنا يا سيدي الدكتور الضابط المكلف في البحث عن مرتكب جريمة قتل صاحبك وصديقك الدكتور جميل أسعد .. ولقد علمنا أنكم ليلة أمس كنتم على موعد.

فرد شارل ببطء : نحن نعرف بعضنا البعض ولسنا أصدقاء .. تعرفت عليه منذ سنوات.. قد التقينا في بعض المؤتمرات وصار بيننا تعارف ومجاملات .. وقبل أيام التقيت به في باريس في مؤتمر علمي .. وأخبرته برغبتي بزيارة بلده ، فرحب بي وواعدني اللقاء مساء يوم الاثنين العاشر من إبريل ، وكنت فعلا قد حجزت على الطائرة الفرنسية مساء الأحد ، ولكن الشركة اعتذرت لي مساء الأحد أخبروني بإمكاني السفر صباح الاثنين أو مسائه ، فاخترت المساء ، وأخبرت الدكتور جميل بذلك فقال: سيكون أحد أفراد المركز في استقبالك وإحضارك للعشاء معي في

البيت ، ولكن بعد حين عادت الشركة التي حجزت لي وألغت حجز المساء ، وأبلغونني أنه يمكنني السفر برحلة الظهر ، فوافقت وأنا قادم إلى هنا بدعوة علمية من جامعة العلوم الجيولوجية ، وقد حجزت لي الجامعة في هذا الفندق.

فقال جرير : يا سيادة الدكتور .. أنت تعلم أن الدكتور جميلا عائد من روما صباح الاثنين.

ـ لا أعلم .. أيها الضابط .. أنا أعلم أن الدكتور سيرسل سكرتيره فرجا في المساء لينتظر قدومي في السابعة مساء ؛ لذلك اتصلت في السادسة والربع في مكتب جميل فقيل لي إنه غادر منذ ساعات للبيت وإن المؤسسة قد أغلقت وانصرف العاملون .. فاتصلت بمنزل الدكتور فلم يرد عليّ أحد..

فقال عوني مفكرا : لطفا .. متى كان الاتصال ؟

ـ بعد السادسة والربع عندما تكلمت مع مركز العمل ولم أجده .. حاولت الاتصال برقم آخر أعطانيه الدكتور.

ـ هل يمكننا الاطلاع على هذه الأرقام ؟

ـ إنها في الغرفة.

فقال جرير : إذا كان رقمه الخاص ـ الهاتف المستقل ـ فهذا يدل على أن مقتله كان بعد السادسة والربع وقبل السادسة والنصف .. هل لديك شيء يمكن أن يساعدنا في تحرياتنا يا سعادة الدكتور ؟

ـ ليس عندي شيء أقوله.

قال جرير : كم ستمكث هنا يا سيدي ؟

ـ أسبوع من أمس.

ـ أتسمح لنا إذا احتجنا شيئا أن نتصل بك ؟

ـ في المساء بعد العاشرة ليلا.

ـ شكرا سيد شارل برس.

وصافحوا الدكتور شارل مودعين وهم في حيرة جديدة ، وفي أثناء الطريق قال جرير : رائد عوني.. نحن بحاجة لمعلومات كثيرة وغزيرة عن حياة الدكتور جميل ، ولادته حياته علاقاته الخارجية نحتاج لملف سيرة ذاتية .. غدا ـ إن شاء الله ـ نلتقي في مكاتب مؤسسة الدكتور جميل العلمية.



الفصل الخامس

صباح يوم الأربعاء التقى المحققان أمام مركز الأبحاث العلمية والصناعية وبعد التحية صعدا إلى الطابق الثاني حيث مكاتب المركز ، ولما علم الدكتور فرج بحضورهم هرع إليهم مسرعا ومرحبا، وقادهم إلى مكتبه وبعدما شربوا القهوة استأذنوا السكرتير بالدخول لمكتب الدكتور جميل والحديث مع الموظفين ، فأخذهم أبو سالم إلى مكتب الدكتور ، وهناك أخذا يتطلعان على أثاث المكتب ورفوف الملفات، وفتحوا جوارير المكتب يتطلعون فيها ، وقال جرير لأبي سالم : يا أبا سالم كيف حالك ؟

فرد بعجلة وقلق : بخير يا سيدي؟

ـ مالك خائف ؟

فقال باضطراب ونافيا الخوف : أأنا خائف؟! .. لست خائفا يا سيدي .. ولكني حزين لمقتل الدكتور .. لقد كان رجلا لطيفا معي، بل مع كل العاملين معه.

فتدخل عوني قائلا : أخ أبو سالم هل تعرف أعداء للدكتور ؟؟

فرد : لا ، يا سيدي .. الدكتور رجل حسن الأخلاق.. لا أظن أن له أعداء في الدنيا.

جرير : كيف كانت علاقة الدكتور جميل الطيب مع الموظفين ومعك .. ومع السكرتير فرج .. مع الآنسة ريما..

فقال أبو سالم : قلت لكم أيها السادة ..إنه لطيف المعشر حلو اللسان.

فقال : هل تعرف الدكتور خالد الضبرة ؟

سكت الفراش قليلا وقال : نعم ، أعرفه لقد تردد كثيرا على هذا المكتب.

أخرج الرائد عوني المسدس الذي ارتكبت به الجريمة ، ووضعه أمام الفراش أبي سالم على المكتب وقال : أبا سالم .. هذا المسدس هل رأيته قبل الآن ؟

فرد الرجل بتردد واضح : نعم، إنه مسدس الدكتور جميل .. كان يضعه في الدرج الأول من المكتب الذي تجلس عليه.

قال عوني بدهشة : ماذا؟!

ـ أجل، يا سيدي .. واقترب من درج المكتب وفتحه ، وقال مؤكدا كلامه عن المسدس : كان يضعه ـ وأشار للدرج المفتوح ـ هنا يا سيدي .. ولما حدثنا عنه الأستاذ فرج وجدنا أن المسدس قد اختفى من درج المكتب.

فقال جرير : أخبركم فرج بذلك .. ولماذا يخبركم ؟

ـ سألنا هل رأى أحد منكم رجلا أو امرأه قد أخذ المسدس من الجرار .. يبدو أن الدكتور قتل بمسدسه الذي كان يحتفظ به في المكتب ؟ بالطبع لم يشاهد أحد منا من أخذ المسدس؟

فقال عوني : بحثتم عن المسدس المختفي ؟

ـ بحثنا في المكتب ثم ترجح لدينا أنه هو المسدس الذي كان مع المجرم.

فقال جرير : من يدخل مكتب الدكتور غيرك يا أبا سالم ؟

ـ زوار الدكتور .. ومن يطلبه من الموظفين العاملين هنا.

ـ يوم الاثنين عندما قدم الدكتور من سفره ..هل شاهدت السلاح وأنت تنظف المكتب ؟

ـ لا أذكر يا سيدي .. لأنني لم أفتح الجرار .. ومفاتيح الجرار مع الدكتور .. ومن النادر أن يتركه الدكتور مفتوحا .. ومفاتيحه موجودة هنا على ذلك الرف لا يأخذها الدكتور للبيت ؛ لأننا قد نحتاج شيئا منه أثناء غيابه من سفر وغيره.

فقال عوني : لا بأس .. شكرا لك يا أبا سالم الطيب .. خذنا إلى مكتب السكرتيرة ريما حسان.

فسار بهم إلى مكتب السكرتيرة ريما حسان التي كانت في انتظارهم على وجل وقلق ، فرحبت بهم وقالت باضطراب باد في صوتها وحركاتها : أرغب بمساعدتكم أيها السادة..

أخذا بالتطلع إلى المكتب الأنيق، وقلب جرير الأوراق والملفات الملقاة على المكتب ، وكان عوني يقف عند خزانة الملفات وسمع رفيقه يقول : ألا يوجد عندك أي معلومة تفيدنا في البحث عن الجاني يا آنسة ؟؟

فقالت وهي ما زالت تنظر إليهم بتوتر ملحوظ : صدقوني .. لا أعرف شيئا .. إلا أن الدكتور

جميلا قد تشاجر مع والده قبل سفره الأخير بأيام ..وهدده بالقتل أمامنا في المركز .. ولا أدري هل يمكن لوالد مريض أن يقتل ابنه ؟!

صمت المحققان ردحا من الوقت ثم قال جرير : هذه معلومة جديدة .. ولكن من دفعك للتصريح بها ؟

فقالت بسرعة : لا أحد .. ولكن من متابعتي للصحف وقع في خلدي ذلك .. قلت فلربما فقد الرجل الكبير المريض أعصابه وفعلها.

التفت عوني لأبي سالم وقال : هل سمعت بهذا الشجار؟

قال أبو سالم وهو ينظر للسكرتيرة بغضب خفيف : الحق يا سيدي .. أن هذا حدث ؛ ولكن لا أعتقد أنه يصل للقتل ..كان الأستاذ الفاضل أبو جميل غاضبا من ولده ذاك اليوم .. ويبدو أنهما تشاجرا داخل المكتب لأمر بينهم ، وخرج الأب مغضبا وتبعه ابنه وارتفع صياحهما على بعض وقبل أن ينصرف الأب سمعه العمال يقول : "آخرتك أن تموت على يدي يا لعين " وركب المصعد ونزل ، وعاد جميل لمكتبه بعد أن طلب مني قهوة ، وأغلق باب المكتب على نفسه بقوة.

فقال عوني : هذا كلام خطير! .. لم يحدثنا به فرج .. الفضل للآنسة ريما .. ألم تعرفا أسباب هذا الشجار ولو كلمة؟

ردت الآنسة وقد بدت مزهوة بتعاونها مع الشرطة : أنا لا .. إنما سمعت التهديد ، ولما سمعت بالجريمة أحببت أن أقول ذلك ليرتاح ضميري.

فقال عوني : أحسنت أيتها الآنسة ! .. فأرجو غدا أن تحضري لمركز أمن حي الشجرة لأخذ أقوالك بمحضر رسمي .. وأنت يا أبا سالم لو تشرفت معها .. لا تخافا كلنا نخدم العدالة .. خذنا إلى السائقين.

وتحدث الضابطان مع السائق عماد أحمد سائق الدكتور الخاص ، ولم يخرجا منه بأي معلومة سوى أنه أكد قصة الشجار بين الأب وابنه قبل السفر الأخير للدكتور جميل إلى أوروبا ، وتكلموا مع السائق الآخر الذي ينقل الموظفين من منازلهم إلى المركز ، والتقوا بموظفي

المحاسبة والكمبيوتر والصيانة ، ثم رجعوا مرة أخرى لمكتب الدكتور فرج ، فطلب لهم شايا وقال لهم : أرجو أن تكونوا قد استفدتم من لقاء الأخوة الزملاء.

فقال جرير : بالتأكيد استفدنا .. كلهم متوترون يرددون نفس العبارات عن محاسن الدكتور جميل.

فقال عوني : دكتور فرج .. هل سمعت بالشجار الذي حصل في المركز بين الوالد أسعد عازلي وولده جميل عازلي ؟

فقال وهو يتظاهر بالبراءة مما جرى في المركز : كنت أود من العاملين المحترمين الصمت عن هذا الشجار .. فهل يعقل أن يقتل الوالد الطيب ولده ؟! إنما هو تهديد في ساعة غضب وضيق لذلك ما رأيناه يهجر منزل ابنه غضبا ؟

ـ سيدي الفاضل .. ألا تعلم ما سبب الشجار بينهما ؟

ـ للأسف لا أدري .. ولا يمكن سؤال الدكتور عن ذلك .. ولم يتحدث الدكتور لي ولا أتصور لغيري عن سبب ذلك .. لعل السيد صدقي عمران يفيدكم بشيء من ذلك.

فقال جرير : عزيزي الدكتور.. لماذا أخبرت الموظفين عن سرقة مسدس الدكتور؟! وأنه هو المسدس الذي ارتكبت به الجريمة ؛ ربما يكون مسدس الحادث شبيها به.

حدق السكرتير فرج في عيني جرير قليلا ثم قال : حقيقة أنا لديّ الرغبة بمساعدتكم للانتهاء من هذه القضية سريعا .. فأنا لما رأيت المسدس على مكتب الدكتور يوم الجريمة .. وأكد لي الرائد عوني أنه هو فعلا أداة القتل .. ونحن نعرف أن الدكتور يضع هذا المسدس في جرار المكتب.. فلما تأكد أبو سالم من عدم وجوده في المكتب ..حاولت أن أعرف لعل أحدهم شاهد من أخذه .. فهذا يسهل عليكم عملية البحث .. ولكن للأسف مرة أخرى ادعى الزملاء أنهم لم يروا أحدا يختلسه من المكتب .. وللعلم أعتقد أن كل الموظفين يعلمون أن الدكتور يخفي مسدسه المرخص بالتأكيد في درج المكتب .. وقد يكون الدكتور هو الذي أخذه للبيت .. لولا حالة الدكتور النفسية الطيبة لقلت إن في الأمر انتحارا!

فقالا بتعجب : انتحار!!

- ربما!

قال عوني : تقرير الطب الشرعي يقول غير ذلك.

وقال جرير : ولو انتحر لكتب رسالة .. ولسمعتم صوت الرصاص أقصد الذين كانوا في الحديقة أو فوق كصدقي .. على كل هذا الاحتمال وارد ، وإن كان حدوثه بعيدا.

فقال عوني وقد انتهيا من شرب الشاي وقاما : شكرا لك دكتور فرج وللموظفين، طلبنا من بعضهم المرور علينا في القسم لأخذ أقوالهم بشكل رسمي حول المشاجرة فأرسلهم لنا غدا صباحا .. السلام عليكم.

وانصرف الضابطان إلى دائرة الأمن في حي الشجرة ، وفي مكتب عوني جلس جرير يرشف الشاي، ويقرأ محاضر التحقيق وأقوال الشهود الأربعة، وبعد نصف ساعة قال له عوني :علينا أن نسمع أقوال الدكتور خالد الضبرة .. وأقوال الوالد .. ونعرف منه أسباب تهديد لولده .. فإخواننا في المركز سمعوا التهديد ، ولم يسمعوا بداية المشاجرة .. والآن بعدما قرأت أقوال الأخوة الشهود ما عندك من تعليق ؟

فقال جرير وهو يفكر بعمق : القاتل معروف جدا للدكتور مائة بالمائة.

- كيف ذلك؟!

- أولا هو يعرف أن جميلا يضع مسدسا في درج مكتبه ، وأبو سالم لا يذكر أو لا يتذكر آخر مرة شاهد فيه المسدس ..وقد نستطيع معرفة ذلك ببضع أسئلة له وضغط أن يتذكر ، وثانيا القاتل دخل مكتب جميل واقترب منه ووضع فوهة المسدس قرب صدره وأطلق النار بحيث لم تحدث الطلقات صوتا عاليا أو كان يضع كاتما للصوت ثم أخذه معه ..فالطبيب يثبت وجود حرق في فتحة الدخول والشعر القريب من الفتحة .. ووجود سواد عند فتحات الرصاص ، ويوجد نمش بارودي حول الجرح ..فهذه علامات تدل على قرب الإطلاق ..لا يزيد عن عشر سنتيمترات.

فقال عوني :قد يكون شخص اختبأ بالمكتب أثناء جلوسهم في الحديقة ، ولما أحضر المدعو صدقي القهوة ، وخرج ظهر وارتكب جريمته.

ـ ممكن ؛ ولكنه شخص يعرف البيت والمكتب ، ويملك مفاتيح المكتب على الأقل ، ويعرف مسدس جميل .. ولكن الغريب كيف يعرف مسدسه؟ وكيف حصل عليه ؟ .. ولو كان شخصا غريبا عن جميل لأطلق النار عن بعد ولم يلتصق به .. الصدفة في جريمة كهذه الجريمة لا مكان لها يا عوني.

ـ ربما طلب منه التوقيع على ورقة أو شيك ، فرفض فهدده بالمسدس ورفض جميل ثانية فأرداه قتيلا.

ـ لكن تقاريركم لا تشير إلى وجود عراك بين الجاني والمجني عليه ، بل الغدر تم بسرعة وعجلة.. والقاتل يعرف المكان جيدا ، فانسل بخفة الغزال .. وهو يملك مفاتيح للمكتب فأغلقه بعد جريمته.

فقال عوني وهو يتذكر مشهد الجثة : الحق أن وجه الضحية كانت تعابيره توحي بالمفاجأة والاستغراب رغم بعض الدماء الملطخ بها الوجه .. ولكن لو كان أسعد الفاعل كيف حصل على مسدس جميل بالذات ؟ وكيف لم يره صدقي أو الخادمة ؟ ولو كان صدقي الخادم هو الفاعل فكيف أتى بالمسدس من المركز ؟ .. ولو كان القتل في لحظة انفعال حاد لسمع صوت الرصاص في الفيلا .. فالقاتل لابد أنه استعمل كاتم الصوت فهي يا صاحبي جريمة مدبرة ومرسومة بإحكام قبل عودة الدكتور من سفره .. وتحركاته الأخيرة من طلب الحماية من شركتكم تدل على أن هناك خطرا معروفا له ؛ ولكنه لم يكن يظنه بهذه السرعة .. ولا أعتقد أن المربي القديم الأستاذ أسعد يدبر ويخطط لقتل ولده رغم الكلمات التي قالها يوم الوفاة عندما بلغه الخبر قال "يا ليته لم يمت هذه الميتة " .. تمنى لو أنه لم يمت قتلا .. إنه يعرف شيئا.

فقال جرير : ملاحظتك جيدة ، والدكتور شرب القهوة بعد السادسة مساء ، وعرفنا أنه تحدث أو تحدث معه قبل دخول صدقي بها ..وعند دخوله انتهت المكالمة ، ثم رن الهاتف ، فصرف

الخادم وتحدث مع شخص ما.

ـ الراجح أن يكون السيد نهري.

ـ قد تكون الأولى مع نهري ، وقد تكون الثانية .. والدكتور شارل ذكر لنا أنه اتصل قبل السادسة والنصف ، ولم يرد عليه جميل ، كان يسمع رنين الجرس ، فإذن كان صاحبنا مقتولا.

فقال عوني : قد تكون اتصالات أخرى جرت لم يرقبها الخادم .. وأنا طلبت من رجالنا تقرير حول المكالمات من الساعة الخامسة والنصف حتى الثامنة والنصف.

قال جرير : موضوع المكالمات قد لا يفيدنا كثيرا إلا في تحديد وقت الجريمة بالضبط ، وهو محصور كما تعلم بين السادسة والسادسة والنصف ..وهذا يؤكده تقرير الطب الشرعي فالأشخاص الأربعة في هذه الفترة كانوا في الحديقة فإذا اتصل شارل على الخط الخاص قبل السادسة فلم يرد عليه الدكتور جميل لأنه في الحديقة.. وإذا بعد السادسة وربع فيكون الرجل ميتا .. سنزور الفيلا مرة أخرى ونتحدث مع الخادم مرة أخرى ومع السيد أسعد عازلي.

ـ السيارة التي أشار لها فرج عندما خرج من الفيلا متجها للمطار.. السيارة التي تقل شخصا أجنبيا أترى أن لها علاقة في الجريمة ؟ .. وجميل كل علاقاته مع الأجانب .. وخوف جميل كما أرى من ملاحظات الأستاذ نهري تشير أن خوفه من الأجانب .. فهو يريد حارسا شخصيا عربيا ليطمئن من ناحيته.. فهذا يوحي بشيء .

ـ أنت ترى أن الخطر من الخارج .. ولماذا ؟ فالخارج هم الذين يدعمون ويمولون المركز.. فأعداء الدكتور من الداخل .. فهو وسيط بين العلماء هنا ومراكز البحث هناك ..وهذه السيارة الأجنبية كيف نصل لسائقها ؟ وليس لديك رقم لها .. وأنا مصر أن القاتل يعرف جميلا معرفة كبيرة .. ويعرف منزله معرفة جيدة علينا بالمزيد من التحريات الشخصية عن ضيوف الدكتور.

قال عوني والحيرة في معنى ألفاظه : أكيد .. والدكتور شارل الذي غير موعد رحلته من المساء إلى الظهر ، ولم يتحدث مع جميل بذلك .. لو ترك خبرا مع حارس المركز .. لماذا تأخر في الاتصال ؟ بل هل حقا اتصل في منزل الدكتور ؟ ولم يرد عليه أحد.

قال جرير : اتصلت بالجامعة التي استدعت الدكتور شارل ، وتأكدت من دعوتهم له وحجزهم له ولغيره من ضيوف الجامعة في ذلك الفندق الكبير .. سأنصرف الآن وأراك غدا أيها الزميل أمام منزل جميل الساعة الحادية عشرة صباحا ..يلزم أن نسمع كلام السيد أسعد وعلى رجالك جمع المزيد من المعلومات عن صدقي ومعرفة ظروفه المالية وأحواله هذه الأيام ، وعن علاقاته مع هذا وذاك ..وكذلك مطلوب منا أن نعرف الدافع الحقيقي للآنسة ريها لمصارحتنا بمشاجرة أسعد وجميل مع أنها بدت لنا خائفة ، ولا تريد أن تقول شيئا ، ثم قالت أمرا خطيرا ومثيرا.

فعقب عوني على طلبات صاحبه :إنك رجل شرطة ماهر يا جرير فيسرني حقيقة التعاون معك ومع ذكائك..

ـ بوركت يا صديقي ، المهم عندما نصل للمجرم يحق لنا أن نثني على بعضنا البعض .. فأقوال السيد أسعد أخشى أن تقلب الجريمة رأسا على عقب .. ونبدأ من جديد.

ـ فعلا.. لماذا يهدد الوالد ابنه بالقتل علنا وهو يعيش في كنفه ورعايته ؟ .. بل له طبيب خاص على حساب ولده .. وكان الطبيب يوم الحادث قد زار المريض لتوعك صحته أثناء جلوس القوم في الحديقة.

ـ يبدو أن علاقة الرجل بولده باردة جدا .. فالطبيب يدخل ويعالج الأب والابن غير مكترث ولا يسأل عن ذلك.

قال عوني : هذا ما لاحظته يا سيدي.. من كلام الموظفين ، ومن كلام صدقي وحتى من ضيوف الدكتور .. بل قال ليلة مقتله عندما صعدت الدكتورة فريدة لتخبره بالواقع وتقوم باللازم إذا لزم فقال لها :" إنه بخير وتمنى لابنه أن لم يمت تلك الميتة .. هكذا قال للدكتورة كأنه يتوقع مقتل ولده"

ـ كلامه غريب ! وتصرفه غريب ! إننا بشوق لسماع أقواله.

ـ ولكن صحته قد لا تساعدنا.

ـ ولكن لابد من الحديث معه.

كان الرائد عوني نائما في بيته ليلة الخميس ، وبعد نصف الليل بثلاث ساعات جاءه هاتف من الضابط المناوب في مركز أمن شرطة حي الشجرة ، فنهض سريعا وارتدى ثيابه ، وأسرع إلى قصر الدكتور جميل ، فوجد أمام البيت عددا من سيارات البوليس ، وتقدم منه أحد الضباط وقال : نأسف لإزعاجك يا سيدي .. نعرف أنك عدت للبيت متأخرا ، ولم تأخذ حظك من النوم ..

فقطع عوني استرسال الضابط في الاعتذار فقال : لا بأس يا سيدي .. فهذا واجبنا ما الأمر؟!

ـ الأمر يا سيدي .. أن الخادم صدقي عمران اتصل بنا قبل ساعة في الثالثة إلا ربع ، وأخبرنا أن شخصا مجهولا كان في مكتب الدكتور جميل .. قال : كان والد الدكتور متعبا هذه الليلة ، أيقظت الخادمة سعدى حوالي الساعة الثانية فجرا صدقي عمران ليتصل بالطبيب .. فتردد الخادم في الاتصال بالطبيب ، وجلسوا في غرفة المريض يحاولان مساعدته وتصبيره حتى الصباح .. وأعطوه بعض الأدوية والمهدئات ، ولكن الألم لم يخف ، فترك الخادم الغرفة وذهب ليتصل بالطبيب واتصل فعلا .. وبينما هو يقف على نافذة مطلة على مدخل الفيلا ينتظر مجيء الطبيب شاهد شخصا يخرج من باب الفيلا متسللا .. فدهش وشاهده يركب سيارة تقف بعيدا عن باب الفيلا بضعة من الأمتار .. فاتصل بنا على الفور.

فقال : إنه خادم ذكي!

فرد الضابط : بالتأكيد يا سيدي .. فاتصلنا بك وسبقناك إلى هناك .. ووجدنا الطبيب قد حضر لمداواة الرجل المريض .. ولقد وجدنا المكتب مفتوحا ..فكأن اللص لما استيقظ أهل البيت على وجع السيد أسعد أحس وشعر بهم وبحركاتهم .. وخصوصا لما استعمل صدقي الهاتف هرب مسرعا ، ولم يغلق الباب خلفه ، ولكن لما عاينا المكتب ، فقد عجبنا ، فالمكتب لم يتحرك شيء من مكانه .. وخطوات الرجل موجودة في المكتب وإن كانت واهية .. فعن ماذا كان يفتش الرجل ؟ .. فهذا ما لم نكتشفه بعد يا سيدي.

فقال عوني بعدما سمع التفاصيل : دعونا ندخل.. نحن سحبنا الحراسة، فقد غلب على ظننّا

أن الأمر انتهى .. فعل المجرم جريمته واختفى .. وهذا شيء جيد يحرك الجريمة !.. ولكن عن ماذا كان يبحث هذا اللص ؟ .. لابد أن شيئا مهما يبحثون عنه دفعهم للمجازفة بهذه السرعة.

أعاد الضابط إضاءة أنوار المكتب كلها ، وأخذ يتتبع الخطوات التي أشار لها الضابط المعاين كان اللص يتحرك في الغرفة إلى أكثر من اتجاه .. ثم أعاد التفتيش في رفوف الخزائن ، ويقلب في الملفات والكتب المرصوصة في بعض الرفوف بحذر.. وأعاد التحديق في المكتب ، وقام بفتح أدراجه ، وبعد نظر دقيق هنا وهناك لم يشعر بأن شخصا دخل المكان وقال لنفسه : ومن يؤكد كلام الخادم أنه رأى شخصا ما يخرج من الفيلا ؟!.. أليس مع الخادم مفتاح ؟ ولكن ما غاية هذا الخادم من اختلاق هذه القصة وهذا الكذب ؟؟ .. هل سعدى الخادمة لمحت شيئا فيريد هذا الخادم إخفاءه ؟؟ وإذا كان صادقا فماذا يريد القاتل أو اللص ؟ ..هذه الجريمة تزداد غموضا لابد من سماع أقوال هذا الوالد بأسرع وقت .. يا الله ساعة من الزمن نتمكن من أخذ أقواله ؛ لعلها تنير لنا الطريق إلى المجرم اللعين

هذا ما كان يفكر ويحدث عوني به نفسه ، وهو يتحرك يمينا وشمالا ، ثم اقترب من الخادم صدقي الذي يقف منكمشا على نفسه قرب الباب ، ووضع يده على كتفه بلطف وقال له : سيد صدقي هل رأت الخادمة اللص مثلك ؟

ـ لأ يا سيدي .. لقد كانت في غرفة السيد أسعد .. وأنا قمت بالاتصال بالطبيب ووقفت بجوار النافذة أراقب المدخل حتى أهبط وأفتح للدكتور عندما يصل .. وبينما أنظر للبوابة لمحت ظلا يسير نحو باب الفيلا مسرعا .. وفتح الباب وخرج وأنا أنظر إليه وكلي دهشة وحيرة ، ثم سمعت السيارة تتحرك وتبتعد.. ولما زال ذهولي اتصلت بكم .. وهرعت نازلا فوجدت المكتب مفتوحا فتركته وباب الفيلا الكبير مفتوحا.

ـ أتستطيع وصفه ؟

رد صدقي : أنا رأيته وهو يدير ظهره لي ، وشعرت به عندما اقترب من باب الفيلا الخارجي .. والإضاءة ليست قوية عند المدخل .. ولكن بدأ لي أنه رجل مثلنا ليس بالطويل ولا النحيف ..

وكان يضع على رأسه قبعة ؛ وكأنه يلبس بدلة هذا ما ارتسم له في مخيلتي يا سيدي.

ـ صدقي هل تعلم أن هذا تطور مهم على مصرع الدكتور ؟

ـ والله يا سيدي نحن في حيرة !.. نرغب أكثر منكم بمعرفة الجاني .. لماذا قتل الدكتور لماذا ؟

ـ نريد أن نسمع أقوال السيد أسعد.. نريد وقتا قصيرا نتحدث معه نسمع أقواله ورأيه في هذه الحادثة .. لقد علمنا أنه قد تشاجر مع القتيل قبل سفره الأخير بأيام وهدده بالموت ؟!

فتريث صدقي قبل الإجابة ، ثم أجاب على استفهام الرائد قائلا : هذا يا سيدي الرائد ليس جديدا .. صراحة فعلاقة الرجلين متوترة وكثيرا ما سمعت السيد أسعد يشتم ولده ويهدده بالتدمير والموت .. ولكن هذا كلام في كلام.. فالرجل ضعيف ؛ بل ضعيف جدا.

ـ ألا تعرف أسباب هذا التوتر بينهما ؟؟

قال صدقي مستفسرا : لا أدري يا سيدي ! هل يحق لي الحديث عن ذلك ؟؟

ـ هذا يكون بسبب وقوع هذه الجريمة .. ولولا الحادثة ما طلبنا منك الإجابة .. وتأكد أن ما نسمعه ونكتبه يبقى سرا ، لا يطلع عليه أحد إلا اضطرارا لمجريات التحقيق ورجال القضاء إذا كان له أثر في القضية.

فعاد صدقي يقول : هو ليس سرا خطيرا لهذا الحد .. منذ تقاعد الوالد أسعد من سلك التعليم والمعارف قبل أكثر من عشر سنوات والأمور طبيعية وهادئة .. فكلٌ له حياته الخاصة .. فالوالد كان يسكن مع زوجته أم الدكتور في منزله القديم ..وكان جميل يتردد عليهما بين الفينة والأخرى ليطمئن على أحوالهما .. ولما ماتت الزوجة أم جميل منذ ست سنوات ، واشتداد الأسقام على الوالد أسكنه جميل في الفيلا لنقوم أنا وسعدى على رعايته ، والاهتمام به فوق واجباتنا الأخرى نحو شخص الدكتور جميل ، ومع أنهما يعيشان تحت سقف بيت واحد.. فكانت علاقتهما كما كانا بعيدين.. قد يكون ذلك بحكم العادة والإلف.. وقبل سنتين على الأقل أخذ جميل والده أسعد في إحدى رحلاته إلى أوروبا.. منها استجمام وراحة ، ومنها علاج .. فالوالد يعاني من متاعب في القلب والضغط في الدم .. وقبل سنة ونصف تقريبا عاد السيد أسعد من رحلة إلى

أوروبا غاضبا جدا على ولده .. وبدا يتحدث عنه باحتقار.. ويكثر من لعنه .. ويتمنى موته .. ويدعو عليه بالهلاك ؛ ولكنه لم يحدثنا عن سبب هذا الانقلاب الجديد والعنيف على ابنه .. ولم يعودا يلتقيان أو يتحدثان معا إلا صدفة أو اضطرارا .. وكلما لقيه يقول بنبرة حادة : يا جميل .. هل انتهيت من هؤلاء الكفار؟ .. من هؤلاء الملاعين ؟

فيرد جميل بحدة : يا والدي .. أرجوك الزم حجرتك ، ولا تتدخل فيما لا يعنيك.

فيهدده الوالد بالموت والقتل وغير ذلك من ألفاظ الوعيد .. لماذا يفعل ذلك لا أحد يعرف ؟!

هذا ما أعلمه فقط.



الفصل السادس

لما ظهرت الشمس اتصل عوني برفيقه جرير في منزله باكرا ، ولم تمض نصف ساعة حتى كان التحري الخصوصي يستمع للرائد عوني في مكتب الدكتور جميل المنزلي عن الحادث الذي جرى قبل ساعات، وأحضر لهم الخادم قهوة الفجر، وكانت سيارات الشرطة قد انصرفت بعد استلام الرائد عوني الموضوع ، وقد أمر بإعادة الحراسة للفيلا والمكتب حتى ينتهي التحقيق في هذه الجريمة ، ولما انتهيا من شرب القهوة ، وظلا وحدهما في المكتب الفاره الجميل قال جرير :

هل ترى أن هناك رابطا بين الحدثين ؟

ـ هل المجرم لم يتمكن من أخذ ما قتل من أجله الرجل يوم الجريمة؟

ـ أو أخذ شيئا ولم يكن هو المطلوب.

ـ لقد فتحت كل الملفات .. فلم أجد فيها شيئا مثيرا .. جداول إحصائيات .. فواتير حسابات بيانات جامعية .. أسماء مراكز علمية في الداخل والخارج وغير ذلك من الأوراق التي ربما تكشف غموض هذه الجريمة .. أسماء .. أرقام..

قال جرير : لقد وجدتم باب الفيلا والمكتب مفتوحين من غير عنف ؟

ـ تأكدت من ذلك ، فالبابان مفتوحان بمفاتيح أصلية أو مقلدة.

ـ كما اتفقنا وقررنا سابقا .. المجرم يعرف البيت من الداخل والخارج .. وها هو يثبت لنا أنه يملك مفاتيح الفيلا والمكتب.. ما هو الشيء الذي جعله يسرع بالعمل؟ .. فهو يعلم أن الحراسة رفعت عن الفيلا ، فهو يبحث عن شيء مهم من أجل ذلك خاطر بنفسه بهذه السرعة وهذا يدل على أنه لم يتمكن من أخذ ما يريد يوم ارتكابه الجريمة ، وهذا الشيء يستحق المخاطرة.

فقطع عوني حديث صاحبه: هذا إذا كانت قصة الرجل حقيقية ولم تكن مصطنعة

ـ أتشك في صدقي يا سيد عوني ؟

ـ ماذا يستفيد الخادم من مقتل مخدومه ؟.. وهل كان جميل يبحث عن حراسة خوفا من هذا الخادم ؟.. أشعر بأن الأمر أكبر من ذلك ؟ جريمة جريئة من قلب قوي.. ولكن لهجة الرجل

لا توحي بالكذب ..ولما سألت الخادمة قبل قليل أكدت أنها أيقظته ليتصل بالطبيب ، وبعد اتصاله فعلا بالطبيب أخذ يراقب الشارع ، وأثناء ذلك انصرف اللص واتصل بنا ، وكان قد صرخ : يا أم ماهر رجل يخرج من الفيلا ، ثم هبط مسرعا للمكتب فوجده مفتوحا ، وباب الفيلا مفتوحا ، ثم استقبل الطبيب وساقه لغرفة المريض.

فقال جرير مؤكدا خلاصة كلام عوني : علينا أن نفترض الصدق في كلامه حتى يثبت العكس ودع رجالك يسرعون في تحرياتهم عن أهله وأسرته وماضيه .. ومن المهم أن نعرف ماذا أراد اللص من هذه المغامرة السريعة ؟ .. أسئلة مهمة .. هل نسي الرجل يوم الجريمة شيئا فعاد لأخذه أم يبحث عن شيء معين ؟ ..رائد عوني علينا بطلب خبراء لتفكيك المكتب والمقاعد قطعة قطعة قد يكون فيها جيوب سرية .. أو لعلنا نجد خزانة سرية في جدران هذا المكتب .. أين صدقي لنسأله ؟

فنادى عوني الشرطي الذي يقف أمام باب المكتب وقال له : استدعي لنا صدقيا من فوق ؟

فقال الشرطي الحارس : إنه يجلس في القاعة هنا يا سيدي .

ـ فليدخل يا أحمد.

نادى الشرطي على صدقي الخادم الذي أتى مسرعا ، فأدخله على الرائد عوني بصارة وهو يهتف : نعم يا سيدي ؟!

نظر جرير في عيني الرجل وقال : يا صدقي .. أنت رجل طيب ومتعاون جدا مع العدالة ويهمك أن تعرف القاتل الرهيب..

ـ بالتأكيد يا سيدي .. كلي شغف لمعرفة هذا السفاح .. وأخذ يكيل الشتم والسب للمجرم ، وتركه الضابطان على سجيته حتى قال جرير : سيد صدقي.. هل في هذا المكتب خزائن سرية معدنية أو من نفس البناء ؟

فرد الخادم : يوجد خزانة سرية في غرفة نوم الدكتور أو قل مكتبه الصغير الثاني.

ـ هنا .. هنا في هذا المكتب ؟

ـ لا أدري ، لم أره يستعمل خزانة سرية هنا.

ـ الرجل المجهول الذي لمحته يخرج من باب الفيلا الخارجي ، هل كان بين يديه شيء أثناء هربه ؟

قال بعد تفكير قصير :الحق يا سيدي لم أنتبه ؛ لأنني فوجئت به يخرج من باب الفيلا بسرعة.

ـ الخزانة السرية الموجودة فوق من ركبها أو من أي شركة اشتراها يا صدقي ؟

قال صدقي : لا أدري يا سيدي .. فلما تعاقدت على الخدمة مع السيد جميل كانت موجودة.

فقال عوني : لابد أن اسم الشركة الصانعة أو الموردة مكتوب على نفس الخزانة.

فقال جرير : صدقت يا صاحبي .. هل مفاتيحها موجودة ؟

فقال صدقي : لابد أن مفاتيحها ضمن سلسلة المفاتيح التي يحملها الدكتور ، وقد علمت أنكم تحرزتم عليهن ..لأن الدكتور يضع تلك المفاتيح في جيب الجاكيت باستمرار.

فقال عوني : سنرسل وراءها.

واقترب من الهاتف واتصل مع دائرة البحث الجنائي ، وطلب المفاتيح وطلب منهم إرسال خبراء تفكيكك مكاتب وفتح خزائن معدنية وسرية وبحث عن خزائن سرية .

ولما انتهى من اتصالاته التفت إلى صدقي قائلا : شكرا لك يا أخ صدقي .. أخي جرير هيا نذهب لمطعم قريب نتناول بعض الطعام.

فضحك جرير وقال : لابد أنك جائع فأنت هنا منذ ساعات الفجر الأولى.

فقال صدقي : أيها السادة يمكنني أن أقدم لكم وجبة الإفطار.

عوني رد قائلا : نشكرك يا سيد صدقي .. سنتناول طعامنا في مطعم قريب من هنا .. يكفي ما نشربه من قهوتك وشايك ، ولما نعود سنشرب شايا من بين يديك.

وكان الرائد قد أصبح خارج المكتب فقال للشرطي الحارس : احترس جيدا.. نحن ذاهبون للأكل قريبا من هنا ..وهل تحب نوعا معينا من الساندويتشات يا أحمد ؟

ـ ما شئت يا سيدي.

ـ سأحضر لك ولزميلك طعاما خفيفا .. انتبها جيدا .. وقد يحضر رجال من البحث الجنائي ، فلا تدخلا أحدا هذا المكتب حتى نعود فلينتظروا في القاعة .. صدقي أغلق الباب .. باب المكتب جيدا حتى نعود.

بعدما أكلا في أحد مطاعم حي الشجرة شارع (حسن باشا) عادا أدراجهما إلى الفيلا ، فدفعا الساندويتشات للحارسين، ووجدا في انتظارهما عددا من رجال المباحث ذوي الاختصاصات المختلفة ، وقد جاء صدقي لما علم بعودة الرجلين ، وقام بفتح غرفة المكتب المغلقة ، وقد تناول الرائد عوني من أحد الأفراد مغلفا مغلقا ففتحه ، وأخرج منه سلسلة المفاتيح التي وجدت في جيب جاكيت الدكتور جميل، ودخلوا المكتب وأعطى صدقيا المفاتيح وهو يقول : أي مفتاح الخزانة فيهن ؟

أخذها الخادم ، وأخذ يقلب في المفاتيح مرة ومرتين ثم نظر للرائد قائلا : لا يوجد فيها مفتاح الخزنة ؟!

فقال جرير: أتعرفه ؟

ـ أجل يا سيدي .. لقد كان يسمح لي في بعض الأحيان بفتح الخزنة ..لأخذ بعض المال النقدي منها أو يطلب ورقة أو دفترا معينا.. فأنا أعرف المفتاح مائة بالمائة.

فقال جرير : ولماذا كل هذه المفاتيح ؟

فرد صدقي : بعضها لجوارير هذا المكتب ، وبعضها الآخر لخزائن المركز .. أما مفتاح الخزنة التي في غرفة نومه فهو غير موجود.

فقال عوني : هذا ما توقعته أيها السادة .. من أجل ذلك طلبت خبير فتح الخزائن؛ لأن القاتل أخذ مفتاح الخزنة أو الخزائن ..هذه خطوة سوف تقودنا للمجرم.

التفت عوني لخبير فتح الخزائن وقال : هل أتيت بعدتك يا سامي ؟

فرد سامي : نعم ، يا سيدي.

فقال الرائد : صدقي خذ ساميا لغرفة نوم الدكتور وأره الخزنة .. وعندما تفتح أرسلوا وراءنا

ولما خرجا قال الرائد : وأنت يا غازي! ويا عماد ! المطلوب منكم فك هذا المكتب قطعة قطعة لنرى هل يوجد فيه جيوب سرية .. وأنت يا حسن ورجالك ابحثوا في هذا المكان عن خزانة سرية في الجدران في السقف تحت السجاد والموكيت .. ونحن يا جرير علينا أن نصعد لفوق نتابع ساميا في فتح الخزنة ؛ ولعلنا نتمكن من الحديث مع السيد أسعد.

لحقا بالخبير الشرطي في فتح الخزائن والحقائب والأبواب ، ولم يجد السيد سامي صعوبة في فتح خزانة المكتب الصغير ؛ لأنها خزانة معدنية سميكة ، ولكنها منتشرة في الشركات والمكاتب ، ولم تكن أقفالها بالمعقدة ، فما كاد الضابطان يدخلان حتى وجدا الخزنة مفتوحة الأقفال الرقمية واللسانية .. كان بداخلها عملات مختلفة عملات نقدية محلية .. ماركات ألمانية .. فرنكات فرنسية .. دولارات أمريكية ..وهي مبالغ على مجموعها لا تتجاوز العشرة آلاف دينار .. أوراق مكتوب عليه باللغة الإنجليزية ، وبعضها بالفرنسي ، ووجدوا كتابا شبيها بالقاموس الصغير .. ووثائق ملكية أراضي وعقارات في مناطق متفرقة من العاصمة والقطر .. أقلام حبر سائل وجاف ثمينة ومطلية بالذهب ، وبينها قلمان مزينان ببعض الجواهر حب لؤلؤ صغير .. ولاعات جميلة .. عقود بيع وشراء أراضي ، ولما فرغت الخزنة ، قال عوني : لا يوجد شيء يساعد في كشف شيء من الغموض المحيط بنا .. عقود بيع وشراء أراضي وملكيات عقارية .. وهذا القاموس .. أقلام.

فقال جرير : تحفظ عليها فلربما نحتاجها بعد قليل ..

فقال عوني : سيد صدقي هل يمكننا الحديث مع السيد أسعد ؟

ـ لست أدري ، فهو ما زال متعبا .. بل عرضت عليه أن ننقله إلى المستشفى ؛ ولكنه يرفض ويصر على الرفض.

فقال جرير : دعنا نلقي عليه التحية.

فقال الخادم : تفضلوا.

فأمر الرائد الشرطي ساميا بإغلاق الخزنة ، والتحريز على كل الموجودات فيها ، وانتظاره تحت

عند الزملاء ، وكان صدقي قد أخبر سعدى برغبة الضابطين بالدخول على السيد أسعد فقالت له : إنه شبه نائم.

فقال جرير : دعينا نسلم عليه.

ودخل الرجلان يتقدمهما الخادمان حجرة السيد أسعد ، وكان الخادم قد وضع لهما مقعدين ، فجلسا يراقبان الرجل الضعيف الذي لم يشعر بتحيتهما .. فقال عوني : ألا ترغبان بنقله للمستشفى ؟

ردت سعدى : نصحه الطبيب ؛ ولكنه يريد أن يموت في البيت ، إنه يكره المستشفيات جدا جدا.

فقال جرير : رزقه الله العافية ندعو له بالسلامة .. هيا بنا سيدي الرائد نرى قومنا ماذا فعلوا ؟ إنه رجل يحتضر..

ولما عادوا لمكتب السيد جميل كانت في انتظارهم مفاجأة متوقعة ؛ ولكن قبل أن يسمعوا المفاجأة رن جرس الهاتف فرفع صدقي السماعة وقال : آلو.. نعم .. الرائد عوني ..آ .. تفضل

وأخذ الرائد عوني السماعة من يد صدقي وقال : آ .. نعم .. ملازم دشمان .. عندك ريما حسان وأبو سالم .. جيد خذ أقوالهم حول المشاجرة التي جرت في المركز بين السيد أسعد والسيد جميل .. فالآنسة ريما سمعت والد الدكتور يهدده بالقتل .. وكذلك أبو سالم مع السلامة.

ووضع السماعة وهتف قائلا : لقد وجدتم خزنة سرية .. إنها مفاجأة كبيرة..

كانت خزانة مختفية في الجدار بدقة وهي تشبه الخزانة في الطابق الأعلى ، بل أكد سامي أنها من نفس المصنع ونفس شركة التجارة ، وكانت الخزنة في زاوية الحجرة بالقرب من الشباك الكبير في الجدار المطل على الحديقة ، ومخفاة بأوراق مصورة كبيرة ملصقة على الجدران تشكل غابة كبيرة من الأشجار وصور الحيوان لا يكتشفها إلا خبير ودقيق النظر .. انشغل سامي بفتحها وكان النجارون قد فكوا المكتب قطعة قطعة ، وتحسسوا في تجاويفه فلم يجدوا فيه شيئا خفيا ، فأمرهم عوني بإعادة تجميعه ، ولما فتحت الخزانة الخفية بشكل متقن تقدم عوني ليرى محتوياتها

فوجد فيها أجهزة لاسلكي صغيرة ودقيقة ، وكاميرات تصويرية دقيقة مما يستعمل في دوائر الأمن السري والاستخبارات ، وخرائط جغرافية أجنبية ، وبعض الجواهر الثمينة ، وجوازات سفر غير مستعملة لدول مختلفة ، وأختام تخص دول تلك الجوازات ، ولما انتهى عوني من جردها التفت لجرير وقال : ما هذا يا أخ جرير ؟

فقال الرجل باستغراب : هذه أشياء تصيب المرء بالحيرة ؟

فقال عوني بصوت خفيض : هذه أشياء تحتاج لضابط استخبارات يا أخ جرير؟

فقال جرير همسا : هل هذه جريمة جاسوسية ؟

- إنها تبدو هكذا يا صاحبي .. فهذه أجهزة متطورة في عالم الاتصالات اللاسلكية .. وهي أمريكية الصنع .. أغلق الخزانة يا سامي.

وكان الشباب قد انتهوا من تركيب المكتب ، وأتى صدقي بالشاي بناء على طلب عوني ، فتناول الحاضرون أكواب الشاي بصمت ، ثم صرفهم الرائد جميعهم ، وطلب من سامي الانتظار في صالة الفيلا ، وأغلق باب المكتب من الداخل وقال جرير : ماذا سنفعل الآن ؟ .. وماذا سرق اللص ؟ .. أم خرج هاربا قبل أن يصل للخزانة ؟ .. فإذا لم يحصل على مبتغاه سوف يعيد الكرة .. فهو مجرم خطير ولابد أنه يعمل ضمن عصابة أو منظمة سرية .. إذا كانت الجريمة جريمة تجسس ما دور جميل فيها ؟ ولماذا قتل ؟!

قال عوني بعد تأمل وصمت : لا تنسى الصراع الخفي بين الأب والابن .. هو صراع غامض وجديد .. هل عرف الأب أسعد أشياء خطيرة عن ولده ؟ .. لقد ذكر لنا صدقي أنه كان يخاطب ابنه قائلا " هل أنهيت علاقتك مع هؤلاء الكفار وهؤلاء الأجانب ؟.. لابد أنه رأى شيئا مزعجا.

فأجابه جرير : ماذا رأى ؟! والدكتور كما نعلم دائم التعامل مع الأجانب، بل المركز العلمي يتلقى مساعدات مالية من جامعات ألمانية وأوربية .. ولكن هل يعرف المجرم موقع الخزانة ؟ وهل كان يبحث عن هذه الأجهزة ؟

فقال عوني متأملا : سرقوا المفتاح يوم مصرعه من جيبه ، وحاولوا سرقة الخزانة ، ولكن اشتداد مرض السيد أسعد ويقظة صدقي واستعماله الهاتف أزعج المجرم .. فهرب قبل أن يفتح الخزانة .. ولكن ساميا يقول إن الخزانة قد فتحت قريبا.

ـ حاول فتحها أو فتحها فلما سمع صوت الهاتف أثناء الدق على الأرقام شعر بالخطر فأغلقها وتسلل هاربا.

ـ أو أنه أخذ شيئا آخر يهمه .. أوراق .. فنحن لم نجد أي ورقة أو وثيقة .. سأكتب تقريرا لمدير الأمن ليخاطب الاستخبارات سريعا ، ثم نرى ما يجري بعد ذلك.

جرير : لا بأس بذلك .. ولكن علينا أن نذهب للمركز ونرى الخزانات المعدنية هناك قد نجد فيها شيئا.

فقال عوني : نحتاج لإذن النيابة العامة ، ونحتاج لمحقق من الدائرة الأمنية السرية .. فلنذهب للدائرة الآن.

أمر بإغلاق المكتب ، وأمر سامي بالانتظار ، وانصرف إلى دائرته ثم قابل مدير الأمن وشرح له التطورات الأخيرة ، ولما سمعها مدير الأمن اتصل على الفور برئيس دائرة الاستخبارات العامة وبعد حديث قصير وضع الهاتف والتفت للرائد عوني قائلا : عد لمركز عملك فسيأتيك رائد أمن دولة.. عبدالله أحمد أبو العبد ومساعده النقيب يوسف صابر يوسف.

فشكر الرائد مدير الأمن ، وقفل عائدا لدائرة أمن حي الشجرة ، وقال مدير الأمن لرئيس الدائرة العقيد حمدي حسان : عقيد حمدي .. أخبروني بالتطورات أولا بأول.

ولما استراح الرائد عوني بعض الوقت حضر الرائد عبد الله أحمد أبو العبد ومساعده النقيب يوسف صابر ، ولما التقيا بزميلهما عوني ومساعده دشمان والمقدم المتقاعد جرير وبعد تعارف سريع قال الرائد عبد الله : مدير الأمن سمح للزميل المتقاعد المشاركة في حل غموض هذه القضية لحساب شركة التأمين.

ـ نعم ، هو مكلف بالمساعدة من قبل شركة الحماية التي يديرها اللواء نهري ، والمديرية وافقت

على التعاون الكامل بيننا..

ـ أريد أن أسمع شرحا مفصلا منك يا سيدي .. ثم الاطلاع على ملفات الجريمة والأشياء التي صادرتموها من فيلا جميل.

فشرح عوني قصة الجريمة بإسهاب للزميلين ، وكان شرطي قد أحضر ما تم التحريز عليه في فيلا جميل ، وبعدما انتهى الرائد عوني من ذكر ملابسات الجريمة أخذ الرائد عبد الله مندوب دائرة المخابرات يتفقد ويتحسس أجهزة اللاسلكي والكاميرات الصغيرة ، ثم عقب : إنها فعلا أدوات تجسس .. وهي أجهزة حديثة ، ولكن لماذا وجدت في بيت جميل عازلي ؟!

فقال عوني : لما اكتشفنا الخزانة السرية وجدنا فيها هذه الأشياء كلها؟

فقال عبد الله : ذكرت لي أن أحدهم قد قام بفتح الخزانة أو محاولة فتح الخزانة .. ولما شعر بالحركة في الطابق الأعلى غادرها سريعا .. والخادم صدقي لم يتمكن من رؤية أي شيء يحمله بين يديه.

ـ نعم ، لم يتمكن من رؤية شيء ..لأنه انتبه لحركته عندما وصل الرجل الباب الخارجي للقصر

ـ هناك احتمال يا سيدي الرائد أن يكون الشخص قد وضع هذه الأشياء في الخزنة لأمر ما..

بهت الرائد عوني لهذا الاحتمال الجديد ؛ ولكنّ جريرا قال مقاطعا : لقد خطر في ذهني هذا الاحتمال ، ولكن اختفاء مفاتيح الخزانة بعد مقتل جميل يدل على أنهم يبحثون عن شيء ما.

فقال عبد الله : نحن نريد أن نعتبر الدكتور نظيفا حتى يثبت غير ذلك.. فيمكن أخذ المفاتيح لوضع هذه الأشياء لإثارة الشبهات حول الدكتور ، ثم تشويش مجرى القضية .. ولكن يظهر أن هؤلاء المجرمين يملكون مفاتيح للفيلا والمكتب .. فأرى يا رائد عوني أن تسحب الشرطة العلنية ونضع رقابة خفية .. وكذلك نضع رقابة خفية حول المركز ، ما دامت القضية قد أصبحت من اختصاص دائرة مكافحة التجسس .. وكذلك نراقب شخصيات المركز ؛ لأنه هو قلب العمل .. وأنتم تابعوا البحث الجنائي كالمعتاد .. وأنا ويوسف سنتابع حياة جميل الشخصية .. وعليكم سماع السيد أسعد بأسرع وقت ممكن.. وسآخذ ملف القضية لأقرأه أو

قد انسخه على الآلة .. وخذ يا سيدي هذه البطاقة لتتصل بي مباشرة .. وسأطلعك من جهتي على أي تطور.

فقال عوني : أمرك يا سيدي .. ولكن الزميل جرير يقترح عليّ زيارة المركز العلمي وتفتيشه وخصوصا الخزائن السميكة الحافظة .. فما رأيك ؟

ـ لا بأس .. وإن هذا قد يلفت الانتباه إلى تحول مجرى القضية .. ولكن ستبقى الشكوك تحيرهم .. خذ أمر النائب العام ؛ لأن المركز تابع لجامعة أجنبية .. وما جميل إلا مديره ووكيل لهم.

وغادرهم الرائد عبد الله ومساعده ، وقد حملوا معهم الأجهزة والأقلام والأوراق والخريطة الأجنبية والقاموس الصغير ، ولما ابتعدا قال الرائد عوني : كلما نقول اقترب الحل ازدادت القضية تعقيدا .. هل يمكن أن يكون جميل جاسوسا ؟! .. وجاسوسا لأي جهة ؟! .. ولماذا قتلوه إذا كان جاسوسا ؟ ومن قتله ؟!

فنهض جرير قائلا : هيا بنا نسرع بأخذ تصريح النيابة بمداهمة المركز .. فالوقت يمضي ونحن نتخبط لا ندري من أين نبدأ ؟.. لقد نسينا لقاء الدكتور خالد الضبرة والدكاترة الذين كانوا في بيت جميل أثناء الحادث وقتل صاحبهم وهم نائمون.

فقام عوني أيضا وهو يرد على صاحبه : غريب أمر هذه القضية! .. مع أنها تبدو سهلة ولكنها تتصعب .. مالك ملازم دشمان صامت ؟

ضحك الملازم الشرطي دشمان وقال : إذا أنتم الخبراء في التحقيقات البوليسية في حيرة فكيف أنا الضابط الصغير ؟! .. قضية محيرة .. فنحن لم نحدد بعد دافع وسبب هذه الجريمة .. فالدافع في الجرائم سبب أساسي لكشف غموضها .. فالورثة في جريمتنا خارج القطر ، والأب مريض لم نستطع أخذ أي كلام منه .. موظفون لا يعرفون شيئا عن رئيسهم .. ألهذه الدرجة حضرة الدكتور غامض ؟! .. مع أنه ملء أبصار الناس .. ندوات في التلفزيون ، مقابلات في الإذاعة والصحافة ، محاضرات في الجامعات والفنادق ، مؤتمرات علمية، سهرات في النوادي والملاهي

فقال جرير : حتى الدكتور المحامي لا يعرف عنه شيئا ، بل سكرتيره علاقة عمل وبس .. لا

يوجد بينهم علاقات اجتماعية ..الدكتور مع أنه تجاوز الخمسين لم يتزوج .. عجيب .. ما رأيك يا رائد عوني بالحديث مرة أخرى مع الدكتور شارل برس .. نسأله عن حياة جميل الخاصة .. عن حياته في باريس الفرنسية ؟.

قال عوني : ونحن منصرفون من المركز العلمي نمر عليه ليلا ، قد نجد لديه جديدا.

وبعد ساعة من عمر الأيام كان بين أيديهم تصريح لتفتيش المركز العلمي في شارع البحيرة الخامسة ، وكالعادة كان في استقبالهم السكرتير فرج المدير المؤقت للمركز ، فرحب بهم ، ولما اطلع على التصريح أرشدهم للخزائن المعدنية الصلبة الخاصة بالمركز ، بل قام بفتحها لهم خزانة خزانة فهو يملك حق فتحها ، وقاموا بتفتيشها ، ولم تكن تحوي إلا أبحاثا دقيقة ووثائق علمية تخص المركز وأموال نقدية وأقراص للحواسيب اطلعوا على بعضها بواسطة أجهزة الكمبيوتر .. وكان الضابطان قد أخفيا أنهما اكتشفا خزانة سرية في منزل الدكتور جميل ، فحتى صدقي عمران لم يعرف بالأشياء التي أخذوها من الخزانة السرية.

الفصل السابع

كان رائد الاستخبارات والأمن السري للدولة عبد الله أحمد ومساعده النقيب يوسف صابر وعدد آخر من الضباط والخبراء يجلسون حول مائدة بيضوية كبيرة ، وقد وضعت أمامهم الجوازات الأجنبية والأختام والخريطة والقاموس وأجهزة الاتصال الدقيقة الثلاثة وكاميرات التصوير الخمسة والجواهر وأقلام الحبر الثمينة ، وكان الرائد قد قرأ ملف القضية الجنائية لمهلك الدكتور الأكاديمي جميل عازلي مساء يوم الاثنين العاشر من إبريل سنة ١٩٩٥ ، ولخصه أمام الجميع ، ولما انتهى قال : ما ترون يا حضرات الضباط ؟

فقال أحدهم : دكتور معروف في الوسط العلمي والوسط الاجتماعي المرفه .. هل يعقل أن يتاجر بالجوازات والتزوير؟!

فرد عليه زميل آخر : يا صاحبي هذه الجوازات قد تلزم للجواسيس للتنكر والهرب .. فهذه أدوات تجسس من غير خصام أو نظر .. كاميرات خطيرة لتصوير الوثائق والأماكن .. وهذه الخريطة تستعمل في الشيفرة ، وكذلك القاموس .. أرى أن نبحث عن حياة الدكتور الخاصة الدقيقة.

فقال عبد الله أحمد : أحضرنا ملف سيرة ذاتية وعمل الدكتور في الجامعة .. لا شيء عليه .. سلوكه حسن ، دراسته كلها في الخارج .. شخصية نظيفة.. اهتمام كبير بالمؤتمرات العلمية .. رحلات كثيرة .. وإجازاته كلها في أوروبا وأمريكا .. ثم ترك الجامعة بهدوء .. يعشق السهرات والحفلات الصاخبة في الفنادق .. أعزب .. علاقات مثيرة مع طالباته في الجامعة .. ولكن لم يسجل عليه أي قضية أخلاقية طيلة فترة التدريس والعمل بالجامعة .. هذا ملخص ما جاء في تقرير إدارة الجامعة وتقرير موظف الأمن في الجامعة عن الدكتور المقتول جميل أسعد عازلي .. فلماذا قتل هذا الرجل الأكاديمي ؟! ولماذا دخلوا مكتبه بعد موته ؟! ولماذا يملك هذه الأدوات والأجهزة المريبة ؟؟ فمهمتنا الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة وغيرها.

فقال النقيب يوسف : عندي اقتراح يا سيدي .. علينا أن نختار عددا من أصدقائه القدامى في

الجامعة .. أصدقاؤه بعد ترك الجامعة .. طلابه القدامى ..ونجمع منهم أكبر قدر من المعلومات والخفايا .. وكذلك نعرف أماكن اللهو والسهر التي كان يتردد عليها ؛ فلعلنا نصل إلى شيء يضعنا في المسار الصحيح لفك هذه الألغاز.

وفجأة قال أحد الضباط : يا رائد عبد الله .. فمن عادة رجال العلم الكبار كتابة مذكرات يوميات ..ألم تجدوا في أوراقه شيء من هذا القبيل ؟

نظر الرائد عبد الله لزميله بدهشة وقال : إي والله ! أين دفتر المذكرات الخاص به ؟ .. سأسأل زميلنا الشرطي الرائد عوني بصارة المكلف بتحقيق هذه الجريمة .. المجرم القاتل ذكي ودبر الجريمة بحيث لم يترك وراءه شيئا ؛ ولكن غلطته الأخيرة بزيارة البيت ليلا هي التي طورت القضية .. عندما اكتشف رجال الشرطة ضياع مفتاح الخزانة المعدنية القوية من سلسلة مفاتيح الدكتور ، وتم نتيجة لذلك الكشف عن خزانة سرية مخفية في الجدار والديكور بمهارة .. نبحث عن أجندة مذكرات الدكتور وعن ماضيه وخفايا حياته بأسرع وقت.. فكل منكم يتصل بشخص صديقا للدكتور قديما أو حديثا .. وأرجو أن تجري تحرياتنا بذكاء وسرية كاملة وحذر .. ويقوم رجالنا بالتعاون مع رجال عوني بمراقبة المركز العلمي ومنزل الدكتور سرا .. وأرجو خلال ثمان وأربعين ساعة أن يكون لدينا معلومات كافية ومهمة عن جميل عازلي .. وتفرق الضباط إلى مكاتبهم الخاصة للقيام بمهمة التحري اللازمة لمعرفة المزيد من المعلومات الشخصية عن الدكتور جميل .. وسار عبد الله ومساعده يوسف إلى مركز أمن حي الشجرة للقاء الرائد عوني .. ودار بينهما نقاش وحوار حول الجريمة وحول الأشخاص الذين كانوا على مسرح الجريمة ، وآخر أخبار الرقابة السرية على البيت والمركز، وبعد ساعة انصرف الرائد عبد الله ومساعده ، وقد طلب من عوني البحث عن مذكرات أو يوميات جميل..

اتصل الرائد عوني بعد انصراف ضيوفه على الفور بالخادم صدقي وسأله عن مذكرات الدكتور جميل، فأكد صدقي ذلك وقال : كان الدكتور يهتم بكتابة مذكراته. ووعد الضابط بالبحث عنها ولكن الضابط قال : إني قادم إليك لنبحث سوية.

وخرج مسرعا نحو فيلا الدكتور جميل ، وصعد للطابق الثاني للبحث في المكتبة الخاصة للدكتور المقتول عن مذكرات جميل ، ولقد وجد بعض الدفاتر والمذكرات القديمة للدكتور جميل ، وأما أحداث السنوات الأخيرة من عمره فلم يجد منها شيئا ، ووجد المذكرات القديمة تتحدث عن لقاءات ومواعيد مع شخصيات مختلفة وتواريخ مقالات كتبها للصحف والمجلات والإذاعات لم يكن فيها سيرة ذاتية وأحداث عصفت به ، وقلب المكتبة والمكتب عن مذكرات أخرى ، فلم يظفر بشيء ، ولما تسلم الرائد الأمني عبد الله أحمد أوراق الدكتور جميل، وجلس هو ومساعده يوسف ينظرون فيها، ويدرسونها فلم يجدوا فيها ما يدل على أعمال سرية وخاصة بالدكتور.. إنها خواطر صحفية أو تعليقات على مقالات صحفية ، وتضبط مواعيد خاصة بشخصيات مختلفة من المجتمع المحلي والقطري وقال عبد الله في آخر الجلسة : يجب أن نعرف لماذا كانت هذه الأجهزة الخطيرة بحوزة الدكتور؟ .. ولا أعتقد أن أحدا يتهادى مثل هذه الأجهزة .. وهذه الكاميرات الصغيرة هي كاميرات تصوير خاصة.. كاميرات تجسس وتصوير وثائق وتصغيرها إلى حد كبير .. وهذه الخريطة حدثني الخبير بالخرائط في مركز فك الشيفرة السرية ربما تستعمل في كتابة نوع من الشيفرة .. فهي تحتوي على رموز وإشارات تختلف عن الرموز المتعارف عليها في الخرائط الجغرافية العادية المنتشرة بين يدي الناس .

وبعد تفكير عميق بين الرجلين عاد الرائد يقول : يا يوسف .. المركز علينا بمراقبته أكثر .. فإن تكن لنا قضية تجسس لابد أن يكون المركز له علاقة بها .. فهؤلاء الأجانب يستغلون هذه المراكز العلمية للتجسس على قدرات الدول الصديقة والعدوة .. قد يكون هذا المركز الغطاء لشبكة تجسس عالمية .. أريد مراقبة رجال المركز بسرية دقيقة وحساسة ..هواتف رسائل أشخاص .. وتقارير شخصية عن كل العاملين من الفراش للمدير ..لا تكفي المعلومات عن الدكتور فقط .. ورفع الهاتف واتصل بالرائد عوني قائلا : سلام عليك .. القضية خطيرة يمكن أن تكون قضية تجسس .. وإن لم يتأكد لنا ذلك .. وقد يكون مصرع هذا الرجل بسبب صراع تجسسي .. ألم يتكلم حضرة الوالد المحترم ؟

ـ لا، بل نقلوه صباح اليوم للمستشفى .. فوضع القلب صعب ، وأخشى موته قبل أن نسمع أقواله.

ـ يفعل الله ما يشاء .. اسحبوا رجالكم من حول المركز العلمي .. سيتولى رجالنا المهمة كاملة وسؤال أخير؟

ـ تفضل.

ـ هذا الخادم .. عمران .. هل يتذكر أن أحدا من الناس طلب منه مفتاح المكتب قبل مقتل الدكتور؟ .. وهل كان مسموح لأحد بدخول المكتب بغياب الدكتور ؟ .. وهل استمعتم لأقوال الضبرة ؟!

ـ أتى إلينا ، وأدلى بأقواله ، وأنكر أي قتل للدكتور ؛ بل ادعى أن قتل جميل خسارة له ولبحثه وبينه وبين الدكتور قضية في المحكمة.

ـ اتصل بي بعدما تسمع رد صدقي عمران.

ترك الرائد عبد الله السماعة وقال لزميله يوسف : القاتل .. لابد أنه يملك مفتاح المكتب ، فهو قد قتل الدكتور ، ثم أغلق الباب وخرج بهدوء ، والتحريات تؤكد أنه يعرف الدكتور والمنزل مثل صاحبه ، وكان يعلم أن عند المجني عليه زوارا ويجلسون في الحديقة فاستغل الفرصة واغتال الرجل.

فقال يوسف : قد يكون القاتل مأجورا ؟

ـ لو كان مأجورا لا يقتل في أول الليل .. فغالب هؤلاء السفاحين يقتلون بعد منتصف الليل وإذا فعلها بالنهار فيكون ذلك في اجتماع حاشد من الناس ليتمكن من الاختفاء بين الناس .

اتصل عوني مساء الجمعة بعد التاسعة بالرائد عبد الله ، وأخبره أن الزميل جريرا تبين له أن الدكتور المحامي وليدا لم يكن دقيقا وصادقا في تسجيل شهادته وأنه قد ترك "الدكتور خضر" وزوجته في الحديقة ، ودخل الفيلا يتحدث بالتلفون، وأخبره أنه اتصل بالدكتورة وتأكد من ذلك ، وأقرت أن الفترة التي قضاها الرجل وحده داخل الفيلا قصيرة ، ثم قاما بترك الحديقة

على أثره لشعورهما بالبرد والتقيا على مدخل الفيلا الأمامي ، وكان طبيعيا ، ولا يبدو عليه أثر انفعال وتوتر ، وأن وقت اتصاله كان قبل السابعة بعشر دقائق ، وثبت لدى دوائر الشرطة أن الجريمة وقعت بين السادسة والثلث والسادسة والنصف ، وتقول إنها دهشت لإخفاء المحامي اتصاله ودخوله للفيلا عن المحققين ، ولما سألناه عن ذلك قال إنه غفل عن ذلك الاتصال ، وليس له مصلحة في مقتل الدكتور ، ولم يكتب له الدكتور شيئا في الوصية ، هذا كله ذكره عوني للرائد عبد الله ، ولما سأله عن سؤاليه الأخيرين رد عوني قائلا : نحن نقوم بالتحري اللازم حول المدعو وليد مع أن شهادة الدكتورة تؤكد أنه لم يكن معه وقت لارتكاب جريمة.

فعاد عبد الله يقول : تحروا عنهم جيدا ، فلربما يكون الثلاثة مشتركين في الجريمة ولكن لماذا ؟ هذا ما ستكشفه الأيام القريبة .. هل قابلت أسعد ؟ ومن يسمح له بدخول المكتب في البيت ؟

قال عوني : ذهبت للمستشفى لمقابلته ، وكان أسعد في غرفة العمليات، فيبدو أنه في الساعات الأخيرة كما فهمت من بعض الأطباء ، ولما سألت صدقيا أكد لي أنه لا يمكن لأحد دخول مكتب الدكتور أثناء غيابه ، هكذا التعليمات من جميل .. أما أثناء وجوده فكثيرا ما يستقبل ضيوفه في داخله ، ويمكنه أن يخرج منه ويتركهم فيه لأمر ما ، ولا يترك ضيفا فيه لوقت طويل بالكاد ثلاث أو خمس دقائق .. والدكتور معه مفتاح ، وصدقي مفتاح ليقوم على تنظيفه وإزالة الغبار ومسح المكتب والخزائن والمقاعد وأحيانا تنظيف السجاد بالآلة الكهربائية "المكنسة" ولكنه ذكر شيئا خطيرا أن "الدكتور فرج" صباح الاثنين يوم عودة جميل من السفر ويوم مقتله فيما بعد حضر السكرتير مبكرا حوالي السابعة والنصف ، وطلب منه فتح المكتب لإخراج ملف اتصل جميل من أجله من روما ، ويحب الاطلاع عليه أثناء استقبالهم له في المطار لأن من العادة المتبعة كلما عاد من سفر أن يتلقاه فرج السكرتير وسائقه الخاص في المطار ليسمع منه عن نشاط المركز ، وفي ذلك اليوم كان معهم المحامي ، واستقبلوه وذهب لمركز عمله ، المهم أن فرجا أتى لأخذ ملف بناء على طلب الدكتور كما قال لصدقي ؛ ولأن صدقيا يعرف السكرتير جيدا فتح له الباب بمفتاحه فدخل ، وقد طلب منه فنجان قهوة ، وأخذ يبحث في الملفات عن الملف

المطلوب ، ولما عاد بالقهوة وجد ملفا أمام السكرتير وشرب فنجان القهوة ، وخرج متجها للمركز العلمي وبيده الملف.

ـ صدقي هذا أكيد ترك المفتاح في الباب عندما ذهب يجلب القهوة ؟

ـ سألته عن ذلك فقال : نعم .. فهل تشك يا سيدي بالسكرتير؟

ـ المعلومات التي بين أيدينا تشير أن المصلحة في مصرع الدكتور جميل تعود فائدتها على الدكتور فرج بقيادة المركز .. ولكن الأجانب الذين يمولون المركز هل يرضون إدارته؟ .. ودخول التجسس على القضية يزيد من تعقيد القضية .. وعلى كل تابع تحرياتك أنت والزميل جرير .. وقد علمنا من سكرتيرة فرج ريما حسان أن فرجا هو الذي لفت نظرها إلى والد الدكتور؛ بأنه قد يكون القاتل ، فأحب أن يصل الخبر إليكم عن طريقها ، فحثها على ذكر ذلك لكم كما حدث

ـ لكنها لم تصرح بذلك في التحقيق معها ؟

ـ لا بأس ، فرجالنا في الميدان الآن .. عليك أن تتحرى عمن سرق المسدس من مكتب الدكتور في المركز .. ونريد معرفة سبب اقتناء الدكتور للمسدسات في مكان عمله وبيته .. ونريد المزيد من التحريات عن سبب رغبته بطلب حراسة وحماية لشخصه بعد كل هذه السنوات في إدارة المركز .. وسألتقي بك مساء يوم السبت للتداول والحديث .. ولابد أن يتوفر لدينا المزيد من المعلومات عن شخص جميل شكرا.

وترك السماعة بعد هذه المكالمة الطويلة وقال لنفسه : أخشى أن تكون هذه المكالمة مراقبة من أجهزة الخصوم والأعداء! .. ولكننا نجري دائما الفحوصات اللازمة حول مراقبة خطوط دائرتنا.

ونزل الرائد حيث مطعم الضباط أو نادي الضباط ليتناول طعاما ، ويسهر مع زملاء المهنة ، وبينما هو يتسامر مع زملائه حضر مساعده النقيب يوسف وأسر في أذنه خبرا صغيرا فقال : شكرا لك.

واستأذن من الزملاء ، وذهب إلى حيث الهاتف ، واتصل بالبيت فردت عليه زوجته قائلة: إن

ابنته الوحيدة مريم مريضة ، وإن الطبيب ينصح بنقلها للمستشفى

وبعدما شرحت له الموقف وضع السماعة لحظات ، ثم اتصل برئيسه واستأذن بالعودة لبيته، ولما وصل للبيت كانت سيارة إسعاف المستشفى تقل ابنته وزوجته، فانطلق خلفها حيث المستشفى الخاص بالضباط من مختلف الرتب ، وأدخلوا الفتاة قسم الطوارئ ، فابنة الرائد عبد الله لديها مشاكل صحية في الجهاز التنفسي تسبب لها ضيقا في النفس حتى يصبح أحيانا وجهها أزرق من الألم.



الفصل الثامن

بعد الواحدة ليلا وبينما الرائد عبد الله أحمد أبو العبد يجلس هو وبعض أفراد أسرته في انتظار خروج ابنته الوحيدة من غرفة العمليات ، رن جرس الهاتف المحمول الخاص به ، ففتح الجهاز واستمع ، كان الاتصال من دائرته ، فلما أغلقه التفت لزوجته وأخيها وقال : مهمة أيها الأحباب!

فالتزم الجميع الصمت ، فهم يعرفون طبيعة عمل أبي مريم ، فانسحب بهدوء وركب سيارته منطلقا بها نحو شارع البحيرة الخامسة ، وإلى عمارة كبيرة تسمى عمارة " زكي الملاح " ، فلما وصلها وجد عددا من سيارات الأمن والشرطة والنجدة تقف أمام البناية الكبيرة ، فتحدث مع أحد رجال الشرطة فقال: إنهم في الطابق الثامن.

فركب المصعد الكهربائي إلى الطابق الثامن ، ولما خرج من باب المصعد ، وجد أيضا أعدادا من رجال الأمن منتشرين ، فتحدث مع أحدهم فسأل عن مكان الحادث ، فأشار إلى أحد المداخل ، فاتجه إليه ولما وصله ، وجد لوحة صغيرة على يمين الباب مكتوب عليها "جمعية أصدقاء العلم الأوروبية " ، ففتح الباب ودخل فوجد عددا من كبار الضباط داخل شقة الجمعية ، فألقى عليهم السلام ، ووجد مساعده يوسف صابر بينهم ، وكذلك الرائد عوني بصاره ، والملازم دشمان فاقترب من مساعده وقال هامسا : حدثني بالتفصيل.

فقال بصوت هامس : اتصل بنا المخبر فايز .. حوالي الساعة الواحدة وعشر دقائق ، وأخبرنا أنه سمع إطلاق نار مسدس في هذه المكاتب التي نحن فيها الآن .. فهو كما تعلم يراقب السكرتير فرج حسيب حسب التعليمات .. خرج فرج من شقته حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا فهو يسكن في حي الشجرة شارع الدكتور جميل شقة بالإيجار ، وهو غير متزوج مثل مديره الميت .. جاء إلى شارع البحيرة فظن فايز رجلنا أنه ذاهب للمركز العلمي في ذلك الليل فكما تعلم المركز يقع في هذا الشارع في عمارة قريبة من هنا ، ولكنه نزل أمام هذه العمارة ، ولما اختفى فرج داخل العمارة ، ترك زيادا في السيارة قريبا من العمارة ، وسار خلف فرج ونظر إلى لوحة المصعد فرآه

يصعد للطابق الثامن ، فتبعه بعد قليل ، فكانت كل المكاتب مغلقة إلا بصيص من النور يتسرب من تحت باب شقة الجمعية هذه ، فتوارى في أحد الزوايا ، وكان أحيانا يقترب من الباب بخفة القط ، وكما قال لي : إنه كان يسمع أحيانا بعض الصراخ العالي المكتوم.

وبعد نصف الليل جاء شخص للعمارة ، وكان زياد قد أخبر فايزا على الجهاز فأخفى نفسه .. وكان الشخص يضع على رأسه قبعة تخفي جزءا كبيرا من وجهه، وهو طويل القامة نحيف البدن .. اقترب من باب الجمعية ودخل ، وبعد حين سمع فايز صوت طلقات الرصاص .. فألصق أذنه في الباب ، فكان المكان هادئا ، وانتظر فترة فلم يسمع صراخا ولا صوتا، وبينما هو يتابع الموقف والحيرة تنتابه اتصل به زياد قائلا : ما الأمر يا فايز؟ .. لقد خرج الرجل ذو القبعة ومعه آخر .. ولكنه ليس فرج من هيئته ومشيته.

فدهش فايز ورد : ولكني لم أرهما يخرجان .. انتظر قليلا.

واقترب من باب الجمعية وحركه يمينا وشمالا ، فوجده مغلقا من الداخل ، فدفع الباب بكتفه بقوة ففتحه ، ثم دخل المكان المعتم حتى وصل إلى هذه القاعة الموضوع فيها المقاعد الخمسة حول هذه المائدة البيضوية ، فأضاء الإنارة فوجد السيد فرجا مجندلا بدمه ، فاتصل بزياد وقام زياد بإخبار الشرطة والإسعاف .. فحضروا وها هم يقومون بواجباتهم ، فلما عاين الضباط والطبيب الشرعي الجثة نقلوا الجثة إلى المستشفى ..ويقوم رجال المختبر الجنائي والبصمات بما يلزمهم.

فقال عبد الله : الرجلان الهاربان ماذا فعلتم بهم؟

ـ لا شيء .. لأن رجالنا يراقبون فرجا فقط .. ولم يقع في خلد فايز أن هناك جريمة قتل هو سمع صوت رصاص .. ولم يخرج أحد من الباب الذي يراقبه ، فقد تبين أن للجمعية بابين الذي دخلت منه ، وآخر الذي خرج منه القتلة .. فهل هذا يدل على أنهم يعلمون أننا نراقب فرجا فتخلصوا منه ؟.. ولكنّ زيادا أخذ أرقام السيارة التي ركبها الرجلان وقد بلغت دوائر السير والمرور بذلك.

فلما استمع الرائد أقوال مساعده يوسف ، عاد حيث يقف الضباط ، فقال أحدهم وهو عقيد في الشرطة : رائد عبد الله يقول الرائد عوني أن رجال الاستخبارات في القضية ؟؟ هل هي قضية تجسسية ؟

اقترب الرائد من العقيد السائل وهمس بصوت ضعيف : يبدو أنها كذلك ، فرجلنا هو الذي أخبركم بوقوع الجريمة .. فأنتم تابعوا الموضوع ؛ كأنها قضية شرطة جريمة قتل عادية .. فهذا الرجل المقتول كان تحت مراقبتنا على مدار الساعة .. ولكن ما توقعنا أن يقتل بهذه السرعة .. فكأنهم شعروا بنا .. ولكن لماذا قتل ؟ هذا هو المهم ؟!

فقال العقيد : إذا شعر هؤلاء الخصوم بأنه تحت المراقبة تخلصوا منه ؟!

ـ ولكنهم يعلمون أنه تحت المراقبة فلماذا غامروا ؟!

ـ الخوف .. والخطر.

ـ على كل يا سيدي نرجو تقريركم بسرعة وعجلة .

فقال العقيد : لقد تحركنا بسرعة ، فصاحب العمارة في الطريق إلينا ، وعرفنا منه أن بواب العمارة يتغيب عن العمارة بعد عصر الجمعة حتى صباح السبت ، فهو يقوم بزيارة عائلته .. والبواب رجل مسن تجاوز الستين من السنوات ، وسيمر عليه السيد زكي الملاح ، ويأتيان معا لنسمع منهما قصة هذه الجمعية.

وما كاد الضابط العقيد ينهي كلامه حتى أخبره أحد صغار الضباط بحضور المدعو زكي ملاح فأمر بمجيئه إليه ، وبعد التحايا قال العقيد الشرطي : يا سيد زكي هذا المكان كان مسرحا لجريمة قتل رجل ..علمنا أن اسمه فرج حسيب هات ما عندك من أقوال ؟

كان السيد زكي رجلا طويل الجسم يضع على عينيه نظارة طبية، وهو قد تجاوز العقد الخامس وبصحبته شاب وهو ابنه والبواب الذي كان في غاية الوهن والخوف فقال زكي : ماذا تريد بالضبط ؟؟

فقال العقيد بهدوء : يا هذا .. من هؤلاء المستأجرون عندك ؟

فقال الشاب ابن زكي : عفوا يا سيادة الضابط .. نحن نملك هذه البناية ، هذه الشقق والمكاتب يقوم على تأجيرها محامي الوالد .. فنحن لا نعرف شيئا عن هؤلاء المستأجرين .. فالأستاذ المحامي وليد بكرز هو محامي الوالد وهو الذي يستطيع الإجابة عن هذا السؤال ؟

لما سمع عوني اسم وليد بكرز نظر في عيني الرائد عبد الله ، وعلى وجهيهما علامات استفهام وقال مخاطبا العقيد : نحن يا سيدي العقيد .. نعرف هذا المحامي، وهو أحد شهود جريمة مقتل الدكتور جميل.

ـ أتعرفونه ؟

ـ نعم ، نعم ، يا سيدي.

فعاد العقيد يقول : إذن يا سيد زكي أنت لا تعرف عن المستأجرين عندك شيئا .. حسنا وأنت ـ وأشار للبواب ـ بواب هذه العمارة .. لماذا تركت العمارة ؟.. ومن هؤلاء المستأجرون هنا في هذه الجمعية ؟

فقال البواب والخوف مرتسم على وجهه : يا سيدي .. يا سيدي الضابط .. أذن لي السيد أبو موسى .. بزيارة أسرتي مساء كل جمعة والمبيت عندهم لصباح السبت .. لأن العمارة تكون شبه خالية يوم الجمعة.

ـ جميل هذا !.. إجازتك تبدأ عصر الجمعة منذ متى هذا النظام يا سيد زكي ؟

فرد السيد زكي ببطء : نعم ، سمحنا له بترك العمارة عصر كل جمعة لقضاء بضعة ساعات عند أسرته ، وخلال ساعات النهار يمكنه أيضا الانصراف بضع ساعات ثم يعود .. وهذا المحترم يعمل في هذه البناية ..وهذا نظام اتفقنا عليه منذ وظفناه بوابا عندنا .. أعتقد منذ عشر سنوات أو أكثر

فنقل العقيد بصره إلى البواب أبي أحمد وقال : وما تعرف عن هذه الجمعية ؟

فقال أبو أحمد وما زال في صوته اضطراب : استأجروا هذه الشقة .. وصارت جمعية منذ أكثر من خمس سنوات أو ست ، وأكثر روادها من الأجانب .. قليل من العرب يعملون بها أو حتى

يدخلوها.. وقبل سنة غادروا الجمعية وذكروا لي لما سألتهم أنهم استأجروا مكانا آخر .. ولكن السيد الدكتور فرج حسيب وكان من ضمن أعضائها قال إنهم سيبقون مستأجرين الشقة على أنها فرع للجمعية الرئيسية، وكان يتردد عليها هو والدكتور جميل عازلي مدير المركز العلمي القريب من عمارتنا هذه .. وقد قتل منذ أيام .. وهو الذي جدد العقد مع حضرة المحامي وليد بكرز .. وكانت في الحقيقة لا تفتح إلا مساء يوم الجمعة من كل أسبوع يحضر بعض الأجانب ويلتقون ليلا .. ولا أعرف أكثر من ذلك يا سيدي.

فقال العقيد : أفهم من كلامك أيها السيد أن الدكتور فرجا كان يدير الجمعية بعد رحيل الأجانب إلى مكان آخر.

فتدخل الشاب ابن زكي ملاح : يا سيدي العقيد .. كل المعلومات تجدها عند المحامي بكرز.

فقال البواب : هذا الحق يا سيدي العقيد.

وقبل أن يرد عليهما العقيد تقدم أحد الضباط وقال : يا سيدي .. انهينا عملنا وشغلنا ، ورفعنا البصمات عن المكاتب والملفات ، وتحفظنا على كل شيء مهم موجود هنا ، وفتشنا الخزانة المعدنية ولم نجد فيها شيئا ذا بال.

فقال العقيد : أحسنتم !.. شمعوا الأبواب بالشمع الأحمر ، وضعوا الحراسة المناسبة .. وشكرا لك يا سيد زكي أنت وابنك.. وشكرا لك يا أبا أحمد .. قد نضطر لأخذ أقوالكم بشكل رسمي وتقليدي .. وأنت رائد عوني أحضر لي المحامي وليدا إلى مديرية الأمن لنسمع أقواله .. هيا بنا يا حضرات الضباط.

انطلق عبد الله الرائد بسيارته وراء الرائد عوني نحو مركز أمن حي الشجرة، ومكث عنده نصف ساعة، ثم انتقل إلى المشفى فوجد أن ابنته قد خرجت من غرفة العمليات الجراحية بسلام وأمان ، وما زالت تحت تأثير المخدر الذي خفت حدته فقبلها ، ودخل على الطبيب المعالج في مكتبه واطمئن على نجاح العلاج ، وبعد حين يسير عاد لمركز عمله في دائرة الاستخبارات قسم مكافحة التجسس يتابع قضية مصرع الدكتور فرج سكرتير المركز العلمي الصناعي ، فوجد

مساعده النقيب يوسف في انتظاره ، وقال له : اتصل الأخ عوني بدائرة المرور، وحصل منها على اسم مالك السيارة ، وتبين أن السيارة مسروقة يوم الأربعاء ، وهناك بلاغ رسمي بذلك ، وتم وضع مالكها تحت المراقبة ؛ فلربما يكون أمر سرقتها مدبرا ومرتبا لارتكاب هذه الجريمة .. وهم قد كثفوا البحث عنها في جميع أنحاء القطر

قال الرائد عبد الله : نريد معلومات عن جمعية أصدقاء العلم .. وما علاقة جميل وفرج معها ؟

فقال النقيب : عندما يتم استجواب السيد بكرز قد يضيء لنا بعض الطريق.

فقال عبد الله بتشاؤم واضح : لا أعتقد أن لديه كثيرا من المعلومات .. فمنظمات التجسس عادة يتحركون بذكاء وحنكة .. فهو لا يعرف عن موكله جميل شيئا .. فهو هنا مجرد محامي يقوم بتوثيق العقود نيابة عن السيد زكي ، وربما يحصل الإيجارات له .. من المهم أن نعرف الآن متى بدأت علاقته بالسيد جميل وفرج ؟ .. ونريد أن نعرف مدى الارتباط بين مركز البحث العلمي والجمعية بالجامعات الألمانية .. فلذلك علينا مخاطبة السفارة سفارتنا للتأكد من ذلك الارتباط.. وليكن ذلك في غاية السرية والكتمان وبعجلة .. أرسل فاكسا باسم مدير الدائرة .. وأريد مراقبة كل موظفي المركز بدقة من الفراش حتى أكبر موظف .. هل لقطتم شيئا من مراقبة الهاتف والبريد؟

- لا شيء .. جاءنا تقرير يفيد أن المكالمات الهاتفية عادية.

- قد يكون فيها إشارات وشيفرة ورموز معينة ؟

- هي مسجلة ، وهي طبيعية لا غريب فيها .. وأما الرسائل فمنذ مقتل السيد جميل أرسلوا فاكسات وبرقيات نعي وإخبار بموت الدكتور إلى جهات مختلفة من أوروبا، واستقبلوا كثيرا من برقيات التعزية والمواساة .. قد لا يكون نشاطهم من ضمن المركز .. ربما من خلال هذه الجمعية أو غيرها.

- يوسف فلتبق على اتصال مع الرائد عوني ، ولما يأخذوا أقوال حضرة المحامي حاول الحصول على نسخة للاطلاع عليها .. وأما أنا فإني بحاجة لقسط من الراحة والنوم.

ـ لا حرج يا سيدي.. اذهب إلى منامك .. وسوف أتابع القضية هنا وهناك وستجدني عند حسن الظن يا سيدي.

ـ أنت دائما عند حسن الظن.

وتركه عبد الله وذهب حيث ينام ضباط جهاز الاستخبارات ، وما ألقى بنفسه على سريره حتى استغرق في نوم عميق ، ولم يكد يأخذ حاجته من النوم حتى جاءه أحد العاملين يخبره بأن ابنته تطلبه في المستشفى ، وترغب برؤيته ، فقفز قائما ، وارتدى ملابسه ، وأسرع نحو المستشفى وهو في قلق وترقب فوجدها قد استيقظت تماما من البنج .. وهي تريد رؤيته شوقا وحبا .. فاقترب منها وقبلها من جبينها المرهق ، وحمد الله على سلامتها وجلس بجوارها يداعب خصلات شعر متدليات على ووجهها المتعب ، وهو في غاية السعادة فإنها ابنته الوحيدة .. عندما ولدتها أمها أصابها مرض منعها الأطباء من تكرار الحمل حتى تشفى منه تماما .



الفصل التاسع

في التاسعة من صباح يوم السبت ترك الرائد عبد الله المستشفى إلى مركز شرطة حي الشجرة ، والتقى بالرائد عوني ، ووجد عنده التحري الخاص جريرا، ولما علم الأخير بمقتل السكرتير فرج ليلة أمس أصابه الذهول وعلق قائلا : جريمتان في أسبوع واحد .. إن هذا المجرم لجريء أيها السادة ! وهل يعقل أن للسيد بكرز يدا في هاتين الجريمتين ؟!

فقال عوني : إنه لم يصدق معنا في أقواله عند مقتل جميل .. لكن لا أرى أنه القاتل .. فوقت حدوث الجريمة ، كان يجلس مع الدكتور خضر وزوجته ، وعلاقته في عمارة زكي ملاح علاقة أجرة وإيجار فحسب.

فقال الرائد عبد الله : بيت أو شقة فرج تحتاج لتفتيش ومراقبة شرطية ، فهيا نتحرك نحوها الآن وتحركت بهم سيارة نحو العمارة التي يقطن فيها السكرتير فرج ، وتحدثا مع البواب الذي فاجأهم قائلا : يا سادة بعد منتصف الليل حضر رجلان ودخلا شقة فرج الدكتور.. وكان معهما مفاتيح الشقة ، وامضيا ساعة من الوقت ، وخرجا وبين أيديهما حقيبة كبيرة ، وتركا المفتاح عندي قائلين " إن السيد فرجا سوف يسافر بضعة أيام ثم يعود"

فأخرج الرائد عوني بطاقته للبواب ثم قال : نحن يا هذا رجال مباحث شرطة .. فاذكر لنا صفة هذين الرجلين.

فقال البواب : كنت يا سيدي أجلس في هذه الغرفة ـ وأشار لغرفة صغيرة في مدخل العمارة ـ فلما سمعت صوت سيارة تقف فتحت نافذتها وأخرجت جزءا من رأسي وقلت "من؟!" فقال أحدهم : أصدقاء فرج .. أما أحدهما فطويل ونحيف وذو وجه رفيع وشارب كثيف جدا ويضع على رأسه قبعة عميقة .. وأما الثاني فاقصر من الأول وجسمه أسمن منه.. وكان يلبس بدلة زرقاء قاتمة ، ويضع على عينيه نظارة خضراء، وله شارب سميك كصاحبه .. وظللت مستيقظا حتى هبطا وحيياني بعدما دفعا لي المفتاح ، وأخبراني بسفر الدكتور فرج ، واختفيا في جنح الظلام الدامس.

فقال عوني : هات مفتاح الشقة واصعد بنا لشقة فرج .. واعلم أيها الرجل أن السيد فرجا قد قتل .. وهذان الشخصان الراجح أنهما قاتلاه .. واكتم الأمر حتى تعلن الشرطة عن مقتله مفهوم.

تباكى الرجل وقال : حاضر .. إيه كان رجلا محترما .. آه .. لقد كان كريما معي!

وأتى البواب بمفتاح شقة فرج ، وصعد إلى الطابق الثاني حيث الشقة ، وفتحها وأضاء الأنوار وقال : تفضلوا.

كانت الشقة مقلوبة رأسا على عقب لا شيء في مكانه .. ملابس متناثرة، وكتب مثل ذلك ، وكثير من الأوراق مطروحة على الأرض ، وخزانات فارغة ، فبدا لهم أن الرجلين فتشا الغرف تفتيشا دقيقا ، وأخذا ما يلزمهما من أشياء فرج ، وما قد يلقى ضوءا على الجريمة فقال عبد الله : علينا أن نعيد ترتيب هذه الأشياء بسرعة لعلهم تركوا لنا شيئا يعجل في مطاردتهم والقبض عليهم .

وبعد ساعة من العمل السريع أعيد ترتيب الشقة ، ولكنهم لم يجدوا ما يساعد على كشف الغموض المحيط بهذه الجريمة ، ووجدوا في أحد أدراج مكتب السيد فرج وفي ركن من أركانه مفتاحين صغيرين ، لما شاهدهما عوني وتأملهما جيدا قال : إن لم أخطىء فهذان مفتاحان خزائن الدكتور جميل اللذين اختفيا عند بحثنا عنهما .. أخذا من سلسلة مفاتيح جميل بعد مقتله.

فقال جرير بعد أن قلبهما بدوره : أكيد أنهما هما .. ولكن قد يكونا قد وضعا بكيد من العصابة للمزيد من التضليل ؟

فقال عبد الله : أرى أن السيد فرجا له يد في مقتل جميل.

فقال الآخران بدهشة : كيف ؟!

ـ أما كيف ؟! .. ففرج سكرتير جميل ، فهو الذي يستطيع أخذ المسدس من مكتب جميل بدون أن يشعر به أحد ، وجاء متأخرا إلى الحديقة وشرب الشاي ، وأشغل أصدقاء الدكتور بمرض قلبه ، ولكنه قبل أن ينصرف للمطار للمجيء بشارل برس ضيف الجامعة والدكتور جميل دخل

على الدكتور ، وجرى بينهما حديث قصير قام السكرتير بالغدر بجميل ، ورتب الأمور بسرعة وخرج مسرعا ، وقد ادعى أنه شاهد أجنبيا بسيارة أمام الفيلا لتضليلنا ، ولابد أنه هو الذي اتصل بصدقي لما لم يجد الزائر مغيرا صوته مخبرا بموت الدكتور ليصل رجال البوليس قبل عودته .. وإن لم يفعل هو الجريمة بنفسه ، قام أحد الذين يعملون معه بفعلها .. والراجح لديّ أنه هو ؛ لأنه هو الذي يعرف تفاصيل بيت جميل ، وأن جميلا يجلس في المكتب وحده ، وأن ضيوفه في الحديقة يثرثرون ، وهو الذي يعرف مسدس جميل ، وهو الذي يعرف هذه المفاتيح التي بين أيديكم ، وأرى أنه هو الذي تسلل للبيت لسرقة الأجهزة وغيرها ، ولكن للاتصال المفاجئ بالطبيب أغلق الخزانة السرية وتسلل هاربا .. وهو الذي أتى مكتب جميل صباحا ، وطلب القهوة من صدقي ليتمكن من أخذ شكل مفتاح المكتب والفيلا ؛ لأن صدقيا يضع المفاتيح في سلسلة واحدة ، ويخيل لي أن الرجلان جميلا وفرجا عضوان في جمعية سرية أو عصابة تجسس .. ولكن لماذا قتلوا جميلا ؟!.. هل أصبح يشكل عليهم خطرا ..؟ ولماذا قتلوا فرجا ؟ هذه تصفيات لرجال انكشفت أوراقهم ! .. لكننا نحتاج لأدلة دامغة على تجسس هؤلاء .. وتصفية الحسابات التي تجري ستعجل بالقبض عليهم ..قضيتكم قضية جاسوسية.

فقال جرير : ترتيب جيد للأحداث ! ..ولا لأحد مصلحة في مقتل جميل إلا لفرج .. وهو رجل ذكي وماكر .. ولكن من يحركهما إذا كانا جاسوسين ؟ ولحساب من يعملان ؟

فقال عوني : وفرج هو الذي دفع الآنسة ريما للتحدث عن صراع الوالد أسعد وابنه .. وهو الذي كان مهتما باختفاء المسدس من مكتب جميل في المركز ؛ ليرى هل أحد شاهده .. وهو يأخذه ؟.. ولذلك سنعيد التحقيق مع أفراد المركز بهذا الاتجاه الجديد.

فقال عبد الله : ركز على الفراش أبي سالم .. لعله رآه وهو يأخذه ، وخجل أن يحدثنا بذلك لاستبعاده أن يقتل فرج جميلا أو تعرض لتهديد شديد منه.

ـ سأطلبه في المركز.

ـ والد الدكتور عنده كلام خطير ومهم .. دعوه يكتب إقراره ما دام لا يستطيع الكلام .. لابد

أن كرهه لولده أن له سببا مهما .. وأقوال صدقي تدل على أنه يعرف عن ولده أشياء بغيضة قد يكون عرفها أثناء تواجده معه في الغرب.

- إني أتابع حالته باستمرار .. وهو في وضع صحي حرج لا يتكلم ، ولا يستطيع الحركة ، ويرى الأطباء أن حالته صعبة وعلى وشك الرحيل ومفارقة الدنيا ، فقلبه منهك جدا وضعيف وقد غيرت بعض الشرايين أكثر من مرة.

فقال عبد الله بأسف : نسأل الله له العافية .. هيا بنا .. اطلب حرس على الشقة وتشميع بالختم الأحمر قبل رحلينا.

ولم تمض نصف ساعة أخرى حتى كانت الشقة تحت حراسة الشرطة ، وقد حضر رجال المباحث والأمن للقيام بإجراء اللازم.

لما عاد الرائد عوني لمكتبه وبصحبته الضابطين الآخرين ، وجد مساعده دشهان يخبره بأن رجال المرور والأمن قد وجدوا السيارة التي كان يركبها القتلة في منطقة خاصة بتصليح السيارات ، وتم الحجر عليها وتفتيشها ، ولم يجدوا بها شيئا حتى البصمات ممسوحة عن مقود السيارة وغيره وأبلغ مالكها وطلبوا منه أن يراجع دائرة المرور لاستلامها وحصر ما فقد منها.

فلما استمعوا لتقرير دشهان عقب الرائد عبد الله : إنهم يتحركون بذكاء ، ولكنهم سيقعون فهم يعملون بسرعة ، والسرعة تجلب الخطأ ، فهم يشعرون أنهم مطاردون .. وهل وصل محضر التحقيق مع المحامي بكرز.

فقال دشهان : اتصل العقيد بنفسه ، وقد أخذ أقوال المحامي ، وعرف منه أنه مجرد وكيل عن السيد زكي ملاح .. وتعرف على الدكتور جميل وفرج عندما استأجروا منه شقة للجمعية المعروفة في عمارة ملاح .. ثم تعاقد مع جميل لرعاية مصالح المركز القانونية بعدما فصل محاميه السابق الدكتور "مجدي سعدانة" ، وقبل سنة عرف أن رجال الجمعية نقلوا عملهم إلى مكاتب أخرى ، ولكنهم استمروا يدفعون الأجرة عن هذه الشقة، ولكن باسم الدكتور فرج ، وقال إنهم كثيرو السفر للخارج وخصوصا الدكتور جميل.

فقال عبد الله : الرجل صادق .. فقد تحرينا عنه منذ استلمنا القضية .. كان هؤلاء القوم يعملون بحنكة وفطنة وحذر شديد.. وهذا يؤكد لنا أنهم يرتبطون بأجهزة مخابرات دولية .. وأنهم يسيطرون على شبكة تجسس أو أكثر .. فالخريطة التي وجدت في بيت جميل تستخدم في كتابة الرسائل السرية والشيفرة .. كما يؤكد الخبراء لدينا ، وكذلك القاموس الخاص يستعمل لفك الرسائل المشفرة .. والخطر المخيف أن يكون لهم أعوان في وزارات الدفاع والأمن والصناعة والبحث العلمي والمصانع الحربية .. فالكاميرات التي وجدت لدى جميل متطورة جدا.. وتستخدم في التجسس الصناعي والعسكري.

فقال جرير : قضية مرعبة وخطيرة! هل كان جميل يدير هذه الشبكة أم فرج أم شخص ما زال مجهولا

فقال عبد الله : قد لا يكون جميل الرأس الكبير في هذه الشبكة ، وقد يكون .. فهو رجل معروف على المستوى الرسمي للدولة والجامعات ومراكز العلم.

فقال عوني : هل كان المركز وكرا للعمالة والخيانة والتجسس ؟.. فعلاقة جميل بخضر الدكتور وفريدة زوجته والمحامي علاقة طيبة وبريئة.

فقال جرير : حتى موظفي المركز .. أم المركز تغطية وجر رجل ؟

فقال الرائد عبد الله : فلماذا قتلوه ؟ هذا السؤال الكبير؟ هل أصبح يشكل خطرا على الشبكة أو طلب منهم أشياء خطيرة حتى اضطروا لتصفيته؟ .. ولماذا صفوا سكرتيره فيما بعد؟ .. لابد أن فرجا يعرف الكثير .. تخيلوا لو لم يكن رجلنا يراقب فرجا وتبعه للجمعية لظل فترة فيها ميتا .. ومع أنهم يعرفون بمراقبتنا له أقدموا على الجريمة.

فقال عوني : الحقيقة أن السيد فرجا كان شديد الذكاء والحذر معنا.. وكان يتظاهر بالسذاجة والبلاهة وعدم الاكتراث ونحن نحقق مع موظفي المركز.

فقال الرائد عبد الله : على كل نحن مستمرون في مراقبة عمال المركز، وقد أرسلنا لسفيرنا ورجلنا الأمني في ألمانيا للتأكد من تابعية المركز لإحدى الجامعات الكبرى هناك ، وطرق تمويله.. وأوصيناهم بالعمل في سرية تامة وحذر شديد.

وغادرهم عبد الله أحمد إلى مقر عمله وتحدث مع المستشفى فاطمئن على ابنته مريم وأمها، وذهب حيث يعقد كبار الضباط اجتماعا خطيرا للنظر في قضية مقتل جميل وسكرتيره فرج ، واطلع على المعلومات التي تجمعت لديهم عن جميل منذ بداية حياته وأثناء تدريسه في الجامعة وعلاقاته مع أصدقائه وزملاء التدريس، ولما عاد إلى مكتبه تحدث مع مساعده النقيب يوسف وكلفه بمهمة عاجلة وسرية ، ثم مشى نحو المطعم ليأكل بعض الأكل ويشرب الشاي وهو يفكر في هذه القضية المعقدة ومن يسير هذه الأحداث المتسارعة .. قتل جميل .. سرقة سيارة .. سرقة بيت جميل .. مصرع فرج .. سرقة شقة فرج .. ظهور السيارة المسروقة .. ثم اتصل بأحد العاملين معه ، وأرسله للمطار الدولي والمجيء بكشف بأسماء القادمين يوم الاثنين العاشر من إبريل.. وما حل مساء السبت حتى تجمعت معلومات كثيرة عند الرائد عبد الله ، ومكث هو ومساعده يوسف يتناقشان حتى الساعة العاشرة ، ثم غادر الرائد إلى المستشفى والتقى بابنته ثم أخذ زوجته وعادا للبيت بعد أن أوصى الممرضات على ابنته الوحيدة ، وفي البيت تناول العشاء مع الزوجة ، ثم ذهب لسرير النوم فألقى نفسه عليه ليستريح وينام ، فإنه منذ ثمان وأربعين ساعة يتحرك ويعمل بجد وتفكير وانشغال بال على الابنة ؛ ولكن جاءه هاتف ليلا فسمع الصوت يقول : لقد وجدوه نزيلا في فندق شعبي.. لا ينزل فيه إلا رعايا الدول الفقيرة.

فقال : راقبوه جيدا .. ولا تغفلوا عنه لحظة .. هذا الرجل سيقودنا إلى قيادة الشبكة واحذروا أن يسافر لابد أنه يستعد الآن للرحيل .. يوسف دعهم يراقبوه مراقبة فقط .. مراقبة دقيقة .. وإذا حاول المغادرة عوقوه بطرق دبلوماسية .. قد يكون هو رجلنا .. فتركه الفندق بهذه الصورة يجعله موضع ريبة وشك .. ولكن علينا أن نتعامل معه بحذر وذكاء فهو من رعايا دولة أجنبية والخطأ بألف خطأ.. وضجة وفضيحة على مستوى العالم .

وترك السماعة وعاد للنوم من جديد وهو يقول : يقول عامل الاستقبال في ذلك الفندق إنه خرج مساء يوم الجمعة ولم يرجع إلا عند الصبح.. ومكث قليلا من الزمن ثم اعتذر من مندوب الجامعة.. وادعى أن برقية عاجلة جاءته فهو يعتذر عن الاستمرار بحضور باقي الندوات

والمحاضرات وراغب في السفر .. ولكنه لم يسافر كما ظهر من كشوف المغادرين .. بل نزل في فندق قديم وشعبي .. هل هو خائف من الرحيل أو أن مهمته لم تنته بعد ؟ .. من سيقتل هذه المرة ؟ من يا ترى سيكون الضحية الثالثة ؟! آه .. مستر شارل برس أمعقول أن يكون هو الرجل الخطير ؟!.. أمعقول أنه هو الرجل الذي قتل جميلا وفرجا ؟!.. أمعقول أنه دكتور في البيولوجيا؟! ولكن رجال الجامعة يؤكدون أنه عالم كبير ودكتور مشهور في البيولوجيا.. ولكن جميلا أيضا كان رجل علم وبحث علمي .. وقد غرق في أوحال وعالم الجاسوسية ..وهذا لم يثبت عليه بعد ! .. ولكن كل الإشارات والدلائل تؤكد ذلك .. ولماذا يحتفظ بأجهزة تجسس دقيقة وجوازات سفر لدول مختلفة وكاميرات تصوير وتصغير؟ .. فمقتل فرج يعجل في النهاية .. سوف تكون فضيحة مدوية في القطر والعالم .. رجال العلم عندما ينحرفون .. ولكن جواسيس هذه الأيام أكثرهم علماء ويحملون شهادات علمية كبيرة هل سنصل لكل أعضاء الشبكة التي تلوح بالأفق ؟! .. هل ستكون شبكة علمية فقط ؟! .. أم ستتبعها شبكة سياسية واقتصادية وعسكرية ؟؟ .. وعاد يقول في نفسه : شارل برس دكتور بيولوجيا أحياء مائية أجنبي جاء من باريس لتصفية جميل زميله .. ما خطأ جميل ؟ هل تورط جميل معهم حديثا ثم ندم فعاجلوه بالموت ؟ .. ولكنه منذ خمس سنوات وهو عضو ورئيس جمعية أصدقاء العلم الأوروبية .. لابد أن يكون معهم منذ فترة طويلة .. قد تطول إلى أيام الدراسة الأولى أم أثناء عمله هناك في أوروبا بعدما استقال من التدريس في الجامعة .. ولكن ملفه في الجامعة يؤكد شدة حذره .. لا يتكلم في السياسة إلا لماما ..لا ينتقد الشخصيات الكبيرة ، بل كان حريصا على التعرف على الشخصيات الكبيرة وعلى رجال المال الكبار.. رجال البنوك.. اقترب الفجر يا عبد الله ارقد ساعة من الزمن .. فوراءنا عمل وحركة في الصباح ، وعاد يفكر قائلا : من الذي كان معه في عمارة الملاح تلك الليلة ؟ قد لا يكون شارل هو المطلوب أو من هو الرجل الذي كان مع الشاب الطويل ؟؟

ونام عبد الله وهو يحلم بالقبض على عصابة الجواسيس وتفكيك الشبكة الخطيرة.

الفصل العاشر

استيقظ الرائد عبد الله في السادسة صباحا وتناول إفطاره وخرج للدائرة مبكرا وجلس مع معاونيه وقال ليوسف : ما أخبار مستر شارل ؟

فقال يوسف : ما زال ينزل في فندق الأمراء متنكرا بجواز سفر آخر ، ورجالنا حول المكان يتأهبون للقبض عليه في اللحظة التي تأمر بها.

ـ جميل! .. نحن نريد أن نعرف شريكه في القتل ونعرف أعضاء جمعية العلم .. أريد تفتيش حقيبته من غير أن يشعر بنا .. وأخذ كل الأوراق والوثائق الموجودة فيها من غير أن يحس بكم وكذلك رصد كل المكالمات الهاتفية التي يتلقاها أو يرسلها مع تسجيلها.

فبعد أن تابع الرائد خطوات العمل خطوة خطوة استأذن من رئيسه لزيارة ابنته مريم في المستشفى ساعة من الزمن ، وطلب من مساعده يوسف الاتصال به أولا بأول، وأثناء وجوده في المستشفى جاءه اتصال من يوسف يخبره فيه أن شخصا تكلم مع شارل في الفندق ، وظهر من الحوار بينهما أن شارل غاضب ، وكان يتكلم بصوت حاد ، فقال عبد الله : أنا قادم .. أريد أن أسمع تسجيل المكالمة كاملا سلام.

ودع الضابط أسرته ودخل إلى مكتبه في الدائرة بسرعة ، وكان النقيب قد أعد جهاز التسجيل والشريط الذي سجلت عليه المكالمة ، كان وقت المكالمة حوالي التاسعة وعشر دقائق صباحا .. رن جرس الهاتف في الفندق .. استدعي شارل برس باسم " وليم برناس " ، أخذ وليم السماعة من عامل الفندق بغضب ورد بعربية ضعيفة : نعم ، أنا وليم برناس .. أين أنت ؟؟

الصوت : هدأ أعصابك .. لا تقلق الصحف لم تنشر خبرا عن السيد.

فقال شارل : لا صحف السبت ولا صحف الأحد ؟!

الصوت : لا .. فجرائد أمس واليوم لم تذكر شيئا عنه.

شارل : أخشى أن يكون حيا لم يمت .. ابحثوا في المستشفيات.

الصوت : أليس حولك أحد؟

ـ لا .. لقد انصرف العامل إلى الداخل .. إنه يشرب الشاي أو يأكل الطعام .. ولماذا لم تحضر أمس؟.

ـ الوضع خطير ومقلق .. فالتعتيم على موت ... يثير التوتر والقلق ..وقد سألوا عنك في الفندق الكبير فاصبر بضعة أيام حتى أجهز لك تذكرة سفر إلى كينيا أو أديس أبابا .. لا تصرخ .. اهدأ وكان شارل قد أخذ بالصراخ والشتم بلغته الفرنسية ثم قال : الموظف اللعين مقبل نحوي كأن صراخي أزعجه كيف أراك ؟.. أنا في غاية القلق.

اقترب العامل وقال : مستر وليم أما زلت تتحدث.

التفت إليه شارل وقال : قليلا مستر فؤاد ، فرد فؤاد : خذ راحتك مستر وليم وعاد شارل يقول لمخاطبه بغضب : متى تأتي ؟.

الصوت : الليلة بعد العاشرة سوف أمر عليك .. احذر كل من حولك وانقطع الاتصال.

ولما انتهى الرائد من سماع المكالمة الخطيرة ، أخبره النقيب يوسف أنه تلقى اتصالا من رجالهم أن السيد شارل ترك الفندق ، ولسوف يدخل رجالنا غرفته للبحث في حقائبه ، ثم قال النقيب : وما ترى في هذه المكالمة ؟

فقال : يبدو أنهم قلقون على مصير فرج وعدم نشر خبر مصرعه في الصحف ، وأرى أن المكالمة طبيعية لا يوجد فيها الغاز وخفايا .. فهو يريد أن يغادر البلد بأسرع وقت ممكن .. لماذا لم يسافر بعد ارتكاب الجريمة ؟.. هل جهزتم الملف لتقديمه للنائب العام لأخذ التصريح اللازم للقبض عليه ؟

ـ لقد جهزنا ملفا للمدعي العام للدولة ، وآخر للمدعي العام الأمني والعسكري .. فلربما يكون معه أفراد من وزارة الدفاع..

قال الرائد : جيد ! .. علينا بالحصول على التصاريح اللازمة .. الليلة سنرى من هو شريك شارل ؟ .. أتكلم معكم الرائد عوني ؟

ـ أجل .. وأخبرني أن تقرير الطب الشرعي حول وفاة فرج قد جهز ، وقد تبين لهم أن هذه

الجمعية لا أوراق رسمية لها.. ليس لها أوراق صادرة عن وزارة ثقافية ولا صناعية .. وعقد الإيجار هو عقد إيجار شقة فقط .. وكان باسم الدكتور جميل وفي السنة الأخيرة أصبح باسم فرج .. ثم وضعت لوحة صغيرة تقول : جمعية أصدقاء العلم الأوروبية " لا ترخيص ولا تصريح.

ـ أمعقول هذا ؟

أجاب يوسف : نعم .. ولقد اتصلت وتابعت ذلك.. فتحدثت مع وزارات فلا يوجد لها اسم عندهم حتى في دليل الهاتف هي باسم جميل .. ونحن في بلادنا كما تعرف إذا رأينا مؤسسة أو شركة تنتمي لجهة أوروبية أو أمريكية لا أحد يدقق في شأنها.

ـ أخشى أن يكون المركز هو الآخر لا أصل له .. ولا ارتباط له في جامعة معينة.

ـ لا تستغرب ذلك .. ولكن المركز معروف على مستوى الجامعات لا أعتقد هذا الاحتمال .. وأعتقد أنه سيغلق أبوابه بعد مصرع فرج .. أوراق تقدم للدوائر المختصة ، وعليها أختام رسمية فيتم ترخيصها والسماح لها بمزاولة العمل ، ولا يوجد في القوانين الوضعية ما يمنع فتح مثل هذه المراكز ما دامت لا تشكل خطرا على الأمن الاجتماعي والسياسي في البلد.

فعاد يسأل الرائد : ألم يأت شيء من ألمانيا بعد ؟

ـ لا .. والأمر يحتاج لوقت لعدة أيام إن لم يكن أسابيع .. ولكن سيأتي الخبر اليقين بإذن الله وهذا لا يقدم كثيرا على التحقيق نريد أن نقبض على المتورطين والاعتراف سيد الأدلة.

ـ القرائن تضعف المتهم وتدفعه للاستلام ..ويكتمل الموضوع أكثر فأكثر.

بعد الظهيرة كان رجال الاستخبارات الذين قاموا بتفتيش حقائب برس أو وليم قد عادوا بما حصلوا عليه من أوراق ووثائق ، وكان من بينها خريطة أجنبية كالتي وجدت في بيت جميل ، وكل الوثائق مكتوبة باللغة البريطانية والفرنسية ، فأمر بتحويلها لمترجمين ، وقد وجد رجال الأمن أدوات تنكر من أقنعة وشوارب رفيعة وسميكة ولحى طويلة وقصيرة ونظارات وأقلام غريبة ومسدس صغير جدا وقالوا : لم يبق سوى الملابس وبعض كتب العلم باللغة الفرنسية

وبعض صور الأبحاث.

رجع شارل للفندق عند السابعة مساء ، ودخل غرفته بعض الوقت ، ثم نزل حيث الهاتف واتصل برقم معين ، ولكن الرقم المطلوب لم يرد عليه فعاد لغرفته مرة أخرى ، ثم هبط وهو يحمل حقيبته وقال لفؤاد عامل الفندق : كم حسابك وأعطني جواز سفري ؟؟

وكان يقف بجوار فؤاد شخص ، فلما سمع وليم يطلب جوازه قال : مستر وليم .. اليوم اكتشفنا لصا يخرج من غرفتك.. فظنّنا أن أحدا سرق شيئا من عندك ؟ فلما جئت ونزلت قبل قليل ظّننا أنك جئت تبلغ عن السرقة ..كان أحد الشغالين قد صعد لينظف حجرتك عندما تفاجأ بخروج رجل منها ، ودفع العامل أرضا وفر سريعا .. فاتصلنا بالشرطة فجاءت ونظرت في الغرفة وانتظروك .. ولكنك تأخرت وقالوا لما يعود النزيل يراجعنا عليك مراجعتهم لمعرفة ما أخذ منك لمتابعة الأمر.

فقال فؤاد : أين كنت طول النهار مستر وليم ؟.. هل فقدت شيئا ؟

تريث قليلا وليم قبل الرد ثم قال : لا .. لم يسرق مني شيء .. ولكني اليوم التقيت بصديق وأكلنا معا ودلني على فندقه فأريد أن أذهب إليه .. أرجوك كم حسابك ؟

فتح فؤاد دفتره ونظر فيه وقال له : عشرة دنانير يومان سبت أحد.

وسمع شارل الرجل الآخر يقول : أمتاكد يا مستر وليم أنه لم يختف من حجرتك شيء؟.. فاحذر أن تأتى بعد خروجك وتقول فقدت كذا وكذا .. سأخبر رجال البوليس بأنه لم يسرق منك خيط.

لم يرد وليم على الرجل ، ودفع الأجرة وأخذ جوازه وقال : مستر فؤاد ممكن أتكلم بالتلفون ؟

قرب إليه فؤاد التلفون وهو يقول : تكلم مستر وليم.

فضرب رقما معينا وقال : آلو .. آلو .. أنا وليم .. نلتقي في البحيرة الخامسة .. أمر مهم .. لا تتأخر أمام نفس المكان .. أنا الآن منصرف .. لا تمر .. سنلتقي هناك.

ووضع السماعة وشكر فؤاد ورفيقه ، وأردف حقيبته على ظهره وخرج بسلام وهو يقول : لص

دخل غرفتي وسرق الأغراض .. لا .. إنه لص محترف في المخابرات .. لص لم يسرق مالا رجال المخابرات وصلوا إليّ ؛ ولكن منذ متى ؟ لا بد أني مراقب الآن .. وأكيد تنصتوا على مكالمتي هذه ، بل هذا الرجل الذي يقف مع فؤاد رجل مخابرات وليس عامل فندق .. كما يتظاهر أنه لا يعرف شارل برس .. ولكن لماذا لم يقبضوا عليّ بعد؟! .. إنهم يريدون الرجل الآخر .. أخطأت أنا بالاتصال به .. ولكني أصبحت كالفأر وقع في مصيدة .. كيف وصلوا إليّ؟ أخطأت خطأ كبيرا بمجيئ إلى هذا البلد من غير حرس .. جئت بثوب عالم باحث .. عندما قتلنا فرجا وركبنا السيارة لم يلحق بنا أحد ..والرجال الذين كانوا يراقبون فرجا ألم يعرفوا بموته؟ لقد كان أحدهم يتجسس علينا في الطابق الثامن .. هل فرج لم يمت؟ لقد تأكدت من موته .. سكتت أنفاسه كليا هو الذي دفعني لقتله .. أصبح يشكل خطرا على الشبكة كلها .. لقد سقط كما سقط جميل .. لقد أصبح تحت مراقبة رجال الأمن السري .. لقد فضح نفسه بمغامرته تلك الليلة ومحاولة سرقة الأجهزة والكاميرات والأوراق المهمة .. هرب كالأرنب .. سأذهب الآن إلى فندق وأضع هذه الحقيبة .. وأحاول تضليل من يتبعني .. ولكنهم إذا سمعوا المكالمة فسيعرفون شارع البحيرة الخامسة ويذهبون لانتظاري هناك أمام الجمعية ..مشى شارل على قدميه في شوارع المدينة .. وكان يتوقف أمام المحلات .. ويحاول كشف وجوه مراقبيه ..واستمر المشي والتفكير ساعة من الزمان .. ودخل أحد الفنادق الصغيرة الشعبية ، وحجز فيها سريرا في غرفة مشتركة ، ومكث نصف ساعة في الفندق وهو مازال يشعر بأنه متبوع ..ثم خرج وذهب إلى دار سينما اشترى تذكرة ودخل .. كان الفِلم قد بدأ منذ وقت طويل .. جلس على مقعده بضع دقائق .. ثم ذهب لدورة المياه .. ثم تسلل خارجا يتلفت يمنة ويسرة .. كان يرى في كل رجل يراه أو امرأة رقيبا عليه ومطاردا له .. أحس إحساسا قويا بأنه سقط ، وأن ذكاءه في الاختفاء والتنكر قد خانه .. عاد يتجول في شوارع المدينة الكبيرة .. ثم اقترب من سوق المجوهرات واجتازه ، ودخل شارعا صغيرا ذا أضواء خافتة ، وكانت الساعة تقترب من العاشرة ليلا ، وفي زاوية من زوايا الشارع الصغير كان هناك مقهى صغير ما زال مفتوحا .. إنه

مقهى البحيرة الخامسة .. مكان تواعد شارل وشريكه المجهول .. كان الشارع الخلفي الصغير خاليا من المارة .. إلا رجلا يقف أمام كابينة تلفون تبعد عن المقهى حوالي مائة متر .. نظر إليه شارل لحظات ودخل المقهى الصغير .. كانت هناك جماعات من البشر تلهو بأوراق اللعب "الكوتشينة" ، جلس على مقعد في عمق المقهى .. طلب كوبا من الشاي .. وأشعل سيجارة .. وأخذ يتفرس في الوجوه الموجودة بالمقهى خلسة .. أتاه الشاي فنقر على الطاولة بقطعة نقدية مرة ثم سكت ، وبعد برهة نقر مرتين متتابعتين وسكت ، وبعد حين شرب الشاي وضرب بقطعة العملة الطاولة ثلاث ضربات متتابعة .. وبعد حين اقترب منه رجل كان يجلس وحده يدخن النرجيلة.. وهمس : ما الأمر .. رجال الأمن يراقبونني؟

ـ وأنا كذلك .. نلتقي في مسجد إبراهيم ياسين صباحا الساعة العاشرة والربع.

وفجأة امتلأ المكان برجال ، وأغلق الباب بحراسة رجال الأمن السري ، وسمع صوتا يقول : مستر شارل .. لا تتحرك ولا تستعمل مسدسك .. وسلم نفسك.

وضع المنادى عليه يده ليخرج مسدسه ، ولكن كان رجال الأمن قد قبضوا عليه وعلى صاحبه وتقدم الضابط عبد الله أحمد منه ، وخلع الباروكة عن رأسه ورفع الشارب الرفيع واللحية الصغيرة ، وهو يقول : مرحبا مستر شارل .. الآن انتهت شخصية وليم!

وتقدم من الرجل الآخر ، ورفع الباروكة عن رأسه، وخلع النظارة عن عينيه والشارب الرفيع واللحية الصغيرة ، وصاح بدهشة : سيد عماد سامح !.. ولماذا هذا التنكر؟! هو أنت شريك برس في جريمة عمارة زكي ملاح ؟! .. ألست سائق الدكتور جميل ؟! .. إنك ذكي جدا يا هذا مع مراقبتنا الشديدة لكل أفراد المركز .. لم يخطر في بالنا أن تكون أنت .. نحن دهشنا عندما اتصل بك مستر وليم الليلة في بيتك .. قلنا تضليل ومكر.

قال شارل بقهر وغيظ : إنها غلطة كبيرة ! ولكنني أصبحت كفأر في مصيدة فاضطررت للاتصال به.

فقال الرائد بثقة كبيرة : ها نحن التقينا في البحيرة الخامسة .. أنت تريد منا أن نذهب لشارع

البحيرة الخامسة وليس المقهى .. ولكن رجالنا معك في كل خطوة تخطوها .. في الشارع أمام المحلات في السينما .. حتى وصلت إلى هنا .. وأنت سيد عماد خرجت من البيت وركبت سيارة أجرة .. إنها سيارتنا.. ونزلت في شارع معتم .. ولبست أدوات التنكر شعر طويل نظارة شارب رفيع ولحية صغيرة ـ أما يوم مقتل فرج فقبعة واسعة نظارة سوداء وشارب كثيف من غير لحية ـ ثم وقفت تنتظر سيارة بعدما تنكرت .. ركبت سيارة أجرة .. وسرت في شوارع المدينة شرقا وغربا ثم جئت إلى هذا الشارع بعدما نزلت في الشارع المجاور وسرت على قدميك وأنت تظن أنك ضللت رجالنا إذا ما زالوا يتبعونك.

تم وضعهما في صندوق سيارة عسكرية ، وتسليمهما لمركز أمن حي الشجرة ليتم استجوابهما بشأن الجريمتين ، وكان الرائد عبد الله قد اتصل بعوني وأخبره بذلك التطور ، فكان الضابط في استقبالهما هو ورجال الأمن في المركز ، فقال عوني وهو مستغرب عندما رآهما : أنتما ! .. مستر شارل عالم البيولوجيا الفرنسي .. أخشى أن تكون منتحلا لهذه الشخصية يا هذا ! .. يا لك من رجل ماكر ..ونظر لعماد وقال : عماد! .. سائق الدكتور .. السائق الهادئ الذي ليس له عمل إلا نقل وتوصيل الدكتور .. يا مرحبا بكم أيها السادة.

قال عبد الله : خذ اعترافاتهم بمقتل الدكتور جميل وفرج ودوافع ارتكاب الجريمتين ، ثم سوف ننقلهما للتحقيق معهم في قضايا التجسس لنعرف باقي أعوانهما.

الفصل الأخير

جلس عدد من الضباط من جهازي الأمن والشرطة والأمن السري الاستخبارات حول مائدة كبيرة ، وأحضر الرجلان مكبلين بقيود البوليس ، وبعد أن فتح المحضر قال الرائد عوني : نحن رجال الشرطة نريد سماع أقوالكم واعترافاتكم حول الجريمتين .. وأما التحقيق في نشاطكم التجسسي فيكون في دوائر الأمن الخاصة.

فقال شارل : أنا لن أتكلم بشيء قبل أن أتصل بالسفارة وأمام محامي دولي.

فقال عوني : ما رأي وكيل النيابة ؟

قال وكيل النائب العام : لك ذلك يا مستر شارل .. وأنت يا سيد سامح ..عماد سامح .. هل تريد أن تقر بما تعلم أم نحضر لك قانونيا ؟

فالتفت عماد إلى عيني رفيقه شارل وقال : سوف أتكلم ، ولكل شيء نهاية .. أريد أن أقول ما عندي.

فأمر الرائد عوني بإخراج شارل بناء على تشاور الضباط ، وطُلب لعماد كوب من الشاي ، ثم بدأت اعترافات عماد الخطيرة التي طال انتظارها ، فبعدما عرف بنفسه من ذكر اسمه وسنه وعمله وعنوانه قال : أنا التقيت بالسيد جميل في بون قبل ما يزيد عن عشر سنوات .. كان لي أخ يشتغل هناك ذهبت لزيارته ، وكان من أصدقاء جميل ، وكان متزوجا من فتاة ألمانية ، وأنا لم أنجح في المدرسة ولم أحصل على الثانوية العامة .. ولما كنت هناك في زيارة أخي أعجبتني حياة الانفلات والملاهي، فكان أخي جاسر ينفق عليّ ، وكان الدكتور جميل يدس عليّ خفية عن أخي كثير من الماركات الألمانية .. وفجأة مات أخي بحادث سير رهيب هناك .. وزوجة أخي الألمانية لم تنجب أي طفل لأخي .. فعندئذ فكرت بالعودة للبلاد بعد ثلاث سنوات أمضيتها هناك .. في تلك الفترة لما رأى السيد جميل رغبتي القوية بالعودة أقنعني بالعمل لديه في المركز العلمي سائقا خاصا له .. ولما عاد من سفره ذهبت وقابلته فكنت سائقه الخاص ، وأصبح السائق القديم سائقا للمركز ، وكان يعطيني راتبا ممتازا وساعدني في الزواج ، ولكني فشلت

فيه ولم يدم سوى بضعة أشهر ، وكان أحيانا يكلفني جميل برحلات خارجية لنقل وثائق ورسائل لجهات مختلفة ، وكنت أظنها أول الأمر أبحاثا علمية .. واستمر هذا الوضع لأكثر من خمس سنوات حتى التحق بالعمل الدكتور فرج السكرتير .. فعرفت منه بعد عدة مهمات خاصة أنني أعمل ضمن منظمة سرية تجسسية تخدم دولة أوروبية مقرها في ألمانيا الغربية .. وللحياة التي أعيشها من ترف ومجون لم أكترث لهذا الاكتشاف .. وظللت السائق الخاص للدكتور جميل ، وأحيانا فرج إلى أن حدث أمر خطير وهو أن الدكتور جميل عازلي أخذ والده أسعد عازلي المريض بالقلب للعلاج في أوروبا في بون عاصمة ألمانيا ، وذات يوم والدكتور يجلس مع جماعة من هذه المنظمة السرية استمع الوالد لحديثهم من غير علمهم .. والسيد أسعد مدرس قديم ويتقن اللغة الإنجليزية والفرنسية كالناطقين بها .. المهم عرف الأستاذ أسعد بأن ابنه عميل لمنظمات تجسسية غربية.. فهو جاسوس كبير لهم.. وهو يدير شبكة تجسس في وطنه لصالح هذه المنظمة السرية التي عرف أنها تعمل لصالح المخابرات الأمريكية والإسرائيلية في أقطار العالم العربي أو الشرق الأوسط .. فهذا الأب لم يحتمل تورط ابنه فانفعل سريعا .. واقتحم عليهم الغرفة وتشاجر معهم ومع ابنه وحقره أمامهم وبصق عليه أمامهم .. وقطع جميل العلاج أو متابعة العلاج وعادوا إلى هنا .. وقد اشتد الصراع بينه وبين أبيه .. وهنا دخلت المنظمة السرية .. وطلبت منه إنهاء حياة والده بأي طريقة .. فصعب عليه الأمر وتوسل وترجى ومن غير فائدة .. فرفض تنفيذ القتل أشد الرفض وفي كل سفرة كان يستعطف القوم وأن والده لا يمكن أن يكشف الأمر ويفضحه .. ولكنهم لم يقتنعوا .. فتكفلوا له بتنفيذ المهمة فرفض .. وفي الرحلة الأخيرة ذهب إليهم ليتفاهم معهم .. وهناك رفضوا أعذاره وأقواله ، فهددهم بتسليم نفسه للسلطات المختصة أو الانتحار .. وقبل عودته جاءت الأوامر للسيد فرج بالخلاص منه بأسرع وقت ، وقدم شارل المتسربل بثياب العلماء والحكماء للإشراف على المهمة وضبط الأمور هنا بعد مقتل جميل .. وكان جميل يعتقد أن مجيء الرجل باسم حضور ندوات الجامعة للتفاهم معه على حل وسط .. قد تقولون لماذا لم يقتلوه هناك عندهم ؟ فقتل الدكتور جميل هناك سهل وميسور

ولكنه خطير ، وقد يدفع والده بكشف أوراق كانوا يخشون أن تكون عنده .. فقد كانوا يظنون أن جميلا يخبئ أوراقا تخص المنظمة والشبكة هنا ؛ فإذا قتل هناك فيقوم الوالد بعد موت ابنه بإخبار دوائر الأمن السري.. فيتم تفتيش كل شيء عند جميل فتسقط شبكتهم هنا .. المهم تلقى السيد فرج الأمر الخطير ، ووصل شارل دون علم جميل صباحا .. واتصل به من الفندق الكبير والتقيا بعد الظهر .. وكلفه بمهمة تصفية جميل بأسرع وقت .. والرفض مستحيل عند هذه المنظمات الرهيبة .. ذهب فرج مساء لبيت الدكتور جميل بعدما استولينا على مسدس جميل من المكتب .. وركب له كاتم صوت.. وكانت مهمة فرج أمام الدكتور وضيوفه هي الذهاب للمطار واستقبال الدكتور شارل وإحضاره إلى بيت جميل للعشاء .. وشارل قادم لإلقاء محاضرة علمية في أسبوع ونشاط الجامعة ، وموعد الطائرة كما تعلمون السابعة مساء .. فشارل عالم حقيقي معروف في علم الأحياء ؛ ولكنه مجرم وعالم من علماء المنظمة السرية .. الدكتور جميل لا يسمح لأحد بدخول مكتبه أثناء غيابه إلا لي ولأبي سالم الفراش .. اتصل بي فرج .. وطلب مسدس جميل فأخذته خفية عن عيون الفراش ودفعته لفرج .. وكان فرج قد رتب قتل الدكتور بأسرع وقت .. والدكتور هيأ الفرصة لفرج بقتله .. عندما شرب القوم الشاي كان الدكتور في مكتبه ، فدخل عليه فرج قبل أن يغادر للمطار والذين يجلسون في الحديقة يظنون أنه ذهب للمطار ، ولم يعرج على مكتب جميل .. دخل الفيلا بدقة وخفة وسرعة يمتاز بها فرج ودخل المكتب.. فلو رآه صدقي أو غيره سيفهمه أنه يريد الحديث مع الدكتور ..وكان فرج قد صمم لباب مكتب جميل مفتاحا وللباب الأمامي آخر بغفلة من صدقي منذ عهد قريب .. منذ بدأت مشاكل جميل تزيد مع المنظمة السرية .. دخل على الدكتور وبعد حديث يسير قتله بمسدسه .. وأخذ كاتم الصوت ، ومسح بصماته عن المسدس والمكتب والمقعد الذي جلس عليه وأغلق الباب على الدكتور .. وانطلق إلى المطار .. وكما قال لي العملية لم تستغرق ثلاث دقائق .. وقد تأخرت الطائرة الفرنسية أو الطائرة التي من المعتقد أن على متنها شارل .. تظاهر بالسؤال عن الدكتور شارل أمام الموظفين ليشهدوا أنه أتى فعلا لاستقبال الضيف.. ثم اتصل بشارل وأخبره

بتنفيذ الجريمة والقضاء على جميل .. ثم اتصل بمنزل جميل قريبا من الثامنة مخبرا بموت جميل .. فهو يريد أن يرى هل اكتشفت الجريمة أما بعد ؟.. فلما أدرك أن صدقيا لا يعرف شيئا أخبره بموت جميل .. وأغلق الهاتف .. وأتى مع دخول رجال الشرطة متظاهرا بأنه قادم من المطار .. فرج هو الذي قتل صاحبه جميل رهبة من المنظمة الرهيبة وتنفيذا لأمرهم .. هذه الأولى أيها السادة .. ولكن الغلطة التي حصلت أن الدكتور فرج أخذ مفاتيح الخزائن السرية الخاصة بالدكتور جميل .. وتسرع بالمجيء لبيت جميل للاستيلاء على الأشياء المهمة والخفية من حياة جميل قبل أن تهدأ الأمور .. والسبب الخشية أن يكون فيها أوراق مهمة أو مذكرات مهمة .. أما الأجهزة فلم تكن تشكل خطر علينا مع أنها أدوات تجسس ، لكنها لا تساعد على كشف الجريمة بل تزيدها غموضا وتعقيدا .. أنتم عجلتم بسحب الحراسة عن الفيلا .. فأسرع فرج لتنفيذ المهمة الدقيقة .. وبينما هو يعالج الخزانة السرية طقق جرس الهاتف .. وترك الخزانة واستمع للمكالمة المفاجئة وسمع شخص يقول : إني قادم إني قادم لا تخافوا.

فلم يظن أنهم يكلمون الطبيب كما فهمنا بعد وإلا لبقي قابعا حتى ينهي الدكتور مهمته ثم يغادر المكتب.. إنما ظن أن أهل البيت شعروا به وكلموا الشرطة فهم قادمون ، فأخذ دفتر مذكرات الدكتور ، وأغلق الخزانة المخفية بدقة ، وخرج مسرعا ظانا أن أحدا لم يره ، ثم عرفنا أن الخادم صدقيا لمحه فارتبكت الأمور لدينا ولما شعرنا بمراقبته ، وأن المركز قد أصبح تحت المراقبة ، جاءت الأوامر لشارل بتصفية فرج ، فجاءني شارل متنكرا إلى مقهى البحيرة الخامسة حيث نلعب القمار خفية متظاهرين بلعب الورق .. وكما تعلمون بجواره خمارة وملهى ليلي .. فرتب معي خطة تصفية فرج ، وأعطاني النظارة والشارب الكثيف ، وكلفني بسرقة سيارة، ورتب لقاء مع فرج ليلا في الجمعية، وطلب منه دفتر مذكرات جميل، ولما حضر فرج للجمعية حسب الموعد أخذ منه دفتر المذكرات، وتحدث معه بشؤون المنظمة وإدارة المركز وتسيير أمور الشبكة بعد موت جميل ـ وكنا نعرف أنه مراقب ـ فأمرني بتصفيته .. فنفذت سريعا .. ثم خرجنا من الباب الثاني ؛ لأننا رأينا رجلكم يقف أمام الباب باب الجمعية المعروف.. ثم ذهبنا لمنزل

فرج بالسيارة المسروقة ، وأخذنا ما يلزمنا.. ثم ذهبت به إلى الفندق في سيارتي الخاصة بعد أن تركنا السيارة المسروقة بالقرب من ورشة تصليح ـ لنثير شهوة الشرطة نحوهم أي أنهم سرقوا السيارة لبيعها قطعا ـ فأخذ حقيبته من الفندق ، وغادر وقد غير شكله في السيارة وانتحل شخصية وليم برناس.. ونزل في فندق شعبي والباقي تعرفونه.

فقال عوني : صحيح ؛ ولكن المحضر لا يعرفه .. تكلم بكل شيء.

وتابع عماد اعترافه الذي يعرفه القارئ من مطاردة البوليس له حتى سقط في مقهى البحيرة الخامسة.

وبعد أيام يسيرة ألقي القبض على شبكة تجسسية رهيبة في طول البلاد وعرضها ، وكشفت الصحف والمجلات الصادرة صباح الخميس تفاصيل هذا الموضوع للرأي العام.

تمت بفضل الله تعالى



* شارع البحيرة الخامسة *

تأسس المركز لإثراء النشاط العلمي

لما رجع الدكتور اسعد من رحلته الاخيرة قتل

احتار البوليس في دوافع الاغتيال

لا يوجد دافع واضح

تحركت الاحداث فكشفت عن دافع عميق

فصرع على أثرها سكرتير المركز

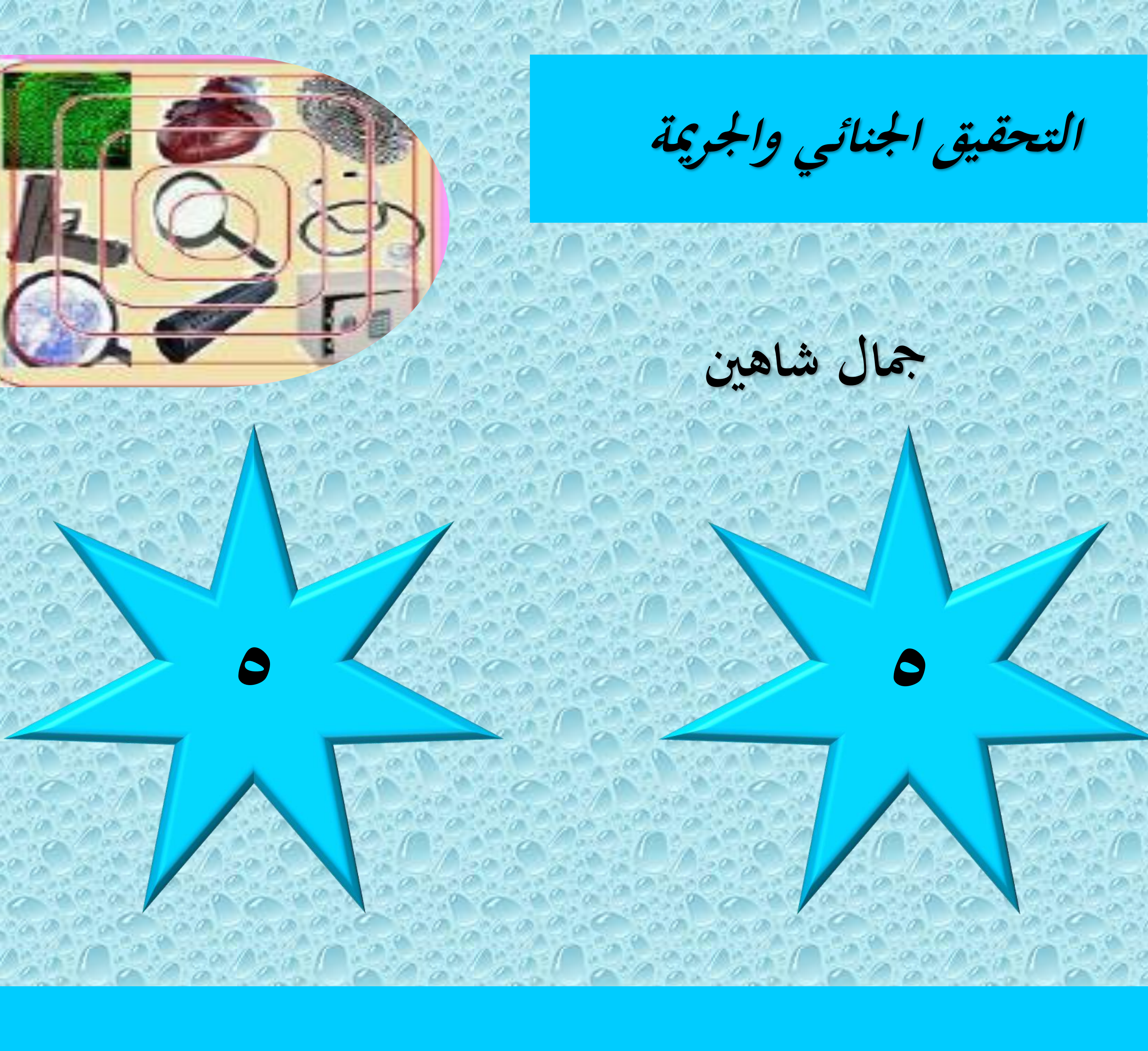
القاتل تدثر بثياب العلماء

وقع القاتل في النهاية

هذه قصة مركز الابحاث الصناعية



التحقيق الجنائي والجريمة



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين

ليموت الماضي

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين



جمال شاهين



١

كما هو معروف للجميع في بلادنا الشتاء قارص ، وخصوصا في شهر فبراير المعروف بشدة برده وزمهريره وكثرة أمطاره ، كان الضابط المناوب في مركز أمني (حي الأمير زين الدين) الكائن في(شارع الأمير زين الدين) يتلقى في السابعة صباحا من يوم الأربعاء هاتفا من عامل المقسم في القسم الأمني: نقيب مالك ..مكالمة خطيرة .. هل أحولها إليك أم إلى الشاويش ضرغام ؟

فرد النقيب مالك بكسل : هاتها

ثم قال للطرف الآخر على الهاتف : نعم ، معك النقيب مالك

ـ في حي الشمارخة في منزل قديم تحت الأرض عمارة أبي العنان شارع الفرسان القديم توجد جثة رجل مقتول .. هل تسمعني ؟؟

تنبهت خلايا الضابط وطار الكسل عن بدنه وعينيه وقال : أسمعك .. من...

وقبل أن يكمل الضابط المستمع استفساراته أغلق الطرف الآخر الخط الهاتفي ، فاتصل الضابط مالك بالضابط خلدون قائد الدورية الليلية القريبة من ذلك الحي ، وأمرهم بالبحث عن شارع الفرسان القديم عمارة أبي العنان مسكن تحت الأرض ، والتأكد من وجود جثة رجل هناك ، وإجراء اللازم ، ولم تكد تصل الساعة إلى السابعة والنصف حتى تلقى النقيب مالك مكالمة من الدورية تؤكد وجود جثة ميتة قتلا في ذلك المنزل ، وعلى الفور تحركت الجهات المسؤولة من رجال الشرطة والبحث الجنائي ووكيل النيابة العامة والمعمل الجنائي والمصور نحو المكان، وأخبر الطبيب الشرعي بمكان الجريمة ليلحق بهم ، تقدم المقدم جعفر عزام نحو الغرفة الموجود فيها جثة القتيل ، فهبط إليها من درج رفيع ، وله أكثر من عشر درجات ، وفتح له الشرطي الباب وكانت الغرفة مضاءة ، ورائحة الرطوبة والعفونة تملؤها ، دخلها المقدم وبعض من معه ، وأكثرهم وقف في خارجها لصغرها ، هي غرفة صغيرة لها نافذة واحدة صغيرة ، وعليها شبك حديد ليمنع الناس من الدخول لها ، وفي إحدى جهاتها مطبخ صغير ، مائدة فوقها غاز صغير، وبجواره مرحاض صغير هو الآخر، وفي الغرفة خزانة ملابس صغيرة

وفي وسط الـغرفة مائدة صغيرة حولها مقعدان قديمان ، وفي إحدى زوايا الـغرفة سرير معدني يتسع لشخص واحد فقط ، مسجى عليه الميت حيث كان مصرعه، ومغطى بعضه بلحاف خفيف، وأسفل السرير دماء متساقطة جامدة متجمعة على سجادة أرضية عتيقة مفروشة على بلاط الغرفة ، تأمل المقدم ومساعدوه الغرفة والمطبخ والمرحاض وقلّب في خزانة الثياب، فوجد فيها حقيبة جلدية قديمة جدا ، فيها عدد من الأوراق مثل فواتير كهرباء وماء ووصفات أطباء وغير ذلك، وكان في الخزانة عدد من البدلات العتيقة، فأمر بتفتيشها جيدا ، وكان في أرضية الخزانة تحت كومة من الملابس المختلفة حقيبة أخرى متوسطة الحجم ، وكان بداخلها ملابس داخلية أقلام دفاتر صغيرة دفاتر شيكات، منها ما هو قديم ، ومنها ما هو حديث لبنوك مختلفة الأسماء ، علب سجائر ، مسدس صغير ، البوم صور ، ولما انتهى من تقليب الحقيبة قال للطبيب الذي كان يفحص الجثة قبل نقلها لغرفة التشريح : ما تقول يا سيدي الدكتور ؟

رد الطبيب وهو يرفع السماعة الطبية عن أذنيه ويضعها في حقيبته : تم القتل عن قرب ، أكثر من رصاصتين، واحدة في الصدر ، وأخرى في الجبهة هشمت الرأس والجمجمة ، ويبدو أنه قـتل وهو نائم.

المقدم جعفر : يبدو أنه قتل الليلة الفائتة ؟

رد الطبيب : أظن أنه قتل قبل أقل من اثنتي عشرة ساعة .. قبل منتصف ليلة أمس .. سيكون الوقت محددا بالدقة بعد إجراء التشريح الكامل.

نظر الضابط إلى الجثة ووجهه القتيل والثقب الموجود في الجبهة ، ثم أمر بتفتيش جيوب الميت ، وقام رجال المعمل الجنائي بما يلزمهم ، وتم أخذ الصور المناسبة، ثم أمر المقدم جعفر بنـقلها إلى سيارة نقل الموتى ، وفتش الضابط السرير ونظر أسفله ، ثم خرج ليتابع رجال المعمل الجنائي عملهم من البحث عن بصمات وأخذ العينات من الدم المتجمد على الأرض أعقاب السجائر وما يهم رجال البوليس.

صعد الضابط الدرج الذي يهبط على غرفة الميت ، وأصبح في فناء خلف العمارة ، كان أحد

رجال الأمن يقدم له صاحب العمارة أبا العنان ، وبعد التحية والمصافحة قال جعفر: أبا العنان بالتأكيد تعرف المجني عليه نزيل هذه الحجرة.

أبو العنان رجل كبير في السن ، دخل في الـعقد الثامن من العمر ، متوسط القامة بين البدين والنحيف ، يضع على عينية نظارة طبية فرد على المقدم جعفر قائلا : ساكن هذه الحجرة يا سيدي هو السيد عزمي لماعة ، وهو مستأجر قديم منذ عشر سنوات قل إحدى عشرة بل اثنتي عشرة سنة .. هو رجل غلبان ليس له أهل في العاصمة إلا أخ يعمل موظفا في وزارة الصحة ، فهو قد جاء العاصمة من سنوات طوال من قرية يقال ثلجة أو الثلجة ، وهي تبعد عن العاصمة أكثر من مائتي كيلو متر غربا .. وهو منذ سكن عندي كان أعزبا من غير امرأة وأولاد كما أعلم.. والحق أنه منذ استأجر هذه الغرفة الصغيرة لم يقصر في دفع الإيجار الشهري بل كثيرا ما يدفع مـقدما لبعض الأشهر ، ولما كان يسافر وتطول غيبته يرسل الأجرة مع أخيه أو صاحب له.

فقال جعفر: هذا السكن لماذا هو صغير؟.. وكله برودة وعفونة .. كيف يسكنه بنو آدم ؟!

فقال أبو العنان: يا سيدي! عندما بنينا هذه العمارة منذ أكثر من ثلاثين سنة جعلنا هذه الغرفة ومن الجهة المقابلة غرفتان أكبر منها كمخازن للأثاث القديم وأدوات العمل ، وقامت هذه العمارة فوقهن ، ومع الأيام وكثرة الأيدي العاملة الخارجية حولتهما لسكن العزاب من المغتربين وفصلت هذا الـغرفة عن الـغرفتين الأخريين ، وجعلت بينهما سورا مرتفعا، ولكل منهما مدخل منفصل، والسبب سكن رجل وزوجته، وفتحت لهذه الغرفة مدخلا ثم هذا الدرج ، فأصبحت هذه الغرفة تطل على الشارع الخلفي من العمارة .. وأنا يا سيدي سكنت في العمارة سنوات كثيرة ثم تركتها منذ عشرين سنة هذا أقل رقم، وسكنت في عمارة أحدث فلا معرفة لي كبيرة بالمستأجرين سوى أسمائهم وأجرتهم .. وهذا الرجل المقتول تعرفت عليه من عشرة أعوام كما ذكرت قبل قليل ، وهو مستأجر ملتزم بالأجرة ، ولم أسمع أنه تشاجر مع أحد السكان منذ عرفته.

فقال الضابط : إذن اسم الرجل المقتـول عزمي لماعة .. وهو من مواطني البلد .. أبا العنان كم

مستأجرا عندك في هذه العمارة ؟

ـ في العمارة ست شقق سوى هاتين الشقتين الصغيرتين .. فكان عزمي ينزل في هذه الغرفة ، وأما الشقة المقابلة فينزل فيها ثلاثة عمال أجانب.

ـ أبا العنان .. نريد قائمة بأسماء سكان العمارة ، وأخبرهم بأن رجال التحقيق سوف يتحدثون معهم قليلا حول القتيل السيد عزمي لماعة ، ومن عنده شيء يفيد التحقيق فليخبرنا به مشكورا شجعهم على التعاون معنا.

التفت المقدم جعفر لمساعده مالك وقال : انظر هل يوجد في هذا الشارع مطعم أو مـقهى أو بـقالة أو محل ؟ واسألهم عن السيد لماعة ومدى اتصاله بهم.

فقال أبو عنان : هذا حي شعبي كما تعلم يا سيدي الضابط .. وهذا الشارع شارع خلفي ، ولا يوجد إلا في آخره بقالة صغيرة لصاحبها وجدي حمامي أو الحمامي .. فكل المحلات في الشارع الأمامي حيث مدخل العمارة ، وهو الشارع الرئيسي في الحي.

فعاد الضابط جعفر يخاطب أبا العنان قائلا : أبا العنان لم نجد هوية أو جواز سفر في غرفة المجني عليه.. هل أنت متأكد من اسم ساكن هذه الغرفة ؟

ـ بالتأكيد يا سيدي .. فعندما يستأجر عندي شخص ما وقبل أن نوقع العقد أطلع على هويته أو جواز سفره إلا إذا جاءني المستأجر من طرف أحد الأصحاب الذين أثق بهم قد لا أسأل الشخص عن بطاقته الشخصية .. والسيد عزمي كما قلت معرفة قديمة ، وقد يكون هو أقدم مستأجر عندي ، ولابد أني اطلعت على هويته الشخصية ، قد يكون لديّ نسخة من العقد القديم الذي بيننا ثم نسينا بعد زمن تجديد العقد.

ـ إذن قد نجد عندك عقدا للإيجار؟

ـ عقد قديم .. هو قد استأجر هذه الحجرة بعشرين دينار شهريا ، وبعد سنوات زادها من نفسه إلى ثلاثين.

ـ شكرا أبا العنان ..فنحن بحاجتك في المركز الأمني لأخذ أقوالك وملاحظاتك في محضر

رسمي لتوقع عليها .. وعليك مساعدة النقيب أبي جاد الله أثناء لقائه مع سكان العمارة لسماع إفاداتهم وملاحظاتهم .. لعل معلومة تساعدنا في الوصول للمجرم.

واستمر رجال التحقيق في البناية حتى الظهر، ثم رجع المقدم جعفر ومساعدوه لمركز الأمن الكبير في حي الأمير زين ، وبعد ساعة من الزمن ركب المقدم ومساعده مالك وطلبا من السائق توصيلهما إلى مستشفى الشفاء ـ وهو أحد المستشفيات الحكومية الكبيرة في العاصمة ـ ودخلا على رئيس المرضين في أحد أقسام المستشفى ، وبعد تعارف سريع ومعرفة الرئيس الغاية من وجودهم ، أرسل وراء الممرض شوكت لماعة أخو الضحية ، الذي جاء بدوره مسرعا فإذا هو شاب نحيف البدن قصير القامة ، وهو يعمل ممرضا في المستشفى منذ سبع سنوات ، فبعد أن قدمه الرئيس للضابطين ، وقدمهما له ، انسحب رئيس الممرضين بكل هدوء، فقال المقدم: أستاذ شوكت آخر مرة رأيت فيها أخاك عزميا متى كانت؟

وضع شوكت يده على صدره وحملق في الضابط السائل لحظات وقال : سيدي الضابط هل ارتكب عزمي جرما جديدا ؟!

استغرب الضابطان من هذا الاستفسار وقال المقدم بدهشة : جرما جديدا !! .. لا .. لا .. متى رأيت أخاك ؟

ـ لا أراه إلا إذا فعل أمرا سيئا ومخالفا للقانون .. قل لي ماذا فعل هذه المرة ؟

ـ سيد شوكت .. هون عليك .. هذه المرة أخوك عزمي وجد في غرفته مقتولا .. قد مات.

فارتفعت أنفاس شوكت وقال بصوت مضطرب : مات ! .. قتل ! .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. إيه .. هذا ما كنت أخشاه عليه .. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم سقط على كرسي، وقد تساقطت من عينيه الدموع، فقام الضابطان بتعزيته بالكلمات الدافئة المخففة لهذا الألم والمصاب، وبعدها قال المقدم : نحن جئنا إليك لتساعدنا وتضيف إلينا بعض المعلومات عن أخيك يا سيد شوكت.

ـ غفر الله لك يا عزمي كم نصحته ؟!

ـ متى تكلمت معه آخر مرة ؟

مسح الشاب دموعه ورد قائلا : منذ شهور .. لقد زارني مرة منذ نصف سنة .. علاقتنا الاجتماعية ضعيفة يا سيدي لأسباب .. فمنذ أن خرج من القرية قطع عزمي علاقته بالأسرة .. ولما أتيت المدينة للدارسة والعمل هنا التقيت به صدفة، وعرفته على بيتي ، وعرفني على بيته في عمارة الحاج أبي العنان ، وكلما قبض عليه في قضية أصبح يتصل بي.

ـ سنسمع لكل أقوالك بالتفصيل سيد شوكت ؛ ولكن بعد مشاهدتك لجثة أخيك للتعرف عليه ، وبعد إجراءات الدفن فيا حبذا لو شرفتنا في مركز أمن الأمير زين .. ونرجوك أن تسير معنا الآن.

وقام رئيس الممرضين بتعزية شوكت عندما علم بموت أخيه قائلا : صبرك الله وعظم عزاءك في أخيك ، واعتبر نفسك في إجازة حتى تنتهي من مراسم الدفن والعزاء.

ضحك أو تظاهر به شوكت وقال : أي عزاء يا سيدي ! سأذهب أيها الناس للبس ملابسي وأعود إليكم.

تعرف السيد شوكت لماعة على جثة أخيه ، وأكد أنها جثة أخيه ، وأن المقتول ابن أبيه.



٢

نشرت صحف نهار الخميس من فبراير نبأ مصرع الشاب عزمي لماعة في صفحات الحوادث كأي خبر من أخبار السرقة والاحتيال التي تنشرها عادة معظم الصحف ، ولكن هذا الخبر الصغير كان مهما بالنسبة إلى رجل يسكن في حي أزهار المربع شارع الشمس ، إنه رجل كبير تجاوز الستين من سنوات العمر، مصاب بمرض شديد أقعده البيت منذ سنوات ، يتحرك في المنزل أو الفيلا على كرسي متحرك ، إنه السيد حازم عبشل الذي تعرض لحادث سير قلب سيارته، خرج منه بإصابة قوية في عموده الفقري أصابته بشلل دائم ، وكان من عادة هذا الشيخ الكبير المريض بعد أن يتناول إفطاره أن يجلس في صالون الفيلا ، وتكون الخادمة قد هيأت له المكان بإشعال المدفأة الصغيرة مع وجود التدفئة المركزية في أنحاء البيت ؛ لكنه يحب النظر إلى شعلة نار المدفأة ليشعر بالدفء ، فيجلس يشرب القهوة ، ويطلع على الصحف التي أحضرتها له الخادمة من المتجر الكبير ، فكان هذا الرجل يقرأ كل صحيفة بين يديه من أولها لأخرها ، فلما وصل صفحة الحوادث وقرأ خبر اكتشاف جثة عزمي لماعة ، لمعت عيناه ببريق خاطف ، فقد تذكر الاسم على الفور ، ولا يعتقد أنه سوف ينساه في يوم من الأيام ، فهو يعرف هذا الاسم حق المعرفة ، فكرر قراءة تفاصيل الخبر ، خبر صغير تم اكتشاف جثة السيد عزمي لماعة مقتولا في منزله ، وذكر مراسل الجريدة أن شخصا مجهولا اتصل برجال البوليس ، وأخبرهم عن وجود القتيل في منزله مقتولا بعدة رصاصات ، والتحقيق جار لكشف غموض هذه الجريمة

ولما قرأ السيد حازم الخبر عادت به الذكريات إلى أكثر من خمس وعشرين سنة للوراء .. كان يجلس في متجره الصغير في وسط المدينة عندما دخل عليه شاب صغير ذو خمس عشرة سنة ، شاب جميل الصورة يرتدي ثيابا رثة ، الفقر والبؤس مرتسمان على وجهه النحيل ، دخل الفتى يسأل صاحب المحل عن عمل عنده ، نظر الرجل في الفتى المرهق ، وسأله بضعة أسئلة عن اسمه وأهله ، فكانت ردود الفتى قصيرة ومختصرة .. اسمه عزمي.. من قرية ثلجة .. بعيدة عن العاصمة .. هرب من المدرسة لا يحبها .. ثم هرب من القرية للعمل والشغل .. أمه ماتت من

سنوات طويلة .. وامرأة أبيه لم تحسن رعايته كإخوته الآخرين ، فترك القرية وجاء للشغل في العاصمة ، وله يومان يبحث عن شغل .. وكان صاحب الدكان حازم عبشل يفكر بتوسيع العمل ، فقد استأجر منذ فترة قريبة مشغلا لصناعة الثياب وتطريزها .. فرحب بالفتى وعطف عليه ، واحتضنه ، واسكنه مع العاملين اللذين يعملان عنده ، وكبر عزمي وبلغ العشرين من عمره ، وأصبح السيد حازم يعتمد عليه ويثق به ثقة كبيرة ، فكان يتركه في المحل أو المعرض الذي كبر أو يرسله للشركات الكبرى لشراء لوازم الخياطة من أقمشة وخيطان وأزرار وابر ومقصات ، بل كان يصحبه في بعض رحلاته إلى الخارج إلى قبرص واليونان لشراء الملابس الأوروبية المرغوبة في البلد ؛ بل تطور الأمر وأصبح القروي الساذج مساعدا كبيرا للسيد حازم فكان يستضيفه أحيانا على الغداء أو العشاء في بيته الكائن في شارع الشمس، ولما أنهت ابنته الوحيدة الجامعة أصبحت تمارس العمل في المعرض الكبير ، وأخذ الوالد يعتمد عليها في إدارة العمل وتطويره ، فهي ابنته الوحيدة وليس له في هذه الدنيا سواها ، ثم كان يأخذها معه في رحلاته إلى قبرص واليونان لتتعلم أسرار المهنة ، بل كان يسمح لها بالسفر مع السيد عزمي للسياحة والاستيراد ، فكان الرجل يعتبر السيد عزميا كولد له وشقيق لوحيدته ، كان السيد حازم يرى أن عزميا كابن له وأخ لابنته شيرينة إلى أن كان يوم عصيب في حياته استيقظ على أثره من سباته ، قد طلب منه الشاب عزمي يد ابنته للزواج ، فأصابت السيد حازم صدمة، ورفض بشدة .. ولكنه اكتشف مع تسارع الأحداث أن بين الاثنين علاقة عاطفية حميمة تجري من تحت قدميه منذ زمن بعيد من أيام الجامعة، حاول الوقوف في وجههما ، وفي أثناء ذلك ماتت زوجته أم شيرينة ، ولما مضت شهور على الوفاة أعاد عزمي الكرة ، وطلب الفتاة للزواج فثار في وجهه من جديد ، ولكن تبين له أن ابنته خليلة وعشيقة له من سنوات ، فبكى قهرا وسما ، وعض أنامله ندما ، وعرف أنها ذهبت لليونان وعملت عملية إجهاض لحمل سفاح ، فجن جنونه وقضى في المستشفى أياما ، ولما تعافى وافق على إعلان الخطبة وتأجيل الزواج إلى حين آخر.

وكان حازم يعتبر نفسه أنه هو السبب في تدمير فتاته ، وأن كل الحق عليه لسماحه لعزمي بدخول بيته والجلوس مع ابنته والسفر مع ابنته، وبعد مضي سنة من إشهار الخطبة ، اتفق عزمي مع والد خطيبته أن يكون الزواج بعد عودته من رحلة اليونان ، يكتب عقد الزواج الشرعي ، وتجري مراسيم الزواج ، وتذكر الرجل المشلول.. أن عزميا لما عاد من اليونان ألقي القبض عليه في المطار، وهو يدخل كمية من المخدرات ، فعرف الناس أنه يتعاطى الهيروين ، وحبس خمس سنوات، وفرح السيد حازم لوقوع عزمي بقبضة البوليس ، وفرح لخلاص ابنته منه ، وبعد سنتين من حبس عزمي تعرفت الفتاة على طبيب أسنان كان يتردد كثيرا على المحل ـ معرض بيع الملابس الأوروبية الثمينة ـ وبعد شهر من هذا التعارف تزوجت الفتاة من الطبيب بعد أن وافق على السكن في فيلا والدها الذي ما كاد يفرح بزواج ابنته الوحيدة حتى قلبت به السيارة ، وأصيب بشلل كبير جراء هذا الحادث المؤلم ، فأصبح قعيد البيت بعد خروجه من المستشفى ، وأصبحت السيدة شيرينة هي المسئولة الأولى عن المعرض والمشغل والفروع الأخرى التابعة لشركة والدها والبيت.

كل هذا تذكره السيد عبشل وهو يقرأ خبر مقتل خطيب ابنته السابق .. ولبث دقائق أخرى يفكر في عزمي ، ثم عاد يتذكر أن هذا الرجل بعد أن قضى فترة الحبس جاء يسأله العمل من جديد ، فطردته ابنته وبينت له أن الماضي بالنسبة لها انتهى ، وأنها أضحت على ذمة رجل آخر.. واختفى بعد ذلك اليوم من حياتهم، ذلك منذ أكثر من عشر سنوات.. وها هو اليوم يقرأ نبأ مقتله ، والشرطة لم تجد قاتله بعد، لذلك ما صدق عبشل أن عادت ابنته من العمل وزوجها الطبيب باسل نصري ، وكالعادة بعد العشاء الخفيف جلسوا في غرفة التلفزيون، وتحدثوا بمواضيع الساعة حتى قال الأب المريض مخاطبا ابنته : يا ابنتي العزيزة .. هل قرأت صحف اليوم ؟

نظر إليه الزوجان وقالت البنت : لأ ، يا أبي .. هل من شيء فيها ؟!

طلب السيد حازم من الخادمة إحضار الجرائد التي كان يقرأ بها في الصباح ، ثم قال : هل

تذكرين الرجل الذي كان يعمل عندنا منذ أكثر من عشرين سنة .. السيد عزمي لماعة ؟

تبادل الزوجان نظرات الدهشة، ثم قالت وفي صوتها رنة اضطراب وضيق : نعم ، يا أبي وكيف أنساه ؟! ألم يكن خطيبي في يوم من الأيام ؟ .. أجل إني أذكره.

فقال الأب بفرح طاغ : لقد قتل ! مات قتلا!

قالت : قتل!!

وردد الطبيب مثلها وقال : قتل .. كيف ؟!

وتناول الشيخ عبشل الصحف من الخادمة ، وفتح على صفحة الحوادث وأعطى الجريدة لشيرينة، وهو يقول والحقد على القتيل ظاهر في نبرات صوته: تقول الصحف إنه وجد مقتولا في قبو في حي الشمارخة .. وقال بحقد وغضب : هذا الرجل جاءنا صبي فقير .. فشغلته معنا حتى كبر وتمرد علينا ، ورغب في الزواج من شيرينة؛ ولكن الله صرفه عنها بقضية مخدرات.. فقد تبين أنه يتعاطى المخدرات .. وها هو يلقى جزاءه.

كان الطبيب باسل يسمع هذا الكلام ، وهو ينظر بطرف خفي إلى زوجته التي كانت تقرأ الخبر، وفي نفس الوقت تسمع كلام أبيها الحاقد ، وكانت شيرينة تـقرأ وفي يديها رجفة لحظها الأب فقال : ما بك يا شيرينة ؟

قالت بضعف : لا شيء .. تذكرت الماضي.

فقال الدكتور : أي ماض يا عمي ؟

تظاهر الشيخ بالضحك وقال : هذا الرجل كان في يوم من الأيام خطيبا لابنتي الوحيدة قبل أن نعرفك يا حضرة الدكتور .. فأنا أذكر أن شيرينة حدثتك بأنها كانت مخطوبة قبل أن تتـعرف عليك ، وهذا الخطيب قبل الزواج قبض عليه بمحاولة تهريب كمية مخدرات ، فحبس على أثرها بخمس سنوات فتخلصنا منه ، فهذا الرجل المعلن عن مقتله اليوم هو الخطيب السابق لابنتي .. الحمد لله الذي كفانا شره يا ولدي يا باسل .. لقد كان كابوسا كبيرا يجثم على صدري كان يدعي أنه يحب شيرينة حبا كبيرا حتى صدقته ابنتي الغالية ، وقبل أن يقع في قبضة العدالة

جاءني قائلا : يا عم حازم .. بعد رجوعي من اليونان سنكتب الكتاب لقد طالت فترة الخطبة .. ولما سمعت بالقبض عليه فرحت فرحا كبيرا ، لقد كان كابوسا وقد انزاح عن صدري.

فهمس الطبيب : لعلك حزينة عليه يا شيرينة ؟

وضعت شيرينة الصحيفة وقالت وهي تحدق النظر في عيني زوجها : أبدا يا باسل .. هو ماض بالنسبة لي ، وكما قال والدي لقد كان كابوسا ضخما يخيم على قلوبنا .. وهذا مصير كل مجرم ـ وقالت العبارة الأخيرة وهي تضغط على أسنانها ـ ثم أردفت قائلة وهي تـقوم : أريد أن أنام أشعر بصداع شديد في رأسي.

قال الطبيب وهو ينهض : على كل حال هو كابوس وانزاح عن صدور الجميع يا شيرينة .. نامي نومة هادئة .. في غرفة النوم العلبة الخضراء فيها أقراص مهدئة .. تصبح على خير يا عمي .. سأتحدث بالهاتف من المكتب ثم ألحق بك يا شيرينة.



٣

اطلع المقدم الشرطي جعفر على ملف عزمي لماعة الموجود في دائرة مكافحة المخدرات ، فتبين له أنه متعاطي أكثر منه تاجر ومروج ، وقد أمضى محكوميته الأولى في السجن كاملة ، وقد تمت معالجته في مستشفى الإدمان التابع للسجن ، ولكنه بعد سنتين من خروجه قبض عليه مرة أخرى مع مجموعة على شاكلته يتعاطونها ، فعوقب بالحبس بضعة أشهر ثم عفي عنه ، وبعد سنوات وجد معه كمية من المخدرات يحاول ترويجها ، وفي السنوات الخمس الأخيرة من عمره لا يوجد له أي قضية مخدرات ، فلما قرأ هذه المعلومات مفصلة قال لمساعده النقيب مالك مستفسرا من غير أن ينتظر إجابة: هل كان مقتله بسبب المخدرات ؟!

رد النقيب مالك بحيرة : لم نجد في البيت منها شيئا.. حتى الشباب الذين يجالسهم على المقهى ذكروا أنهم لم يعرفوا عنه مثل هذا الأمر ـ وهو التعاطي للأفيون أو الهيروين ـ وسكان العمارة لا يعرفونه ، ولا يختلطون به نهائيا ، وهو نفسه لم يختلط بهم .. صاحب المطعم القريب من العمارة في الشارع الرئيسي في الحي قال إنه من النادر أن يأكل عنده .. ولكن الشاب الذي يبيع في المحل الصغير في ناصية الشارع الخلفي ذكر لنا أنه في التاسعة مساء تقريبا ليلة مقتله شاهده واشترى منه صندوق سجائر ، وقد لحظ أن شخصا كان معه ينتظره في وسط الشارع وأخذ العلبة وسار نحو بيته .. وبما أن الليلة كانت ماطرة وباردة فكل الناس في بيوتهم.

فقال جعفر : ما العمل الذي كان يعمل به قبل مصرعه ؟

ـ صاحب المقهى الشرقي يقول إنه بطال لا يعمل منذ عرفه من سنتين أو ثلاث لم يسمعه يتحدث عن مهنة أو وظيفة ويقول العجيب أنه يدفع كل ما عليه وأحيانا كثيرة يدفع عن جلسائه..

فعاد المقدم يهمس : لماذا قتل إذن ؟! لماذا قتل ؟ كيف كان يحصل على المخدرات والمال؟ لابد من مراقبة المقهى جيدا .. هؤلاء الرجال الذين يجلسون معه لا يعرفون منزله .. إنها صحبة مقهى فقط .. حقيقة أن منزله لا يوحي أنه كان يستقبل فيه أحدا ..فلا يوجد فيه إلا غطاء

لشخص واحد .. ثلاجة صغيرة فيها خمر .. من المهم أن نعرف المكان الذي كان يشتري منه قوارير الخمر .. من أي خمار يا مالك؟ .. نريد خيطا نمسك به .. تقرير المشرحة يقول إنه قتل بعد العاشرة ليلا بخمس رصاصات ومن مسدسين مختلفين .. لماذا هذا أيضا ؟

ـ غريب فعلا !.. المقهى تحت المراقبة وكذلك البيت.

ـ الصور الموجودة في الألبوم كم عددها ؟

ـ ثلاث وعشرون صورة .. كلها صور على شاطئ البحر .. والعجيب أنه وحده في الصور أو بعض الآدميين البعيدين عنه إلا في صورة واحدة أو اثنتين مع ممثلة شابة ، كما قال خبراء الصور وهي ممثلة أجنبية .. هذا الشاب مغرم بالسفر كما فهمت من أخيه شوكت .. ولكن أين جواز سفره ؟ .. أين بطاقته الشخصية ؟ .. لم نجدهما في القبو ؟!

قال جعفر : حتى أرصدته في البنوك ضئيلة ، وجدنا له في بنك الأمة خمسمائة وستين دينارا ، وفي بنك أهل السعادة مائتين وعشرين دينارا.

ـ سنقابل المحامي الذي كان يترافع عنه أمام المحاكم.

ـ لا بأس من ذلك.

ـ قد نجد عنده شيئا .. أو طرف الخيط كما قلت.

ـ المهم يا مالك المقهى .. دع رجالنا يهتموا به كثيرا ، وسأتحدث مع المقدم سالم عبده ليهتم بأمره .. والآن أرسل لي الحقيبة أنظر فيها مرة أخرى.

ـ الصغيرة أم الكبيرة ؟

ـ الكبيرة يا صاحبي قد أجد فيها شيئا جديدا.. أخو القتيل شوكت هل سمعتم أقواله ؟

ـ أتى أمس السبت وحدثنا عن أخيه ، فأخبرنا أنه هرب من القرية وعمره أربع عشرة سنة ، وكان قد أخبر أحد أبناء القرية برغبته بالهرب للمدينة ، ولم يكترث والده بهربه ، ولا أم شوكت التي هي زوجة أبيه ، ولقد كان وحيد أمه الميتة ، وله أخت من أمه كانت أصغر منه بسنين ، ولما بلغت سن الزواج زوجها أبوها لرجل من البلدة .. ونسوا السيد عزميا ، ولم يهتموا بهربه كثيرا

لأنه أرسل إليهم بعد وصوله المدينة بشهور رسالة يذكر لهم فيه أنه حي ، وأنه يكرههم ، ولا يريد العودة للقرية ، ولا يسألون عنه ، وقال شوكت وكان له ذلك ، ولم نعد نهتم به أو نسأل عنه لـقد نسيناه ؛ ولكن قبل سنوات تخرجت من الجامعة كلية التمريض والتحقت بالمستشفى الحكومي في العاصمة.. فالتقيت بأخي صدفة في قسم الطوارئ .. لقد جيء به مدعوما بسيارة في أحد الشوارع .. ولما عرفوا اسمه ، اتصل بي زميل في قسم الطوارئ في اليوم التالي أن شخصا يحمل اسم عائلتي تم إسعافه ليلة أمس وإدخاله المستشفى أثر حادث سير، فذهبت إليه وهكذا التقيت بأخي .. ولما تعافى خرج بدون معرفتي.. وقبضت عليه الشرطة مرة ، فاتصل بي على المستشفى فذهبت إليه ، وحاولت مساعدته، وهكذا كنت ألتقي به .. ولما سجن عدة مرات كنت أحيانا أمر عليه في سجنه .. وأدفع عنه أجرة الغرفة للسيد أبي العنان .. وقال إنه يتعاطى الهيروين وسجن أكثر من مرة بسبب ذلك .. وقال أيضا علمت مرة أنه متزوج ؛ ولكني لم أر زوجته يوما ما ، ولا أعرفها ولم تتصل بي قط .

قال جعفر : الدنيا عجايب .. شخص مثل هذا ليس له صديق وصاحب.

ـ لابد أن له أصدقاء ؛ ولكنهم خائفون من الظهور .. وهذه جريمة قتل .. والناس تخاف من جرائم القتل .. وهي جريمة لحتى الآن غامضة.

فعاد جعفر يسأل قائلا : وزوجته التي أشار إليها شوكت هل سألتم عنها ؟؟

ـ من نسأل ؟!.. شوكت لم يرها ولم يعرفها ..والبيت الذي قتل فيه لا يصلح للزواج .. لا يوجد فيه لوازم بيت الزوجية، موقد غاز صغير، ثلاجة صغيرة لا يوجد بداخلها شيء .. ماء وخمر فقط .. خزانة ملابس صغيرة.

ـ لقد نشرنا خبر مقتله في صحف مختلفة ، فلو كانت له زوجة لابد أن تسأل عنه وتتصل بنا .. ولكن ممن علم شوكت قصة زواجه ؟.

ـ قد يكون منه.. عزمي أخبره بزواجه؛ كأن يقول له إنني تزوجت .. ويمكن زوجته يا سيدي إذا كان له زوجة لم تعلم بخبر موته بـعد إذا كانت موجودة حقا .. وإذا كان هناك زوجة معنى

ذلك أن له بيتا آخر ، ولكن شوكت لم يشر إلى ذلك

فقال جعفر : لابد أن له بيتا آخر يا مالك..

ـ كيف نصل إليه ؟

ـ سوف نصل إليه .. أين جواز السفر؟ وقد علمنا أنه كثير السفر.. أين الهوية الشخصية ؟ ..

هذه قرائن تدل على سكن مجهول.

قال مالك : قد يكون القاتل يا سيدي قد أخذ هذه الوثائق!

هز جعفر رأسه وهتف قائلا : لماذا يأخذها ؟! لماذا قتل السيد عزمي لماعة ؟!



٤

بينما كان الممرض شوكت لماعة يجلس مع زملائه في العمل في قاعة استراحة الممرضين يشربون الشاي والقهوة ، اقترب منه المقدم جعفر محييا فنهض مسلما على المقدم ، وبعد السلام والترحيب المعتاد قال المقدم : هل يمكن أن ترافقني خارج القاعة بضع دقائق ؟

فرد شوكت : على طول .. أنا في خدمتك يا سيدي.

فاستأذن شوكت من الزملاء ، ومشى مع المقدم جعفر الذي قال : نأسف لإزعاجك مرة أخرى .. نحن أخذنا أقوالك بالتفصيل ؛ ولكن كما تعرف يا سيد شوكت أننا نحقق في جريمة.. جريمة قتل غامضة.. فيخطر في بالنا أفكار وملاحظات وخواطر أثناء مراجعاتنا لما يتجمع لدينا من معلومات ..فنحتاج لمساعدة أهل الضحية أو أصدقائه للاستفسار والمعرفة.

ـ تكلم يا سيدي .. واستفسر عما تشاء.

توقف الضابط وشوكت في طرف الممر الذي يمشيان فيه وقال جعفر : سيد شوكت .. جاء ضمن أقوالك أن أخاك متزوج .. كيف عرفت هذا ؟ وأين زوجته الآن ؟؟

ـ نعم ، ذكرت لكم أنه متزوج ، ولكني لم أر زوجته ألبته .. هذا حدث منذ أكثر من ثلاث سنوات أو أكثر .. كنت مع زوجتي في عيادة نسائية .. فوجدت أخي عند نفس الطبيبة في قاعة الانتظار.. فاستغربت من وجوده ، فأخبرني أنه أتى ببعض الفحوص المخبرية ليعرضها على الطبيبة.. ولما سألت عن هذه الفحوص لمن ؟ .. قال لي إنه تزوج امرأة منذ شهور.. وتراجع الزوجة عند هذه الدكتورة ولادة بخصوص الحمل وأمراض النساء .. ولما خرجت زوجتي من عند الطبيبة ودعناه وانصرفنا .. ليس بيننا زيارات عائلية ، فلذلك لم أفكر بالتعرف على زوجته أو أدعوهما للبيت..

قال الضابط : جيد سيد شوكت .. متى كان هذا اللقاء بالضبط عند الدكتورة ؟؟ أتحتفظ بأوراق ووصفات طبية تساعدنا بمعرفة هذا التاريخ ؟

ـ كان هذا منذ سنوات يا سيدي .. ولا أذكر الآن لماذا زرنا الطبيبة بالضبط ؟.. ولكن يمكنني

أن اسأل زوجتي إذا أحببت .. ولكن لماذا كل هذا الاهتمام ؟

فردد الضابط كلمة لماذا ثلاث مرات ثم قال : سأقول لك لماذا ؟ نريد أن نصل لهذه الزوجة .. لعلنا نعرف منها شيئا ينير لنا طريق الوصول للمجرم .. فإذا عرفنا تاريخ اليوم الذي زرتم أو التقيتم فيه في العيادة .. فقد نتعرف من سجلات الدكتورة على عنوان الزوجة المجهولة .. رغم نشرنا للحادث بالصحف لم تتصل بنا هذه الزوجة!

ـ قد لا تحتفظ الدكتورة بأي عنوان.

ـ ممكن ذلك ؛ ولكن كما هو معروف أن المريض يذكر اسمه وسنه ومكان إقامته لطبيبه إذا كان له ملف عند طبيبه.. أريد منك عنوان الطبيبة يا سيد شوكت .. هل ترى أن أخاك صادق بموضوع زواجه ؟

ابتسم شوكت وقال : وإلا ماذا كان يفعل في عيادة نسائية ؟! ..هي طبيبة معروفة في قلب العاصمة ولادة محمد محمد أخصائية توليد ونساء .. عيادتها في شارع النجمة الرابعة.

ـ فإذا عرفنا تاريخ لقائك بأخيك داخل العيادة ، فلربما من سجلات المواعيد القديمة عند الدكتورة نتعرف على مكان سكن عزمي أو سكن زوجته إن كان هناك زوجة ..فمن غير المعقول أن يتزوج أخوك في القبو الذي يستأجره عند أبي العنان ؟! ..وربما يكون قد تزوج وطلق أو ماتت زوجته .. المهم نتأكد من موضوع زواجه .. فرغم نشرنا خبر مقتله فلم تتحدث معنا زوجته.

ـ ربما لم تقرأ الخبر؟

ـ ربما.. ولكن غياب الزوج عن البيت عدة أيام مقلق للزوجة والأولاد مما يدعوهم للاتصال هنا وهناك .. أليس كذلك ؟

ـ بلى يا سيدي إلا إذا كان مطلقا أو أرملا .. سأبذل جهدي .. وأنا تحت أمرك وإذا وجدت شيئا سأتصل بكم على السريع.

ـ تحياتي سيد شوكت أي معلومة أو خاطرة ترى أنها تساعدنا.. تساعد العدالة فلا تبخل بها

علينا .. شكرا والسلام عليكم.

ـ شكرا لك سيدي الضابط .. في رعاية الله.

غادره المقدم جعفر إلى حيث عيادة الدكتورة ولادة ، وتحدث مع السكرتيرة بضع دقائق ، ذكرت له أنها تعمل عند الدكتورة منذ شهور قليلة فقط ، ولما خرجت المريضة من عند الدكتورة دخلت عليها السكرتيرة لتستأذن للضابط ، فقامت الدكتورة بنفسها ترحب بالمقدم وأدخلته مكتبها وطلبت له فنجان قهوة ، ولما جلست رحبت به ثانية، وبعد المجاملات التقليدية قال لها جعفر : سيدتي ..أنا المقدم جعفر ضابط أمن وشرطة .. ـ وقدم لها بطاقة العمل ، وتناولتها من يده ، ونظرت إليها ثم أعادتها له ـ وقالت : ما المطلوب مني يا سيدي الضابط ؟!

أوجز لها الضابط القضية والغاية من الزيارة ، فلما استوعبت الموضوع قالت : على كل حال الأجندات ودفاتر العيادة كلها موجودة عندي ..ولكن إذا لم نعرف اسم تلك المريضة فمن الصعب أن نصل إليها.. فأنا لا أكتب اسم الزوج في بطاقات الفحص أو المراجعة والمواعيد حتى العناوين ليس دائما نسأل المريض عنها .. فإذا عرفنا اليوم والسنة التي التقى فيها الأخوان تسهل المهمة نوعا ما ..وإذا لديك طريقة معينة فالدفاتر والسجلات كلها بين يديك .. فهي في مخزن صغير فوق هذا الحمام الصغير..

ـ اللقاء بين الأخوين حدث قبل سنتين أو أكثر .. لو رأيت صورته .. أيمكن أن تتذكريه ؟

ردت بابتسامة صغيرة : ليس بالتأكيد .. فصور رجال كثيرة رأيتها خلال السنتين الماضيتين .. فقد قابلت وجوه كثيرة ..مئات بل ألوف .. إلا إذا كان فيه شيء مميز عن باقي خلق الله..

ـ الحق أن وجهه ورأسه ليس بهما شيء ملفت للنظر .. هذه صورته.

وقدم لها صورة من صور الألبوم الذي وجدوه في الغرفة ، دققت الطبيبة النظر في صورة القتيل ، وقد سرت في جسدها رجفة عندما تصورت أن هذا رجل قتيل ، وبعد نظر دقيق وطويل قالت وهي تهز رأسها بالنفي : للأسف يا سيدي .. لا أذكر أني رأيت هذا الوجه .. وإذا جاءني مرة لا أعتقد أني رأيته غيرها.

أخذ الضابط الصورة وهو يقول : حسن .. إذن الأمل الوحيد أن نـعرف متى كان عندك في العيادة .. على كل سنحاول معرفة يوم التقاء الأخوين ، وقد نعود إليك مرة أخرى.. أشكرك أيتها الطبيبة واعتذري عنا للمرضى .. شكرا على القهوة أيضا.

ورشف آخر الفنجان ونهض مودعا وهو يقول لنفسه : سأزور المقهى الشرقي وأشرب كوبا من الشاي وأطمئن على رجالنا .. الجريمة ليست عليها بصمات المهربين .. وعزمي لا يبدو من ملفاته القديمة مهربا ..إنه متعاطي .. وإذا قام بالترويج إنما للحصول على بعض المال .. منذ خرج من السجن أول مرة قبل خمس عشرة سنة ويلف حياته الغموض .. وقبل ذلك أيضا .. دخل المدينة ابن أربعة عشر عاما .. ماذا كان يعمل ؟ ما مهنته ؟ ماذا كان يفعل باليونان ؟ قبض عليه في المطار قادما من اليونان ؟ من شركائه ؟ أخوه شوكت لا يعرف عنه شيئا .. أو يعرف ولا يريد الكلام .. لا إنه شاب طيب وهادئ ومتعاون ..بعد المقهى سأمر على صديقي حمداني فهو رجل بوليس دولي مقتدر وبارع ..فقد أثبت للجميع على قدرته في حل كثير من غموض الجرائم ..فيستعان به في دول أخرى ..قد أجد عنده نصيحة ومساعدة تنير لنا الطريق أكثر فأكثر.



٥

كان السيد حمداني في العاشرة ليلا في استقبال صديقه أيام الخدمة الشرطية المقدم جعفر عزام في بيته الكبير وفي مكتبه الخاص ، وبعد العناق والترحيب والعتاب اللطيف بينهما قال حمداني : لقد ذكرت لي أيها الصاحب القديم الجديد عندما كلمتني على الهاتف أنك بحاجة لمساعدتي وذكائي في قضية تشغلك منذ أيام.

ـ أجل أيها الصاحب القديم الجديد .. إنني مكلف بالبحث والتحري في جريمة غامضة.. مع معرفتنا للضحية معرفة كاملة.. لا نجد شخصا يفيدنا مع كثرة ملفاته في دوائر البوليس .. أعتقد أنك قرأت حوادث صحف الخميس .. لقد نشرنا خبر تلك الجريمة .

ـ نعم .. قرأت عن جريمة حي الشمارخة .. وجدتم رجلا مقتولا في بيت كالقبو ولكن الجرائد لم تسهب في الشرح والتفصيل...

عندئذ طرق الباب فقال حمداني : ادخل يا سامر.

دخل سامر حمداني يحمل فناجين الشاي ، فألقى السلام وقدم للضيف ووالده المشروب ، ووضع الصينية على مائدة صغيرة ، وصافح الضابط ، ورحب به الضابط ، ولبث قليلا ثم انصرف فعلق الضابط جعفر : ما شاء الله!.. أصبح ابنك رجلا يا حمداني.

ضحك حمداني وقال: ألم تر الشيب قد ملأ رأسي ؟ ..إن سامرا أنهى جامعته منذ شهور .. فهو صيدلاني .. والأسرة في زيارة .. ولا يوجد في المنزل سوانا .. فهو الذي صنع لحضرتكم الشاي فأرجو أن يطيب لك .. فأنت أتيت من أجل جريمة الشمارخة ؟

ـ نعم أيها الصاحب ، نعم من أجلها.

استمع حمداني لتفاصيل الجريمة من البداية من الاتصال الغامض إلى تقريري الطب الشرعي والمختبر الجنائي ، ولخص جعفر كل الجهود المبذولة للوصول للجاني أو الجناة في هذه الجريمة حتى وصل لحديث البحث عن الزوجة المجهولة للميت ، ولما ذكر كل المعلومات التي بين يديه فقال : وبعد تأمل عميق رأيت أن أضع هذه المعلومات بين يديك ، فإما أن تحاول حلها بنفسك

أو نتعاون في فض غموض هذه الجريمة أو تستعين بي لتنفيذ خطوات عملك وخطتك.

وخيم الصمت على المكان إلى حين ثم قال حمداني : تسلل شخص أو أكثر إلى بيت عزمي المنعزل عن العمارة وقتله أو قتلوه .. لم يسمع أحد من السكان صوت الرصاص ولا صراخ في الليل .. فقط صاحب البقالة شاهد عزميا حيا حوالي الساعة التاسعة ، وخيل له أن شخصا كان معه ينتظره أثناء شراء علبة دخان .. وهذا الزائر بعد نشر خبر الجريمة لم يتحدث مع الشرطة نهائيا .. قد يكون هو القاتل ، وقد يكون هو المخبر عن الجريمة في الصباح ، وقد لا يكون المجرم ، وقد لا يكون أيضا المبلغ ، ولم يلحظ صاحب البقالة ـ إن كان من أهل الملاحظة ـ عودته من نفس الشارع لـعله انصرف من ناحية الشارع الرئيسي للحي المذكور .. مالك العمارة لا يعرف عن المستأجر عنده من عشر سنوات سوى اسمه، وأنه ملتزم بدفع الإيجار ، وأن له أخا يعمل في مستشفى .. وهذا يدل على أن عزميا يملك من المال ما يغطي نفقة الأجرة باستمرار ، ولم يحصل له عجز في التسديد رغم دخوله السجن خلال هذه المدة أكثر من مرة .. وله رصيد في البنك ؛ ولكنه لم يكن بالمبلغ الكبير..

وصمت حمداني بضع دقائق ثم عاد يقول: على كل يا صديقي جعفر إنني سأتعاون معك وأبذل قصارى جهدي وخبرتي لنصل للجناة .. فلنكن على اتصال دائم .. أنت تابع خطواتك حتى نصل إلى خيط نمسك به فنسير بعدئذ سوية .. إنها جريمة مخطط لها بمهارة ، لم تكن عشوائية أو بنت ساعتها كما يقال ، واختيار مساء الثلاثاء يوم البرد والرعد والشتاء اختيار محكم ، أو الحظ .. والمكان أيضا معروف للقاتل فاختيار مدروس بعناية ويساعد على إخفاء الجريمة .. والشتاء أزال أثار الأقدام .. كأن البيت أعد لارتكاب جريمة.. سبحان ربي.. ولكن كما هو معلوم لدى رجل الأمن أنه لا جريمة كاملة ، ولابد أن نصل لطرف خيط ، ولو كان رفيعا نجر به المجرم ويقودنا لحل هذا اللغز.

وعاد الصمت يرسم نفسه على المكان وقطعه جعفر : لا اقتراحات عندك الآن.

ـ نعم .. لا اقتراحات يا صديقي .. سأفكر الليلة بهذه الجريمة وسأكون على اتصال معك غدا

فاستمر بمحاولة التفتيش عن الزوجة المجهولة .. سكان العمارة لم يروا هذه الزوجة في بيته ولو مرة واحدة .. وأبو العنان لا يعرف بزواجه .. أكيد لهذا الرجل بيت آخر كما قلت وتوقعت يا صاحبي .. فأين وثائقه المهمة مختفية ؟!

ـ الجيران لا يعرفونه كثيرا ، ومنهم من لا يعرف أن أحدا يسكن في العمارة من الخلف في مخزن تحت الأرض.. وهذا يدل أن هذا المنزل للنوم فقط .. فالأطفال الذين يلعبون في الشارع أمام المنزل يقولون إن صاحبه لا يأتي إليه إلا في الليل ، ويغادره صباحا قبل الظهيرة ، وأحيانا يظن الأطفال أن البيت مهجور ، ويقفزون عن الجدار لأخذ الكرة التي يلعبون بها إذا سقطت في فناء البيت .. قالت إحدى النسوة الساكنات في إحدى شقق العمارة .. إنها ذات نهار ومنذ شهور لا تعلم عددها وهي تـقف على نافذة تطل على الجهة الخلفية للعمارة رأت المستأجر عزميا يتحدث مع امرأة عند باب المنزل الخارجي أي الباب المطل على الشارع ..بالطبع لم تسمع شيئا وانصرفت المرأة بعد أن أعطته شيئا أخرجته من حقيبتها ، وركبت سيارتها واختفت وهو هبط لحجرته ، ولا تعرف طراز السيارة وتظن أن لونها أحمر .. وتقول إنها المرة الوحيدة التي شاهدت فيها هذا المستأجر الذي قتل.. وهذا حدث منذ شهور وقد تكون سنة كما تقول المرأة .. فهذا كما ترى يا صاحبي خيط ضعيف جدا جدا.

فقال حمداني : على كل حال يا صاحبي العزيز .. فليبق البيت تحت المراقبة الخفية .. كل قضية أو لـغز له حل .. ولسوف نصل بإذن الله لهذا الحل.

قام جعفر مودعا وهو يقول : الشكر لك يا سيدي ..واستودعك الله.

وتصافح الرجلان وسار حمداني مع صاحبه حيث الباب الخارجي، وركب جعفر سيارته مختفيا في ظلام الليل البارد، وعاد حمداني إلى مكتبه، واستلقى على أريكة كبيرة وراح في تفكير عميق في أحداث هذه الجريمة.. ليلة مطيرة .. مجرم بعد العاشرة ليلا دخل غرفة المجني عليه ، لا أثر لعراك في الغرفة .. القاتل معروف للقتيل كما يبدو .. قتل فوق سريره بخمس طلقات من مسدسين .. هل هذا لتضليل المحققين أم هناك أكثر من قاتل ؟.. المهم قتلوه ودثروه في لحاف

وانصرفوا بهدوء دون أن يتركوا أثرا خلفهم .. آثار الأقدام في الغرفة غير واضحة وفي الخارج المطر الشديد أزالها .. البوم صور المجني عليه صور بدون أصدقاء إلا صورة واحدة مع ممثلة أجنبية الراجح أنها يونانية لكثرة تردده على اليونان .. لماذا اليونان ؟ .. صور أكثرها على شواطئ البحر.. صور من غير تاريخ .. ولكنها قديمة لحد ما ، لابد لي من الاطلاع عليها لعلي أجد ما لم تجده الشرطة .. ومكث حمداني يـفكر ويـفكر في الجريمة حتى سمع صوت زامور سيارة أمام البيت فاستوى جالسا وقال لنفسه : أتت العائلة.

ونظر للساعة فإذا هي بعد نصف الليل بساعة فقال معلقا على تأخر الأسرة : هذه سهرة طويلة لابد أنها جميلة.!

وأغلق المكتب وخرج إلى استقبال الأسرة والاطمئنان عليهم وسماع أخبار من ذهبوا يزورونهم وبـعد دقائق دخل كل واحد من أفراد الأسرة إلى غرفة منامه واستغرقوا في النوم فهل استطاع الضابط المتقاعد من جهاز الشرطة منذ سنوات أن ينام كباقي أفراد الأسرة ؟ هذه ما سنعرفه غدا إن شاء الله.

٦

دخل حمداني مقهى الشرقي صباحا فوجد عمال المقهى يقومون على نظافته ، ولا يجلس على موائد المقهى إلا بعض الأفراد والزبائن ، فسأل عن المسؤول عن المقهى ، فرد أحد العمال الذي يجلس في مكانه : لم يحضر بعد .. أي خدمة يا سيدي ؟

ـ أريده شخصيا لأمر مهم.

ـ يأتي بعد صلاة الظهر .. هل تحب أن أبلغه شيئا ما ؟

فنظر حمداني إلى ساعته وقال : كم بقي للظهر يا شاب ؟

نظر الشاب إلى ساعة معلقة على الحائط ثم قال : ساعة تقريبا.

قال حمداني : حسنا سأذهب للمسجد وأصلي الظهر ، ثم أعود ، فلما يأتِ أخبره أن السيد حمداني يرغب في لقائه.

فقال الشاب : أنت حمداني ؟

ـ نعم ، أنا حمداني ضابط شرطة متقاعد.

فقال الشاب بأدب أكثر : حاضر يا سيدي سأخبره بما تريد.

ـ بعد الصلاة فلينتظرني.

ـ حاضر يا سيدي الضابط.

غادر حمداني المقهى يتمشى في شوارع المدينة الواسعة حتى أعلن المنادي للصلاة بصلاة الظهر فقصد أقرب مسجد وشارك الناس المصلين صلاتهم جماعة ، ثم تمشى في الشوارع ربع ساعة ، ثم اتجه نحو المقهى ، ولما دخل رآه الشاب الذي كلمه صباحا فرحب به وهو يقول : سيدي أبو عصام في انتظارك.

وتقدمه الشاب مسرعا نحو مسؤول المقهى قائلا : هذا هو السيد حمداني يا أبا عصام.

فنهض أبو عصام واقفا ومصافحا للسيد حمداني ومرحبا به ، ولما جلسا قال حمداني : أحببت أن أتحدث معك يا سيد .. أبا عصام.

ـ أنا في خدمة الشرطة والأمن والحق.

ـ جميل هذا! .. نحن نبحث عن قاتل لأحد رواد مقهاك وهو السيد عزمي لماعة .. وقد تحدث معك رجال الشرطة سابقا في الموضوع .. وقد زارك أمس المقدم جعفر

فكان أبو عصام يسمع ويهز رأسه مؤكدا كلام حمداني ، ولما سكت حمداني قال : نعم ، المرحوم عزمي من رواد المقهى ، وله شلة يلعب معهم الورق .. ولا أحد منهم الآن إنهم يأتون في المساء في الليل.

ـ أعرف هذا كله يا أبا عصام .. ولكن سؤالي هل كان يلعب معهم عن مال ؟

تلفت الرجل يمينا وشمالا ثم قال : أنت تعلم أننا لا نتدخل في خصوصيات الزبائن، نحن نأخذ ثمن المشروبات والخدمات .. وإذا لعبوا عن مال فهو أمر خفي بين بعضهم البعض.

ـ ولكن الذين يلعبون القمار لا يخفون عليك.

ـ معك حق .. بصراحة هم يفعلون ذلك.

ـ أحسنت يا أبا عصام! الصراحة راحة .. سؤال آخر من معرفتك وخبرتك .. هل يكسب عزمي هذا أم يخسر؟

ـ هم إجمالا يلعبون عن مبالغ قليلة.. عشرة دنانير .. عشرين دينار لا أكثر، وهو نادر ما يكسب هو لا يحسن لعب الورق .. المهم المشاركة عنده .. وعند العاشرة ليلا ينصرفون ولهم صخب ، ثم ينزلون إلى المطعم الذي في أسفل المقهى ليأكلوا ثم يتفرقون.

ـ سؤال ثالث .. ليلة مقتله .. يوم الثلاثاء .. أتذكر متى غادر المقهى ؟

ـ كما قال بعض شلته .. لقد التقى بأحدهم على باب المقهى قبل صعودهم الدرج لهذه القاعة وأخبره أنه لا يريد الليلة السهر .. فهو على موعد مهم .. وطلب منه الاعتذار للشلة.

ـ لم يذكروا غير ذلك .. مع من الموعد؟.. متى وأين ؟؟

ـ كما قال فرجي للمقدم جعفر .. لم يذكر شيئا غير ذلك .. كان يتناول طعامه في المطعم ، وعندما خرج التقى بفرجي وقال له الليلة لن أسهر معكم .. فأنا على موعد مهم وهذا أمر معتاد في

حياة عزمي يعتذر من العصابة ، ولا يذكر لهم مع من لقائه ولا مكان لقائه ، وكل موعد عنده مهم ، ولا أحد يفهم ما المهم عنده؟.. وهو قليل الكلام في مجالسه في المقهى.

ـ جيد أبا عصام هؤلاء الشباب الذين يجلس معهم كيف تعرف عليهم ؟

ـ حسب معرفتي .. تعرف عليهم هنا .. صحبة مقهى.

ـ المخدرات .. يا أبا عصام هل يتعاطى المخدرات أحد من الناس الذين يترددون هنا ؟

ـ صدق يا سيدي ! لم أعلم أن لـعزمي علاقة بالمخدرات إلا من البوليس ..وأنكر الشباب معرفتهم بالمخدرات .. اعترفوا بشربهم للخمور والكحول المنتشرة في البلد.

قدم حمداني شكره الجزيل لأبي عصام وصافحه مودعا وقائلا : ربما اضطر للعودة ثانية .. قلت إن المطعم في الطابق الأسفل.

ـ نحن في خدمة العدالة يا سيد حمداني ..المطعم تحت .. مطعم شماري.

ـ شكرا وإلى لقاء آخر.

هبط حمداني إلى مطعم شماري ، وتحدث مع مديره وبعض العاملين ولم يجد لديهم خبرا يفيد التحقيق بشيء يدخل عزمي يأكل ويشرب ويدفع الحساب ثم ينصرف إما إلى المقهى وإما لخارج المقهى إن كان قد دخل المقهى أولا ، لا علاقات مع العاملين في المطعم سلام سلام فقط فخرج حمداني آيبا لبيته وهو يتمتم : الحديث مع رفاق عزمي في المقهى هل هو ضروري ؟ أليس بينهم صديق حميم ؟ .. كيف التم عليهم ؟ هل فقط تجمعهم أوراق اللعب والشراب الحرام ؟ .. عليّ بدراسة حياته منذ قدم المدينة أول مرة .. قال جعفر : إنه جاء المدينة منذ عشرين سنة أو أكثر منذ أن كان صبيا .. الزوجة المجهولة كيف نصل إليها .. كيف ؟!

وصل البيت وهو مشغول الفكر في طريقة للتحقق من وجود الزوجة إن كانت موجودة .. الجريمة لها أسبوع ألم يبلغ الزوجة خبر الوفاة ؟! ألا تقلق لغياب الزوج عن البيت أسبوعا ؟! لكنه كثير السفر ولماذا يسافر؟ ما العمل الذي يمارسه؟ كيف يحصل على المال؟ إذا لم يكن يتاجر في المخدرات .. قضية المخدرات الأولى التي حبس بسببها خمس سنوات عليّ بمعرفة تفاصيلها

كيف عرف البوليس بالمخدرات التي كانت معه وجاء بها من اليونان؟ ولكنها قضية قديمة .. فلما استراح من مشواره وأخذ حظه من الطعام دخل المكتب ، واتصل بالمقدم جعفر وسأله قائلا : آ .. يا جعفر .. هل من جديد ؟

ـ لا جديد ..وهل استـفدت من زيارتك للمقهى ؟

ضحك حمداني وعلق قائلا : أتريد أن تفهمني أن رجالك نشيطون !.. لم استـفد كثيرا الآن.

ـ اتصل بي شوكت لماعة بعدما سأل زوجته عن اليوم الذي التقى به مع أخيه في عيادة الطبيبة ، فتبين أنها كانت تذهب لمجرد فحص دوري مرة كل شهر خلال فترة الحمل .. فلا تأخذ من الطبيبة وصفات مؤرخة ، إنما كانت تنصحها بأخذ مقويات كالفيتامينات والحديد وإن أعطتها وصفة مكتوبة تتركها عند الصيدلية.

ـ هذا توقعته لك يا جعفر .. لكن متى كانت هذه المراجعات أي سنة أي شهر ؟

ـ ذكرت أن ذلك كان سنة ٨٤ ، فهي ولدت ولدها الذي كانت تراجع به عند الدكتورة ولادة في آخر سنة ٨٤ شهر نوفمبر ، ولا تذكر شهر التقاء الأخوين.

ـ جيد .. تحديد سنة جيد الآن .. لو حصلت على أجندة الطبيبة لعام ٨٤ ممكن أن تجد شيئا ، ولكن احتمال كبير ألا نجد شيئا .. ولابد من معرفة اسم الزوجة .. قد لا نجد عنوان الزوجة في دفاتر الدكتورة .. ولكن جاءتني فكرة قد نصل بها إلى اسم هذه الزوجة .. أنت على الخط ؟

ـ نعم .. أنا معك على الخط يا سيدي.

ـ علينا مقدم جعفر بسجلات المحاكم الشرعية سنة ٨٤ أو ٨٣ ، فهي توثق عقود الزواج .. من خلال اسم عزمي وعقد زواجه نعرف اسم الزوجة .. لقد ذكرت لي أنه أخبر أخاه أنه تزوج منذ شهور.

ـ جيد .. نرجو أن يكون عزمي هذا صادقا .. فسجلات المحاكم الشرعية فيها إحصاء وأسماء المتزوجين.

ـ إذن عليك أيها الصديق بالبحث سريعا .. فإذا ثبت موضوع الزواج فهذا يكون بداية طرف

خيط لفك طلاسم هذه الجريمة .. قد نجد معلومات قيمة عند الزوجة المجهولة .. دائرة إخراج الوثائق هل بحثتم فيها ؟.

ـ لم نجد له شيئا حديثا.. له ملف قديم منذ استخرج أول بطاقة شخصية .. وبعدها لم يراجع الدائرة في أي معاملة .. وله في دائرة الجوازات ملف ، وقد استخرج عددا من الجوازات ، ولا يوجد في ملفه اسم الزوجة ولا حتى مكان سكن خاص.

ـ شكرا وإلى اللقاء.

وضع حمداني الهاتف وخاطب نفسه قائلا : عقد الزواج .. هناك احتمال كبير أن يجد جعفر عقد الزواج .. أرجو أن لا يجد عقبات في سجلات هذه المحاكم .. وإذا كانوا يستخدمون الحاسوب سيكون العمل أسهل وأسرع.

وأخذ حمداني يحاول ترتيب المعلومات ، ويتخيل القاتل وهو يتسلل على سكن عزمي .. ثم همس محدثا نفسه بعد تفكير عميق : ولكن لماذا قتل ؟! .. ثروته لم تصل الألف دينار .. لو كان تاجر مخدرات لكانت أمواله أكثر من ذلك .. ولم يكن بالمقامر الكبير .. لماذا اغتالوه ؟!

٧

التقى حمداني وجعفر في الصباح التالي أمام دائرة الأمن الكبرى ، فركب حمداني بجوار جعفر وانطلقت بهما السيارة إلى دائرة مكافحة المخدرات ، وبعد لقاء قصير مع مدير الدائرة سمح لهم بالدخول على أرشيف الدائرة والاطلاع الكامل على ملفات القتيل عزمي لماعة منذ اعتقاله في أول قضية مخدرات والحكم عليه بالسجن خمس سنوات أمضاها كاملة في السجن ، وبعد سنة اعتقل بضعة شهور لحيازة المخدر ولم يحاكم ، ثم معاودة معالجته من الإدمان، ثم أفرج عنه بعد علاج شبه كامل ، ووجدا أنه ما كادت تمضي سنة على الشفاء حتى حاول إدخال كمية مخدرات من جديد للاستعمال الشخصي فحبس وكرر العلاج .. ولما خرج من حبسه عاد للسفر من جديد ، وقضى في اليونان نصف سنة ، ولما عاد للبلد وجدوا معه شيئا يسيرا من المخدرات فتعرض لعقوبة جديدة أمضاها في السجن ، ولما خرج سافر لليونان ، ولما عاد لم يكن معه مخدرات ، فوضع تحت المراقبة بضعة شهور ، ثم تبين لهم أنه تخلى عنها وابتعد عن تعاطيها ، مما أدهش رجال الأمن فرفعت عنه المراقبة والمتابعة الأمنية ، وخلال السنوات الخمس الأخيرة من حياته لم يسجل عليه أي قضية مخدرات وغيرها ، هذه رحلة عزمي مع المخدرات في ملفات البوليس والأمن ، ولما قبض عليه في القضية الأولى وجدوا أنه كان عاملا عند تاجر كبير في استيراد الملابس الأوروبية السيد حازم عبشل ، وأنه كان خطيبا لابنة الرجل السيدة (شيرينة)، وبعد ثبوت قضية المخدرات عليه فسخت الخطبة ، وانقطعت صلتهم به منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، ولما خرج من السجن أول مرة وجد خطيبته متزوجة من طبيب ولم يبق له أثر في حياتهم ، ورفضوا عمله عندهم ، وثبت لدى دوائر المكافحة أنه لا علاقة للسيد عبشل بالمخدرات وهذا مذكور في الملفات ، ولما سجن لماعة مرة ثانية بعدما عرف بزواج خطيبته ، فقد حاول اتهامهم بالقضية الأولى ، وأنه تحمل القضية عنهم ؛ ولكنه فشل في إثبات ذلك ، فقام حمداني بنقل عنوان السيد عبشل لزيارته ومعرفة المزيد من المعلومات عن العامل عنده أكثر من عشر سنوات.

فقال جعفر : إنه عنوان قديم.

ـ قد نستفيد منه يوما ما .. أريد أن أعرف ماضي السيد عزمي من الخطوة الأولى له في المدينة .. فأول مرة قبض عليه كان يعمل عندهم ، وكان خطيبا لابنته .. ولا نخسر شيئا لو زرنا هذا الرجل إذا كان حيا.

ـ كما تشاء سيدي الفاضل .. هل نعود الآن للدائرة فلعل مالكا اتصل بنا.

ـ دعنا نمر على المدير نثني عليه.

قدما الشكر للكادر الموجود في غرفة الأرشيف ، ثم شكرا المدير وتوجها إلى مركز عمل المقدم جعفر في شارع الأمير زين الدين ، ولما دخلا باب الدائرة سأل المقدم جعفر شرطي كوخ الاستعلامات عن النقيب مالك فرد الشرطي : قبل قليل دخل يا سيدي.

فأسرعا الخطى نحو مكتب النقيب مالك ، فتلقاهما بابتسامة واسعة ضاحكة قائلا : يبدو أننا بدأنا أو أمسكنا بطرف الخيط فعلا.

وتعانق مع السيد حمداني الضابط المتقاعد منذ سنوات من جهاز الأمن وقال بعدئذ معلقا : عندما نبأني المقدم جعفر أنه استعان بك قلت له اقترب الوصول لقاتل السيد لماعة .. فأنت من أمهر رجال البوليس الجنائي في البلد ، ولك باع قوي في تحليل الجرائم والوصول إلى فاعليها مهما برعوا في إخفائها.

ـ لقد أخجلتني يا بني .. أشكرك لقد كبرنا ، فالبركة فيكم الآن .. ولكن الخبرة لها دور لا ينكر في عالم التحقيقات الجنائية .. ولسوف تصبحون خيرا منا .. هات ما عندك ؟ فإنك مسرور ، فبريق عينيك يقول ذلك ويلمع بشدة !

قال مالك وهو يبتسم ـ وهو أيضا ينشر بين الضابطين صورة عن وثيقة زواج ـ: هذه صورة لوثيقة زواج السيد لماعة.

فتبين لهم أنه متزوج منذ أربع سنوات في أواخر سنة ٨٣ ، والزوجة فتاة أجنبية تحمل جواز سفر يوناني مدون اسمها بالعربية واللاتينية ، ومذكور رقمه وسنة إصداره ، فقال حمداني : مفاجأة

كبيرة لنا !.. كيف نصل إلى هذه المرأة اليونانية ؟ .. ما اسمها المكتوب يا جعفر ؟

تبسم المقدم وقال : قرأت أن اسمها ستيلا داميان من أهالي اليونان وعمرها عند العقد ثلاثين سنة.

ـ من كاتب العقد ؟

قال مالك : قاضي شرعي المحكمة ، وكان في ذلك الوقت القاضي داود بسمان .. وقد تحدثت معه هاتفيا من المحكمة الكبرى ، فبين لي أن أي زواج يكون بين مواطن مقيم وأجنبي يتم كتابة العقد في داخل المحكمة أمام القاضي ، وكذلك زواج المسلم من غير المسلمة يكون بين يدي القاضي ، وأنه لا يتذكر هذين الشخصين نهائيا.

ـ أحسنت نقيب مالك !.. وعقود الزواج لا يذكر فيها عنوان المتعاقدين تذكر فيها المدينة التابعة لها المحكمة ، وعنوان الدائرة التي عقد فيها العقد .. ولكن يمكننا أن نصل لعنوان السيدة ستيلا عن طريق السفارة اليونانية ؛ ولكن هذا الأمر فيه نوع من الحساسية، قد نحتاج لإذن من وزارة الخارجية بناء على خطاب من وزارة الداخلية .. فلنضع هذا الاقتراح الآن جانبا ..علينا بالبحث في سجلات الدكتورة ولادة سجلات عام ٨٤ على الأرجح ، وإذا لم نجد فيها نبحث في ٨٣ .. قد تكون أصابها بعد الزواج أمراض نسائية كما هو شائع فلجأت إلى الدكتورة ، فطلبت منها تحاليل مخبرية أو صور أشعة ، فلما فعلت ذلك ذهب الزوج بها ـ أي نتائج التحاليل ـ لعيادة الطبيبة وحيدا فالتقى بأخيه .. من سيقوم بهذه المهمة ؟

رد جعفر : سأذهب أنا ومالك هو يبحث في مواعيد ودفاتر ٨٣ ، وأنا في ٨٤ قد نجد العنوان وقد لا نجده أليس كذلك ؟

ـ بلى .. توكلوا على الله .. وأنا في البيت في انتظاركما.

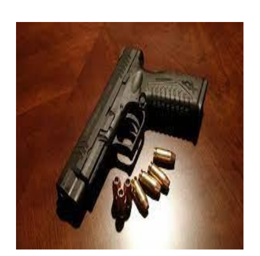
وخرج الرجال الثلاثة من مركز الأمن مرة أخرى ، فأشار حمداني إلى سيارة أجرة تنقله لمنزله، وانطلق الضابطان بسيارة إلى وسط العاصمة حيث عيادة الدكتورة ولادة ، التي رحبت بهما بدورها، ولما ذكرا لها اسم المريضة قالت بعد فكر: نعم لقد مر عليّ مثل هذا الاسم.

وأحضر حارس العمارة سلما صغيرا لتصعد عليه الطبيبة إلى مخزن حفظ الأوراق والأجندات القديمة ، وبعد بحث وجدت دفتر مواعيد وبطاقات تشخيص المرضى منذ سنوات ، وتناول الضابطان السجلات منها وعلى الفور بدأا عملية تـقليب الأوراق وقراءة الأسماء ، وفي شهر مايو من عام ٨٤ وجدوا اسم ستيلا داميان يونانية تعاني من التهابات مهبلية ، ومشاكل صحية في الرحم ، وتسكن في بنسيون اسبرطة شارع الوليد بن عبد الملك الأموي .. نقل جعفر هذه المعلومات ، وشكر للطبيبة تعاونها واعتذروا لها عن المضايقة والإزعاج وتعطيل العمل، وقال جعفر : هل تذكرينها يا دكتورة ؟

ـ على ما يخيل لي أنها فتاة نحيفة البدن .. صغيرة الوجه جميلة الشعر .. تكررت زيارتها للعيادة أكثر من مرة لا أذكر بالضبط .. فالمرضى كثر لديّ ..لا أذكر كثيرا مشاكلها الطبية عندي.

ـ بارك الله فيك والسلام عليكم

ـ وعليكم السلام .



٨

انطلق النقيب مالك إلى مركز عمله، وركب المقدم جعفر سيارة إلى بيت السيد حمداني ، وكان في استقباله أمام البيت بناء على اتصال من جعفر، وتصافحا من جديد ، ولخص المقدم الموضوع لحمداني، وبعد أن شربا الشاي وتذاكرا القضية ، أخرج حمداني سيارته الخاصة من موقفها الخاص ، وانطلقا بها جهة ضاحية يغلب على سكانها الرعايا الأجانب ، فيسميها العامة ضاحية الأجانب، وفي قلبها يـقع البنسيون اليوناني بنسيون اسبرطة ، فلما نزلا من السيارة قريبا من الفندق قال حمداني : هل يسكن الزوجان هنا ؟

ـ ربما.. فهذا فندق قديم جدا شيد أيام الاستعمار.. ثم تملكه رجل أثيني ، والآن تديره امرأة عجوز ورثته عن زوج أختها ، ويتكون من طابقين كبيرين .. الطابق الثاني للنزلاء ، والأول فيه صالة واسعة للجلوس، وشقة للعجوز مديرة الفندق.

ـ إنك تعرفه جيدا ؟

ـ لقد زرته أكثر من مرة .. ولكني تحدثت قبل المجيء إليك مع موظف كبير في وزارة السياحة لي به علاقة طيبة ، فذكر لي هذه المعلومات المتواضعة.

ـ هل تظن يا صاحبي أن عزميا كان يسكن فيه ؛ لأن زوجته يونانية فحسب ؟

ـ سنعرف بعد قليل ، قد يكون هو مجرد عنوان للمرأة وليس عشا للزوجية ، فسوف نعرف الآن معلومات عن السيد عزمي.

ولما أصبحا أمام مدخل البنسيون نظر حمداني لساعته ثم قال :السادسة والنصف مساء. وضغط جعفر على مفتاح الجرس الكهربائي ، ثم دخلا مسرعين من شدة تساقط الأمطار ، وصعدا بضع درجات ، فأصبحوا أمام الباب الداخلي للبنسيون ففتحوه ودخلوا ؛ فإذا هم في بهو الفندق ، ويقف أمامهم شاب أبيض مرحبا بهم ، ثم تقدمهم نحو مكتب كان يجلس خلفه وأشار لهم بالجلوس على مقاعد كبيرة في البهو، ثم كرر الترحيب ثانية ، فشاهدوا عددا من الناس الأجانب يجلسون في صالة الفندق يتفرجون على جهاز التلفزيون ، ولما جلسوا أمام

شاب الاستقبال كانت عيون الناس تنظر إليهم بدافع الفضول ، فأشار لهم جعفر محييا ، ثم قال حمداني للشاب : أين صاحبة النزل ؟

ـ نحن في الخدمة .. ماذا تريد أيها السيد المحترم ؟

ـ نريد صاحبة البنسيون ؟

وقال جعفر : السيدة كاتي ملاطيوس.

ـ نعم .. من أنتم ؟

وضع جعفر بطاقته أمام الشاب وهو يقول : شرطي ، المقدم جعفر.

بحلق الشاب في البطاقة ، ونهض قائما وهو يقول مرتبكا : ما الأمر؟!

ضحك جعفر لارتباك الشاب وقال : ستعرف بعد قليل.

فطلب لهم قهوة وهو يقول : مرحبا بكم ..وأخذ يضرب على رقم معين ثم يقول : أنا ناجي .. يا سيدتي .. رجلا بوليس هنا يريدان الحديث معك .. لا أدري ما الموضوع .. يريدان الحديث معك شخصيا .. حاضر.

ووضع ناجي موظف الاستقبال في البنسيون السماعة وقال : إنها قادمة أيها السادة .. أهلا بكم ومرحبا مرة أخرى.

وأخذ الضابطان يتحدثان معه عن عدد نزلاء الفندق ، ومن هو مالكه حتى أقبلت السيدة العجوز نحوهما وهي تعتمد على عكازة ، فلما وصلت كان ناجي قد أشار لهما أن هذه هي السيدة كاتي مديرة وصاحبة البنسيون، فنهض الضابطان وتبادلا التحية معها فرحبت بهما وقالت : أأنتما رجلا بوليس ؟

رد جعفر : نعم يا سيدتي أنا المقدم جعفر .. وقدم لها بطاقته ، فأخذتها وهي تنظر لناجي فقال : أجل يا سيدة كاتي هما رجلا أمن.

قالت بلكنة عربية : أهلا بكم .. وسهلا .. فأنا أحسن العربية، فلي في بلادكم أكثر من عشرين سنة .. ما الأمر ؟

فقال جعفر : نتكلم في البهو .. الأمر مهم.

فأشارت السيدة كاتي لناجي ، فأسرع وفتح لهما غرفة ، فلما دخلاها أدركا أنها مكتبة متواضعة فلما جلسوا قال جعفر : سيدة كاتي .. هل تعرفين امرأة اسمها ستيلا داميان ؟

فغرت العجوز فمها دهشة ورددت قائلة : ستيلا داميان! ..ما الأمر ؟! ..كيف لا أعرفها ؟ أنا خالتها .. أين هي ستيلا مقدم جعفر ؟!

تبادل الضابطان النظرات وقال جعفر : نحن نريد رؤيتها ؟

ـ تريد رؤيتها .. ولماذا تريدون رؤيتها ؟!

فقال حمداني : عفوا سيدتي .. هل السيدة ستيلا داميان متزوجة من شخص اسمه لماعة .. عزمي لماعة ؟

فقالت : أوه .. هذا كان قديما مقدم..

ـ حمداني.

ـ كان هذا قديما مقدم حمداني تزوجا سنة ثم تطلقا.

تنهد حمداني وقال : عزمي تزوج من ستيلا ثم انفصلا .. سيدتي الأمر باختصار .. أن عزميا هذا قد قتل منذ أسبوع.

صاحت بذهول : قتل عزمي !.. أوه مؤلم هذا ! .. مؤلم هذا !.. إنه شاب أديب وحزين .. رحمه الله .. فعلا له أكثر من أسبوع لم يزرنا .. ولكن ما دخل ستيلا في مقتله .. فابنة أختي تزوجته من أربع أو خمس سنوات وعاشا سوية عاما واحدا ، ثم فشل زواجهما .. وغادرت ستيلا إلى اليونان، ولم ترجع من ذلك الوقت .. ما شأنها في الموضوع ؟

فقال حمداني بهدوء تام : لا شيء .. إنما علمنا أنها زوجته ، فقلنا ربما نجد لديها شيئا يساعدنا في الوصول للجاني .. قد نستفيد منها معلومة تقربنا من القاتل ؟

ـ لم تعرفوا المجرم بعد .. إنكم تبحثون عنه.. إيه .. لا بأس .. ماذا تريدون منا ؟

قال حمداني بتردد : سيدتي علمنا أنه كان يسكن هنا أيام زواجه.

ـ أجل .. سكنا أيام الزواج هنا ، بناء على رغبة ابنة أختي لتبقى بجواري ، ولما انفصلت عنه ستيلا ظل نزيلا عندنا .. ولكنه عودنا الاختفاء الأيام والليالي ، ثم يعود ، فمن أجل ذلك لم ننتبه لموته.

فقال جعفر بدهشة : هل للسيد عزمي حجرة هنا ؟!

فقالت : نعم ، بـعدما انفصلا قرر عزمي البقاء في البنسيون .. لقد كان يحب ابنة أختي حبا عارما ، وبعد سفرها ظل مستأجرا للحجرة ، وهو مازال يضع لها رسما كبيرا داخل الحجرة يجلس أمامه يبكي على حبه لها ..ولقد حاولت إرجاعها إليه ؛ ولكنها أصرت على الابتعاد عنه

فقال حمداني : سيدة كاتي نحن نحقق في مصرعه .. فهل تسمحين لنا بمشاهده حجرته ؟ .. حجرة الوفاء والحب والذكريات.

استدعت ناجيا وقالت له : رافق الرجلين حيث غرفة عزمي ، وبـعد خروجهما أو في الصباح اجمعوا أشياء الرجل الخاصة وضعوها في المستودع حتى نرى ماذا نفعل بها ؟ .. وأنزلوا بها من يشاء من المستأجرين في البنسيون .. هل من سؤال آخر أيها السادة ؟

قال حمداني : الآن فلا ، أما بعد رؤية حجرة عزمي قد نحتاجك في بعض الأسئلة .. ممكن أن يكون ذلك بواسطة الهاتف .. ونأسف لإرهاقك شكرا جزيلا .. خذنا يا سيد ناجي لحجرة لماعة لنر ما فيها .. أنتم لم تقرؤوا عن مقتله في الصحف كما يبدو؟

رد ناجي المستغرب مما يسمع قائلا : من النادر أن أقرأ صفحة الحوادث، ولا أدري هل تـقرأ السيدة ذلك ؟

ردت وهي تبتعد عنهما نحو مدخل شقتها : لا أهتم كثيرا بقراءة الصحف العربية .. آسف أيها السادة وداعا .

فرد حمداني قائلا : مع السلامة وإلى لقاء.

صعد الضابطان برفقة ناجي إلى حجرة عزمي في البنسيون ـ فلم تكن مغلقة بمفتاح إنما هي مغلقة بلسان القفل فقط ـ فسبقهما ناجي ، وفتحها وأشعل النور، فسأل جعفر الشاب عن

سبب عدم إغلاقهم الغرفة بالمفتاح، فأجابه ناجي قائلا : تبقى الغرف أثناء خروج أصحابها مفتوحة ليقوم العمال بتنظيفها، ومن يملك شيئا مهما وثمينا عليه أن يضعه في صندوق حماية في الفندق أو في بنك .. وأما عندما يدخلها النزيل يغلقها كيف يشاء.

كان في الغرفة سرير لشخص واحد وبجواره طاولة صغيرة ، وخزانة ثياب وعلاقة ثياب عليها ثياب نوم يبدو أنها خاصة بعزمي ، وتلفاز ، وصور معلقة على الجدران ، تأمل الرجلان الغرفة جيدا، ثم فتح جعفر خزانة الثياب التي لم تكن مغلقة بأي مفتاح ، وجد فيها بدلات، ملابس نوم ، تفحص جعفر جيوب الجاكيتات والقمصان والبنطالات، لم يجد فيها شيئا ، وكان في أرض الخزانة حقيبة رقمية حجم صغير أخرجها جعفر ووضعها على المائدة الصغيرة، وكان حمداني يتفقد السرير لعله يجد في الفراش أو تحت السرير شيئا ، وبينما هو يحرك الأباجورة الكهربائية وجد عندها بطاقة تعريف ؛ ولكنها قديمة بعض الزمن فيها اسم وعنوان طبيب أسنان ، فقال لنفسه لعلنا نجد عند هذا الطبيب معلومة عن عزمي فوضعها في جيب قميصه وقال : قد تلزمنا في لحظة من اللحظات.

ولما انتهيا من التفتيش سألا الشاب عن عزمي وأخلاقه فقال بحزن : الأخ عزمي .. رجل مريض .. مريض نفسيا .. ومما علمته منه أنه كان وحيدا في هذه الدنيا لا أخ ولا قريب ولا أب ولا أم .. تركهم بعد وفاة أمه منذ الصغر ، وأتى العاصمة هاربا من أهله، واشتغل عند تاجر ملابس معروف السيد حازم عبشل؛ ولكن علمت منه أنه مشلول الآن وابنته الوحيدة هي التي تدير أملاكه .. فقد تعرض عبشل لحادث سير أصابه بكسر قوي في عموده الفقري، فأصبح على أثره مقعدا في البيت، وابنته السيدة شيرينة المسؤولة عن المحلات والمشاغل .. فعزمي يعرفهم جيدا ، وكان يقول إنه كاد أن يصبح زوج ابنة عبشل لولا سقوطه في قضية مخدرات منذ سنوات مضت .. كان يخبرني السيد عزمي بذلك في ساعات الفضفضة .. وللعلم فالسيد عزمي كان سكيرا من الطراز الأول.

فقال جعفر : اكمل يا ناجي فأنت تعرف عزميا جيدا ؟

ـ أجل .. أجل .. فلي في هذا الفندق عشر سنوات قد تزيد قليلا .. من قبل أن يسكن فيه المرحوم عزمي .. المهم أيها السادة عمل عزمي منذ صغره عند عبشل حتى أصبح شابا وكبرت ابنة المعلم فعشقها عزمي ، وبعد قصة حب عنيفة رضخ الأب الثري لرغبة شيرينة وعشيقها فوافق على خطبتهما لبعض ثم بعدئذ الزواج ، وبعد سنوات تقرر تحديد موعد الاقتران، وكان السيد عبشل له علاقات تجارية في اليونان وقبرص، وكان السيد عزمي ينوب عنه في استيراد البضاعة وعقد الصفقات، وسافر في استيراد صفقة وتحدد أن يكون الزواج بعد عودته من السفر من اليونان ، فلما رجع ودخل المطار تم القبض عليه ووجدوا بحوزته مخدرات ممنوعات ، فحكم عليه خمس سنوات سجن فعلي ، وعلى أثر الحكم فرط الزواج والحب ، وخلال فترة الحبس تزوجت المعشوقة من طبيب أسنان وهو الذي وجدتم اسمه مكتوب على البطاقة الدعائية.

فقال حمداني: هل كان يرى عزمي أن السيد حازما دس له المخدرات أو اتصل بالبوليس ووشى عليه ؟.

ضحك ناجي وقال : أبدا أبدا ، فالسيد حازم ليس له إلا ابنة واحدة ، ولا يستطيع منعها من الزواج ممن أحبته وعشقته عشقا قاتلا .. ويمكن أن أقول بصراحة كما أخبرني عزمي أنهما كانا يعيشان كزوجين قبل التفكير بالزواج ، بل حملت منه سفاحا وذهبت لليونان وعملت على التخلص من الحمل والجنين ..فالوالد بعدما عرف كل ذلك لم يستطع منع الزواج ..ولكن السيد عزمي والسيدة شيرينة أثناء رحلاتهما لليونان تعاطيا المخدرات ، وأدمنا عليها ، وكلما يعودان يدخلان الكمية المناسبة حتى يأتي موعد السفرة التالية ، وكانا يسافران كل فصل مرة فكما جاء أثناء المحكمة أن إشارة أرسلت من بوليس أثينا إلى شرطتنا تخبرهم بالمخدرات الموجودة في حوزة عزمي .. فتم القبض عليه وإيداعه الحبس خمس سنوات .. ولما خرج وجد المحبوبة متزوجة ، وقد نسيت الحب والغرام والأحلام ، ودفع إليه السيد عبشل عشرة آلاف دينار مكافأة عن سنوات الخدمة التي أمضاها لديهم ، وخرج من حياتهم فسافر إلى اليونان ، فعاد وهو يحمل مخدرات.. وعزمي متعاطي لا يتاجر بها ، واستمرت حياته بين المخدرات

والسجن حتى التقى بالآنسة ستيلا ابنة أخت مدام ملاطيوس وبعد حب قصير اتفقا على الزواج والاقتران ، وحضرت إلى هنا وتزوجا وسكنا في هذا البنسيون .. ولكن الفتاة لم تطق الحياة هنا ، وتبين لها مرض زوجها جنسيا، فهو من الصعب أن ينجب، فطلقها بناء على رغبتها وظل يبكي عليها ، واستأجر هذه الحجرة في الفندق ليعيش على ذكراها وينظر إلى هذه الصورة المعلقة التي ترونها .. فهذه هي صورة ستيلا .. فهو مستمر في سفره لليونان أو قبرص ثم يعود ويغيب عنا بالأيام والأسابيع فلا نكترث لغيابه .. هذه المعلومات سمعتها منه عندما كنا نجلس أحيانا نتحدث .. وهذا ما أذكره عنه أيها السادة.

قال جعفر : أحسنت بسرد هذه المعلومات على أسماعنا .. لقد أنارت لنا الطريق ..في السنوات الأخيرة هل كان يأخذ مخدرات ؟

ـ ليس تماما .. لقد زاد شربه للكحول المحرمة، قد يكون ذلك أكثر من الماء .. وكان يتعاطى حبوب مخدرة .. لقد ترك الهيروين منذ التقى بستيلا .. وهذه الحبوب يشتريها كما يقول من بعض الصيدليات المخالفة للقوانين والأنظمة.



٩

في دائرة الأمن والتحقيق الجنائي جلس المقدم جعفر ، والعميد المتقاعد حمداني ، والنقيب مالك ينظرون لخبير فتح الحقائب والخزائن الرقمية وهو يفتح حقيبة عزمي التي أتوا بها من الفندق ، وخلال دقائق معدودة تم فتح الحقيبة السوداء ، وقام جعفر برفع الغطاء ، فكان فيها مبلغ من المال ، فقام مالك بإحصائه فإذا هو مائتي دينار، وفيها عملة يونانية (دراخمة) فعدها أيضا ، ووجدوا البوم صور كبير، وجواز سفر، وبطاقة شخصية ، وقسيمة زواج ، وقسيمة طلاق ، ومغلف رسائل بداخله عدد كبير من الصور، ومغلف آخر تبين أن ما فيه رسائل عاطفية قديمة أرسلتها شيرينة لعزمي تعبر فيها عن حبها وعشقها لفارس أحلامها .. وفي أحدها رسالة خطيرة تعترف له بأنها حامل منه ، وتستشيره بما تفعل بالحمل ، فهل تصارح والدها بحبها وحملها ؟ وكانت الرسائل مكتوبة بخط واضح وجميل، ووجدوا لهم صورا على شاطئ البحر بحر اليونان ، وهم في ملابس البحر، ومنها صور تعانق عشيقها وهي شبه عارية، ووجدوا صورا له مع زوجته اليونانية كذلك، وكان في الحقيبة كمية من حبوب المخدرات، ومسدس ذو حجم صغير، أكد حمداني أنه صناعة يونانية، وهو تحفة أكثر منه مسدسا ، وبعض الأفلام ، والميداليات ، وبطاقات عناوين لأطباء ومحامين وشركات، وضمنها بطاقة باسم طبيب الأسنان الذي وجدوا بطاقته في الحجرة ، وعرفوا من ناجي أنه زوج شيرينة ابنة السيد حازم ، وبعد ساعات من النظر في الصور والأوراق قال حمداني : خطواتنا القادمة الاتصال بالدكتور باسل نصري ، وبالسيد عبشل ، وبناء على ما نخرج به من انطباعات نتحدث مع السيدة شيرينة، فنبش الماضي بالنسبة لها ليس هينا، فهناك علاقة غير شرعية ، وحمل بالحرام ، وإجهاض، وبالتأكيد لا يعرف الدكتور الزوج تفاصيل كثيرة عن ماضيها وإلا ما اقترن بها.

قال جعفر: أكيد.. فالرجل الشرقي ليس من السهل أن يتزوج من امرأة قاتلة لجنينها .. أو حتى عاشقة بالشكل الذي تحدث عنه السيد ناجي.

فعقب مالك قائلا : هذا كان قديما .. أما الآن في أواخر القرن العشرين فهؤلاء الأثرياء المتأثرون

بالغرب يغضون الطرف عن أخلاق وعيوب زوجاتهم .. فأكثر زيجاتهم زواج مصلحة ومال.
فقال جعفر : ممكن أن يكون صحيحا ما تقول يا سيدي النقيب .. فأريد منك ملفا مفصلا عن هؤلاء الثلاثة عبشل وابنته وزوجها الطبيب.
قال حمداني : أما أنا فسأنصرف للبيت ، واسمحوا لي بأخذ رسائل الفتاة لأقراها ؛ لأعرف لماذا كانت تكتب له الرسائل مع وجودهما دائما معا ؟ وكانت تسافر معه وحدهما، ولماذا اعترفت بحملها في رسالة مع أنها يمكن أن تقول له ذلك مشافهة؟! فهذه نقاط تحتاج لتفكير عميق ، وأنت يا سيدي المقدم رتب لنا موعدا للحديث مع السيد حازم .. نسمع الرجل العجوز المريض ثم نحاور الطبيب ونسمع منه بعده.
قال جعفر : سوف أتصل به بعد أن يأتيني مالك بملف عن كل منهم.
فقام مالك وهو يقول: سأبدأ الآن ـ إن شاء الله ـ وخلال أربع وعشرين ساعة سأقدم تقريري الأولي حولهم.
وغادر السيد حمداني ، وقد حمل الرسائل الخاصة معه إلى بيته ، ولما جلس في مكتبه جلس قليلا يفكر ويشرب كوبا من الشاي ، ثم آوى إلى فراشه الوثير يريح بدنه مما عانى ذلك النهار والليل ولكنه لم يكد يغمض عينيه حتى جاءه هاتف من المقدم جعفر يعلمه فيه أن السيد حازم عبشل قد مات منذ يومين، فاسترجع حمداني وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .. ليس أمامنا الآن إلا سماع أقوال شيرينة ؛ ولكنها لا تتحدث عن ماضيها الجميل ، وستقول لنا ما دخل حياتي في سير القضية والتحقيق رجل تركنا منذ عشرين سنة، وأنا امرأة متزوجة ولي سمعتي.
فقال جعفر بحدة نوعا ما : ماذا كان يشتغل هذا اللعين قبل موته ؟! .. فناجي يقول إنه كان يكثر من السفر إلى اليونان .. ولكن ماذا كان يعمل هناك ؟
ـ لا تنسى يا صاحبي أن السيد حازما دفع إليه مبلغا من المال عندما أفرج عنه.
ـ ولا تنسى يا صاحبي أنه كان يشرب الهيروين ، وهذه المادة ثمينة وأغلى من الذهب.. مادة

تحتاج لمبالغ دائمة ومستمرة

ـ ولكن كما تبين لنا أنه متعاطي لا يتاجر فيها.

ـ حياته في اليونان غير معروفة لدوائر الشرطة ويلفها الغموض.. ما رأيك بأن نسافر للبحث عن ستيلا ومقابلتها لعلنا نعرف المزيد عنه ؟

ضحك حمداني على الهاتف وعلق قائلا : أنا لا أرى أن هذه المرأة أكثر من بائعة هوى التقى بها في ملهى أو حانة خمر أو مرقص هناك ، وجرى بينهما استلطاف ووجدها بديلة عن معشوقته الأولى ، ولما عرفت هي أنه من البلد الذي تعيش فيه خالتها كاتي تزوجا ، وسكنا عندها ، ثم انتهت العلاقة بالطلاق وخرجت من حياته .. نحن لحتى الآن لم نعرف سبب قتله أو ما يسمى بدافع الجريمة.

ـ كنت أفكر بأخذ عنوانها من خالتها وأسافر إليها.

ـ قد تكون متزوجة في قطر آخر ، ولها منفصلة عنه ما يقارب أربع سنين .. فليس من السهل الالتقاء بها ، دع أمرها لآخر شيء.. فلنحاول الحديث مع الموجودين هنا ، الدكتور باسل ، وزوجته شيرينة ، وكذلك محاميه قبل سنوات أيام القضية الأولى .. هل عرفتم عنوانه ؟

ـ يا سيدي ..تكلمت معه مرة على الهاتف ، وذكر لي أن السيد حازما هو الذي دفع له أتعاب المحاماة ، وبعد صدور الحكم انتهت علاقته بالسيد حازم والسيد عزمي .. ولا شيء عنده يساعدنا في قضية عزمي لماعة.

ـ على كل حال لابد من الوصول للجاني قريبا يا سيد جعفر ، فكلما تعقدت القضية أصبح حلها قريبا ، علينا أيضا معاودة الحديث مع السيد ناجي ؛ ربما يضيف شيئا غفل عنه في المرة السابقة وتذكره بعد انصرافنا ، فعزمي كان يحدثه عن نفسه كثيرا كما بدا لنا من حديثه معنا ؛ ولكن يا جعفر لم يذكر لنا أن السيد عزميا يسكن في حي الشمارخة.. لماذا؟!.. أتظن أنه لا يعرف أم .. ؟ لابد لنا من لقاء آخر معه عندما نرتب معلوماتنا ترتيبا جيدا ومنطقيا يا سيد جعفر.

ـ ما هو الدافع الرهيب لهذه الجريمة ؟ .. لا يوجد سرقة وعنف..

ـ المهم أن نستبعد أن يكون القتل بسبب المخدرات ، فليس هناك ترويج وتجارة .. فأنا أحاول معرفة نفسية ومزاج عزمي هذا ، وكيف كان يفكر ويتعامل مع الأشياء ؟ وهل نسي حبه بسهولة ؟! وهل ابتعد عن حياة معشوقته بسهولة؟ وهل لم يلتقيا بعد أن علم أنها زوجة ؟ ولماذا يحمل بطاقات عنوان زوجها الدكتور ؟ وهل علم أنه زوج معشوقته القديم ؟ والدكتور هل علم بأن هذا المريض صديق امرأته ؟ .. هذه أسئلة وغيرها يا سيدي تحتاج إلى إجابة .. وعلى أثر الجواب عليها سيتضح سبب حدوث هذه الجريمة المدبرة بذكاء.. فلو تبين لنا يا صاحبي أن السيد عزميا وشيرينة ما زالت تربطهم علاقة عشق وحب من وراء الزوج .. ثم علم الزوج بالأمر ألا يدفعه ذلك لقتل شريكه في زوجته؟! .. فالغيرة سبب مهم للقتل.

ـ والله يا حمداني هذا تفكير دقيق وعميق !.. فهذه الأسماء تحتاج لدراسة .. فمهمة مالك إذن مهمة كبيرة.

ـ من أجل ذلك يا سيدي لم أتعجل بلقاء هؤلاء القوم ، علينا قبل اللقاء بهم أن نعرف بعض خصوصياتهم وأسرارهم .. وهناك سؤال كنت أود أن اسمع إجابته من السيد حازم ، وهو هل كان يمد ربيبه بالمال رغم انقطاع العلاقة بينهما بعد زواج البنت وإبعاده عن العمل؟ وهناك أمر مهم جدا يا سيد جعفر وهو هذه الرسائل .. لماذا كتبت ؟! ولماذا يحتفظ بها عزمي معه لحتى الآن مع مضي سنوات طوال عليها ؟! وحتى صوره مع الفتاة العاشقة لماذا لم يتخلص منها؟! ولماذا لم يعيد تلك الأشياء لها للتخلص منها بنفسها ؟

ـ إنها أسئلة كبيرة حقا يا حمداني!

ـ تصبح على خير يا سيدي.

١٠

بعد أيام اتفق حمداني وجعفر على زيارة الطبيب باسل نصري طبيب الأسنان أثناء عمله، وكانت عيادته في شارع المصباح السحري في أزهار الربيع ، وهو نفس الحي الذي يقع فيه بيت حازم عبشل ، ولكن الأخير بيته في شارع الشمس ، وقد تبين لهم أن الطبيب يعيش مع زوجته في فيلا والدها ، وعلموا أيضا أنه كان متزوجا قبل الزواج من السيدة شيرينة ، ولم ينجب من الأولى ، ولا الثانية ، وحاول الزواج مرة ثالثة ، فقد خطب فتاة كانت تتردد على العيادة ، ولما اقترب موعد الـقران علمت شيرينة بالموضوع ، فطلبت الطلاق على الفور، مما اضطره إلى إنهاء زواجه الجديد ، وبالجملة فحياته هادئة في بيت الأسرة التقليدي ، وله والدان كبيران في السن يرعاهما ويتفقدهما باستمرار، وله أخت يكثر من زيارتها والسهر عندها ، وأحيانا يترك العيادة لتناول الطعام عندها في فترة الغداء ، وله أخوان مهندس أصغر منه ، والثاني مهاجر إلى الغرب ، وهو يتردد على عيادات معالجة العقم باستمرار ، بل سافر لإنجلترا من أجل هذه الغاية ، وهو موفق في عمله ، هذه معلومات جمعتها الشرطة عن الطبيب باسل ، وقد اطلع عليها جعفر وحمداني ، وفي الموعد المحدد بين الضابطين زلفا على عيادة الطبيب، فاستقبلتهما السكرتيرة، ورحبت بهما ، ودونت اسم أحدهما على بطاقة المعالجة ، ولما خرج المريض من غرفة العلاج ، قال الطبيب : لينا .. هل عندك أحد من الناس؟

فقالت وهي تقف : نعم .. هذا السيد ـ وأشارت لجعفر ـ ومعه صديقه.

فقال الدكتور : تفضلا.

ولما دخلا الغرفة استلقى جعفر على سرير العلاج الخاص بطبيب الأسنان ، وهو يقول : أرغب يا دكتور باسل بأن تتفقد أسناني وتزيل الاصفرار العالق بها.

فرحب بهم الطبيب وقال : حاضر .. يا مرحبا بكم .. افتح فمك يا عزيزي.

وقبل أن يفتح جعفر فمه قال حمداني : دكتور باسل .. لقد أرسلنا إليك صديق يتردد على عيادتك كلما أوجعه سن من أسنانه .. هل تذكره ؟

ضحك الطبيب وقال: من هو هذا الصديق لأذكره ؟!.. ما اسمه ؟

فقال حمداني وهو يتشاغل بالنظر إلى صورة معلقة في العيادة : إنه صديق لنا ذكر لنا أنك أمهر طبيب أسنان في الحي.. ولكن المسكين مات منذ أسابيع قبل أن نزورك

أظهر الطبيب الدهشة وقال : صديق لي مات منذ أسابيع .. لم يمت لي صديق منذ زمن!

ـ هو الذي أعطانا عنوانك أو بطاقة عيادتك.

ـ حيرتني يا رجل! ..اذكر لي اسم هذا الصديق الذي مات من قريب .. لعله مريض من المرضى الذين يترددون عليّ فقط..

فقال حمداني مظهرا الأسف والحزن : المسكين لم يمت موتا طبيعيا .. بل قتل رميا بالرصاص.. إنه السيد عزمي لماعة.

ألقى حمداني القنبلة وأخذ الضابطان يراقبان ردة فعل الطبيب الذي ومضت عيناه ببريق لامع ، وقد سقطت أداة الفحص من يده ، وبدأ مضطربا وهتف : عزمي لماعة .. قتل!

فقال حمداني : مالك ارتبكت يا دكتور؟! .. ألم تعلم أنه قتل ؟! .. ألم تشارك في جنازته ؟ .. أليس هو صديقك ؟

فقال الدكتور والخوف واضح على وجهه وصوته مضطرب كذلك : لا .. هذا الرجل ليس صديقي .. إنه كأي شخص عادي ، لم نكن أصدقاء في يوم من الأيام .. ولم أعرف أنه قتل إلا منكم الآن.

فعاد حمداني يقول : ولكنه يعتبرك صديقا ، ويكثر من الحديث عنك عندما نتحدث عن وجع الأسنان والأضراس.. وهو يعرفك جيدا يا دكتور ؟

ـ نعم ، أنا أعرفه ؛ ولكنه ليس صديقا .. إنما هو مريض كباقي المرضى .. لقد عرفته من سنوات ثلاث على ما أذكر .. عندما أتى ليقلع ضرسا يؤلمه .. وفعلا كان يتردد عليّ لمثل هذا الموضوع ..ويا سيدي حياكم الله ورحم الله الرجل لقد أحزنني خبر موته وخصوصا موته مقتولا.

فقال حمداني: ولكنه كان يدعي أنه صديق حميم لك، وهو الذي أرشدنا إليك قبل موته.

كان الطبيب مرتبكا ، وتفاجأ عندما رأى المريض ينهض عن السرير، ويتجه للباب ويغلقه ويتقدم منه قائلا : المقدم جعفر من المباحث الجنائية .. وهذه بطاقتي .. وأنا أحقق في جريمة مقتل السيد عزمي لماعة..

حملق الطبيب بالضابط وقال بعد صمت : وما علاقتي بالموضوع ؟! .. رجل كان يتردد على العيادة لمداواة أضراسه المعفنة.

وضغط بأسنانه على الكلمات الأخيرة ، فقال جعفر : المهم أنك تعرفه .. وتذكره جيدا .. نريد معلومات عنه منك ؟

هبط الطبيب على كرسي وقال : تحقيق إذن ؟!

رد جعفر : لا ، لو كان تحقيقا لاستدعيناك للدائرة .. إنما هو حوار غير رسمي .. أي شيء تعرفه عنه يساعدنا في الوصول للجاني ؟

ـ عزمي لماعة .. مجرد زبون مريض يتردد على العيادة للعلاج لا صداقة بيننا.

فاقترب حمداني من الطبيب ونظر إلى عينيه وقال : دكتور باسل .. ألا تعلم أن زوجتك ابنة السيد عبشل كانت على وشك الزواج من عزمي هذا ؟

ـ أعلم ؛ ولكن كان هذا من سنوات طويلة قبل أن ألتقي بشيرينة زوجتي ، وأعلم أنه يتعاطى المخدرات وأنه سكير.

فقال حمداني : إذن لماذا جاء هذا الرجل يتطبب عندك ؟.. ولماذا لم تصرفه بعدما عرفته؟

قال الطبيب : لم يكن ذلك ممكنا ، أنا لما عالجته أول مرة لم أطلع على اسمه .. دخل كأي مريض.. وقد لاحظتم من معاملتي أنا لا أهتم باسم المريض .. تركت الأمر للعاملة في الخارج .. يهمني حسن معالجة المريض.

ـ ألا تكتب اسم المريض على الوصفة الطبية ؟

ـ لا .. ليس هذا بالأمر المهم للصيدلي.. يهمه أسماء الدواء ، وقد ينتبه لسن المريض .. ولكن العاملة عادة تكتب في أحد الدفاتر اسم المريض والسن والعنوان والهاتف إذا رغب الزبون في

ذكر ذلك.

قال جعفر : كنا نطمع في مساعدتك لنا يا دكتور باسل .. من جلساتك العلاجية المتكررة مع المريض قد يكون ذكر لك شيئا يساعدنا في التحقيق.

ـ أنا مستعد لمساعدتكم .. ولكن كيف؟ .. صدقوني لا علاقة بيني وبين هذا الرجل المريض المدمن.. ليس بيننا إلا علاقة الطبيب بالمريض.

قال حمداني : متى عرفت أنه خطيب زوجتك ؟

ـ هذا موضوع قديم ..وكثير من الفتيات يخطبن ، بل قد يكتب العقد ثم لا يحصل نصيب وينتهي الزواج .

ـ صحيح ما تقول .. ولكن لماذا جاء هذا الرجل إليك بالذات منذ ثلاث سنين كما قلت؟ هل ترى أنه لا يعرف بأنك زوج المرأة التي كان على وشك الاقتران بها لولا القبض عليه من قبل شرطة مكافحة المخدرات؟ .. لم لم يذهب لطبيب آخر؟ .. هذا لابد من الإجابة عليه.

ـ لا أعلم .. رجل تطفل عليّ فقط.

قال حمداني بصوت هامس وهادئ : دكتور باسل إذا كان عندك شيء تكلم به .. نحن متأكدون أنه كان بينك وبين القتيل علاقة من نوع ما.. والسكرتيرة الجالسة في الخارج لقد التقينا بها أمس في بيتها، وعندما عرضنا عليها صورة عزمي لماعة أكدت لنا أن هذا الرجل كان يتردد على العيادة للعلاج وغيره ، وفي يوم مصرعه يوم الثلاثاء كان عندك صباحا.

فقال الطبيب : لا أدري متى كان مصرعه ؟ وأنا مصر على أنه مريض وليس بصديق ، وكثيرا ما يأتي المريض لاستشارة طبيبه من غير أن يقطع تذكرة أو وصلا للعلاج .. حديث جانبي ثم ينصرف .. وأكيد أن السكرتيرة بينت تكرار مثل هذا الأمر مع غير عزمي.

فقال جعفر : الحق أنها ذكرت بأنه عدو ولم يكن صديقا ، ما الذي كان بينكم ؟ تكلم يا رجل ؟

ـ أتكلم بماذا ؟؟

ـ بنوع العلاقة التي تربطك بهذا الرجل القتيل ؟

ـ صدقوني .. أنه مجرد عابر سبيل.

فقال حمداني : أنت تريد إخفاء شيء مهم في عدم إفصاحك عن سبب مجيء عزمي إليك أكثر من مرة ، ويوم الحادث كان عندك صباحا .. هناك سر بينكم أكثر من العلاج .. أنت تعلم أنه عاشق لزوجتك عشقا مبرحا ، ولولا ذلك لما احتك بك وجاء يتداوى عندك.

فصمم الدكتور على عدم الإفصاح ، وقال بعناد واضح : لا أسرار بيننا ..حتى لو كان عندي أسرار كما تدعون فلا أحب كشفها ، بل سوف أتقدم بشكوى لرؤسائكم على إزعاجي وتعطيل عملي.

أخذ الضابطان بالضحك ردحا من الزمن ، ثم قال جعفر : حسنا أيها الطبيب المحترم سندعوك بكتاب رسمي لأخذ أقوالك .. نحن أحببنا أن يكون اللقاء وديا لنستفيد من معلوماتك في التحقيق .. فغدا اعتبر نفسك مطلوبا للمثول في القسم لسماع أقوالك بصفتك ممن رأى القتيل قبل مصرعه بساعات، وبصفتك طبيبه أيضا، واعلم أنك الآن تحت المراقبة وممنوع من مغادرة القطر حتى تكتب أقوالك في محضر شرطة رسمي .. هيا بنا سيد حمداني.

فقال حمداني لجعفر: على مهلك يا مقدم جعفر .. سؤال أخير سيد باسل أرجو الإجابة عليه قبل انصرافنا .. لماذا أعطيت السيد عزميا منذ شهور يسيرة ألف دينار ؟! .. هذا ما اعترف به عزمي لأحد الناس.

كان مصدر هذه المعلومة السيد ناجي ، عندما عاود الضابطان الاجتماع به ، وسألاه عن مصدر دخل عزمي والعمل الذي يمارسه ، فذكر لهم أنه لا يعمل إنما يتلقى أموالا من أصحابه القدامى وفي ساعة سكر ذكر له أن الدكتور زوج صديقته السابقة دعمه بألف دينار ، وأحيانا شيرينة تشفق عليه وتعطيه ، فلما سمع باسل سؤال حمداني الأخير قال باستسلام : لقد اختنقت .. سأقول ما عندي

فطلب سيجارة ، فأعطاه المقدم جعفر سيجارة ، وطلب من السكرتيرة صرف المرضى والمراجعين ، وأن تطلب لهم قهوة ، وبعد دقائق كانت القهوة بين أيديهم ، وأغلق جعفر الباب

من جديد وقال: أسمعنا حديثك يا حضرة الطبيب.

رشف القهوة وخلع نظارته عن عينيه وقال بغضب : ألا لعنة الله عليك يا عزمي .. لقد دمرني ودمر حياتي .. إنه مجرم لعين .. قتلني قبل أن أقتله.

فصاح جعفر بدهشة : أنت الذي قتله ؟!!

فصاح الطبيب بغضب : اسمعني ولا تقاطعني .. بدأت الحكاية منذ سنوات لا أدري ثلاث أم أربع .. المهم جاءني الخبيث كأي مريض ، ولما جلس على هذا الكرسي قال : أنا اسمي عزمي لماعة ، ولما بدأ له أنني لم أكترث لذكر اسمه وقلت : أهلا بك سيد عزمي .. فهمس المجرم أنا كنت على موعد من الزواج من زوجتك يا دكتور .. أيام .. ليتم حفل الزواج واختصر لي حياته وحبه لشيرينة عبشل .. وطلب مني طلاقها لحبه الكبير لها ، وتركني وطلب مني التفكير بالأمر وفي حالته البائسة ، كان ذلك من أول لقاء بيني وبينه ، كظمت غيظي، وعدت للبيت مهموما، ولم أحدث شيرينة بما سمعت .. على أمل أن أنهي موضوع تطفله خلال يومين أو ثلاثة .. وغاب يومين على ما أذكر ، ثم أهل عليّ في العيادة ، وسألني بصلف وكبرياء ؛ كأنه صاحب حق وأنا سلبته حقه قال : ماذا فعلت برجائي ؟ فقلت له بالحسنى: إن زوجتي لا ترغب فيه ، وتحتقره وتكرهه ، ونادمة على كل ساعة قضتها معه ، ورغم هذا الكلام الذي تكلمته أمامه ، كان في داخلي شك رهيب فقلت له : هل بينك وبينها أي علاقة منذ تزوجنا ؟! فقال: منذ سجنت انتهى ما بيننا ولكن لم أعد أطيق العيش بدونها لم أعد أصبر فزجرته وهددته بالشرطة والقانون ولكن ماذا تفعل مع إنسان وقح لا حياء عنده ، فألقى أمامي صورا لزوجتي وهي شبه عارية على شواطى البحار وقال : عندي كثير منها يا دكتور . حدثته عن الأخلاق والقيم والعادات والخجل ، ويقابل ذلك بأني سرقت خطيبته منه ، مع أني لم أعرفه قبل زواجي من شيرينة التي حدثتني عن خطوبتها لهذا النذل ، فقلت له : ماذا تريد .. ؟ طلاق ..مستحيل ؟! انصرف قبل أن أتقدم بشكوى ضدك ؟ فعندئذ طلب مني مالا مقابل هذه الصور التي عرضها أمامي ، ولما شاهد عزيمتي وأنني لن تهزني أي فضيحة من ماضي زوجتي ، قبل أخذ ثمنها ورجوته أن

يبعد عن حياتنا ، فوافق بعد أن أخذ مني خمسمائة دينار مقابل الصور ونسيان أفكاره الشيطانية وغاب سنة ثم عاد للابتزاز بنفس الصور ، فكشفت الأمر لزوجتي فقالت بوضوح : عزيزي باسل تأكد منذ حكم عليه بالسجن خمس سنوات لحيازة المخدرات وتعاطيها لا توجد بيننا أي علاقة شخصية ، وخرج من قلبي إلى الأبد صدقت ذلك وأخضعتها للمتابعة سواء في المحلات أو البيت أو الصالون فتأكدت أنها لا ترتبط به بأي علاقة مشينة بعد سجنه ..ولكن السمعة ثمينة عندي فرضخت لابتزازه وجنونه وأعطيته ما تيسر من المال طمعا بألا يعود المجرم وغاب عني على ما أظن عاما آخر ، وكان يأتينا خلال العامين لمعالجة أضراسه وفمه وأغض الطرف عن حمقه وبلهه ، وقبل سنة من مقتله جاءني ومعه صورة خطاب رهيب من زوجتي أيام عشقهما تعترف له فيه بالحمل منه من غير زواج ، وتبدي رغبتها بالإجهاض في أقرب وقت ممكن .. فلم أتمالك أعصابي أيها الناس وكدت أخنقه هنا ، لقد قضى عليّ نهائيا ، وبعد تفاهم وعدني الوغد وعدا أخيرا بالخروج من حياتنا الزوجية مقابل ألف دينار، وأن يسلمني الخطاب الأصلي ، فوافقت من ضعفي ، وغاب زمانا طويلا فظننت أنه ندم واستيقظ ضميره الميت .. وكنت أفكر أن أشكوه ؛ ولكن لم أعرف كيف أفعل ذلك ؟ لا أعرف بيته .. ماذا أقول للشرطة ؟ لا شهود عندي؟ وبينما أنا هائم في أمره دخل عليّ قبل شهور ثلاثة ، وأخذت عنوانه في حي الشمارخة ، وذهبت إليه ليلا ونـقدته الألف دينار مقابل تسليمي رسائل شيرينة له أيام المراهقة والزواج غير الشرعي ، فقال إنه لم يحضرهن خوفا من غدري، وحلف مليون يمين بأنه سيأتيني بخطاب اعتراف زوجتي بالحمل السفاح وتفرقنا على ذلك ، فجاءني قبل أسابيع صباح يوم الثلاثاء هنا أيضا في العيادة ، وطلب مني زيارته في منزله في حي الشمارخة في الليل الساعة العاشرة والنصف لاستلام الرسالة وغيرها من الصور والرسائل .. وبالفعل صممت على الذهاب ومقابلته ، وأخذت معي مسدسي المرخص، وصممت أن أقتله إن لم يعطـني الصور.. فوضعت شاربا صناعيا وباروكة وارتديت معطفا طويلا وحذاء رياضي ، وقد استأجرت سيارة سياحية كنت مصمما على قتله إن لم يعطيني كل الأشياء التي تخص زوجتي .. وفي العاشرة والربع ليلا أوقفت

سيارتي في الشارع الرئيسي للحي وتسللت لمنزله الذي عرفته من المرة السابقة ، فوجدت الباب مفتوحا فدخلت بهدوء ، ثم نزلت الدرج ، وفتحت باب غرفته، وكانت الغرفة مضاءة ، وناديت بصوت منخفض ، فلم يرد ، فدخلت فكان مطروحا على السرير ، ومغطى بلحاف إلى صدره اقتربت منه وهمست عزمي عزمي ثم لمحت الدماء على ثوبه، فخفت وأدركت أنه ميت من قريب ، فقد وجدته مقتولا ، فمما سببه لي من الضيق والإحباط والحقد رميته برصاصتين واحدة في صدره وأخرى في جبهته ، وغادرت متسللا كما دخلت ، وأنا غير مترحم عليه .. فهذه قصتي مع المجرم اللعين.

فقال جعفر : أمتاكد أنه كان ميت قبل أن تطلق الرصاصات عليه ؟

فقال الطبيب المنهار عصبيا : هذا ما رأيته ، والطب الشرعي عليه إثبات ذلك.

فقال حمداني : الحق أننا الآن فهمنا لغز اختلاف الرصاصات القاتلة .. عندنا قاتل أول .. والدكتور قاتل ثاني ، وتقرير الطب الشرعي فيه أن الموت حدث من المقذوف الأول .. كانت الطلقة في صميم القلب.

١١

بعد اعتراف الدكتور الخطير أمام الضابطين ، وأنه كان موجودا على مسرح الجريمة ، وراودته نفسه بسفك دم عزمي إن لم يسلمه الخطاب الخطير والصور ، وبعد مناقشة كاملة بينهم قال المقدم جعفر : لقد وصلنا إلى النهاية يا سيدي حمداني

فقال حمداني : بالتأكيد ، ولكن ظل سماع صوت القاتل الحقيقي أو القاتل الأول لنعرف دوافعه الحقيقية لارتكاب هذه الجريمة!

رسم جعفر ابتسامة على وجهه وقال : الدافع يا سيدي العميد لهذه الجريمة هو الابتزاز ، والتهديد بالفضيحة ، وتدمير حياة زوجية تقليدية.

ولكن حمداني مع إقراره بهذا الدافع قال: الحب والعشق هما سبب مهم أيضا يا صاحبي في هذه الجريمة.

ـ كيف ؟!

ـ العشق القديم بين شيرينة ابنة السيد حازم والسيد عزمي لماعة .. العاشق الولهان الفقير الذي وجد كنزا يتمتع به.. خرج من السجن ليس له أهل ولا أصحاب ولا مال.. حياته الفتاة التي بنى عليها أحلامه الأبدية .. وجدها متزوجة ، الأب نسي عزميا ، ويبغضه لما فعله مع ابنته من زواج غير شرعي ، بل فرح وسر سرورا كبيرا للخلاص منه .. ولما خرج الفارس من قفصه جاء إليهم ، فدفع له الرجل مبلغا كبيرا ليبدأ به حياته من جديد بعيدا عنهم .. لم يحسن التصرف بما أعطي من مال، بذله على اللهو والمخدرات والخمر والسفر .. فعاد يطارد محبوبته لتعود له وتترك زوجها ، فليس بينهما أبناء لتربطهم ..ولكن حبها قد مات بالحكم على الحبيب بالسجن فأخذت بالمقاومة ورفض الانفصال ، وكانت مصرة على التمسك بزوجها ، فكان العاشق القديم يستغل تمسكها بزوجها ليبتزها ، فلما عرفت أن زوجها اطلع على بعض أسرارها القديمة وخصوصا الحمل والإجهاض جن جنونها ، فحقدت على العاشق القديم ، ودبرت ورسمت قتله ، ولكن هل قتلته أيها الصديق ؟!

ـ هذا ما سنعرفه منها ، مع أن الوقت متأخر فعلينا أن نذهب لمقابلتها قبل معرفتها بالقبض على زوجها ، فتحاول الهرب أو الاختفاء.

ـ لا أظن أنها تهرب إذا علمت بالقبض على زوجها .. فهي تعلم أن زوجها بريء من دم عزمي ، فهي لا تعرف أن السيد باسلا أطلق على عزمي رصاصتين .. وهي فعلت ذلك حتى يستمر الزواج بينهما ، ولو لم تكن متمسكة به لطلبت الطلاق منذ أول يوم خرج فارس الأحلام من السجن ؛ ولكنها بدأت تنسى الماضي وتريد الانتهاء منه .. ولكن الماضي ما زال يطاردها بحياة عزمي ، وأيضا لو لم ترد زوجها لدعته يتزوج المرأة التي كتب عليها كتابه من ورائها ، وكانت فرصة للانفصال .. إنها تكره الماضي ، ولكن الماضي لا يريد أن ينفك عنها ما دام عزمي حيا .. وأما الوغد عزمي فبتكوينه النفسي المريض، وبتعاطيه المخدرات وحبوب الهلوسة وجدهم كنزا فتح له يغرف منه ما يشاء متى شاء ، فكيف يغلقه بنفسه؟ فكلما نـفد المال جاء إليهم فيعطونه ولم يبخلوا عليه؛ ليبقى بعيدا عن حياتهم ؛ ولكن الرجل بعد فشله بزواجه من ستيلا عاد به الحنين إلى المعشوقة الأولى ، ولكن عن طريق الزوج معتقدا أن الزوج سوف يستسلم له أمام ما يكشفه من ماضي زوجته ، فلا تجد أمامها بعد الطلاق إلا الفارس القديم .. وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن.. فصدم الرجل بموقف الطبيب ، فعرض عليه الصور ليثير الغيرة فيه، ولما لم يجد جوابا ولا نتيجة لفعله ، وأن الطبيب مصمم على البقاء زوجا لها أعطاه صورة الخطاب الخطير ، الاعتراف الغريب منها له ـ وهو الحمل ورغبتها في قتل الجنين الذي في أحشائها ـ ولكن الدكتور تمالك أعصابه واعتبر كل ذلك من الماضي ، ولم يشاء الاستسلام لهذا المبتز ولا يريد هدم الحياة الزوجية، فزواجهم زواج مصلحة ، فهو عقيم يتداوى للإنجاب والمرأة عاجزة عن الإنجاب فلماذا الانفصال؟ ..فهداه جنونه إلى جمع الزوجين في منزله ، ففكر ودبر ومكر بعدما استشاط غيظا منهما بجمعهما في بيته القبو؛ ليثير الغيرة والشك في نفس الزوج، فيتخلص من الزوجة عندما يراها في بيت عزمي ..واستغل الرسائل والصور لاستدراج الطرفين ، فجاءت الزوجة لأخذ الرسائل القديمة ، وصورها القديمة معه كما اتفق معهما ، وعندما يأتي

الزوج حسب الموعد المخطط له والمضروب له يفتـعل الوغد حركة مريبة كأن يحاول تقبيلها أو ضمها إلى صدره ، فيظن الزوج أنها تخونه ، فيرمي عليها يمين الطلاق عندما يشاهد ذلك المشهد

ـ ألا يتوقع أن يقتلها الزوج ؟

ـ عزمي من خلال لقاءاته ومعاشرته للطبيب ، وأنه لا يحب العنف ، وقد استسلم له ودفع له المال تلو المال ليخرسه عن القيل والقال .. فلا يمكن أن يقتله .. ولكن الذي حدث أن المرأة هي التي تريد أن تحافظ على حياتها الزوجية ، وأنها تكره عزميا كرها شديدا ، ولكن الرجل لا يصدق ذلك ، وما زال يغالط نفسه ، فجاءت المرأة وقد أدركت قصده وهواه وغايته من هذا اللقاء الليلي فقتلته، وخرجت بهدوء إلى منزلها، وجاء الطبيب فوجده جثة هامدة ، فأدرك أن زوجته فعلت ذلك قبله وحسمت الأمر ، فقام بإطلاق رصاصتين من مسدسه لينفس عن الضغينة التي يكنها للقتيل ، وفي نفس الوقت يضـلل الـعدالة والشرطة ، ويوهم رجال البوليس أن القتلة أكثر من شخص ، ويذهب البوليس أن سبب موته بسبب المخدرات ، وأنه اختلف مع عصابته أو عصابة أخرى ، ولا ينبشون الماضي البعيد ، وكان ذلك تفكيره في بداية الأمر أليس كذلك يا مقدم جعفر ؟

ـ هذا كان أول الأمر فكرنا به لعدم وضوح سبب ودافع القتل .. ولكن المشكلة أن الدكتور وزوجته لا يعرفان الكثير عن حياة عزمي بعد السجن.

ـ نعم ، الدكتور كان تفكيره أن السيد عزميا رجل مخدرات وعصابات ، وأما الزوجة فهي تعرف السيد عزميا أكثر من زوجها ، وأنه متعاطي للمخدر أكثر منه مروج لأنها بدآ التعاطي معا ، بل ملفه يثبت أنه متعاطي ، ولم تثبت عليه قضية ترويج وبيع ، هو زبون والدكتور لا يعرف أنه ابتـعد عن الهيروين ، ولا يعرف زواجه من ستيلا فأحب أن يوجه القضية وجهة مخدرات وعصابات.

ـ الزوجة ؟!

ـ الزوجة همها أن تنقذ حياتها الزوجية التي أصبحت على وشك الانهيار .. وأن لا تعود لهذا

الرجل فهو الذي أضر بها وهي صغيرة واستدرجها للحب الرومانسي الذي كانت تقرأه في القصص ، وحملت منه سفاحا ، أصبحت عشيقة لها ، وهو الذي دفعها للإجهاض، وهو الذي دمر العلاقة البريئة بينها وبين أبيها، وهو الذي علمها شرب الخمر ، وهو الذي علمها تناول المخدرات والدخان .. وهو الذي سبب لها العقم الدائم وحرمها من الأمومة ، وقد يكون والدها هددها ومنعها من لقاء هذا الرجل فوجدتها فرصتها الأخيرة للفتك به ليموت الماضي للأبد ..ولكن تورط الدكتور في هذه الجريمة سوف يدفعها للاعتراف والإقرار بالجريمة.

ـ حسن هذا ، هل ظل عندك شيء يا سيد حمداني ؟؟

ـ عندي شيء .. هل يمكن للمرأة أن تقتل بالمسدس من أول مرة ؟ يا مقدم جعفر في حياتك في الأمن والمطاردة للمجرمين هل سمعت بذلك ؟ ..فنحن نعرف أن المرأة تقتل بالسم بالاستئجار .. أي استئجار قاتل ؟

فقال جعفر: هذا في الغالب .. ولكن نساء اليوم مترجلات.. ألا تراهن يلبسن ملابس الرجال ويقصرن شعرهن كالرجال؟ .. ومرة قبضنا على امرأة قد قتلت زوجها ـ قضية أثيرت منذ سنوات قريبة ـ وكان السبب والدافع لها بالقتل هو زواج الزوج عليها ، فلما كتب عقد الزواج من قريبة له غدرت به وصرعته على عتبة منزلها، واتصل بنا الجيران وأقرت بالجرم.

ـ ولكن السلاح هل هو لها ؟!

ـ الحق لا ، إنه سلاح الزوج ، والغبي كان يخفيه في رف خزانة الثياب ، ومحشوا بالطلق ، فلما دخل الباب أفرغته فيه وهي تصيح : تريد أن تتزوج عليّ يا ملعون .. فلتمت موت الكلاب .. أصابتها لوثة من الجنون .. فهذه الجريمة الوحيدة التي شاهدتها في حياتي البوليسية بطلتها امرأة قاتلة بالمسدس ، وقد تكون قضيتنا هذه هي الثانية إذا ثبت أنها ارتكبت الجريمة بنفسها

ـ والآن هيا بنا لنسمع اعترافات السيدة شيرينة حازم في هذه الجريمة ، وهو لن يعدو عن كل ما فصلته لك.

وانطلقت بهما السيارة في ذلك الليل إلى حي أزهار الربيع وإلى شارع الشمس حيث تقع فيلا

السيد حازم عبشل الذي فارق الحياة منذ أيام قليلة، وهذا من حسن حظه ؛ فإنه لن يشاهد هذه اللحظات المحزنة الأليمة عندما توضع القيود الحديدية في يد وحيدته شيرينة.

كان رجال البوليس حول الفيلا ينتظرون مجيء المقدم جعفر، فلما نزل الضابطان من سيارتهما، التف حولهما الضباط الموجودون في المكان ، وعلى رأسهم النقيب مالك ، فحياهم وهو يقول : ما الأخبار ؟

فرد النقيب مالك : إنها في انتظاركم يا سيدي ومعها محاميها الخاص.

فقال جعفر : لا بأس .. فليتبعنا كاتب التحقيق.

أدخلت الخادمة الضابطين والكاتب، وكانت المرأة ترتدي أحسن ثيابها، وتضع على وجهها أفضل المساحيق، فمن يراها يظن أنها ذاهبة لحفلة ، ونهضت ترحب بهما هي والمحامي ، وبعد الترحيب أشارت لهم بالجلوس، وأحضرت لهما الخادمة عصير البرتقال ، ولما بدأ الجميع يتحدثون ويشربون كأنهم أصدقاء، فأشارت للخادمة أن تصنع لهم الشاي وقالت لهم : اتصل بي الدكتور باسل .. فأنتم قادمون لسماع أقوالي حول هذه الجريمة.

فقال جعفر : نحن قدمنا لنسمع إقرارك واعترافك بقتل ذلك المبتز.

فقال المحامي : تسمعون إقرارها واعترافها .. فهذا اتهام صريح أيها السادة ..ألم تتهموا زوجها بذلك ؟

ـ هذا ليس اتهام فقط ، بل هو أكيد ..أليس كذلك يا سيدة شيرينة ؟ .. فاطلبي من محاميك أن يسمع القصة بتفاصيلها ، ولا يحاول منعك من الكلام .. فالحقيقة واضحة الآن ، وأنت لا ترضين أن يشنق الدكتور نيابة عنك ، وليحاول المحامي المحترم أن ينتزع من المحكمة حكما تخفيفيا عنكم بسبب الابتزاز الذي تعرضتم له وهو الذي دفعكم لارتكاب هذه الجريمة.

فقال المحامي بحدة : ما هذا الكلام يا حضرة المقدم ؟ هذا اتهام كبير للدكتور يا حضرة المقدم

فقال جعفر وهو يبتسم : الطبيب اعترف بالقتل.

قالت شيرينة بصوت عال نوعا ما : ماذا تقول ؟! الدكتور باسل اعترف بالقتل .. الدكتور لم

يقتل إنك تكذب يا سيدي .. أنا التي قتلت!!

فقال جعفر : أنت وهو!

فقالت : وكيف هذا ؟!

ـ أنت أطلقت الرصاصات الثلاثة الأولى ، وهو أطلق الرصاصتين الأخريين.

فتحت المرأة فمها دهشة وقالت : آ!! .. باسل أطلق الرصاص عليه .. لقد كان يعرف إذن أنني قتلته!

ـ رصاصتان فقط يا سيدتي .. ولكن بعدما كان مفارقا للدنيا ..فأنت يا سيدي المحامي لا تتعب نفسك بمحاولة عدم ارتكابهما للجريمة ، حاول أن تخفف الحكم الذي سيصدر عليهما أفضل من المماحكة والجدل .. واستغل تعرضهما للابتزاز في ذلك.

فقالت شيرينة باستسلام : هذا ما عليك يا سيدي المحامي أن تـفعله فعلا.. فأنا أقر وأعترف أنني فكرت وخططت على قتل اللعين عزمي.. وهو الذي هيأ لي الفرصة المناسبة من ظروف وأحوال لارتكاب هذه الجريمة .. كانت لحظات مهمة في حياتي .. وكان لابد من أخذ القرار الحازم قبل أن أستسلم وأعود للماضي الموحش من جديد .. كانت حياتي الزوجية على كف عفريت يا سادة ..ولا أستطيع كشف أمري أمام رجال الشرطة ماذا أقول لهم؟!.. هل أقول لهم أن حبيبي القديم يبتزني باسم الحب الماضي؟! .. أبي كان مريضا ، ولا يحتمل مشاكل جديدة ..زوجي قد يجدها فرصة للزواج عليّ .. فهو لا يريد طلاقي مدعيا أنه محب لي ؛ ولكنه لا يريد أن يخسر الأموال التي أملكها ويلعب بها .. وأنا فقد مات حبي لعزمي منذ سنوات منذ خمس عشرة سنة.

فقال جعفر : كيف كانت الجريمة ؟

قالت بهدوء كأنها تحلم : الآن أقول لكم التفاصيل.

١٢

اتصل بي السيد عزمي لماعة في النهار ، وأخبرني أنه بحاجة لرؤيتي ، وأنها سوف تكون آخر مرة يراني فيها ، وأنه سيختفي من حياتي للأبد ، وقد أقسم على ذلك ، وقد وعدني بتسليمي كل الصور القديمة التي كنا نتصورها على شواطئ اليونان وقبرص ،وكذلك الرسائل العاطفية التي كنت أكتبها له أيام عشقنا أيام الصبا، وأهمها وأخطرها الرسالة التي ذكرت له فيها أنني حامل منه من غير زواج شرعي بيننا ، وأذكر له فيها رغبتي بالسفر العاجل لليونان لعمل عملية إجهاض لإسقاط الحمل .. حقيقة أيها السادة سررت لهذه الشهامة المتأخرة ، وضرب لي موعدا في منزله في حي الشمارخة بعد التاسعة ليلا ، وأنه سيكون في انتظاري على رأس الشارع الخلفي .. أنا لما وضعت السماعة قررت أن أضع حدا لـعذابي معه ، فهو منذ خرج من السجن وهو يحوم حولي ، ويطاردني ويذكرني بأيام الحب الأول وأيام الهوى والغواية ويحثني على الطلاق من زوجي ، فكلما سجن أقضي أياما هادئة في راحة وانسجام ، ولما يخرج يأتي للتسول مني ، فأدفع له وأنا صامتة مستسلمة، لا أريد أي فضيحة جديدة لي ولزوجي ولأبي المريض، فرضيت أن يكون المال وسيلة الدفاع عندي .. فقد أعطاني رقم حساب في بنك أضع له فيه المال ، وأحيانا نادرة أمر عليه في البيت فأعطيه ما تيسر ، وهناك يبدأ بالتوسل والرجاء لدخول البيت ، فأرمي المال عليه من الباب وأنصرف بسرعة .. إلى أن علمت أنه كشف الأمر لزوجي ، وأنه يبتزه كما يبتزني ، فازددت غضبا وحقدا عليه، وأتمنى موته، وأتسأل دائما ماذا أفعل لأبعد شره عنا ؟ وهو يزداد تماديا في معاداتنا واستغلالنا .. آه!.. كم فرحت عندما تزوج من فتاة أوروبية من عدة سنوات مضت ! بل لما صارحني بالأمر أيها السادة المحترمون فرحت له ، وظننته الفرج ، وعندما طلب مني مالا من أجل ذلك أعطيته ألفين من الدنانير على أمل أن أنتهي منه ؛ ولكنه فشل في زواجه ، فعاد يهمس في أذني أنني حياته ولا يمكن أن يعيش مع امرأة غيري ، فأصده صدا جميلا إلى أن أشرك زوجي الطيب في ماضينا ، وحدثني الدكتور بكل مضايقته ، فبدأت أفكر جديا بقتله ، ولما اتصل بي يوم الثلاثاء قررت أن أضع حدا لهذه المهزلة التي طالت،

وتوشك على تدمير حياتي إلى الأبد، فقلت لنفسي إن لم يعطني الرسالة المهمة سأقتله بالمسدس الذي أهداني إياه أيام اليونان.. وأخرجت لهم مسدسا صغيرا ـ يشبه المسدس الذي وجدوه في غرفته في البنسيون ـ فتناوله منها جعفر وقال : اكملي الحديث أيتها السيدة.

فعادت تقول : بهذا الفرد قتلته!.. عند المساء هيأت المسدس ، وقتلت كلبي فيه أمام دهشة الوالد والخادمة ، وانطلقت بسيارتي إلى حي الشهارخة وركنت السيارة في الشارع الرئيسي في منطقة إضاءتها ضعيفة ، وركبت سيارة أجرة إلى الشارع الخلفي ، ووصلت هناك بعد التاسعة بقليل، وكان عشيقي السابق في انتظاري ، وكان الجو ماطرا والبرد شديدا ، وكنت أرتدي معطفي الطويل ، وألف رأسي بشال سميك ، وكنت ألبس حذاء مطاطيا مناسبا للسير في المطر ويسهل الحركة أيضا، كنت مصممة على قتل عزمي إذا لم يعطني الرسالة والصور ومسودة الصور، توقف عند بقالة صغيرة في الشارع كأنه اشترى علبة سجائر، ودخلنا البيت ولما جلسنا سكب لنفسه خمرا ، وعزم عليّ فرفضت، فأخذ الزجاجة ووضعها في الثلاجة الصغيرة ، وحاول معانقتي فابتعدت عنه وقلت: عزمي أنا امرأة رجل غيرك، وأيام الجهل قد ولت فأخذ يتحدث عن الحب والعشق والوفاء وأيام اليونان، ثم استلقى على سريره واعترف لي أن زوجي قادم الليلة للمشاركة في استلام الأمانة كما يقول، فأدركت أنه يحاول إثارة زوجي ضدي بإيهامه أننا عدنا عشاق، فعندما يأتي باسل في الليل ويراني عنده فسيعتقد أننا مازلنا عشاقا وأنني أخونه مع ذلك الفاجر .. فعندئذ لم أتمالك نفسي ، وكنت قريبة منه فالحجرة صغيرة ، فأخرجت المسدس بهدوء وأطلقت الرصاصة على صدره ، فصرخ فرميته بثانية وثالثة ، ثم غطيته وخرجت مسرعة بعد أن فتشت ملابسه وخزانته عن الرسائل والصور، ولكني لم أجد شيئا فقلت : إنه كمين ليراني باسل عنده فيطلقني فأرمي نفسي بين أحضانه أليس هو الفارس القديم ؟! وأنه لم يكن ليتخلى عن السلاح الذي يتهددني به .. فسرت إلى سيارتي بكل هدوء ، وجلست فيها حتى شاهدت زوجي ينزل من سيارته ، فتأكد لي أنه قادم لمنزل عزمي ، فانطلقت إلى خمارة جورج وشربت مسكرا ، ثم عدت للبيت عند منتصف الليل ، فوجدت زوجي نائما ، فدخلت الحمام

واغتسلت ، ثم رقدت بجواره ؛ فإذا هو مستيقظ فسألني أين كنت؟ ! فقلت : اشتقت لكأس خمر فزرت خمارة جورج أروي ظمئي منها.

فتعجب وقال : أتشربين الخمر يا شيرينة ؟!

فقلت وأنا كاذبة طبعا : منذ تزوجتك فهذه أول مرة أشربها ؟

فقال : ما الأمر ؟! .. ولماذا قتلت الكلب اليوم ؟!

فقلت : قال البيطري إنه مريض بالكلب . والتزمنا الصمت ، فلم أدر أكان يشير بالكلب إلى عزمي أم إلى كلبي الحقيقي؟.. التزمنا الصمت الصمت القاتل .. ولكن لابد أن تسمعوا حكايتي منذ البداية بعد اعترافي الذي يهمكم بقتل السيد عزمي .. عندما ظهر عزمي في حياتي كنت صغيرة.. فتاة عمرها عشر سنوات، وحيدة والديها، كان الوالد يتحدث عنه بعطف وحنان وشفقة ، وأنه ترك القرية البائسة من الفقر، وترك المدرسة للعمل والعيش حياة كريمة وكان يحدثنا أبي عن قسوة زوجة أبيه التي أجبرته على الهرب ، ولم يصدف أن سأل أحد عنه ، لقد أحبه أبي وأصبح كبيرا في نظر أبي لصدقه وأمانته في العمل ، كبر عزمي وكبرت أنا ، الشاب الذي سمح له أبي بمخالطتنا يأتي به الوالد لعمل شيء في المنزل ، وأحيانا كثيرة يرافقنا في نزهاتنا ورحلاتنا ، ويسمح له الوالد بالجلوس معنا على مائدة الطعام.. وأنا المراهقة قد استلطفته في البداية.. كنت لا أهتم بالنظرات التي يختلسها نحوي كلما سنح له الظرف والحال كان والدي يراه ابنا له وأخا لي .. دخلت الجامعة وعزمي نعم الصديق والأخ ؛ بل كان يحرص على مشاركتي أفراحي ومناسبة عيد ميلادي ويتحفني بالهدايا .. ومرة همس ونحن نجلس في حديقة الفيلا وحدنا : آنسة شيرينة .. ألم تعرفي الحب؟.. فقلت : أي حب ؟

فهمس أيضا بصوت ناعم : حب الرجل للمرأة .. ألم تتعرفي على صاحب أو صديق في الجامعة يحبك وتحبينه ؟!.قلت: بذهول : لا ، لم أحب أحدا .. وأنت أتحب امرأة يا عزمي؟ فقال : لا ، إلا واحدة ، وسكت فأدركت أنه يقصدني فقلت: حدثني عن الحب يا عزمي فقال: سأكتب لك إذا سمحت .. فقلت : اكتب فأنا في انتظار رسالتك .. هكذا كانت البداية انتقلنا من

النظرات إلى الكلام ، وكان شابا جميل الصورة وسيما ، بل بعض صديقاتي في تلك الأيام كن يتغزلن به أمامي ، مما شجعني على حبه أكثر ، كتب لي رسالة ورسالة، وفعلت مثله.. بدأننا نبث عواطفنا على الورق كأي عاشقين .. ولقد اعترف كل منا صراحة بحب الآخر، وكان أبي كما قلت لكم يعتبره أحد أفراد العائلة ، فكان يسمح له بمرافقتي إلى دور السينما ، وإلى أماكن اللهو والمسارح ..أصبحنا عاشقين أيام الجامعة قبلني وعانقني أكثر من مرة ..وكنت أرى أن السيد ملك لي .. فقد ملأ حبه نفسي وجسدي، ولما أنهيت الدراسة سمح لي الوالد الغافل بالعمل في المحل الكبير في قلب العاصمة.. أصبحت قرب حبيبي دائما.. وعندما يقول لي وما نهاية حبنا يا شيرينة فأقول أترغب بالزواج يا عزمي؟ فأبي صعب ، لا يرضى بذلك مع ما يكنه لك من حب واحترام ، وهو يحبك كولد وليس كزوج لابنته الوحيدة ، فيقول: أخاف أن يأتيك غيري فأموت كمدا عليك، لا حياة لي بدونك فأقول : اطمئن أيها الحبيب أنا لك ، ولن أقبل زوجا سواك، فأبي لا يقف أمام سعادتي .. بعد تخرجي من الجامعة ودخولي سوق العمل كان يصحبني والدي في كل رحلاته لليونان وقبرص؛ لأتعلم وأتدرب ؛ لأنني سوف أصبح المالك الوحيد للمحلات ولثروته .. وبالطبع كان يرافقنا في أكثر الرحلات عزمي .. ثم أذن لنا بالسفر وحدنا وهناك امتلك جسدي ، أصبح جسدي ملكا له من غير مقاومة ، أصبحت زوجة غير شرعية ، فصرنا ننتظر السفر بفروغ الصبر لنصبح زوجين.. قد استسلمت له .. نسيت الشرف والكرامة والعفة ..عشنا سعيدين كزوجين ، بل أحيانا أزوره في شقته التي كان يسكن فيها أصبحت خليلة وعشيقة له.. تعلمت شرب الخمر والدخان ، بل تعلمت تعاطي حقن المخدرات في اليونان ، وهو مثلي ، لم نعد نفكر بالزواج .. كنت أخذ موانع الحمل باستمرار وخصوصا الحبوب ..وبعد حين طلبني للزواج للاستقرار في بيت واحد، فرفض أبي بشدة ، وجن جنونه عندما علم رغبتي فيه وعشقي له ، وعلم أننا عاشقان منذ حين ، فحاول المسكين وقف العاصفة ولكن فات الأوان ..وخلال هذه الفترة ماتت أمي ، فهدأ أبي قليلا ثم كرر عزمي طلبه ، وأعلمه بأننا نعيش كزوجين ، وأنني وهبته جسدي منذ سنوات.. وكان أن حصل لي بعد أن طلبني أول

مرة حمل كما أراد عزمي .. فطلب مني أن أكتب رسالة أعترف له فيها بحملي منه .. وأنا راغبة في الإجهاض ليطلع والدي على هذه الرسالة من أجل أن يوافق على زواجنا .. نريد أن نضعه تحت الأمر الواقع كما يقال .. فكتبت له تلك الرسالة التي استغلها فيما بعد ضدي ..ذهبنا إلى اليونان وأسقطت الجنين بعملية إجهاض قضت عليّ فيما بعد .. ومنعتني مضاعفاتها من الحمل.. فقد أصاب الرحم عيوبا كما تبين فيما بعد رغم كثرة العلاجات التي تعرضت لها.. عرف والدي كل هذه الحقائق ، واطلع على صورة من اعترافي بالحمل والرغبة في الإجهاض، فرضخ لزواجنا واشترط أن تكون الخطبة بعد سنة حتى يطمئن على أنني فعلا أسقطت الجنين وأن الحمل الحرام انتهى .. وكنت في نظره حقيرة، وكان يلوم نفسه أنه أشفق على هذا النذل كما يقول ، ويلومها على أنه سمح لنا بالاختلاط والخروج والدخول معا بل والسفر.. وأنا كنت أرى حياتي ودنياي مع عزمي ..وأن حبنا دائم للأبد.. وأن أبي ذاهب وسيبقى لي حبيبي وسقط عزمي في فخ المخدرات وحبس.. وعلم أبي بأنني أتعاطى المخدرات في الخارج.. فعرضني على مركز علاج .. وخلال سنة تخلصت منها نهائيا .. وابتعدت تلقائيا عن الخمر والدخان إلى أن التقيت بالدكتور باسل الذي كان يتردد على المحل كثيرا.. فتعرفنا أكثر .. ولما علم أنني عزباء لم أتزوج بعد عرض عليّ الزواج ..وكان ذلك خلال فترة حبس عزمي.. وبعد تردد يسير وافقت وتزوجت الدكتور العزيز.. وفرح أبي كثيرا بهذا الزواج المناسب لي وللأسرة فهذه هي مأساتي فأنا التي قتلت الرجل الذي أحبني وأحببته ..لقد أصبحنا مجرمين.. والدكتور باسل هو ضحية من ضحايانا .. فأنا القاتلة الحقيقية .. رحمك الله يا أبي لم تحسن تربيتي .. بل دفعني للهاوية دفعا .. وذلك بحسن ظنه وثقته الكبيرة في الفتى الذي تبناه .. هذا ما عندي.

فقال حمداني بعد صمت رهيب : كلكم ضحايا المجتمع المريض .. مجتمع الاختلاط والانحلال والفساد .. لعل العدالة تستطيع إثبات جريمة الابتزاز والتهديد التي كان يمارسها الضحية عليكم فترأف بحالكم وتجنبكم حبل المشنقة

تمت القصة

* ليموت الماضي *

هل يموت الماضي ؟!

كانت الجريمة ليموت الماضي ؛ ولكنه رفض الموت

كان الضحية يستغل الماضي للابتزاز

ولم يكن امام الضحايا لوقف الابتزاز الا القتل

فهل اصابوا ونجحوا

هذا ما تكشف عنه هذه السطور



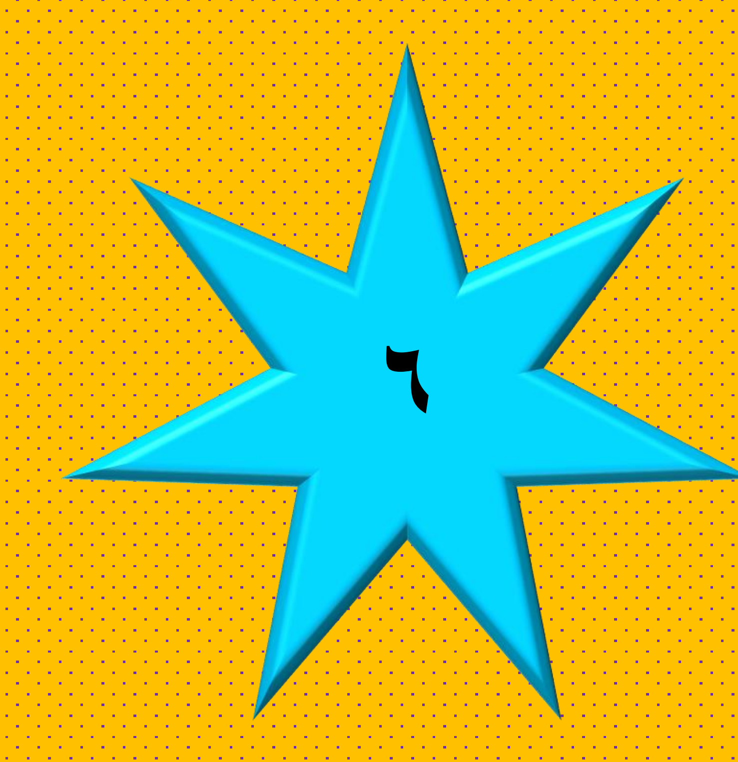
التحقيق الجنائي والجريمة

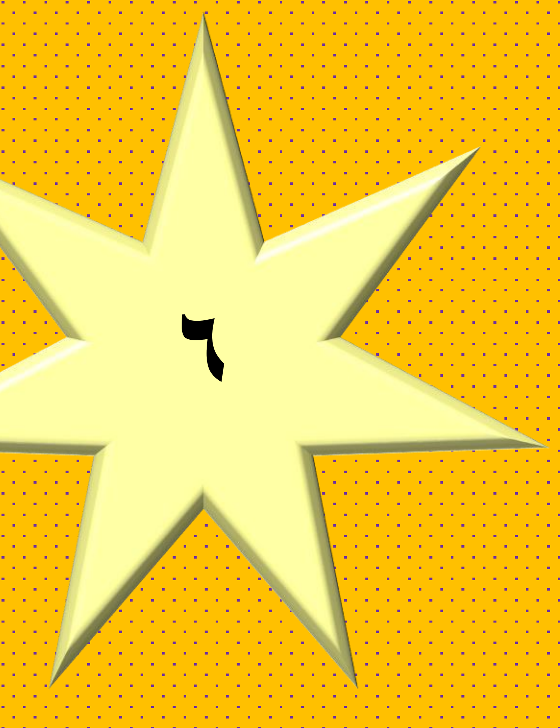
١ وصية جديدة
٢ مغامرة النادي
٣ مصرع المدير
٤ شارع البحيرة الخامسة
٥ ليموت الماضي
٦ صورة أمي
٧ بصمة وراثية
٨ رجل اسمه سنار
٩ جثة في البركة
١٠ مسبحة اللؤلؤ
١١ لغز القصر الصحراوي
١٢ الزواج الخطأ
١٣ نفس الشعب
١٤ لغز مقتل علياء
١٥ العالِم المزيف

التحقيق الجنائي والجريمة



جمال شاهين





صورة الأم

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

صورة الأم

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

صورة الأم

جمال شاهين



١

شارع الأمراء من الشوارع المعروفة في المدينة الكبيرة فهو شارع الأطباء والصيدليات والعيادات والمختبرات الطبية والتصاوير الطبية المتنوعة ومستودعات الأدوية الكبيرة ومتعلقات المستشفيات وكليات الطب في الجامعات المختلفة ، وفي هذا الشارع الواسع الكبير ذو العمارات الشاهقة وفي عمارة النهاري إحدى البنايات المشهورة في الشارع بدأت فصول هذه القصة البوليسية ، ففي الطابق الثالث عيادة لأحد الأطباء القدماء ، معلق على مدخلها لوحة صغيرة وقديمة عيادة الدكتور غازي الرمانية .. وتتكون هذه العيادة من صالة للجلوس تجلس فيها مساء ذلك النهار فتاة حسناء نهى سالم تقوم بأعمال السكرتاريا للطبيب ومحاسبة المرضى ، وهناك غرفة الطبيب غرفة المعالجة ، وهناك حجرة صغيرة تكون مكتبا للطبيب ، وهناك الحمام ومكان صغير لصنع القهوة والشاي ، ويعمل سوى الطبيب والسكرتيرة في هذه العيادة الخاصة ممرض وخادم للدكتور شاب قد تجاوز الثلاثين من العمر نحيف البدن فايز نائل ، فهذا الشاب النحيف البنية يعمل خادما للطبيب منذ أكثر من خمس من السنوات ، ثم علمه الطبيب مهنة التمريض فأصبح مساعدا له في العيادة ، فأصبح يقوم بالتغيير على الجروح والإصابات وإعطاء الحقن والإبر الطبية وكذلك قياس الضغط وغيره ، ويقوم بصنع القهوة والشاي للطبيب والعاملة نهى سالم وضيوف الطبيب وأحيانا للمراجعين من المرضى ، بدأت هذه القصة في ذلك النهار عندما جلس الطبيب بعد أن فرغت العيادة من المراجعين والمرضى يتحدث مع السكرتيرة الحسناء نهى سالم ، وكان الخادم والممرض فايز يعد لهما كوبين من الشاي ، فكان الطبيب يقول للفتاة الشابة الحسناء : أتمنى يا آنسة نهى أن أعرف لماذا لم تتزوجي بعد ؟! .. فأنت فتاة جميلة ومتعلمة .. حسناء!!

فترد الفتاة المتبسمة من السؤال على الطبيب الذي تجاوز الستين سنة من عمره قائلة : أنا ما زلت صغيرة على الزواج ، وأنا أيضا ليتني أعرف لماذا لم يتزوج حضرة الدكتور الشاب لحتى الآن ؟!

ورسمت ضحكة على وجهها ، فجاراها الطبيب الأنيق في ضحكها وهو يقول : معك حق ، ولكني لحتى اليوم لم أجد المرأة التي تملأ نفسي وكياني نحوها.

فتظهر الفتاة الدهشة ثم تقول : الله اكبر !! ..أمعقول هذا ؟! .. كل هذه السنين ـ وقد تنقلت في مشارق البلاد ومغاربها ـ لم تصطدم بامرأة تأسرك بحسنها وجمالها .. إنك تبالغ جدا يا دكتور !

فصمت الطبيب الكهل أو الشيخ لحظات ثم قال بعد تنهد : إيه .. لقد مضت السنون بدون أن يحس بها المرء ..صدقي يا آنسة نهى أنني لم أجد هذه الفاتنة !! ألا تريدين أن تحدثيني عن سبب تمنعك وعزوفك عن الزواج ؟ !

فعادت تقول وهي ضاحكة : وأنا مثلك لم ألتقِ بفارس أحلامي الذي يملأ روحي وكياني عشقا وغراما.

فيقول الدكتور مازحا : لولا الفارق الكبير بيني وبينك .. أكثر من خمس وعشرين سنة لطلبت يدك .. عجيب أمر الشباب في هذا الزمان ! .. فهم لا يرون جيدا.

فقالت باسمة : ما تراه جميلا يا دكتور قد يراه غيرك قبيحا!

ـ لا .. لا .. لست أبلها أيتها الحسناء .. لابد أن أحدهم غدر بك وكرهك في جنس الرجال على كل حال مصيري أن أعرف قصة حياتك.

فضحكت الفتاة وقالت : لا يوجد قصص إلا في مخيلتك يا دكتور.

قدم لهما الشاب الخادم فايز أكواب الشاي ، فوضع أمام الدكتور واحدا وآخر أمام السكرتيرة وأخذ لنفسه واحدا وجلس على مقاعد المراجعين والمرضى ، وقد أشعل سيجارة وأخذ يراقب دخانها المتصاعد ويرشف شايه ، وكان يستمع للحوار الدائر بين الطبيب والسكرتيرة نهى ، فلما شكروه عادوا للحديث عن الزواج وتأخر سن الزواج ، والممرض الشاب لم يتفوه وينبس بأي كلمة إلا عندما سمع الطبيب غازي يصرح أمام العاملة بأنه راغب بالسفر لجزيرة قبرص لقضاء أسبوع أو أكثر في الاستجمام فقال دهشا : متى تريد السفر يا دكتور ؟!

فالتفت الاثنان نحو الشاب المستغرب والمستفسر وردت السكرتيرة قبل أن يجيب الدكتور قائلة : لابد أن فايزا يفكر بإجازة وزيارة أمه وجدته كالعادة ؟!

فهز الشاب رأسه مؤكدا ذلك وقال : نعم .. أريد أن أسافر للبلدة فلي أكثر من ثلاثة شهور لم أزرهما.

فقال الطبيب : لا بأس يا فايز .. الليلة سأعرف متى يكون السفر؟ سأسافر برفقة الدكتور مالك جبر .. هي رحلة .. نزهة .. تغيير جو كما يقال .. اليوم الاثنين وقد نسافر صباح أو مساء الخميس فإذا تأكد السفر الليلة سأسمح لك بالسفر لبلدتكم يوم الأربعاء .. وأنت يا آنسة فليكن دوامك أثناء غيابي كل يوم ساعتين صباحا لترتيب مواعيد المراجعين والمرضى

فهزت نهى رأسها وقالت : أمرك سيدي الدكتور .. رحلة سعيدة.

فقال الطبيب مازحا : رحلة ينقصها حسناء مثلك ترافقنا.

فضحكت نهى وقالت : أنا جاهزة يا دكتور.

فاستغرب الطبيب وقال بضحك : لا .. أنت تمزحين ..هل يسمح لك أهلك بالسفر ؟!

ـ أنا سيدة نفسي .. لا أحد يتحكم فيّ.

ـ الله!!

فقالت : لا تستغرب ، فأنا أعيش مع أمي .. وكل إخوتي متزوجون ويسكنون في منازل متفرقة .. وأبي قد ترك أمي قديما .. ولا يهتم بنا.

ـ على كل حال سأفكر بسفرك معي المرة القادمة ..لا يوجد معنا نساء في هذه الرحلة .. هي بضعة أيام استجمام يا آنسة نهى.

فقالت : أشكرك يا سيدي الطبيب ، واعلم أنني لا أستطيع السفر هذه الأيام أمي متعبة وأقوم على رعايتها.

فعلق الطبيب وهو يبتسم : أخشى أن يكون هذا هو السبب الذي حرمك من الزواج ؟!

فقالت : لا تخشى شيئا فكل أخواتي متزوجات .. وأنا لي أسبابي الخاصة فاعفني من الحديث

والإفصاح عنها.

ـ فقد عفوتك من التصريح .. لكل إنسان أسراره الخاصة .. ولكن الفضول البشري قاتل المهم أيها الأصدقاء قد أسافر صباح الخميس أو مساءه حسب حركة الطائرة ؛ فإذا تقرر ذلك فأنت يا فايز صباح الأربعاء تنطلق إلى قريتكم .. أعتقد أنها تبعد عن المدينة أكثر من ثلاثمائة كيلو متر .. لقد عملت قديما في تلك القرى والمدينة التابعة لها تلك القرى .. أيام عملي موظفا في وزارة الصحة .. أول سنوات الخدمة الحكومية عندما يوظف الطبيب يكون عمله في الريف والقرى النائية .. فسلم على أهلك.

فقال فايز : أشكرك أيها الدكتور .. لو أعطيتني بعض الفلوس.

ـ بالتأكيد.

وأخرج الطبيب دفتر الشيكات البنكية وقال له : كم تريد ؟

ـ راتب شهر.

فكتب الطبيب شيكا بمائة وعشرين دينارا وقال للسكرتيرة بعدما وقع على الشيك : سجلي في الدفتر .. راتب الأستاذ فايز والآن يا فايز يمكنك الانصراف للبيت.

تناول فايز الشيك وشكر الدكتور وأخذ أكواب الشاي الفارغة وغسلها ووضعها في مكانها المناسب ، ثم خلع الثوب الأبيض ثوب العمل وارتدى جاكيته ووضع الشيك بداخلها وودعهما وانصرف لبيت الدكتور .. فمنزل الدكتور عبارة عن شقة في عمارة الساعد وهو الشارع الخلفي لشارع الأمراء ، فمر فايز في طريقه للبيت على محلات الخضار واللحوم واشترى ما يناسب الدكتور للعشاء ، وعاد لبيت الطبيب يعد لسيده طعام العشاء .. وفي صباح الأربعاء استأذن فايز نائل الشاب القروي من سيده الدكتور غازي بالسفر لبلدته فقال له الدكتور بعدما تناولا الإفطار : رافقتك السلامة .. كيف ستسافر ؟

فرد فايز : ربما بواسطة القطار .. سأنطلق بتكسي إلى محطة القطار .. وسأتصل بك من القرية مودعا إن شاء الله.

ـ لا داعي يا فايز بعد عشرة أيام أرجو أن أجدك هنا.

فقال فايز : سأفعل يا سيدي .. لن أتأخر .. صدق عندما أصل للقرية اشتاق للمدينة سريعا القرية مملة .. لا يوجد فيها رفاهية فليس أمامنا هناك إلا مشاهدة التلفزيون والبرامج الثقيلة على النفس.

فقال الدكتور : معك حق أفلام هذه الأيام مكررة ومملة .. إلى اللقاء.

وصافح فايز الدكتور ، وحمل حقيبته على كتفه وهبط بالمصعد على الطابق الأرضي فوجد البواب في غرفته يجلس مستيقظا فسلم عليه ، وأخبره بسفره وأوصاه على شقة الدكتور ، وأن يرسل الخادمة ماجدة لتنظيفها بعد أيام وقبل مجيء الطبيب من السفر ، فوعده البواب الشيخ خيرا ودعا له بالعودة سالما ، فشكره فايز وانطلق لمحطة القطار واشترى تذكرة لأقرب مدينة يصل إليها القطار ومنها سيركب سيارة إلى قريته نسمة الربيع



٢

صباح يوم الخميس كان الضابط المقدم الشرطي علي محمود ضابط البوليس المعروف في شرطة العاصمة يتحدث مع مساعده الملازم يحيى قائلا : كيف عرفتم بالجريمة ؟

فرد عليه الملازم يحيى قائلا : الصدفة ساعدت على كشف هذه الجثة وهذه الجريمة .. البواب العجوز أبو حسونة بواب العمارة كشف ذلك ، فلما جاءت المرأة ونزلت في شقة الدكتور غازي الرمانية ، فقد اتصلت ، بالبواب وطلبت منه أن يرن عليها في الثامنة صباحا .. فلما رن عليها أكثر من مرة ولم ترد ظن أنها مستغرقة في النوم ، فتحامل على نفسه وركب المصعد إلى الطابق الرابع حيث شقة الدكتور المذكور .. قرع وضغط على جرس الباب .. لا أحد يرد ضرب الباب بيده عدة ضربات أيضا لم ترد عليه فهبط ثانية وأخذ مفتاح الشقة المودع لديه ، وقام بفتح الباب وهو في غاية الخوف والقلق .. وهكذا اكتشفت الجريمة .. فاتصل بنا وقمنا بإجراء اللازم وقد حضر الطبيب الشرعي ووكيل النيابة ورجال المختبر الجنائي والبصمات وقاموا بإجراء المناسب ، ثم أمر الطبيب بتحويل الجثة للمستشفى العام للقيام بتشريحها القاتل دخل الغرفة وقتلها وهي نائمة كشف الغطاء عن رأسها وأطلق ثلاث طلقات على الرأس والوجه فأرداها قتيلة وهرب

فقال المقدم علي : وماذا يقول الدكتور ساكن الشقة ؟

فقال يحيى : الدكتور سافر مساء أمس .. فلقد كان مقررا كما قالت عاملة العيادة أن يسافر صباح الخميس أو مساءه ..ولكن تبين لهم أن طائرة مسافرة لقبرص ليل الأربعاء بدلا من صباح الخميس فسافر عليها مع زميل له طبيب أيضا اسمه مالك جبر ، والفتاة لا تعرف بموضوع هذه المرأة التي نامت في فراش الطبيب ؛ ولكنها تقول قد تكون قريبة له.

كان المقدم علي قد جاء للدائرة لما سمع بهذه الجريمة ، وذلك عندما اتصل به مساعده الملازم يحيى ، وكان من توه قد عاد من إحدى المحافظات ، فهم يتابعون قضية مطاردة لإحدى العصابات المختصة في تهريب المخدرات في إحدى المدن الكبيرة ، فلما استمع لكلام مساعده

قال : ألم تعرفوا هوية الضحية أو المجني عليها بعد ؟

فقال الملازم : لا .. إنها امرأة في الأربعينيات من عمرها ، قد تكون دخلت في الخمسينيات متوسطة الطول وليست بالبدينة ، ولم نجد في حقيبتها ما يدل على شخصيتها .. لا توجد بطاقة شخصية أو رخصة قيادة ، وحتى خادم الدكتور قد رحل وسافر لبلدته وقريته من صباح يوم الأربعاء ، والدكتور فعلا قد سافر مساء أمس، ولم يترك عنوانا له هناك ، وقد يغيب عشرة أيام على الأكثر كما تقول السكرتيرة نهى سالم.

ـ جريمة غامضة فعلا .. ننتظر تقارير البحث الجنائي المختبر والآثار .. فتقرير الطب الشرعي لن يفيدنا كثيرا في هذه الجريمة ، فهي جريمة مدبرة ، ودخل القاتل الشقة بكل ثقة.. فهو يملك مفاتيح الشقة قد نستفيد من التقرير فقط في بيان وقت الجريمة .. سؤال لماذا اتصلت بالبواب ليوقظها في الثامنة صباحا ؟

فقال يحيى : لا نعرف .. اتصلت به حوالي العاشرة ليلا فقالت له إنها تنزل في شقة الدكتور غازي وترجوه أن يتصل بها في الثامنة صباحا.

ـ ألم يستغرب البواب من وجودها في شقة الدكتور رغم سفره مساء ؟!

ـ لا .. فالدكتور غير متزوج ، وهو معتاد على فعل ذلك ، وكثيرا ما أعطى مفتاح شقته لنساء ورجال .. فكان الأمر طبيعيا بالنسبة له ، وهو لم ير المرأة عندما دخلت العمارة ؛ لأنه ربما كان في إحدى الشقق مع بعض المستأجرين.

فقال المحقق: الخادم فايز.. ألا يمكننا الاستفادة من أقواله ؟ ما اسم قريته ؟

ـ تقول نهى السكرتيرة إنه لما علم برغبة الدكتور بالسفر إلى جزيرة قبرص طلب إجازة لزيارة أهله في قرية نسمة الربيع من قرى مدينة الرواحل غرب العاصمة ويقول البواب أبو حسونة إنه ودعه صباح الأربعاء وذهب لمحطة القطار ويوجد رقم هاتف له عند البواب.

فقال المقدم علي مفكرا: نحن يلزمنا الحديث مع الدكتور نفسه أكثر من الآخرين لنعرف منه من هي المرأة المقتولة ؟ ولماذا أتت لتنام في شقته أثناء غيابه وغياب الخادم ؟.. متى يرى

الدكتور الشرعي حدوث القتل ؟

ـ يعتقد أنها بعد الواحدة ليلا ؛ لأن المرأة قتلت وهي مستغرقة بالنوم ويظن أنها قد تناولت حبة منوم ، وسيتأكد من ذلك عند تشريح الجثة ، وسيقوم البواب بمشاهدة المرأة في المشرحة ليؤكد عدم معرفته لشخصها ، وكذلك الآنسة نهى ولكنها رفضت مشاهدة الضحية ، وتخاف من مشاهدة الأموات ، وسنحاول عرض رسمها عليها ؛ لعلها تكون قد رأتها في عيادة الدكتور منذ عهد قريب.

فقال علي : إجراءات لا بأس بها ؛ ولكن معرفة اسم الضحية وعنوانها سيوضح بعض الغموض من حولها ، ولقاؤنا مع الطبيب غازي سيوضح الكثير من الغموض ولا بأس من جمع بعض المعلومات عن هذا الطبيب قبل عودته من رحلته لقبرص.

فقال يحيى متعجبا : العجيب أن هذا الطبيب رغم وصوله الستين كما تقول السكرتيرة غير متزوج لليوم ، فلا أسرة له ، ولا أم ولا أب ، وحتى أقارب لا تعرف له السكرتيرة ؛ ولكن البواب ذكر أن له بعض الأقارب يزورنه بين الحين والآخر.

فقال علي : هذه السكرتيرة حديثة عهد بالعيادة ؟

أجاب الملازم : لها أكثر من سنة تعمل عند الطبيب غازي ؛ ولكنها خائفة من شيء ؛ ولكن لا أرى أن له علاقة بالجريمة.

فقال المقدم وهو ينهض عن كرسيه : لا بأس يا ملازم يحيى من مشاهدة مسرح الحادث .. هيا نذهب.

رافق الملازم الضابط علي إلى مسرح الجريمة ، فانطلق الضابطان المحققان في جريمة شقة الدكتور غازي إلى عمارة الساعد فاستقبلهما البواب ، ورحب بهما وسار معهما إلى الشقة فوجدا الشرطي الحارس يقف أمامها ، وهو يحمل رشاشه الصغير فأدى لهما التحية العسكرية ثم قال : سمعت جرس الهاتف يرن أكثر من مرة في الداخل.

فتح البواب باب الشقة وزلف أمامهما ، ومشى الملازم يحيى أمام الضابط علي نحو حجرة نوم

الطبيب حيث وجدت الجثة ، فكانت حجرة فاخرة وفارهة ولها حمام داخلي خاص بها ، وأخذ الملازم يشرح الوضع الذي كانت عليه الجثة عندما دخلوها أول مرة ، ولما انتهى الملازم من الشرح والوصف قال المقدم علي : ألم تجدوا آثار أقدام والحذاء أو الأحذية على السجاد ؟

فقال يحيى : هذا السجاد لا تظهر عليه آثار الأقدام جيدا ولكن رجال الرسم والتصوير قاموا بتصويرها ؛ ربما تنفع عند وضع الأدلة بين يدي النيابة العامة .. ويبدو أن القاتل ـ وأشار لمكان ما قرب السرير ـ وقف هنا ورفع الغطاء عن رأس الضحية أو كان الرأس مكشوفا مستغرقا في النوم وأطلق الرصاصات الثلاث وغادر الغرفة بكل هدوء ثم غادر الشقة.. ولم تفتح الشقة بأي عنف ، فالقاتل يحمل مفاتيح لها ، وقصة المفاتيح ليس من الصعب الحصول عليها ما دام أن الدكتور يسمح للآخرين بالنوم بشقته .. وتحدثنا مع بعض سكان العمارة فلم يشاهد هؤلاء شيئا ، ولم يسمع أحدهم صوت الرصاص كما يزعمون.. وأبو حسونة البواب يقول إن عينيه غلبهما النوم بعد منتصف الليل ، ولم يشعر بحركة المصعد صعودا وهبوطا ، ولم يسمع صراخ وصوت رصاص تلك الليلة ؛ ولكن لا يعتمد على أقواله ، ربما نام من العاشرة أو قبلها واستيقظ على اتصالها.

وأخذ المفتش علي يتفرج على الصور المعلقة على جدران الحجرة فدهش منها ، فأكثرها صور لنساء جميلات شبه عرايا فقال وهو ينظر لإحدى الصور : ألم تخبرني يا ملازم يحيى أن الدكتور أعزب لم يتزوج ؟

ـ هكذا أخبرنا البواب أبو حسونة، وذكرت ذلك كذلك الآنسة نهى سكرتيرة العيادة.

ـ فلماذا إذن يعلق مثل هذه الصورة المثيرة للشهوات ؟!.. بل لماذا هذا السرير الكبير في غرفة النوم ؟! .. أليس هذا غريبا ؟!

ـ غريب فعلا!!

ـ يبدو أن صاحبنا الدكتور صاحب عشق وغرام ثم قال المقدم بكل ثقة : أول ما يصل هذا الدكتور من قبرص فأحضروه للدائرة لنسمع أقواله .. لنعرف لماذا قتلت هذه المرأة هنا في

حجرة نوم الدكتور الرمانية ؟!

ـ ألا ننشر رسمها في الصحف ؟ .. فقد كلفت رجال الرسم والتصوير بإعداد صورة لها لنشرها في الصحف فقد يتأخر الدكتور .. فسكرتيرته تقول إنه قد يغيب عشرة أيام وهذه فرصة لهرب المجرم.

ـ مهما هرب سنصل إليه.. وإذا قصدت بالهرب خارج البلاد فقد هرب من ساعات ، وربما هو كان يسعى أن تكتشف الجثة بعد عودة الطبيب ؛ ولكن اتصال تلك المرأة بالبواب هو الذي ساعد على اكتشاف الجريمة بعد ساعات .. ونحن لم نصل لهوية القتيل أو جسم الجريمة لمن ؟ ولا نعرف الدافع بعد فكيف سنعرف القاتل ؟!



٣

لما هبط الدكتور غازي لأرض المطار ومشى إلى حجرة تدقيق وختم الجوازات وقرأ الموظف اسمه حجز الجواز وتحدث مع رجل آخر ثم قال : الرجاء الانتظار بضع دقائق.

فتعجب الطبيبان وهمس مالك جبر للموظف بعد أن ختم جوازه واستلمه : ما الأمر أيها المحترم ؟

فأجابه الموظف قائلا : لا تنزعجا .. بعد قليل ستعرفان.

وبينما هما يتحدثان مع الموظف اقترب منهما ضابط وقال : مرحبا بكما .. ممكن السير معي نحو هذا المكتب ـ وأشار لمكتب خاص به ـ وطلب لهما فنجانين قهوة وشرح لهم بإيجاز الأمر فاستغربا وقال غازي : تحدثت مع السكرتيرة نهى مرتين ولم تتحدث عن تلك الجريمة والحادثة؛ بل قالت الأمور على ما يرام.

فابتسم الضابط وقال : تعليمات البوليس ، الأخ مالك يمكنك الانصراف ، أما الدكتور غازي فبعد دقائق ستأتي سيارة بوليس لنقله لدائرة التحقيق لسماع أقواله على وجه السرعة.. نحن نعتذر لهذا الإزعاج .

فقال مالك : أيحتاج الأمر لمحامي ؟!

فقال غازي : وهل نحن متهمون يا مالك ؟! .. امرأة وجدت ميتة أو مقتولة في شقتي .. هل يعني هذا أنني مجرم أو قاتل ؟!

فقال الضابط : لا يحتاج الأمر لمحامي سيأخذون أقوالك ، ثم يخلون سبيلك وتنصرف إلى شقتك .. وابتسم الضابط وقال : وبالطبع لن تجد جثة المرأة المقتولة فقد تم دفنها.

فتبسم الرجلان ابتسامة مقتضبة وقال مالك : هل يمكنني البقاء مع صديقي ؟

ـ بالتأكيد .. وها هي حقائبكم قد وصلت..

ولم يمض وقت طويل حتى كان المقدم علي محمود ومساعده الملازم يحيى يحييان الطبيبين ويظهران أسفهما الشديد لهذا الإزعاج ولكن ظروف الجريمة الغامضة اقتضت هذا الإجراء

العاجل والمزعج ثم قال علي : يمكننا سماع أقوالك هنا يا دكتور غازي.

فقال الدكتور غازي : أنا جاهز .. وذكر اسمه وسنه وعمله وعنوانه ثم قال : الحق أنا لا أدري لماذا قتلت تلك المرأة ؟! .. وهي قريبة لي وأمها خالتي .. فهي ابنة خالتي ونحن أصدقاء منذ زمن بعيد .. تزوجت مرتين ؛ ولأنها لا تنجب طلقت مرتين ، وأنا أساعدها ببعض المال بين الفينة والأخرى ، فهي تسكن في مدينة السمراء تسكن بجوار أخ لها متزوج هناك .. وهي قد اتصلت بي قبل السفر وأخبرتني أنها قادمة لزيارتي فرحبت بها، فأتت يوم الأربعاء قبل سفري بساعة أو ساعتين ..وحدثتني عن مشاكلها مع أخيها رامي ، فأخبرتها أنني مسافر بعد قليل وتركت لها مفتاح الشقة ، وسمحت لها بالمبيت في شقتي ريثما أعود وأتحدث مع أخيها .. وأما لماذا قتلت ؟! فالجواب لا أدري ولا أعلم .. والأمر غريب فعلا !! ولا أظن أن أخاها يفعل ذلك مع شراسته وقسوته فهي تساعده في النفقة على عياله بل سيصدم بموتها.

ولما كتب الشرطي اسم القتيلة وعنوانها قال المقدم علي : شكرا لك يا دكتور غازي .. وبعدما تستريح من السفر سنذهب معا لزيارة هذا الأخ قد نجد شيئا عنده ، ويا حبذا لو ذكرت لنا عنوانه.

وبعدما وقع الطبيب غازي على أقواله بشأن الجريمة غادرا المطار ، وهو يقول لصاحبه : ولماذا قتلت هذه الملعونة في بيتي وعلى فراشي ؟! أمعقول أن يكون لها عشيق وغار مني فقتلها ليورطني ؟.!

فقال مالك : ولماذا أذنت لها بالسكن في بيتك لو أعطيتها بعض المال وصرفتها ؟!

فرد غازي قائلا : كان الوقت ضيقا ، والوضع شديد بينها وبين أخيها؛ بل أخبرتني أنه هددها بالقتل ، وأخشى أن يكون قد فعلها المجنون .. فهو يتعاطى المخدر ويشرب الكحول بحماقة ، ووضعه المادي سيئ وهي لا تلجأ إليّ إلا عندما تتأزم الأمور جدا بينهما.

فقال مالك: أيها الصديق الساعة الآن السابعة ليلا هل ستنام في الشقة أم تنزل عندي ؟

فكر غازي قليلا قبل أن يرد ثم قال : نعم أين سأنام الليلة ؟ .. السرير يحتاج إلى تغيير لقد قتلت في فراشي .. حتى لم تنم في غرفة الضيوف لتموت أو تقتل فيها لم يحلو لها النوم إلا على سريري .. أخشى أن استأجر شقة جديدة .. فأخشى أن يظل شبحها وخيالها يطاردني.

فقال مالك : أتظن أن رجال البوليس سيعرفون الجاني ؟ فهم لهم عشرة أيام لا يحركون ساكنا ولم يعرفوا اسم المغدورة ..

ـ لا أعلم ومن أين سيعرفون اسمها إذا لم تكن بطاقتها معها ولا يعرفها البواب ؟ .. إن لم يكن الجاني أخاها راميا فسيكون أمر معرفة القاتل صعبا وسيكون من الصعب معرفته .. أمر هذه الجريمة محير ومخيف يا صديقي ولكن المجرم اللعين يعرف أنها في بيتي وقتلها في بيتي.

ـ قد يكون القتل صدفة أو طارئا لم يخطط له ، مشاجرة بينها وبين شخص فتسلل إليها وغدر بها ..أو هي اتصلت بصديق لها ودعته للشقة وتشاجرا.

ـ ولكن البواب أبو حسونة لم يشاهد أحدا يصعد إليها ، بل لم يعرف بوجودها إلا عندما اتصلت به تطلب منه إيقاظها في الثامنة صباحا .. ولماذا يوقظها ؟!

ـ يا صاحبي هذا البواب رجل كبير ، ولا يجلس في غرفة البواب كثيرا ، فهو يتنقل بين الشقق هنا وهناك يشتري لهذه ويشتري للأخرى فيغيب في المتاجر والمحلات فلا يرى من يدخل ويخرج إلا من صدف ووجده أمامه.

ـ لست أدري .. فالضابط يرى أن أحدهم دخل عليها وهي نائمة بعد نصف الليل وقد فتح الشقة بالمفاتيح المقلدة ووقف بجوار التخت ورفع الغطاء عنها وأطلق الرصاص عليها وهي مستغرقة في النوم .. ألم تسمعه يحدثنا بذلك ؟ بل يرى الطبيب الشرعي أنها أخذت قرصا منوما ربما ظنته دواء الصداع أنا أضع علبة الأقراص المنومة على حافة السرير .. ولم يحدث أي عبث في محتويات البيت بل يقولون إنها تناولت طعاما خارج البيت لم تستعمل الثلاجة ولم توجد آثار وبقايا طعام سوى أنها شربت كوبا من الشاي من مطبخي ..أنا أعطيتها المفتاح وأخذت سيارة لبيتك ثم سار بنا التاكسي للمطار ..هل خرجت وجاءت برجل ؟

فالضابط ذكر لنا أن وضع مسرح الجريمة لا يوحي بسهرة بينها وبين شخص آخر

ـ إذن نعود للسؤال المهم .. لماذا قتلت ؟!

فقال غازي بحيرة : والقاتل من كلام المفتش حريص على أن لا يترك أثرا وراءه ولا أظن أن أخاها راميا يفعل ذلك .. يقتلها وهي نائمة ومن أين له مفاتيح الشقة ليدخل عليها ؟ هل فتحت هي له ؟ فقتلها وأغلق الشقة من الخارج ..فالضابط ذكر أن مفاتيح الشقة موجودة معهم .. فهو ليس ذكيا ليخطط لمثل هذه الجريمة المدبرة .. عشيق فعلها لا يوجد آثار تدل على ذلك والشرطي يقول إنه لم يسرق من البيت شيئا وهذا عليّ أن أوكده لهم .

فقال مالك : طال تفكيرنا فلنركب وتسير معي وتقضي هذه الليلة ضيفا عند صاحبك مالك وغدا صباحا نسير إلى شقتك ونتفقدها وننظر محتوياتها .. وخادمك فايز ألم يعد من بلده ؟

ـ كما تعلم ، فلما علم بسفري إلى قبرص طلب إجازة لزيارة أمه وجدته أم والدته، فهو من بلدة بعيدة عن المدينة يحتاج عدة ساعات للوصول للعاصمة ، ولابد أنه اتصل بالسكرتيرة العزيزة نهى وأخبرته بتأخري فتراه تكاسل عن المجيء ، وتراه تكلم مع البواب وكلفه بتنظيف الشقة بواسطة الشغالة ماجدة أم حمودة.

فقال مالك : هيا بنا للبيت وبعدئذ نفكر بالخطوة التالية يا صديقي العزيز.

ـ الفضول يدفعني لزيارة الشقة يا مالك .. ومشاهدة سرير الموت .. لعلني أصل لشيء لم يصل إليه الشرطة .. فأنا بشوق كبير لمعرفة الجاني اللعين .. لماذا قتلها في بيتي ؟! .. ومن أين حصل على مفاتيح الشقة ؟



٤

بعدما وصل الطبيبان لبيت مالك وسلما على الأهل وتناولا العشاء المعد لهما ، لم يستطع الطبيب غازي النوم في بيت صديقه ، فرأى أن أولاده وزوجته وأمه أحق بالجلوس معه، فاستأذن من صاحبه بالذهاب إلى أحد الفنادق وبعد أخذ ورد وشد ورخاء استسلم الطبيب مالك لرغبة صديقه ، وأخذ جواز سفره وترك حقيبته وودع صديقه وقال : عندما استقر في فندق سأتصل بك لتطمئن.

وركب سيارة أجرة نقلته إلى شارع الثورة حيث عمارة الساعد ، ودق الباب على البواب الذي كان ممددا على الفراش مستغرقا في نومه رغم أن الساعة لم تصل منتصف الليل بعد ، فنهض من نومه فزعا ومرحبا بالدكتور ومهنئا له بالعودة سالما ، ثم شرح له قصة الجثة التي وجدت في شقته ، ولما استمع لها قال في النهاية : لقد علمت ذلك يا أبا حسونة وأعطني المفتاح الذي عندك حتى استلم المفاتيح من دائرة البوليس .. فقد وجدوها عندما دخلوا الشقة فحرزوا عليها.

ـ يا دكتور .. هذه المرأة التي ماتت في شقتك أتعرفها ؟!

ـ بالتأكيد .. هي قريبتي ابنة خالتي .. هيا نصعد معا لتحدثني كيف اكتشفت الجثة ؟

ودخل الرجل الشقة وحدثه أبو حسونة كيف اتصلت به المرأة في الليل ، وطلبت منه إيقاظها في الصباح الساعة الثامنة ، وكيف رن الجرس عليها أكثر من مرة فلم ترد ، فصعد إلى الشقة ولم تفتح ، فعاد وأخذ المفتاح وفتح الشقة ثم وجدها ترقد في غرفة نوم الطبيب ، ودماؤها تملأ الوسادة والسرير ، فاتصل بالشرطة على الفور وختم حديثه قائلا : الشغالة ماجدة قد نظفت الغرفة من يومين .. لقد اتصلت بي الآنسة نهى وذكرتني بقرب وصولك فطلبت من الشغالة ماجدة تنظيف الغرفة وغسل الشراشف والوسادة وأرى أن السرير يحتاج لتغيير فقد كان غارقا بالدماء ولو تنام في غرفة فايز يا دكتور.

ـ أشكرك يا سيدي دعني الآن قد أنزل وأنام في بنسيون أو فندق سأتفقد البيت .. فرجال

الشرطة يقولون إنه لم يسرق منه شيئا ، ولم يعبث المجرم بشيء ، وأنا أدرى بما عندي.
ولما خرج البواب وأغلق الدكتور الباب وراءه بالمفتاح جلس على مقعد واسع أريكة في غرفة الاستقبال ، وأخذ يفكر بهذا الحدث الرهيب الغريب ، ولماذا كانت شقته مسرحا لهذه الجريمة ؟! وتوصل إلى نتيجة وهي لابد من مقابلة ابن خالته رامي .. والشرطة تريد أن يصحبها إليه مضى وقت وهو يدخن ويفكر على المقعد ، ثم سار للمطبخ وأعد لنفسه كوبا من القهوة وقال : لابد أن يأتي الخادم اللعين غدا .. كأنه ما صدق أن أسافر.
ولما جهز كوب القهوة سكبه في الكوب، وعاد لغرفة الاستقبال يفكر ثانية بابنة خالته المقتولة ، ولم يهتد لسبب مقنع بالقتل فيقول : لو قتلها رامي ثورة وانفعالا لانكشف أمره .. ولكن هذه جريمة مدبرة .. تسلل القاتل خفية وخرج خفية ولابد أنه استخدم مسدسا مركبا عليه كاتم صوت.. فلم يسمع صوت الرصاص في العمارة!!
أمضى الطبيب ساعات يدخن ويشرب القهوة ويفكر حتى غلبه النوم فتمدد على الأريكة واستغرق في النوم ، لم يفتح الخزانات والحقائب ليتفقد أشياءه لقد شدته أحداث هذه الجريمة التي حدثت في بيته ، وتمنى أن يكتشف رجال الأمن الجاني ليعرف منه دوافع هذه الجريمة، ولم يستيقظ الطبيب من نومه إلا على صوت رنين جرس الهاتف فنظر لنفسه والساعة ، فوجد نفسه قد نام على أريكة غرفة الاستقبال في ملابس السفر ، ونظر للساعة فوجدها العاشرة نهارا ففرك وجهه ورفع سماعة الهاتف فسمع صوت السكرتيرة نهى تتحدث من العيادة وتهنئه بالعودة وأنها عرفت ذلك من بواب العمارة ، فبين لها أنه متعب لا يستطيع العمل اليوم فلتؤجل المواعيد للغد ، وأعلمته أن الخادم فايزا اتصل يسأل عن عودته ، وأنه قد يتأخر يومين أو أكثر لأن جدته تحتضر وقد تموت فقال : اللعين إني بحاجة إليه على كل حال أخبريه بوصولي وليقضي يومين أو أكثر بجانب جدته.
وشكرها الدكتور ووضع السماعة واتصل بالبواب وطلب إفطارا سريعا ، ثم اتصل بمالك صديقه وتحدث معه بضع دقائق، ثم اتصل بمعرض للأثاث القديم وطلب منهم المجيء

لأخذ أثاث غرفة نومه ، ولم تمض ساعتان حتى كانت الغرفة فارغة من الأثاث ، فنزل بعد ذلك إلى متاجر ومعارض المفروشات واختار غرفة نوم جديدة ، وما دخل الليل حتى كانت الغرفة قد فرشت وأثثت بالأثاث الجديد ، ولما تجهزت انطلق لدائرة الأمن واستلم مفاتيح الشقة التي وجدت فيها بعد مقتل المرأة ، وقال له الضابط يحيى : نحن نبحث عن ابن خالتك رامي ذهبنا أمس للسمراء على العنوان الذي ذكرته لنا فأخبرتنا زوجته أنه غائب عن البيت منذ يومين .. وتبين لنا أنه رجل يشرب الكحول بشراهة ويتعاطى المخدر ومعروف لرجال الأمن هناك.

فعقب الدكتور قائلا : رجل هامل وفاسد ، وكثيرا ما يتشاجر مع أخته المطلقة عيدة ولولا أنه غبي لقلت إنه القاتل لها .. فالجريمة مدبرة ومخططة بإحكام ، ولو أنها عشوائية لقلت إنه الفاعل يا حضرة الملازم وكثيرا ما أصلحت بينهم.

ـ ماذا كانت تشتغل قريبتك ؟

سكت الدكتور فترة قبل الإجابة ثم قال : لا شيء .. هي قد ورثت بعض المال عن والديها ، وما أخذته من مطلقيها ، قد ذكرت لكم أنها تزوجت مرتين وطلقت فتجمع لديها بعض المال، وهي قد استثمرت أموالها في البنك وتأخذ عليها الفوائد والأرباح.

فقال الضابط : ولكن تبين لنا يا دكتور أن أخلاقها لم تكن ولابد ؟!

فقال الطبيب : يا سيدي الستر مطلوب أسمع بذلك ، وإنما هي امرأة في هذا المجتمع ، والمغريات كثيرة وقد تكون الحاجة أيضا.

فقال الملازم : على كل حال أنت قدمت لنا ما يلزم فنشكرك الشكر الجزيل .. وكما تعلم يا دكتور سيرة حياة الشخص تكشف أحيانا كثيرة كثيرا من الغموض ودوافع القتل .. فعندما نعرف أن لها أصدقاء في النوادي الليلة والحانات نقترب على ما أظن من الجناة.

فقال الدكتور وهو ينهض : موفقون يا سيدي وأتمنى لكم من كل قلبي أن تصلوا للجاني أو الجناة فلقد كلفني مقتلها في بيتي غرفة نوم جديدة .. لقد اشتريت اليوم أثاث وغرفة نوم

جديدة.

فتضاحك الملازم وقال : لا بأس من تجديد غرفة النوم يا دكتور .. بس.. لماذا لم تتزوج لحتى الآن ؟! .. فقد عرفنا أنك بغير زواج ولست مطلقا أو أرملا .. والعجيب أن لديك غرفة نوم مزدوجة!

فضحك الطبيب وقال : أتخيل نفسي متزوجا يا ابني .. لقد كبرت على الزواج.

فقال ساخرا : ولكن يا دكتور ما زال لك صديقات يترددن على شقتك ؟

فصاح الطبيب مغضبا : هذا كذب يا سيدي الملازم.

ـ إحدى صديقات ابنة خالتك قالت لنا ذلك.

فقال الطبيب بامتعاض : هل هي ليلى ؟! .. إنها امرأة تكرهني!



٥

صباح يوم الثلاثاء من نفس الشهر كان الضابط علي محمود على موعد مع جريمة أخرى في شقة الدكتور غازي الرمانية ، البواب أبو حسونة أيضا اتصل بالبوليس مخبرا عن مقتل الدكتور غازي بنفسه ، اتصلت نهى عاملة العيادة بالدكتور حوالي التاسعة صباحا لتستفسر منه هل يرغب بالدوام والعمل هذا النهار؟ فلم يرد ، وبعد عدة محاولات اتصلت بالبواب وطلبت منه أن يذهب إلى شقة الدكتور ويطلب منه الحديث مع العيادة ، فصعد الرجل العجوز إلى الدور الرابع ورن جرس الباب وطرق الباب ولكن بدون جدوى ، فلعب الفأر في عبه ، فعاد وأخذ مفتاح الشقة وأخذ معه الشغالة ماجدة وفتحوا الشقة وفي غرفة النوم وجدوا الدكتور مضرجا بدمائه ، فصرخت الشغالة وقام البواب بالاتصال بالشرطة ، فهرعوا على الفور إلى الشقة وعلق الملازم يحيى بعد الإجراءات الروتينية قائلا : نفس أحوال الجريمة السابقة .. شقة مفتوحة بنفس المفاتيح من غير عنف وحتى خطوات القاتل في المنزل نفس الخطوات والطبيب يؤكد أن وقت ارتكاب الجريمة أيضا بعد الواحدة أو الثانية ليلا.

كان المقدم علي يتمشى في الشقة مستغرقا في التفكير ورجال البحث والمختبر الجنائي يحاولون البحث عن آثار للقاتل من شعرة ورقة ، وقام المصور الجنائي بأخذ الصور لمسرح الحادث ، ورجال الإسعاف يرفعون الجثة إلى سيارة الإسعاف لنقلها إلى دائرة الطب الشرعي للقيام بتشريحها وكتابة التقرير عنها ، وقال البواب بأنه لم يشاهد أحدا يدخل العمارة مع الدكتور في الليل ، ولم يدخل العمارة شخص غريب منذ غروب الشمس ، انتقل المقدم علي لعيادة الدكتور وتحدث مع السكرتيرة حديثا طويلا ومملا ؛ ولكنه لم يظفر منها بمعلومة تكشف وتنير الطريق ، فهي لا تعرف خصوصيات الدكتور ، ثم قالت له في النهاية : أنا لا أعرف أعداء له ولكن أخص أصدقائه الدكتور مالك جبر وهناك خادمه فايز نائل .. شاب مريض ؛ ولكنه خادم نشيط وقد عاشر الدكتور أكثر من خمس سنوات ، وهو يسكن في بلدة تسمى نسمة الربيع ، وهو الذي قد تجد لديه بعض أسرار الطبيب ، فهو خادمه الأمين ويسكن في شقة

الدكتور.

وأخذ الضابط عنوان الرجلين منها ، وانطلق إلى عيادة الدكتور مالك فوجده يبكي صديقه ، وقد صرف الموظفين والمراجعين ، وكان يبدو للضابط أنه في حزن حقيقي على مقتل صاحبه فعزاه فيه وقال : أرجو أن نتعاون يا سيدي لمعرفة الفاعل لتقتص منه العدالة.

فقال بحزن : أنا رهن إشارتك وكلي شوق لمعرفة قاتل صديقي منذ عشرين سنة .. تعرفت عليه يا سيادة المقدم أثناء الخدمة في عيادات الدولة ، ثم تقاعد بعد إكمال مدة التقاعد ، وفتح عيادته في شارع الأمراء ، وظلت العلاقة والصداقة مستمرة بيننا إلى اليوم ، وقد صدمت بموته بهذه الطريقة ولا أعلم لماذا قتل ؟! حقا شيء مدهش ومثير! .. فأنا لا أعرف خصوما له لهم دوافع للفتك والغدر به .. وقد يكون في حياته أسرار ؛ ولكنني لا أعرف عنها شيئا .. هو صحيح لم يتزوج وحياته لا تخلو من النساء ، فله صديقات كثر وهو ليس ملاكا ، فهو بشر ويشتهي كما يشتهي الرجال ، فله علاقات عاطفية قديمة وحديثة .. فهو رجل يحب السهر والمتعة واللهو والمسرح والغناء .. وغيره كثير يحيا هذه الحياة الماجنة .. ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك .. فالرجل أصبح في دار الحق .. ولكن إذا تذكرت شيئا يفيد القضية فأنا أقدمه لكم .. وأنا في خدمتكم في كل وقت.

فقال المقدم علي : أنت لا ترى الآن أن أحد أخوة عشيقاته أو أقاربها قتله أو غدر به انتقاما لكرامته وشرفه وغير ذلك من الأمور.

فقال مالك بعد تفكير عميق : لقد كان الدكتور يحسن اختيار أولئك النسوة .. وهن نساء ماجنات معروفات بالسهر والمجون قبل أن يحتك بهن ، ولا تدوم أي علاقة مع إحداهن أكثر من شهرين أو ثلاث ثم يبتعد عنها ويبحث عن غيرها .. فهو لم يعشق امرأة زمنا طويلا ، وقد يكون عرف الكثير من النساء ولم يحدثني عنهن يا سيدي المقدم .. واعلم أنه من النادر ما كان يلتقي بهن في بيته .. وقد يكون خادمه فايز مؤكدا لهذا الأمر، فلما سافرنا رحلتنا الأخيرة أخذ إجازة وعاد لبلدته نسمة الربيع.

فقال المقدم : لابد من الذهاب إلى تلك البلدة ومقابلة هذا الخادم ، قد نجد عنده شيئا يفسر لنا سر هاتين الجريمتين .. وأرجو منك يا دكتور مالك أن تتعاون معنا لأقصى حد وكل معلومة تقدمها لنا تقدمنا خطوة من الجناة أو المجرم اللعين.

ـ سأفعل أيها المقدم فأنا يهمني معرفة القاتل الغادر ، فكما قلت سابقا فنحن أصدقاء وأصحاب منذ عشرين سنة.

سافر الضابطان إلى مدينة الرواحل ، ومنها إلى قرية نسمة الربيع وذهب برفقتهم ضابط من ضباط أمن الرواحل ، وسألا عن بيت السيد فايز نائل فلم يجدوه في البيت فتحدثوا مع والدته ولما علمت بمقتل الطبيب غازي الرمانية ظهرت عليها الدهشة والوجوم والحيرة وقالت متشككة : فايز يعمل خادما في بيت الدكتور غازي الرمانية !! .. نحن نعرف فقط أنه يعمل ممرضا في عيادة دكتور في العاصمة.

فقال المقدم علي : صحيح هذا .. فهو خادم في البيت وممرض في العيادة.

فقالت : أمس كان هنا وزار جدته في المستشفى ، ونزل المدينة فقد علمنا منه أن الدكتور قد سافر لقبرص فأعطاه إجازة ، وأكثر وقت ولدي يقضيه في المدينة مدينة الرواحل ، وأحيانا يأتي في آخر الليل .. فأنا ليس لي في هذه الدنيا إلا هو .. وله بعض الرفاق القدامى في المدينة فيذهب ويسامرهم ويأتي للمبيت هنا ، ومرضت جدته ـ وهي أمي ـ منذ أيام وهي راقدة في المستشفى.

فقال المقدم علي : أنت أرملة ؟

ـ لا .. لا يا سيدي إنني مطلقة منذ أكثر من ثلاثين سنة ، فوالد فايز موجود وحي وهو من سكان وأهالي هذه البلدة ؛ ولكنه رماني أنا وولدي الوحيد ، وعشت مع أمي وربيت ولدي فايزا ، وتعلم في معهد متوسط في المدينة ، ولما أنهى الدراسة الفندقية اشتغل في أحد فنادق العاصمة ، فيما بعد تعرف على ذلك الدكتور وانتقل للعمل عنده في العياده ممرضا كما قال وبين الحين والآخر يزورنا.

ـ كيف نلتقي به في المدينة ؟

ـ هو نزل على المدينة الكبيرة .. قال أمس سأزور جدتي وأودعها وأعود للعمل فقد رجع الدكتور من السفر ، ولا أظن أنه ما زال في مدينة الرواحل وإلا لجاء للمبيت هنا.. وعلى كل حال هناك مقهى كبير في مدينة الرواحل يجلس عليه مقهى الربيع .. وله صديق يجلس عنده ومعه اسمه المعلم شمر .. شاب شرس وهو معروف في المدينة وقد زارنا مرة أو مرتين.

فقال ضابط مدينة الرواحل معقبا: أجل يا مقدم علي نحن نعرفه شاب معروف وهو من زعران وهمل المدينة .. فلا أدري ما جمعهما على بعض.

فقالت الأم : صحبة مقهى لا أكثر من ذلك .. فابني أصغر من شمر المذكور.

فشكرها المقدم علي وقال : هيا بنا قد ندرك المقهى قبل أن يغلق شكرا يا أم فايز .. إذا حضر ابنك فأخبريه بأن يراجع مركز بوليس مدينة الرواحل لسماع أقواله عن الدكتور القتيل.

فقالت بقلق : سوف أفعل.

ولما أغلقت الباب ورائهم قالت بحيرة : أمعقول أن يكون قد عرف شيئا قديما ؟! .. إنها قصة لها أكثر من ثلاثين سنة!

٦

جلس المقدم علي في مكتبه في دائرة الشرطة وطلب من الملازم يحيى أن يأتي بالصور التي وجدت في شقة الدكتور المقتول فقال يحيى : ألم تتفرج عليها من قبل يا سيدي المقدم ؟!

فرد المقدم : بلى ، لقد تفرجنا عليها فعلا ، ولكن منذ أن عدنا من قرية نسمة الربيع ، وقد قابلنا تلك المرأة أم فايز ، وأنا أقول أين رأيت ذلك الوجه ؟ صورة تلك المرأة .. أين رأيتها ؟ تذكرت أنني شاهدت صورتها ضمن البومات صور الدكتور .. ولما علمت تلك المرأة بأن ابنها يعمل عند الدكتور غازي الرمانية وأنه قتل ظهرت عليها الدهشة والحيرة ، وقد علمت من ملف الدكتور في وزارة الصحة أنه قد عمل في مدينة الرواحل وتلك القرى من حولها ، ونـقل منها لسوء سلوكه وكثرة تحرشه في النساء والمريضات .. فاتصلت بزميلنا الرائد محسن الذي رافقنا هناك بأن يضع البيت تحت المراقبة للقبض على فايز المختفي منذ أيام ، ثم طلبت منه أن يسال الأم هل لها معرفة بالدكتور غازي معرفة قديمة ؟ .. فاعترفت أنها كانت تتردد عليه في مركز الصحة بالمدينة للمعالجة فهي تعرفه منذ أيام بعيدة .. لأجل ذلك دهشت عندما علمت بعمل ابنها عنده .. بل عرف الرائد محسن أن زوجها طلقها لشائعات دارت حولها وحول الدكتور غازي ؛ ولكن بعد رحيل الدكتور عن المدينة لم يحصل بينهم أي لقاء ، وأنت تعلم أن هذه القصص لا تنسى في الريف فيتوارثها الأبناء عن الآباء ، وأن نبذ الوالد لولده وهجر أمه قد يكون قد سبب له عقدة نفسية فحقد على الدكتور غازي ، ولما عرف أنه صاحب وصديق أمه ثار الحقد في قلبه فقتله.

فقال الملازم : والمرأة المقتولة ما بينها وبين الشاب فايز؟ .. بل لماذا لم يأخذ صور أمه من الألبوم إذ رآها ؟

ـ عندما نقابل هذا الشاب سنعرف الكثير الكثير من المعلومات أحضر الصور لنتأكد من صورة تلك المرأة الريفية.

بالفعل لما شاهد الضابطان الصور الفوتوغرافية قال يحيى : فعلا إنها صور السيدة هدى أم

فايز ولكنها قديمة.

فقال المقدم علي : إذن اطلب من الرائد محسن أن يجمع لنا معلومات دقيقة وشهود عن علاقة الطبيب غازي وتلك المرأة ، وليكثف رجالنا البحث عن فايز ويعرفوا الأماكن التي يتردد عليها هنا .. فقد أخبرني محسن أيضا أن المدعو شمرا أخبره أن الشاب فايزا منذ أتى البلدة وهو متوتر الأعصاب، ويشرب الخمر بكثرة وشراهة رغم أنه من النادر أن يشربها ، ولا تكاد السيجارة تفارق شفتيه كذلك ؛ ولكنه لم يفه بشيء أمامه.

ولما انصرف الملازم يحيى لتنفيذ تعليمات المقدم علي رن جرس الهاتف في مكتب المقدم علي فقال له مأمور الاتصال : فتاة اسمها نهى سالم تريد الحديث معك يا سيدي.

ـ صلني بها .. آ .. أهلا أخت نهى .. اتصل بك السيد فايز .. في المستشفى !! أي مستشفى شكرا لك .

وترك السماعة ونادى على الملازم فلما حضر قال: لقد ظهر الفتى فايز يا يحيى.

ـ أين ؟!

ـ إنه مصاب في المستشفى الحكومي .. لقد تعرض لحادث دهس .. هيا بنا نراه .. فقد اتصل بالعيادة يسأل عن الدكتور غازي واليوم سمحوا له بالحديث.

ولما وصل الضابطان المستشفى ، طلبا محضر البوليس فوجدا فيه أن السيد فايزا تعرض لحادث صدم فجر يوم الثلاثاء ، فقد كان يقطع أحد الشوارع فصدمته سيارة مسرعة وهربت واكتشفته سيارة بوليس دورية وهو بين الحياة والموت ، فنقل لأقرب مستشفى ، وأجري له أكثر من عملية وهو يرقد في جناح العظام والكسور في وضع طبي سيئ ، وبعد قراءة المحضر الشرطي صعدا إلى غرفة المريض فوجدوه ملفوفا بالجبص والشاش الطبي ، فلما لمحهما برقت عيناه بشدة ثم همس :أنا القاتل .. أنا المجرم وهذا جزائي العاجل .. لقد شبت النار في قلبي عندما علمت أن هذا الدكتور كان عشيقا لأمي ، وأنه سبب تعاستها ونكران أبي لي .. كان أهل القرية ينظرون لي كأنني ابن زنا لقيط .. الحقد ملأ قلبي عليه.. إنه مجرم أكثر مني.

نظر المقدم لأحد الأطباء الذين حول السرير وقال : هل يمكنه الكلام الكثير ؟
رد الطبيب المعالج : كسور في عظم الجمجمة .. أما الخطر الأكبر فهو في كبده .. وهناك تفتت في عظام فخذيه وساقيه ورغم الصداع الذي يكتنفه فلا بأس من سماع اعترافه . وغمز الطبيب بعينه.
فأدرك الضابطان أنه في وضع صعب وحرج وأنه قد ينتكس من جديد فقال المقدم : الأحسن سماع اعترافه والتفت لفايز وقال : أتحب أن نسمع حكايتك أم لا تستطيع ؟
فقال بهمس : اسمعوا .. قد أموت أعرف أن كبدي انشطر من حدة الصدمة قد يريح الاعتراف أعصابي وضميري .. سأبدأ من البداية .. أنا ابن قرية بعيدة عن العاصمة ، وجدت نفسي أعيش بين أمي وجدتي ، وأن أبي طلق أمي لمشاكل كبيرة بينهم ، وقد تخلى عني حتى إخوتي الآخرين ، ربوا على عدم الإحساس بي ولا يكترثون لي ، وصارت مشاجرات كبيرة بين أبي وأمي من أجل ذلك ، ولكن أبي أصر على التنكر لي ، ويدعي أنني لست ابنه رغم أنني أحمل اسمه ، فلما كبرت ووعيت للأمر ، بدأت أعرف تفاصيل قصة أمي ؛ عرفت أن سبب طلاق أمي أنها كانت تتردد على المدينة القريبة للعلاج في مركز طبي تابع للدولة ، وتعرفت أثناء ترددها على العيادة على طبيب فأحبها وصارت عشيقة له ، فكانت كلما تنزل على المدينة تلتقي به ، وأثناء ذلك ولدت أنا ، ولم يكن أحد يعرف باتصالها بذلك الطبيب الماكر ، ولكن هذا الأمر لم يختف للأبد انكشف السر للممرضات أو قل لإحدى الممرضات ضحايا ذلك الطبيب الماجن ، فأفشته لامرأة من القرية ، فأخذ الخبر ينتقل في القرية ثم المدينة ثم نقل الطبيب إلى مدينة أخرى ، ثم طلق أبي أمي فذهبت لتسكن مع أمها جدتي ، فعشت منبوذا مشكوكا في بنوتي ، بذلت أمي وجدتي الغالي والنفيس حتى كبرت وأرسلتني للمعهد الفندقي لأتعلم الطهي والخدمة الفندقية ، فتيسر لي ذلك رغم الجرح والألم الذي تكوّن في أعماقي ووجداني ، اندمجت في حياة المدينة تناسيت القرية تناسيت أبي تناسيت ماضي أمي واعتبرتها ضحية المجتمع ، لم أكن أدرك يومذاك عمق العلاقة السرية بينها وبين ذاك الطبيب في المركز

الطبي حتى يومها لم اهتم باسمه ومعرفة الكثير عنه .. المهم عرفت أن أمي تعلقت بطبيب ، ثم طرد من المدينة بسبب هذه الصحبة ودار الشك حول أمي ، أنهيت سنتي التعليم توظفت في أحد الفنادق في مدينة الرواحل ، أصبحت أملك المال وتعلمت قيادة السيارات ، وبعد حين اشتريت سيارة صغيرة ولكنها قديمة ، صرت أتردد بها على القرية .. وكنت بين أهلي كأنني غريب ما زال شكهم واتهامهم يحوم حولنا رغم السنوات الطوال ، ثم بلغت الخامسة والعشرين وما زالت تلازمنا نظرات الشك والريبة .. أمي حبيسة القرية منذ أن عرف الناس بحكايتها مع ذلك الطبيب الفاجر .. لم تتزوج من أجلي .. لا تذهب للمدينة إلا أيام الأعياد لشراء الملابس لي .. كان يصيبها المرض والضعف لا تنزل للمدينة وتعتمد على وصفات العجائز في القرية والفلاحين، كان في داخلي بركان وصراع وأقول لنفسي هل يعقل أن تكون هذه الأم الصابرة فاجرة ؟! .. لابد أن ذلك اللعين خدعها وغرر بها مع ذلك كان الناس في القرية يتحاشون الجلوس معي.. مرحبا فقط وينصرفون .. المهم اندمجت في حياة الفنادق والمال ، كان لصاحب الفندق أكثر من فندق في قلب العاصمة ، فطلبت منه أن ينقلني إلى أحدها فقد ضقت من هذه المدينة ومن أهلها، لقد حاولت أمي تزويجي من إحدى بنات القرية المحترمات ، فرفضت وعزفت عن النساء ورغم ما علمته عن أمي من سوء فقد كنت أحبها وأشعر بتضحيتها من أجلي وأعرف الحزن العميق في روحها وبدنها ؛ ولكني ضعيف وعاجز أن أفعل لها شيئا ، حاولت إقناعها بالرحيل إلى العاصمة ولكنها رفضت لأن جدتي لا تريد الموت خارج القرية ، وأثناء عملي في أحد فنادق العاصمة تعرفت على الدكتور غازي الرمانية كان يحضر للسهر في الفندق في المناسبات وحفلات الرقص والأغاني .. وحدث أن سرقت بعض المال من أحد نزلاء الفندق ، وانكشف أمري فتشفع لي الدكتور غازي عند صاحب الفندق فعفا عني ، ومرضت بفقر الدم فأرسلني إلى عيادات زملاء له .. كنت أعجب من مجونه رغم سنه الكبيرة كان يشرب الخمر ويسكر ويعربد ويزني ويلعب القمار أحيانا ، ولكنه عندما يخرج من الفندق يصبح رجلا آخر متظاهرا بالوقار والاحترام .. مرض

هذا الدكتور وقضى شهرين في المستشفى إن لم يكن أكثر وكنت أزوره كصديق ، فلما تقرر أن يعود للبيت عرض عليّ أن أعمل خادما عنده ودفع لي أجرة شهرية مائة وعشرين دينار غير المكافآت ، ووعدني أن يعلمني بعض مهارات التمريض ، وأن أسكن معه في الشقة .. فبعد تأمل قدمت استقالتي من الفندق وانتقلت للعمل عند الطبيب في شقته.

ولما عادت له صحته عاد للعمل في العيادة الخاصة به التي كان يقوم بالعمل فيها مكانه زميله مالك جبر بعد انصرافه من العمل في مستشفيات الحكومة ، رغم مجون الدكتور فمن النادر أن يسمح لامرأة أن تزوره في شقته .. أنا لم أهتم حقيقة بحياته الخاصة كثيرا ، لقد عرفته وعرفت علاقته الغرامية أثناء العمل في الفندق فلم أكترث بفسقه وعبثه ، ومضت الأيام فقضيت عنده أكثر من خمس سنوات إلى أن كان ذات يوم أحضرت له كوبا من الشاي إلى حجرة النوم وكان بين يديه أعداد كثيرة من الصور الفوتوغرافية يقلبها ويبحث فيها عن صورة أو صور .. والحقيقة رغم طول المدة التي مكثتها عنده لم أحاول فتح حقائبه والعبث فيها ومعرفة المزيد من الأسرار عنه ؛ فإن ذلك لم يكن يهمني لأنني أعرف الدكتور بما فيه الكفاية ، وضعت كوب الشاي وأردت الانصراف لحجرتي فنادى : اقترب يا فايز .. هذه صور تصورتها هنا وهناك في الداخل والخارج .. ولكن صدف اليوم أن التقيت بامرأة عرفتها منذ ثلاثين سنة أو أكثر .. كنت يومها موظفا في مدينة الرواحل وكان ذلك في أول سنوات عملي بقطاع الصحة والطب فعندما ذكر مدينة الرواحل تذكرت أمي وقصتها مع ذلك الطبيب فخشيت أن يكون هو العشيق القديم ، توترت وتهيجت أعصابي وذاكرتي فقلت بصوت مخنوق: ثلاثون سنة يا دكتور ؟!

فقال ولم يلحظ التغيير الذي أصابني : أجل ثلاثون سنة .. كنت اليوم في زيارة لأحد الأصدقاء الأطباء في عيادته عندما دخلت امرأة تراجعه .. هو جراح قلب .. فعندما رأيت المرأة عرفتها تذكرتها، وهي تذكرتني فوجمت عندما رأتني فنظرت إلى ملفها الموجود أمام الدكتور فإذا هو نفس الاسم الذي عرفته .. فلما انتهى الطبيب من متابعتها وخرجت خرجت

خلفها واستوقفتها وذكرتها بنفسي فقالت : وكيف أنساك يا دكتور وكل عذابي منك ؟!
فواسيتها وقلت معتذرا : كانت أيام طيش ، ولقد عرضت عليك الزواج ولكنك أبيت حتى لا تتأكد الأقاويل .. إيه لقد طلبت منها أن تطلب الطلاق من زوجها لاقترن بها ، فرفضت فعرضت عليها بعض المال فرفضت .. تذكرت يا فايز أيام الصبا أيام الهوى والشباب .. ثم رفع صورة له معها ودفعها إليّ.

وكانت صورة أمي تمزق قلبي وهاج حقدي وأردت أن أخنق الدكتور من الغيظ والقهر والحقد ولكني جبان ، فتظاهرت أن صداعا ألم بي وعدت إلى حجرتي أبكي وأبكي.. ومن ذلك الحين بدأ في فكري قتل الدكتور والثأر لكرامتي وشرفي ومضى شهر وآخر وقل نزولي لزيارة أمي المريضة بالقلب والهم ، اشتريت مسدسا وجهاز كتم الصوت أخفيته في الشقة.. وبدأت أخطط للقتل ، ووضعت خططا وأفكارا كثيرة إلى أن سمعت الدكتور يتحدث مع السكرتيرة نهى برغبته في السفر لقبرص فتظاهرت أنني بحاجة لإجازة لزيارة أمي وجدتي .. لم يمانع الدكتور فأعطاني أجرة الشهر كاملة ، وأخبرني أن سفره سيكون نهار الخميس بصحبة الدكتور مالك جبر، وأذن لي بالسفر صباح الأربعاء بعد وجبة الإفطار ، وأنا قررت أن أقتله في الليل قبل السفر .. نار الكره والثأر والانتقام تتأجج في قلبي .. وكان الترتيب أن أسافر صباح الأربعاء في القطار .. وفعلا ودعت الدكتور وحملت حقيبة صغيرة بها بعض الهدايا لأمي وجدتي .. وتحدثت مع البواب أبي حسونة وأخبرته بسفري للقرية وانطلقت لمحطة القطار وقطعت تذكرة وافتعلت مشاجرة مع أحد الموظفين ليشهدوا أنني سافرت للبلدة وفعلا وصلت لمدينة الرواحل واستأجرت سيارة سياحية من شركة الحمراء وأخذت بعض الفواكه وسرت للقرية وتعشيت مع أمي وجدتي وبعد دخول الليل وقد رقد الناس ادعيت أنني سأنزل للرواحل للسهر فلي أصدقاء ومعارف فيها ، ولكني انطلقت للعاصمة وبعد ثلاث ساعات ونصف دخلتها وأمام أحد محلات السوبر ماركت الكبيرة أوقفت السيارة وسرت مشيا نحو شارع عمارة الساعد ، كان الوقت بعد الواحدة ليلا ومن الباب الخلفي

للعمارة تسللت إلى الدرج ، ولما صعدت الطابق الأول ركبت المصعد للطابق الرابع وبحذر شديد دخلت الشقة ، وكان المسدس في جيب الجاكيت التي ألبسها وقد خلعت الحذاء وظللت بالجوارب دخلت حجرة الدكتور كنت أظن أن فيها الدكتور راقدا فرفعت الغطاء عن رأسه وأطلقت النار ، فبعد أن أطلقت النار اكتشفت أن امرأة ترقد في فراش الدكتور صعقت .. أين الدكتور؟! عدت فلبست حذائي ثم فتشت الغرف وعدت أنظر لوجه المرأة المهشم بالرصاص وبكيت ولم تأكدت من عدم وجوده هربت كما دخلت وعدت للقرية ، وقد اشتريت زجاجة خمر وشربتها أثناء العودة ، وصلت القرية مع وجه الصباح وأنا سكران ، رقدت في الفراش وأنا أفكر بتلك المرأة التي قتلت على يدي وأنا أظنها الدكتور اللعين ، ولما علمت أن البوليس لم يصل إليّ بعد ، صممت أن أقتل الدكتور.. بعد يومين تحدثت مع نهى متظاهرا بالسؤال عن الدكتور فأخبرتني بأن الدكتور سافر مساء الأربعاء وأن امرأة قتلت في فراشه والشرطة تبحث عن القاتل .. فقلت : سوف أتصل بها بين الحين والآخر مدعيا بالسؤال عن عودة الطبيب غازي .. الصحف لم تنشر شيئا عن الجريمة .. مرضت جدتي وأدخلناها المستشفى في مدينة الرواحل .. ولما علمت بعودة الدكتور من نهى والبواب أبو حسونة رسمت أن أضرب ضربتي سريعا فمددت الإجازة بحجة مرض جدتي ، وفي اليوم المحدد تسللت كالسابق إلى حيث يرقد الدكتور المستغرق بالنوم وأفرغت المسدس في رأسه وصدره ، وخرجت من الباب الخلفي للعمارة وقبل أن أصل إلى حيث أضع السيارة المستأجرة وأثناء قطعي للشارع دهمتني سيارة مسرعة ، وقد عرفت لما صحوت من فقدان الوعي أن اللعين لم يتوقف لإنقاذي ونقلي للمستشفى ، ولولا مرور سيارة دورية البوليس لظللت طريح الشارع حتى فارقت الروح الجسد .. فقد جاء القصاص عاجلا .. وهذا اعترافي وأنا بكامل قواي العقلية كما أرجو ولإراحة ضميري لقتل تلك المرأة بالخطأ ؛ ولكن قدرها كان على يدي والتفت إلى الأطباء وقال : أيها الأطباء أرجوكم أن تضربوني إبرة مخدر لأنام إنني في غاية الألم والتعب .

تمت هذه القصة

* صورة الأم *

قتلت امرأة في شقة الطبيب

كان الطبيب مسافرا خارج البلاد

كان خادمه في قريته البعيدة مستغلا سفر سيده

ولما عاد الطبيب من اجازته فارق الحياة

تسببت صورة الام في جريمتين

كيف ؟ .. ولماذا ؟

هذان ستقرأ جوابهما في قصة صورة الام



التحقيق الجنائي والجريمة



بصمة وراثية

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

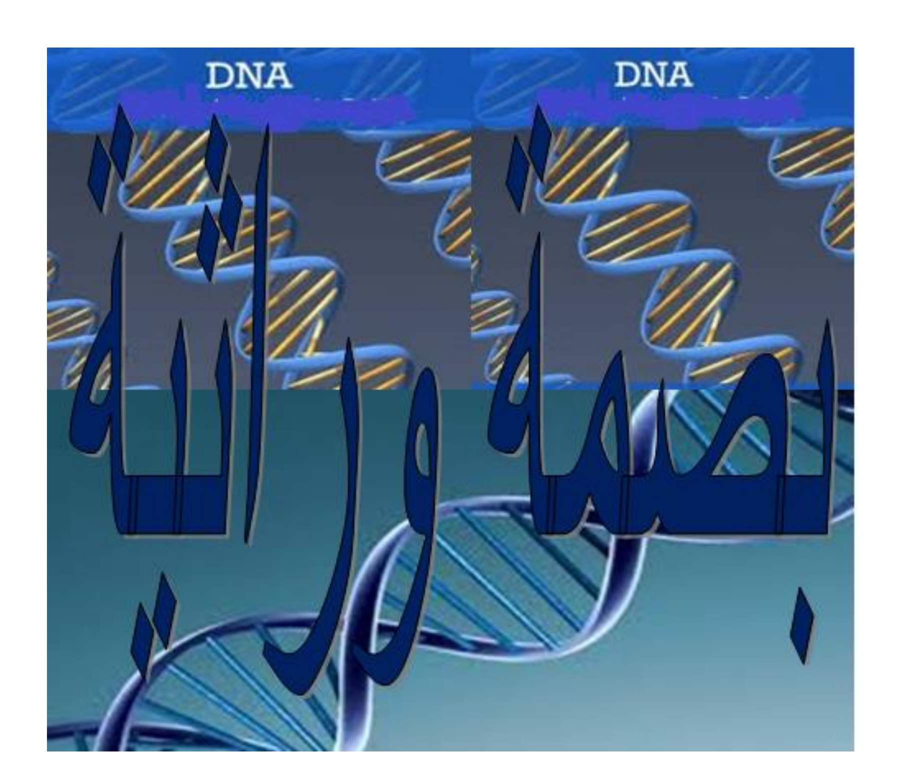
١٤٤٤ /٢٠٢٣

الكيوي

جمال شاهين

بصمة وراثية

جمال شاهين



الصغير عرفان

الرجل الكهل ناصر رشيدي كان يخاطب ولديه الصغيرين بخوف وعصبية ، فمنذ أيام انتهى من عزاء زوجته أم عرفان ، ومما قاله لهم : كلي حزن وهم عليكما يا أطفالي الصغار بعد موت أمكم ـ رحمها الله ـ فأنا قد تزوجت أمكم لأرتاح من الشجار والصراخ والحرب مع زوجتي الأولى أم زياد .. ولكن ماتت أم عرفان وظلت أم زياد .. وشاء القدر لي الحزن والشقاء .. فأم زياد لا تحبكم .. تبغضكم ، تكرهكم ، بل جعلت أولادها يبغضونكم ويكرهونكم .. وأنتم لا دخل لكم ولا ذنب ؛ ولكنكم أبناء ضرتها .. فعليكم بالتحمل والصبر حتى تكبروا وتشبوا وتعتمدوا على أنفسكم .

كان هذا الخطاب موجها لفتاة عمرها أربعة عشر ربيعا ، وشاب دونها بعامين أنجبتهما له زوجته سعادة ، كان ناصر ذا مال ودخل مادي بسيط لا يكفي الصرف والنفقة على البيت المكون من زوجتين وثمانية أبناء وتاسعهم ناصر، فبسبب الحاجة وقلة المال كانت الزوجتان تعملان بأعمال الإبرة والخياطة والصوف للمساعدة في زيادة دخل الأسرة ، ولم يتزوج ناصر الثانية إلا بعدما كبر ابنه زياد وتخرج من الجامعة .. فبعد ذلك غامر وتزوج أم عرفان ، فكان زياد وإخوته الخمسة ـ ثلاثة ذكور (مراد) (فارس) (عصام) وابنتان (أسمهان) (ليلى) ـ لا يتعاملون بود وعطف مع أخويهم من زوجة أبيهم (عرفان وأمينة)، بل كانوا يسمحون لأنفسهم بإهانتهم وضربهم والانتقام منهم والإساءة إليهم لمضايقة زوجة أبيهم .. فزادت المشاكل والمعارك بين الأب وأم زياد .. ويفزع الجيران والأهل للإصلاح.

وكان الأب ناصر حزينا جدا على وفاة زوجته سعادة ، فهو قد أصيب من سنوات خلت بمرض أقعده عن العمل .. فكان يعتاش على إحسان زوجته سعادة وبعض الفتات الذي يأخذه من أولاده الكبار .. ولما تزوج ابنه البكر زياد قطع عنه المساعدة .. فصبر الرجل وزاد كفاح زوجته .. ثم تزوج الآخر والثالث والرابع والبنتان ، ثم رحلت زوجته الأولى للحياة مع أحد أبنائها ، فكان ناصر رشيدي متألما وحزينا لأعلى درجة على موت زوجته الثانية ، ومشاكله المتكررة مع

أبنائه لم تدفعهم للشفقة عليه ، ولكن اليوم ماتت الزوجة المواسية العاملة ، فلما أدرك ابن الاثني عشرة سنة الوضع ، أخذ يبيع اللبان وقطع الحلوى والسكاكر على محطات السيارات والباصات ومواقف الحركة ، كان يفعل ذلك بعد عودته من المدرسة ، ولكنه وجد أن المردود البسيط لا يكفي للصرف على أبيه المريض وأخته أمينة ، فرويدا رويدا هجر المدرسة ، وقد أصبح لا يفهم شيئا من الدروس ، ولما بلغ خمسة عشر ربيعا اشتغل خادما في أحد الفنادق الكبيرة في المدينة العاصمة بمساعدة أحد الناس .. فتحسن دخله نتيجة خدمة ضيوف الفندق ونزلائه.

وبعد حين تزوجت أخته أمينة من رجل فقير من سكان الحي ، شعر أن أباه زوجها لابن جار لهم ليخفف العبء عنه ، وخلال هذه السنوات لم يكن إخوته يترددون على أبيهم المريض إلا في مواسم الأعياد أو عندما يسمعون أنه على وشك الموت ، آلام كثيرة في قلب عرفان ، متألم من هجر إخوته له ، وكان ممزق القلب حزينا أن أحدا منهم لم يفكر بزيارة أخته وأختهم في موسم عيد أو مرض ، كانت أكثر أمواله تصرف على شراء الدواء لوالده الكهل ، تحمل عرفان كل ذلك ، ولم ينس تركه المدرسة بسبب ظلم إخوته وتحمله مصروف الأسرة وحده ، تخلوا عنه وعن أبيه وأخته ، لم يردوا جميل أبيهم لهم يوما ما ، كانوا يرون أنهم تعلموا ودرسوا من نقود أمهم وشقاء أمهم بهيجة.

مكث عرفان في الفندق عاملا أكثر من ثلاث سنوات قبل أن يتغير مجرى حياته بصورة عجيبة ذات يوم كان عرفان يخدم رجلا أجنبيا من أمريكا اللاتينية من فنزويلا بالذات ، ومكث هذا الرجل أكثر من شهر نزيلا في الفندق ، وكان عرفان مهتما به وبتوفير الراحة والخدمة له طوال هذه المدة ، فذات يوم قال الرجل الكبير لعرفان : يا عرفان منذ نزلت هنا وأنت تقوم برعايتي وقد لاحظت عليك يا ولدي حزنا ودموعا مرسومة على محياك.

فقال عرفان : أشكرك سيد رومانوس .. مشاكل الدنيا .. هموم الأسرة.

وفضفض عرفان بحديث عن ذكريات موجعة ، مما رقق قلب الرجل المدعو رومانوس وقال

له في النهاية : بلدنا فيه عرب كثير ، سافر سيد عرفان .. هاجر .. هناك دخل أكثر من هنا .. فما رأيك بالهجرة إلى هناك قد انعطف قلبي إليك ؟

بكى عرفان ، وشكر الرجل ، وتمنى ذلك وقبل العرض من غير تردد فأعطاه الرجل ألف دولار ليقوم بإخراج جواز سفر والسفر إلى مصر ، ومنها إلى كاركاس عاصمة فنزويلا ، وأعطاه الرجل عنوان إحدى الشركات التي يملكها فقبل عرفان يد الرجل أكثر من مرة ، وذرف الدموع عندما رأى الحنان الذي أغدقه عليه الرجل الغريب رجل الأعمال الفنزويلي ، هكذا كانت البداية.

سر والده ناصر ، وربما تظاهر بالسرور لما أخبره عرفان بأمر الهجرة، وشجعه على السفر وقال بشجاعة وتضحية : لا تهتم بي يا ولدي ! الله موجود ورحمته واسعة .. سافر .. هذه فرصة للرحيل .. فكثير من أبناء العرب يهاجرون لتلك الدنيا ، وسأطلب من أختك أمينة وزوجها السكن عندي.

فقال عرفان : أخشى أن لا يوافق زوجها أو أهله على ذلك

ـ إن شاء الله سوف يوافق .. فزوجها رجل طيب

ـ وأنا عندما أصل إلى هناك ، وأستلم أول راتب سأرسله لكم يا أبي .. أقسم أن لا أنساك.. عليّ أن أجرب حظي .. أنا حزين جدا على فراقك ، وأنت بهذا الضعف؛ ولكنك كما قلت الحياة فرصة .. فلربما هذه فرصتي لأتخلص من الفقر ، وقلة ذات اليد.

وبكى الرجلان ، وتذكروا جحود زوجة أبيهم وأولادها لهم ، قام الشاب بإخراج جواز السفر وتحدث ناصر رشيدي مع جاره والد زوج ابنته ، فوافق الجار وتردد الابن ، ولكن لما اطمأن أن عرفان سوف يضع بين يدي أخته بضع مئات من الدنانير للاعتناء بأبيها بالطعام والدواء حتى يرسل لهم المال باستمرار من هناك ، فوافق على الحياة في بيت والد زوجته.

تحدث عرفان مع رومانوس الفنزويلي، وأعلمه بإخراج الجواز ، وأنه اشترى تذكرة سفر للقاهرة في مصر، وطلب منه بعض المال لتركه عند والده المريض يشتري به الدواء ريثما يباشر

عمله، ثم يسدده إياه ويرسل لأبيه منه ، وكان الرجل سخيا فأعطاه ألف دولار أخرى على سبيل الشفقة والعطف والمساعدة، وأعطاه رسالة للسفارة في مصر لمساعدته للسفر إلى أمريكا.

كانت لحظات الوداع قاسية على قلب ناصر رشيدي، ووقع في قلبه أنه الوداع الأخير، ولكنه غلب مصلحة ابنه الضعيف على حاجته إليه في ساعاته الأخيرة ، ورحل عرفان إلى فنزويلا ، وفي إحدى شركات النفط التي يديرها رومانوس وظفوه عاملا بسيطا في مكاتب الإدارة.

وقد كان عند حسن ظن السيد رومانوس ، فلما تحسن لسانه وأصبح يفقه الإسبانية لغة البلاد الرسمية أرسله السيد الكبير في دورة سكرتاريا ومراقبة إنتاج العمال ، وخلال خمس سنين تحسن دخل عرفان ، وظهر نشاطه وإخلاصه للسيد رومانوس ، وأتقن الواجبات المطلوبة بكل همة ودراية ، ولم ينقطع خلال هذه السنوات من إرسال المال لوالده ، ونزل إلى البلد مرة واحدة خلالها وسعد أبوه برؤيته ، وكذلك أخته وزوجها ، وأدخل والده للمستشفى عدة أيام وفي هذه الزيارة لم يأت أحد من إخوته للسلام عليه ، ثم سافر ثانية ، وأمضى السنوات الخمسة الأولى من عمره في فنزويلا في العاصمة كاركاس.

وهذا الاسم يعود إلى قبيلة هندية ، كانت تقيم في هذا الوادي قبل أن يدهمها الغزو الإسباني عام ١٥٢٢ م وقيل ١٥٤٦ م ، وحضارتها حضارة المايا قبائل الهنود الحمر، والمدينة القديمة يعود إنشاؤها إلى ٤٠٠ عام ، وأنها تمتلئ بالخضرة والأزهار على مدار العام وخصوصا أزهار الأوركيد ، وهي الزهرة القومية للفنزوليين ، ولها ستة آلاف نوع ، وهناك أشجار الاكاسيا ، وتحمل شوارع كاركاس أسماء الكثير من الأزهار ، وحية أناكوندا وهي أكبر حية في العالم تعيش في مستنقعات فنزويلا ، وقد بنيت العاصمة على نمط المستعمرات الإسبانية ، شارع هياتو يمثل قلب المدينة الثقافي ، وقد تأسست العاصمة عام ١٥٦٧ م ، وهي مطلة على البحر الكاريبي ، وحيث تطل حدود فنزويلا من الشمال على ٣١١ جزيرة ما بين الكبيرة والصغيرة ، ومن أشهرها جزر السلاحف البحرية ، وجزيرة الطيور ، وتعتبر جزيرة مارجريتا لؤلؤة البحر الكاريبي ، ففيها تجتمع الجبال السوداء وشواطئ الشعب المرجانية وخضرة أشجار جوز الهند

وأهم ميدان في العاصمة وفي وسطها ميدان بوليفار أو البلازا بوليفار ، ويطل برلمان الجمهورية على الميدان ، وتوجد الكاتدرائية خلف الميدان ، وأمامها قصر الرئاسة القصر الأصفر ، وقد قامت عدة ثورات فيها للتحرر من حكم الإسبان ، وضمت مرة أو أكثر بكولومبيا ، وفي عام ١٨٣٠ م انهار الاتحاد ، وهي خليط من الأجناس الهنود الحمر والأوربيين والإسبان والزنوج وغيرهم ، وأكثر السكان كاثوليك ٩٦ ٪ ، ونسبة ٢٪ بروتستانت ، وفيها عرب مهاجرون من الشام ومصر وأفريقيا.

وبعد مضي السنوات الخمسة الأولى أتته برقيه فيها نعي والده ناصر .. فطلب إجازة بضعة أيام قضاها في البكاء والنحيب على جسد وروح والده الذي مات وهو بعيد عنه، ثم قرر أن ينزل للبلد ، فنزل فزار قبر والده ،وتصدق عن روح أبيه، وقد زاد سنه عن الخامسة والعشرين في ذلك الحين ، فطلب من أخته أمينة أن تخطب له فتاة من بنات الحي تقبل السفر معه ، فأرشده صهره إلى ابنة رجل يدعى خالد سنارة ، فله بنت جميلة حسناء تشتاق إليها العيون ، اسمها مجدية فذهبت أمينة إلى تلك الأسرة ، وتحدثت مع الفتاة وأمها عن محاسن أخيها ورغبته بالزواج من ابنتهم .. فرحبت الأم وزوجها خالد بذلك ، وأما البنت رفضت وأبدت رغبتها بالزواج من رجل مقيم في البلد ، وأنها لا تحب الغربة والهجرة ، ولكن إغراء المال والهدايا والعجلة ـ فعرفان سفره قريب ـ فقد ضغط الأب والأبناء على البنت ، وتعرضت للضرب والإهانة حتى تظاهرت بالرضوخ والموافقة ـ وهذا لم يعرفه عرفان ، ولا سمع به ـ فتمت الخطبة والزواج وسافر بها عرفان لتلك الدنيا ، وقضت معه سنة رأى منها التعاسة والشقاء والشجار، ولما رأى أنها مصرة على الطلاق والفراق والعودة للبلد ، وتيقن أو ترجح لديه أن أهلها أجبروها على الزواج طمعا بماله ، فطلقها وأعطاها مؤخر صداقها ، وسفرها على حسابه الخاص إلى بلادها ، فلما وصلت ذاقت من أهلها سوء العقاب والاحتقار ، فتقدم لها شاب كان عاشقا لها قبل زواجها وهو السبب الأكبر في فشل الزواج من السيد عرفان ، وكان هو سبب تعاستها مع عرفان ، ولكنها قبل الزواج منه اكتشفت أنها حامل عندما قامت بإجراء الفحوص المعتادة

لمعرفة الحمل ، وتأكد لها أنها حامل منذ شهرين ، وهذا هو سبب انقطاع الطمث ، فاضطربت واتفقت مع حبيبها على كتمان الأمر ، وأن يبقى المولود باسمه فوافق ، ولم يدركا خطورة هذا الأمر ، ولما انتهى الشهر الثالث ، وظن الجميع أن فترة العدة ـ عدة الطلاق في الإسلام ـ انتهت تم عقد الزواج ، وخرجا من الحارة إلى حارة أخرى ، وبعد شهور وضعت مجدية مولودها ونسبته لزوجها وحبيبها قبل الزواج ، وكانت مجديه في الشهور الأخيرة من الحمل قد هجرت أهلها ، ولم تزرهم ولو مرة واحدة حتى ولدت ، وأصبح وليدها ابن شهرين فتجرأت حينئذ أن تذهب إليهم ـ والغريب أن الأمر لم يثر دهشة الأقارب والأهل ، وإن اشتهر بينهم تبرير أن هناك حملا وولادة تتم خلال ست أشهر أو سبع ـ وهمس بعضهم أن معاشرة حدثت بين الزوجين قبل انتهاء العدة ، فحب وعشق مجدية لجاسم كان معروفا لأهلها ولبعض الجيران ، ولم يفكروا بالتدقيق بما يسمعون ، فهم بعد عودتها من فنزويلا كانوا يحتقرونها ويسمونها بالخائبة ، ويرون أنها لا تستحق النعمة أضاعت الثروة والغنى من أجل شاب هامل ساقط في نظرهم فتركوها وشأنها ، لقد ولدت إذن مجدية ولدا اسمته شاهرا وحمل اسم زوجها الأخير والحبيب جاسم ، هذا ما كان من أمر مجدية وجاسم.



بعدما فشل عرفان بزواجه من بنات دينه وبلده وجنسه انشغل بالدراسة والعمل ، وقام صاحب الشركات الكبيرة رومانوس بتزويجه من ابنة أحد كبار موظفيه ، واندمج كليا بحياة المجتمع الفنزويلي ، ونسي وطنه وبلاده ، وكان كل موسم عيد الأضحى يرسل لأخته أمينة ما بين ألف دولار إلى ثلاثة آلاف دولار حسب ما يتوفر لديه ويزيد عن حاجته ، واستمر على ذلك أربع أو خمس سنوات حتى تلقى برقية من بلده فيها نبأ وفاة أخته أمينة أثناء الوضع لطفلها السادس فعندئذ كف عن إرسال المال والهدايا والرسائل ، وانقطع الخيط الذي كان يذكره بالوطن ،

واندمج كليا في حياة رجال الأعمال في فنزويلا ، وبعد موت رومانوس الثري الفنزويلي تقاسم أبناؤه وورثته إدارة شركاته وأمواله ، فتشارك عرفان مع أحد الأبناء في إدارة أحد المصانع ، ونتيجة حادث كبير تعرض له شريكه استطاع عرفان امتلاك المصنع وحده .. ثم زادت الأموال بين يديه ، وزادت المشاريع ، وكبر عرفان سنا وثروة ، وقد أصبح الرجل من رجال أعمال تلك البلد ، فانضم للجمعيات والنوادي الخاصة ، وكذلك حضور مؤتمرات رجال الأعمال ، وكبر الأولاد من زوجته الفنزويلية التي ورثت هي الأخرى عن أسرتها المال الغزير ، وتخرجوا من الجامعات ، ونسي الناس أصله العربي مع طول السنين، وهو كأنه نسي ذلك.

أصابه الحنين بعد أكثر من ثلاثين سنة قضاها عرفان في فنزويلا حيث البترول والحديد والفحم والذهب والنحاس والكاكاو والقصب والذرة والجزر وسيمون بوليفار الثائر الفنزويلي ضد الاستعمار الإسباني، حتى عملة فنزويلا تحمل اسم هذا الثائر ، فاعلم أن جمهورية فنزويلا تقع على الشاطئ الشمالي لأمريكا الجنوبية وتحررت هذه البلاد عام ١٨٢١ ، وأصبحت جمهورية سنة ١٨٣٠ تحكمها حكومات عسكرية حتى سنة ١٩٧٣ م، وتزيد مساحتها عن ٩١٢ كيلو متر مربع ، فهي مساحة كبيرة ، وعدد سكان قليل حوالي عشرين مليون ، فلما بلغ عرفان الخمسين عاما خطر له النزول لوطنه العربي سائحا ، فأخذ إجازة ثلاثة أشهر، وسافر لمصر العربية حيث تتوفر الرحلات بالطائرة بين فنزويلا ومصر أو ينزل المسافر لأقطار الوطن العربي أولا إلى أمريكا الشمالية إما فلوريدا أو تكساس ثم أوروبا فالدول العربية ، وبعدما استراح بضعة أيام في قاهرة مصر نزل مدينته الكبيرة الثعبانية وهي عاصمة كبيرة ، ومركز القطر حيث المطارات ، والضواحي الكبيرة ، ومراكز الثقافة والعلم والجامعات والمدارس الكبيرة ، فوجد عرفان أن البلاد قد تغيرت شوارعها ، وكبرت عمارتها ، وزادت سيارتها ، وتطورت المدينة كثيرا .. فاشترى جبلا يبتعد عن قلب العاصمة ساعة في السيارة المعتدلة السرعة ؛ ولكنه من ضمن حدود العاصمة ، وطلب من مكتب هندسي رسم مخطط لإنشاء قصر عظيم وضخم .. ثم أجرى اتفاقا مع إحدى شركات الإنشاء والعمران لإقامة البناء وتشييده ، وقد وقع عقدا مع

مكتب محاماة ليكون وكيلا عنه في متابعة البناء والإنفاق عليه ومراسلته ، وخلال هذه الزيارة لم يحاول عرفان الاتصال بإخوته أو حتى معرفة أخبارهم ، فكأنه نسيهم تماما ، وحتى لم يحاول السؤال عن أولاد أخته أمينة ، إنما كان دافعه الرئيس لإنشاء القصر الحنين والشوق للوطن ، ولما رتب إنشاء القصر رجع لبلاده ، وبعد عامين اكتمل بناء القصر على قمة الجبل كما أحب ورغب.

وقد أحيط بالأسوار العالية ، والأنوار الباهرة ، وغرست فيه الأشجار، وأحواض الأزهار ، وتم إنشاء شارع معبد يمتد من القصر حتى شارع الحكومة الرئيسي ، وأطلق عليه العمال قصر الفنزويلي ، ولم كمل العمل قام عرفان بزيارته ومشاهدته حجرة حجرة وقاعة قاعة ، ورتب أمر فرشه بأجمل الأثاث ، وأفضله في ذلك الوقت ، ورتب له الخدم والحرس والطهاة ، كل ذلك بمساعدة وكيله مكتب المحامي حميد عز الدين ، وكان كل هؤلاء يقبضون مرتباتهم عن طريق الوكيل حميد ، وقد أصبح القصر مضافة وفندقا لكل ضيوف عرفان ومحبيه الذين ينزلون الشرق الأوسط للسياحة وحضور المؤتمرات والاجتماعات والندوات ، ثم قام عرفان بإنشاء شركة مع بعض رجال الأعمال الذين تعرف عليهم عن طريق المحامي حميد ، وبدأ يخطط لإقامة المزيد من المشاريع والاستثمار في هذه الدولة وقد وجد تعاون إدارة البلاد العليا معه ، ولم يحاول عرفان ذكر أي شيء لمن التقى بهم من أهل البلد عن حياته الماضية والطفولة والمراهقة في هذه المدينة التي شهدت ولادته ، بل لم يحاول الالتقاء بأحد معارفه وأصحابه أيام الطفر والإفلاس والجوع والتعري ، ولابد أنهم أصبحوا أشباحا في ذاكراته ، وكان يخطف نفسه في كل زيارة للقطر لزيارة قبر والده الذي مازال يذكره ، وكذلك قبر أمه، وكان كثير من رجال الأعمال الذين تعامل معهم في هذا البلد يظنون أنه غير مسلم ، ولكنه مستثمر من أصل عربي.

وكان عرفان بعدما اكتمل قصره الواقع على جبل الأعمدة في الثعبانية قد صار ينزل كل سنة أو سنتين للحياة فيه ، ويتفقد الاستثمارات والشركات التي أنشأها في موطنه الأصلي ، ويستقبل محبيه وشركاءه ، ولا ينزل الفنادق الكبيرة ذات النجوم الخمسة ، ويلتقي بمحاميه حميد عز الدين

أو مساعديه وشركائه في المكتب ، وكان المكتب يوافيه بتقارير مجالس الإدارة في الشركات ، وتقارير شركات التدقيق المالي ، وكان يرافقه أحيانا في بعض الرحلات سكرتيره الفنزويلي السيد ارباس سبرانتو ، وكان من هوايات السيد عرفان والتي شغف بها جمع المجوهرات النادرة وينافس كبار الأثرياء في العالم للحصول عليها وابتياعها ، بل كان مغرما بهذه الهواية ، وكان يواعد تجار مثل هذه النوادر والالتقاء بهم في قصر جيل الأعمدة في مدينة الثعبانية ، ويعقد معهم الصفقات ، ويؤمن لهن الرحلات لتلك البلاد من أقطار الدنيا على نفقته الخاصة ، وينقلون إلى قصره بسيارات خاصة ذات مواصفات دقيقة وأمينة وحماية شديدة ، وقد عرفه كثير من رجال الأعمال والمال في الوطن ، وأصبح معروفا خلال سنوات على مستوى كبار رجال البلد ، وتنشر الصحف المحلية أخبار مجيئه وسفره ونشاطه واجتماعاته مع كبار الشخصيات، ويقوم هؤلاء بزيارته للسلام عليه والترحيب به عند مجيئه ، ودعوته للغداء أو العشاء وسهراتهم ولكنه يعتذر لاعتلال صحته في الآونة الأخيرة ، وعدم تعاطيه للخمر، وعدم ميله للسهر ، بل فاجأ محاميه يوما بأمره بتشييد مسجد جميل في أحد أحياء العاصمة الراقية ، مما ادهش محاميه الذي اضطر لمصارحته بهذا الأمر وقال له عرفان الفنزويلي كما اشتهر بذلك : أنا مسلم مثلك أيها الرجل ، وعربي مثلك.

فقال المحامي حميد العجوز : أنا أدركت أنك عربي منذ سنوات ، منذ بدأنا وتعارفنا، ولكنك لم تتحدث يوما عن عربيتك ودينك ، بل ظننت أنك من نصارى أو يهود العرب أيها السيد الكبير

فقال عرفان متبسما : اسمي يدل على عربيتي.

فقال المحامي : هو الوحيد الذي يدل على أنك عربي ؛ ولكن باقي الاسم فنزويلي كما هو في جواز سفركم ..ولكني عرفت أنك عربي أيضا من سكرتيرك سبرانتو .. ، ولكنك تتحدث معنا بالإنجليزية وتتحدث معه بالإسبانية.

فتظاهر عرفان بالابتسام ثانية وقال : لقد درست الثانوية والجامعة هناك .. وأنا أترك كل أقوالي وأفعالي لارباس فهو صديقي منذ أكثر من عشرين سنة.. وأنا صحتي منذ سنوات تحتاج لرعاية

خاصة من أجل ذلك يرافقني الطبيب باستمرار .. وأنا يا أستاذ حميد ابن هذا البلد .. هاجرت منه شابا صغيرا دون العشرين سنة .. بسنة أو أشهر .. ولي ما يزيد عن خمس وثلاثين سنة في فنزويلا .. أنا مسلم مثلك.

هذا ما استطاع أن يسمعه المحامي حميد من الثري العربي الفنزويلي بعدما تم الاتفاق على بناء المسجد .. وأخذ يشرف على تجهيز المستشفى الذي أنشأه السيد عرفان في ضاحية من ضواحي الثعبانية.



مضت عشر سنوات على عودة عرفان لوطنه ومسقط رأسه ، وقام باستثمارات متنوعة ومهمة في البلاد ، وذات يوم وهو نزيل القصر قصر جبل الأعمدة قال لسائقه الخاص وطبيبه اللذين يرافقانه في طائرته الخاصة من كاركاس إلى هذه البلاد عبر مطارات أوروبا : أنا لي ذكريات في هذه البلاد ، ومن أجل ذلك أحب التردد على هذه المدينة فأمكث شهرا أو أكثر .. إن الحنين يدفع بي إلى مسقط رأسي ، رغم أنني لم أر بها يوما جميلا .. منذ وعيت على هذه الدنيا وأنا أرى المشاكل والصراع بين أبي المريض وزوجتيه أمي رحمها الله وضرتها .. ماتت أمي وأنا ابن اثنتي عشرة سنة ، ولما كبرت وأصبحت أملك بعض المال مات والدي ثم أختي الوحيدة ـ ومسح دمعات سالت على خديه ـ لم يبق لي أهل هنا .. وإنما أحب أن أزورها وأنام تحت سمائها .. والله لا أدري بالضبط لماذا ؟! وهمس لنفسه هل أستطيع معرفة مصير إخوتي الظلمة ؟ أو أبناء أمينة ؟ ..أمينة الحبيبة ، ورفع صوته فقال: آ.. أختي أمينة ـ رحمها الله ـ لها أبناء .. نعم ، لها أبناء .. ماتت عند ولادة الابن السادس .. أمينة ما زلت أذكر اسمها.. ما اسم زوجها ؟ قد غاب عن ذهني.. أريد أن أزور أولاد أختي وأتعرف عليهم .. هل يذكرون خالا لهم رحل قبل أربعين سنة ؟ إنني مشغول الفكر بهم منذ حين .. ولكنني كرهت الماضي كله.. سيعودون بي للماضي

.. بي حنين وشوق لرؤية أطفال أمينة .. لقد أصبحوا كهولا اليوم ..أريد سائقا من أهل هذه المدينة يمكث معي يوما أو بعض اليوم أبحث عنهم عن حارتهم أو حارتنا.

حاول الطبيب منعه من هذه التحركات بنفسه خوفا على صحته ، فقد زاد تعب القلب منذ أتى المدينة منذ أيام مضت ، آثار الزمن بدأت تظهر عليه ؛ ولكنه عزم وأصر على لقاء أبناء أخته .. فهو يتذكر أن لها ولدا اسمه أحمد ، وبنتا اسمها فريدة ، ولا يذكر أسماء غيرها عندما كان في البلد .. وتردده عليها بعد موت أبيه وقبل موتها ، تكلم السائق الفنزويلي بارباريسكو مع المحامي حميد ، وحدثه برغبة السيد الكبير عرفان رشيدي فقال المحامي قلقا : ألا يخشى على حياته الضعيفة ؟

فقال السائق : الطبيب يحثه على عدم تحقيق هذه الرغبة وأن يقوم بها آخرون.. ونحن خائفون عليه من أعدائه وحساده أيضا.

ـ أتخشون عليه الاغتيال ؟! .. هذا أمر خطير!

فتبسم السائق وقال : لا تخلو حياة رجال الأعمال الكبار من هفوات وأعداء يا سيد حميد.

ـ نطلب حماية البوليس..

ـ لا ، فحراسه معه .. وهو يريد أن ينزل بسيارة عادية عامة .. فنريد سائقا محليا كبيرا في السن له معرفة في المدينة وشوارعها القديمة .. دبر ذلك السائق العتيق.. ولا تخبره بالمهمة المطلوبة نحن نخبره .

استقبل السيد عرفان في قصره ليلا المحامي ، وبرفقته سائق سيارة كهل أمضى جل عمره في العمل على خطوط النقل العام ، وكان المحامي قد شرح له نوع المهمة التي سيقوم بها فرضي بذلك ، وأبدى استعداده لمساعدة السيد عرفان في عملية البحث .. وقد رفض السيد عرفان ذكر أسماء للسائق ، بل أصر على الركوب والنزول معه وزيارة الحي الذي ولد وترعرع فيه قبل ستين سنة .. فانصرف المحامي وقضى السائق ليلته ضيفا على السيد عرفان ، فاستمتع بما في القصر من خيرات ومتع دنيوية ، وسهر مع بعض الحراس العرب ، وسمع منهم ما يعرفونه من

معلومات عن الثري الفنزويلي القاطن على هذا الجبل ، ولما أصبح الصباح ركب عرفان إلى جوار السائق بعدما ذكر له اسم الحي فقال السائق: هذا حي قديم جدا يا سيدي .. لقد قامت الدولة قبل سنوات بعيدة بهدمه وإعادة تنظيمه ، وإقامة حي جديد مكانه .. ولكنني أعرفه كان يركب معهم في السيارة سائق عرفان برباريسكو ، وأحد حرسه الفنزويلي (سيمون توفازي) فقال عرفان بعربية : سر بنا للحي القديم .. لعلي أتذكر اسم زوج أختي.

بعد ساعة من السير في السيارة ، وقف السائق العجوز أمام مدخل شارع مزدوج ، يكاد أن يسع سيارة واحدة فقط في كل اتجاه ، وكان على رأس الشارع محل سوبر ماركت وقال السائق لهم : هذه بداية هذا الحي الذي ما زال يحمل نفس الاسم القديم .. حي البراغمية

هتف عرفان فرحا : البراغمية ! .. حي البراغمية ! .. أذكر أن أكثر عائلات الحي تحمل هذه الاسم .. فمن أجل ذلك سمي الحي باسمهم .. وإن كنا نسميه أحيانا بحارة السعدية.

فقال السائق بنوع من الذهول : قبل أربعين سنة يا سيدي كنت صبيا تلعب وتسكن في هذا الحي!

ابتسم عرفان وقال ساهما : ألعب ! .. نعم ، كنت ألعب قبل موت أمي .. أمي رحمها الله .. نعم أيها الرجل الطيب .. كنت ابن هذه الحارة .. ولكنها تغيرت تغيرت البيوت .. وعُبد شارعها الترابي .. وتغيرت دكاكينها .. والدنيا دول يا بني! .. هنا بدأت الحياة وقسوة العيش عليّ ..الحق أن الدور والمباني مختلفة كثيرا عما أعرف .. ادخل في كل الشارع قبل أن تسأل عن بيت والدي أبي زياد .. كانوا ينادونه أبا زياد .. هذا اسم بيت والدي .. لقد نسيت أسماء الجيران.

قطعت السيارة الشارع حسب رغبة عرفان حتى وصلت منتهاه ، فقال عرفان : الآن اسأل عن بيت أبي زياد الرشيدي.

أوقف السائق أبو خليل السيارة أمام أحد المحلات ، ونزل يسأل عن منزل رجل مات قبل أربعين سنة أو أقل بسنوات ، فرد صاحب الدكان أو الشاب العامل فيها : الرشيدي!.. لا يوجد أحد من آل الرشيدي في هذا الشارع.

وقد كان رجل عجوز يجلس على مقعد مريح في داخل المحل ، فنهض وتقدم نحو باب الدكان وهو يقول : من الذي يسال عن آل الرشيدي ؟!

فتنحنح السائق وقال : مرحبا بك يا عمي الشيخ .. نحن نسأل عن دار الرشيدي أبي زياد يا عم .. هل أنت من السكان القدماء في هذه الحارة ؟

فقال الرجل : أجل ، يا ابني .. ولدت هنا وكبرت هنا وقد أموت هنا .. وأنا لما سمعتك تسأل عن أبي زياد الرشيدي عادت بي السنون والذكريات.. لقد كانت هنا أسرة من دار الرشيدي يا سيدي.

ـ أخوك أبو خليل صاحب هذه السيارة يا عم .. ثم أشار أبو خليل للسيد عرفان الجالس في السيارة وقال : معي رجل غريب .. ضيف على البلد يسأل عن أبي زياد الرشيدي في هذه الحارة وهذا الشارع بالذات.

فردد العجوز : ضيف .. أهلا وسهلا ولكن الرشيدي الذي تسأل عنه قد مات منذ عهد بعيد.. ولولا أحفاده لنسيت آل الرشيدي .. فقد خلع ورحل أولاده وبناته من الحي قبل موته بسنوات.

فقال السائق : صح .. هو أيضا يقول أن الرجل قد مات ، ولكن لهذا الرجل الرشيدي ابنة تدعى أمينة وتنادى بأم أحمد.

فقال العجوز بفرح : نعم ، نعم .. أم أحمد ..هم فقط من بقايا أحفاد الرشيدي من جهة ابنته أمينة مازالوا يقطنون في هذا الحي .. إنها امرأة فاضلة أتريدونها ؟

ـ بالتأكيد نريدها.. فالضيف الغريب قريب لها .. هو يريد أولادها ؛ لأنه كما قيل له بأنها ماتت هي الأخرى .

بهت العجوز وقالت : ماتت! ومتى ماتت أم أحمد ؟! منذ يومين رأيتها .. أمينة بنت ناصر الرشيدي ماتت .. أمينة ماتت لم نسمع بذلك.

توكأ الرجل على عكازه وتبع أبا خليل نحو السيارة ، وكان أبو خليل قد سبقه يشرح الموقف

للسيد عرفان الذي اضطرب وتغير لون وجهه ودقات قلبه حتى خاف السائق والحارس عليه وكان عرفان قد وضع يده على قلبه وقال : لا تخافوا .. إنني أخشى من مفاجأة !.. فأبو خليل أتانا بكلام غريب من هذا الرجل.

تقدم الرجل الكبير في السن وصافح السيد عرفان ، وهو يقول باستغراب : من قال لك أيها الرجل أن أم أحمد ماتت ؟! .. نحن جيران ولم نسمع بذلك.

فقال عرفان وهو في حالة اضطراب : علمنا بذلك يا سيدي .. علمنا بموتها منذ عهد بعيد!

فقال الرجل : إنها لم تمت الذي مات بعلها .. ولم يمت من عهد وزمن بعيد إنما مات من سنوات قليلة .. من أنتم ؟!

فقال عرفان : دلنا على بيتها .. ونحن لك من الشاكرين .. فأنا صديق أخ لها من بلد في أمريكا اسمها فنزويلا.

فقال الرجل : سمعنا بهذا البلد .. فنزويلا .. أخوها عرفان .. لقد قيل لنا أنه قد مات منذ أربعين أو خمسين سنة.

ردد عرفان دهشا : مات !! ومن قال لكم ذلك ؟

فقال العجوز : ستعرف ذلك منها .. أنا صديق والدها ووالد زوجها الحاج أحمد حماضي.

هتف عرفان كأنه تذكر فقال : أجل أيها الرجل الطيب ! .. آل حماضي وزوجها اسمه داود حماضي.

فقال الرجل : صدقت ..هل أنت قادم من طرف أولاد عرفان.. لابد أنه تزوج بعدما طلق ابنة خالد سنارة ؟

فقال عرفان : اصعد أيها الرجل الطيب ، وخذنا إلى بيتها ، وستعرف من نحن عندما نراها.

فركب الرجل بجوار الرجلين الحارس والسائق ، وساروا حسب إرشادات الرجل حتى وصلوا إلى عمارة مكونة من عدة طوابق ، وأمرهم بالوقوف أمامها وهو يقول : هذا العمارة لهم .. دعني أطرق الباب عليها.

فقال عرفان وقد بلع بعض حبات الدواء : افعل أيها الشيخ الطيب.

قام أبو خليل بفتح الباب له فنزل رويدا رويدا من السيارة ، وتقدم نحو مدخل العمارة وضغط على الجرس وهو يتمتم : أرجو أن تكون في البيت.

وسمعوا صوتا يقول بواسطة جهاز هاتف الباب : من ؟

فقال الرجل : أم أحمد .. هل هي موجودة .. أنا أبو سالم عمكم أبو سالم ؟

فقال الصوت : تفضل بالدخول يا أبا سالم.

فرد : لا أريد الدخول أين أمكم ؟

الصوت : إنها غير موجوده الآن هل تحب أن نبلغها شيئا ما ؟

قال أبو سالم : يا ابني هنا رجل غريب من فنزويلا صديق لخالكم الميت عرفان الرشيدي هو الذي يريدكم ويسأل عن أمكم.

فقال الصوت : انتظر يا أبا سالم.

بعد لحظات أقبل شابان صغيران فسلما على أبي سالم ورجال السيارة وهم في حيرة فقال أحدهم : ما الأمر ؟!

فقال أبو خليل : هذا الرجل غريب ، ويسأل عن أمكم أم أحمد ، أين هي ؟ وهو قادم من فنزويلا.

فقال أحدهم وهو ينظر للرجل باستغراب : أنا ابنها وهذا حفيدها.

فصافحهم عرفان وقال : أين أمكم أو جدتكم ؟

ـ خرجت في حاجة و..

ـ متى تأتي ؟

ـ لا ندري .. هل من شيء ؟!

قال : لا تقلقوا .. سيمر عليكم هذا الرجل ـ أبو خليل ـ فأرجو أن تأتوا معه بها وبكم فأنا صديق لخالكم عرفان ناصر.

فقال الابن : عرفان ـ رحمه الله ـ ما الذي أتى على ذكره هذه الأيام ؟

ـ عندما تأتون سوف تعرفون .. وإذا لم تأتوا انتظروني غدا صباحا سأمر عليكم سلموا على أمكم كثير السلام .. وأنا في انتظاركم مساء.

وودع عرفان الرجل العجوز أبا سالم ، وعادوا للقصر والأفكار تلعب بعرفان والسؤال الذي يتردد على عقله وقلبه : من الذي أرسل له بخبر موتها وأخبرها بموته ؟! .. هذا لغز يحتاج لحل وكشف.



ظهور عرفان

لما علمت أم أحمد العجوز التي قفزت عن الستين عاما بزيارة الزائر الغريب القادم من فنزويلا من طرف أخيها عرفان استغربت ذلك واحتارت .. ما الذي ذكر هذا الغريب بهم بعد هذه العقود الأربعة ؟! .. فاتصلت بابنها الدكتور أحمد وابنتها الطبيبة فريدة وجمعت أفراد الأسرة لمناقشة ذلك ، فلقد أنجبت هذه المرأة سبعة أنفار بين ذكور وإناث ، وأصغر أولادها الشاب الذي التقى بالسيد عرفان وهو طالب بالجامعة ، وكذلك ابن أخيه أحمد ، فلما اجتمع الأبناء وسمعوا قصة الرجل القادم من وراء البحار يسأل عن أمهم شرقوا وغربوا حتى قال أحمد : عندما يأتي أبو خليل سنعرف المزيد عن هذا الزائر الغريب .. فخالنا منذ وعينا على الدنيا .. ونحن نعلم بأنه مات في حادث في بلاد الغربة في أمريكا اللاتينية وانقطعت أخباره .. فمن هو هذا الرجل الذي يعرفه ؟! أتظنون أن له أبناء تذكروننا الآن .. ربما ؟!

ولما اقترب الغروب كانوا على أحر من الجمر في انتظار السائق أبي خليل ، وجاء أبو خليل مع الغروب فما كاد يضغط الجرس حتى كان الدكتور أحمد يستقبله ويرحب به ويدعوه للدخول لشرب الشاي أو القهوة ، فاعتذر الرجل وبين لهم لهفة الرجل على لقائهم ، فقال له الطبيب : يا أبا خليل .. ماذا يريد هذا الأجنبي من أمنا ؟!

ـ لا شيء .. سوى التعارف ، وهو في انتظاركم ، واطمئنوا فهو رجل فنزويلي .. رجل عظيم وثري ، وله قصر هائل على قمة جبل الأعمدة .. فلا تقلقوا من جهالته فهو معروف على مستوى كبارات ورجال البلد .. هيا المهم أمكم .. هو يريد الوالدة على الأخص.

ـ الأمر مربك وغريب يا أبا خليل!

ـ بل سار لكم ، وهو مشتاق لكم ، وستسرون من لقائه فهو رجل محترم وكريم.

فصعد الدكتور وتحدث مع الأسرة ، فنزلت الأم والأخوة الذكور ، فركب الدكتور أحمد بجانب أبي خليل ، وأمه وأحد الأخوة في المقعد الخلفي ، وركب أخوان في سيارة الدكتور أحمد ، وانطلقت السيارتان نحو قصر الفنزويلي الكائن على جبل الأعمدة ، وبعد مسير استغرق ساعة

أشرف القوم على بوابة القصر الضخمة ، ولما رأى الحارس أبا خليل السائق، فتح لهم الباب ، فدخلوا القصر وأغلق ورائهم الباب .. كانت أمينة متوترة ويكاد قلبها يقفز من صدرها ، وبعد دقائق كانت السيارتان تقفان أمام درجات من الرخام في مدخل القصر .. وكان السيد عرفان يجلس على مقعد على بسطة في أعلى الدرجات ، وحوله رجاله ، فلما فتحت السيارة ونزل أبو خليل يفتح لهم الباب ، وقف عرفان يراقب النازلين .. وعلى ضوء الفوانيس الساحرة شاهد عرفان أخته أمينة حية التي كان يعيش كل هذه السنوات على أنها ميتة .. وأمينة لما رأت عرفان ازداد خفقان قلبها .. واضطربت ساقاها .. فأمسك بها أحمد وآخر ، والتقى الأخوان على منتصف الدرج وهتف عرفان مضطربا: أختي أمينة!

هتفت أمينة : أخي عرفان!

وتعانق الأخوان عناق الأحبة والذهول ، وعرفان يهمس : أخبروني أنك مت أثناء الولادة !

ـ أخبروني أنك مت بحادث سير ودفنت هناك!

وتقدم الشباب يصافحون خالهم ويعانقونه ويلتزمونه ، وهم يذرفون الدموع مثلهم ، وهم في حيرة واستغراب من هذا اللقاء ، وتقدموا إلى إحدى قاعات القصر ذات الأثاث والفراش الوثير والمزينة بالزخارف والأنوار المثيرة والجميلة ، وجلسوا فيها ، وقص عرفان مختصر حياته على أخته والبرقية التي أتته فيها نعيها ، ثم غرقه في حياة المجتمع الفنزويلي ثم قال : لي عشر سنوات أتردد على هذا القصر وعلى هذا البلد .. وأنا أعتقد أن أمينة ميتة وفقدتها كما فقدت أمي وأبي .. لم أسأل عن أحد ؛ إنما أحيانا أخطف نفسي وأزور قبر أمي وأبي .. نسيت إخوتي وأخواتي من زوجة أبي أم زياد .. حتى وقع في نفسي لقاء أولاد أمينة بعد كل هذه السنين .. كنت لا أريد أن أرجع للماضي .. وهو الذي دفعني لبناء هذا القصر .. الحنين للبلد يا أمينة.

وأمضى الأخوة ساعات طويلة بالحديث والذكريات ، وسر عرفان من كفاح أخته في تعليم أبنائها ، وعزاها في زوجها داود عندما جاء ذكره ، وفرح وسر من أولاد أمينة الأربعة ـ أحمد وسعيد ومحمود وخضر ـ وتمنى رؤية البنات ـ فريدة وسعيدة وسعدية ـ والأحفاد ، ولما أراد

الأولاد الانصراف أصر على بقاء أخته معه هذه الليلة ، فوافق الأولاد على تحقيق رغبة خالهم ، وانصرفوا وهم مسرورون لمقابلة الذي كانت أمهم تحدثهم عن صبره وجهاده مع أبيه .. فقد ترك المدرسة واشتغل بائعا في مواقف ومحطات السيارات والباصات والحافلات لتوفير المال لشراء الدواء والمصروف للأسرة ، ثم عمله خادما في الفندق ، ثم رحيله إلى كاركاس ، ثم انقطاع أخباره بعد زواجه من مجدية ابنة الحي وطلاقها.

ولما أصبح النهار كان الأولاد السبعة وأزواجهم في قصر الفنزويلي يتعرفون على خالهم وجدهم ويتناولون الإفطار على مائدته ، وكان عرفان قد طلب من سكرتيره ارباس بتحويل مائه ألف دولار ووضعها في حساب لأخته أمينة، واتصل بالمحامي حميد وكلفه بشراء فيلا كبيرة في حي حديث الإنشاء بأي ثمن وبأسرع وقت ، وهو يقول لأمينة : أنا أعرف أن المال لا يعوض السنوات التي ابتعدنا بها عن بعض ؛ ولكن هذا أقل القليل أقدمه لأختي الحبيبة.

وغمر الفرح عرفان وهو يلتقي بأسرة أخته البنات والأولاد والزوجات والأزواج ، وقدم للجميع الهدايا الذهبية ، وطلب منهم أن يسمحوا ببقاء أمهم عنده حتى ينصرف لفنزويلا ، فميعاد سفره قد اقترب ، وقبل سفره بيومين جاءت امرأة تطلب مقابلة السيد عرفان ، وكان برفقتها رجل فاعتذر عرفان عن مقابلتهم، وأن وضعه الصحي لا يسمح له بذلك ؛ ولكن الحارس أخبره أن المرأة تدعي أنها كانت زوجته قديما .. فلما سمع ذلك تذكر مجدية سنارة .. الزوجة التي عاشت معه سنة واحدة ، فأذن لها عرفان بخمس دقائق ، وأدخلها أحد الحرس إلى غرفة أشار إليها عرفان ، ولما دخل عليها وجدها تتفرج على مناظر معلقة على الجدران ، فلما سمعت صوته استدارت إليه وقالت : والله يا عرفان .. كل هذا الغنى غارق فيه ..! هذا ابني.

وأشارت إلى رجل متهالك على أحد الكراسي ، مبعثر الشعر ، ساهم العين، رث الثياب ، والذي لم يهتم بدخول عرفان ولم ينهض للسلام عليه ، فنظر إليه عرفان ممتعضا ثم قال : أهلا آ.. يا مجدية .. ماذا تريدين من طليقك القديم؟! .. ألم تكرهيني على الطلاق يا ابنة الناس؟

فردت قائلة : بلى .. كانت الحياة هناك كالجحيم .. أو الجحيم نفسه.

فقال متهكما : الحياة هكذا تكون بدون الحبيب ! .. ماذا تريدين ؟

فقالت محاولة الحزن : مات الحبيب وترك ثلاث بنات ، وتزوجت آخر وطلقني ، ثم تزوجت رجلا كبيرا ومريضا ، وأنا على ذمته الآن.

عاد عرفان المتحفز للانصراف يسأل : ماذا تريدين مني ؟

فقالت : أترى هذا الشاب الجالس ؟

فقال : نعم ، قد رأيته .. يبدو أنه أحمق مثلك.

فقالت بقوة : إنه ابنك .. ومن صلبك.

قهقهة عرفان وقال : أعتقد أن الخمس دقائق انتهت.

وضغط على زر فدخل الحارس فقال له : اصرفها .. ودع ارباس يدفع لهذه المرأة ألف دولار لأنها كانت على ذمتي في يوم ما .. مع ألف سلامة.

فصاحت : لا تعجل يا عرفان .. والله العظيم إنه ابنك!

فصرخ بها : ابني !.. من أين أتى هذا الابن ؟! .. اخرجي.

وخرج ولم يحب أن يسمع التفاصيل ، فقادها الحارس حيث السكرتير الذي أعطاها شيكا بألف دولار ، فرمته في وجهه وانصرفت هي وولدها ، وكانت قد تركت في غرفة الاجتماع مظروفا ذكرت فيه قصة هذا الابن.

فلما عرف عرفان بالمظروف الذي تركته أخذه وقرأه وكان فيه ، أنها اكتشفت بعدما عادت للوطن بأنها حامل ؛ ولكن لحبها الشديد لجاسم تظاهرت بأنها غير حامل ، ولما انتهت شهور العدة الثلاثة تزوجت على أنها غير حامل ، ولا يعلم بذلك إلا هي وجاسم ، وقد وافق جاسم على أن يحمل الطفل اسمه ، وهذا ما كان ، ولما انتشر وشاع خبر موت عرفان نسيت أنك أبوه ومضت الأيام تحمل هذه الأسرار حتى علمنا بحياتك ، فكان يجب أن تعرف الحقيقة.

قرأ عرفان هذه الرسالة ، فاحتار بما فيها من أخبار وإعلام وصحة المعلومات الموجودة فيها ، فهو يعلم أن زوجته كانت غير راغبة بالحمل منه.. فكيف حملت ؟! ولم يطل التفكير فهو على

موعد سفر ، ولما أتت أخته في المساء مع أولادها ليودعوه ـ فقد كانت خرجت أمينة لقضاء أمر ـ فخلا بها عرفان وحدثها بزيارة مجدية وقصة الولد ، ورفضها المساعدة فاستغربت أمينة هذه الأخبار ، وإن لم تنكر أن مجدية وضعت مولودها الأول ، كما سمعت وسمع الناس قبل إكمال الشهور التسعة للحمل ، وأثار ذلك حولها لغط الناس وإشاعاتهم.

فرحل عرفان لفنزويلا وهو يحمل هذا الهم الجديد والغريب، وكيف سيتأكد من هذه البنوة ؟! ولعن الساعة التي تزوج بها تلك المرأة الشيطانة ، فلما دخل القصر الذي يقطنه في منطقة لا لاجوتيينا حيث القصور والفيلات الضخمة التي تتجلى فيها أشكال المعمار الحديث، وتقف على حافة منحدر جبلي لتشرف على المدينة كلها ، دخل عرفان القصر وهو مشغول العقل والفكر والفؤاد بما سمع وقرأ عن بنوة شاهر ، فكان يقول لنفسه: لم يتكلم الولد أثناء الكلام لزم الصمت .. وهيئته تدل على بؤسه وتعاسته .. لزم الصمت لماذا؟! حتى عندما طردهم الحارس ظل صامتا .. هل يمثل دورا ما أم هو مثلي غير مصدق بأنه من صلبي؟! .. لذا لزم السكوت ليرى رد الفعل لديّ.

وبعد أن اطمئن على الأعمال والشركات التي يديرها أولاده العشر المنتشرين في كاركاس وغيرها من المدن المهمة في البلاد كـ ماراكايبو ، وجرمانا ، وكولونيا توفاز، وميريدا ، اتصل بصديق له منذ البدايات الأولى في هذه المدينة، وحدثه بذلك السر العجيب ، ولما استفسر الصديق عن سبب صبرها كل هذه السنين على الكتمان ، فقال عرفان : الحياة كلها غرائب !.. لقد أشيع عني قديما أنني مت منذ السنوات الأولى لي في هذه البلاد ، ولما عرفت بحياتي في الزيارة الأخيرة لي للبلد .. أتت واعترفت لي بذلك الحمل وبتلك الجريمة .. وحتى لو عملنا فحوصات الدم وفصائل الدم والجينات سيبقى الريب في نفسي .. هذه سنوات طوال أربعين سنة .. قتلتني قتلها الله ! .. هذه الحقيقة لا يعرفها إلا هي وزوجها .. وهي تقول أن زوجها قد مات .. وأكدت لي أختي ذلك .. أختي التي وجدتها بعد أربعين سنة .. فقد أكدت لي ترملها من السيد جاسم .. فما العمل ؟!

فقال الصديق القديم الدكتور سيرجي باربوسا : لو تمت فحوصات معينة قد تتبين الحقيقة من زمر الدم والجينات ؛ ولكن يبقى الريب والشك في النفس لأن نصف جينات الولد من الأم .. والزوج الذي رضي بإعطاء اسمه لحمل عشيقته فقد هلك ، وكلام الزوجة وحده غير مطمئن.. فلديّ فكرة ! فعليك أيها الصديق الكبير بالاستعانة بمكتب تحريات بوليسية خاص ليجمع لك أكبر كمية من المعلومات عنها ، ومن اليوم الذي طلقتها فيه ، وعن أسرتها وأحوال البيت وعلاقة الأب الميت بالابن شاهر ، وموقف أهلها من ولادتها المبكرة .. وهل كانت علاقة شاهر بأبيه جاسم علاقة حميمة أم علاقة سيئة تدل على التنافر والصراع ؟ .. دراسة لحياة الأسرة والبنات والزوج الثاني والثالث .. لعلنا من سيرة حياتهم الوالد والأم نصل إلى شيء .. هذا حل .. وهناك حل آخر يا عرفان أن تعرض عليها مبلغا مغريا من المال لتقول الحقيقة .. فإغراء المال قد يساعد أيضا في معرفة الصدق .. ويمكنك الإتيان بالولد هنا وسماع أقواله فلابد أنه يعلم شيئا من ماضي أمه.

بعدما استمع عرفان لكل أفكار صديقه الدكتور سيرجي قال : سأكتب لصديقنا المحامي حميد رسالة ليكلف مكتب تحريات خاصة بهذه القضية .. ويحاول تسفير شاهر فيما بعد إلى هنا وبعد لقائنا بشاهر سنعرض المال على تلك الآثمة .. تلك المجرمة .. لم تصبر عن عشيقها حتى تضع الحمل .. تزوجت متظاهرة بأنها بريئة الرحم .. صدق يا صديقي لولا كلام أختي أمينة عن الإشاعات التي رافقت حملها وولادتها حول المولود الأول لمجدية لما فكرت بكل ذلك .. فهي التي حرمتني من البنوة والأبوة .. مكثت عندي سنة وهي تصر على رفض الحمل .. لولا تلك الإشاعات لما اهتممت بكلامها إلى آخر العمر ؛ ولكن قد قيل إنه ابني.

كتب عرفان رسالة مفصلة للمحامي حميد ، الذي دهش لمطالب عرفان، واستغرب من تلك القصة ، ولما جلس مع الدكتور أحمد وسمع منه قصة زواج عرفان من مجدية خالد جارة العائلة فهم اللغز والإشكال ، والتقى المحامي حميد نفسه بمجدية ، وأخذ منها بعض المعلومات الأولية ثم زار مكتب تحريات خاصة يديره المفتش الشرطي المتقاعد حمزات عالبوه ، فشرح له القضية

المطلوب جمع المعلومات عنها ، فوافق المكتب على القيام بهذه القضية بعدما اطلع على المعلومات والأشخاص المطلوب التحري عنهم ، وقال المحامي : خلال شهر يا سيدي أريد أن يكون بين يدي ملف مفصل عن هؤلاء الأشخاص.

ولما اتفقا على الأتعاب ، وقع المحامي على العقد ، ودفع مبلغا مقدما ، وانصرف شاكرا لمكتب التحري تعاونه واستعداده لجمع المعلومات المطلوبة.



تقرير المكتب الخاص

كان عرفان ناصر ينتظر تقرير مؤسسة التحري في الثعبانية حول الأشخاص الثلاثة مجدية وشاهر وجاسم ، لذلك لما اتصل به المحامي وأخبره أن التقرير في الطريق إليه بواسطة البريد فزاد توتره وترقبه ، وكان كل من يراه يدرك أنه في قلق واضح حتى أن أولاده في حيرة من أمره فهم لم يطلعوا على المشكلة التي يعاني منها منذ عاد لقصره في فنزويلا ، وقد عجبوا من كثرة سؤاله عن البريد القادم من وطنه الأول ومسقط رأسه ، وقد حاول بعضهم الحديث معه في الموضوع ، فصدهم وطلب منهم عدم الانشغال به ، وعليهم الاهتمام بمصانعهم وشركاتهم ، ولما أتى التقرير وفض مغلفه ـ كان يجلس في مكتبه الخاص داخل القصر ـ طلب من الخادم عدم إدخال أي مخلوق عليه ، وأغلق خطوط الهاتف ، وأخذ يقرأ ما جاء في تقرير شركة التحريات الخاصة فوجد : السيدة مجدية سنارة كانت قبل زواجها من ابن الجيران المهاجر عرفان الرشيدي على علاقة عاطفية قوية مع الشاب جاسم سرور بزة ، وكان ذلك في نظر أهلها حب مراهقين ، فلم يكترثوا له ، وإن حاول بعض إخوتها وقف هذا الحب بالشجار مع الشاب جاسم ، وأحيانا بإهانة الفتاة ، لكن الحب المزعوم استمر بين الشابين ، ولما تقدمت أخت السيد عرفان ـ السيدة الفاضلة أمينة ـ لطلب يد الفتاة لأخيها عرفان من والدي مجدية رحبوا بذلك ، رغم رفض الفتاة الزواج ، وقد علمنا ممن عاصر هذه الأحداث ، كأمها وبعض إخوتها أنهم أمام إغراء المال والسعادة المنتظرة ضغطوا كثيرا على البنت للموافقة على هذا الزواج ، بل هدد أحد الأولاد بقتل جاسم أو المكر به إن لم تتزوج السيد عرفان ، وأمام الضغط وضعف المقاومة من الفتاة ، وعدم استطاعة الشاب جاسم على الاقتران بها يومئذ استسلمت الفتاة للزواج من رجل لا تحبه .. سافرت معه إلى فنزويلا حيث هاجر السيد عرفان ناصر للعمل منذ سنوات ، وقد فوجئ الأهل بعد سنة بعودة ابنتهم من هناك ، وهي تحمل ورقة الطلاق بيديها ومؤخر صداقها وزيادة ، وقد علمنا أن الفتاة أثناء غربتها كانت على اتصال بواسطة الرسائل والخطابات مع عشيقها وحبيبها جاسم ، وحاولنا الحصول على بعض الخطابات ، ولم يتيسر

ذلك لضياعها وعدم الاهتمام بها ، ولما عادت البنت للوطن ، وقد فشلت في الزواج ، ولم تنجب من زوجها كما بدا لهم آنئذ ، فنقمت عليها الأسرة ، ولما تقدم الشاب جاسم للزواج منها حسب ما اتفقت البنت والشاب لم يعترض أحد من أهلها ، بل فرحوا بالخلاص منها ، فما كادت تمضي الشهور الثلاثة أو القروء الثلاثة من يوم الطلاق حتى كانت الفتاة تنتقل لبيت جاسم سرور، ويغادران الحي إلى حي مجاور ، وكان أهلها منذ تلك الأيام يحتقرونها ، ولا يهتمون بشأنها، ولا ينظرون إليها بعين الشفقة والرحم ، وهي بادلتهم نفس الشعور والتحدي.. وفعلا عندما وضعت مولودها الأول سرت في محيط الأسرة والحي القديم إشاعات وهمهمات بأنها حملت قبل عقد الزواج من جاسم ، وأنها استسلمت لعشيقها قبل ليلة الزفاف ، ولكن الفتاة تنفي ذلك ، وتنفي عن نفسها الزنا والفاحشة قبل زواجها من جاسم وبعده ، ووضعت المولود شاهرا في تاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٣ م في مستشفى (حليمة النهدي) ، وهذا المستشفى القديم قد أغلق بسبب وفاة مالكه ، ثم باعه الورثة لطبيب آخر ، ثم تم نقله من مكانه القديم ، ولم نتمكن من الوصول إلى الملفات القديمة لتلفها وهلاكها وضياع أكثرها وعدم اهتمام الإدارات المتعاقبة على حفظها ومن ثم انتقال المستشفى إلى بناء آخر.

والشاب شاهر لم تكن علاقته بوالده جاسم علاقة حميمة ، وكما علمنا أن والده لم يكن قاسيا عليه ، بل كان تاركا له الحرية في الأعمال والتصرفات ، بل لم يهتم به عندما تعلق بالشراب واللهو والميسر، فقد تركه على حريته الكاملة؛ ولكنه كان يتضايق منه عندما يتشاجر مع أولاد الجيران والناس ويقاد لمركز ومخفر البوليس ، ولا يسعى لمساعدته في محنه .. وقد سجن شاهر أكثر من مرة ، ولم يفكر جاسم بزيارته يوما ما في سجنه ..وهذا الفعل فعلته أمه مجدية أيضا .. فشب الشاب ولم يحسن التعلم في المدرسة.. فقد تركها مبكرا ، ولم يسلك في الأعمال والحرف التي وجّه إليها ، بل كان عبئا على والدته .. وكانت إحدى أخواته تنفق وتصرف عليه عندما كبرت واشتغلت ، وذلك بعدما تخرجت من الجامعة .. ورغم اقتراب الشاب من الأربعين سنة فما زال أعزبا .. ورغم وفاة والده مبكرا ، لم يحاول تحمل أعباء الأسرة ، وظل على ما نشأ عليه ..

ثم تزوجت أمه بعد وفاة زوجها بسنة من صاحب لزوجها ، ثم طلقها بعد سنين ، وهي الآن زوجة لرجل كبير في السن ، وما زالت عنده لليوم .. وقد زوجت بناتها الثلاث اللواتي ولدتهم من زوجها جاسم سرور، والشاب شاهر بعد زواج أمه من صاحب أبيه استولى وسكن في بيت والده جاسم الذي اشتراه بعد زواجه من السيدة مجدية .. وقيل إنه من أموال زوجها المهاجر ، ولا أحد من أصدقاء جاسم سمعه يتحدث في أي يوم على أن شاهرا ليس ولده ، وليس من صلبه ، ولا حتى مجدية ، لم يصدف أنها حدثت أحدا على أن شاهرا ليس ابن زوجها جاسم ، فالكل يعرف أنه ابنه وإن أثيرت شائعات عند ولادته ؛ لأنه ولد قبل إكمال الشهور التسعة أو حتى السبعة .. فالأمر غامض .. والأم مجدية تصر على أنها أتت من أمريكا حاملا ، ولم تكتشف ذلك الحمل إلا عندما وصلت البلد وبعد حين ، والتقت بحبيبها جاسم واتفقوا على الزواج .. فقامت بعمل فحص الكشف عن الحمل بسبب انقطاع الطمث فتبين لها الحمل، وخشيت إن تأخر الزواج من جاسم لما بعد الولادة أن يزوجها أهلها لرجل أحسن حالا منه ، فوالدها وأهلها ممن يعشقون المال عشقا غريبا مع شح كبير ، وتقول مبررة أيضا إنها لم تكشف سر الحمل آنذاك حتى لا يفكر أهلها بإعادتها لزوجها المهاجر .. تقول إنها كانت تفكر يومئذ بعقلية المراهقة ، ولا ترى في الدنيا إلا جاسرا .. الحب وبس ! وهي تعترف بخطئها الكبير ولكنها تتدعي : أن الظروف التي أحاطت بها في ذلك الزمان جعلتها تتصرف بحمق وغباء وكان لتعلق جاسم بها وموافقته العاجلة على أن يحمل المولود اسمه أن أخفت قضية الحمل عن الجميع ، بل تقول إنها كانت تخشى أن تحدث نفسها بحقيقة الحمل ، وكان الحديث عن ذلك بعد زواجهما جريمة تدمرهما ، وتقول أيضا إن الذي ساعد فيما بعد على إخفاء هذه القضية انتشار خبر موت السيد عرفان في بلاد المهجر فكان من العبث الحديث بذلك السر ، فليس لعرفان أم أو أب يهمه أمر الطفل ، ولما علمت بحياة عرفان زوجها الأول ، وعرفت بغناه وثروته أحبت أن لا يحرم ولده منهما من ثروة أبيه وماله الكثير.. فاضطرت للاعتراف لولدها شاهر بحكاية زواجها الأول ، وحثته على الذهاب معها إلى رؤية ومقابلة والده .. فذهب بعد مجاهدة

وشجار، وكما قال لرجالنا إنه لم يكن ليصدق ادعاء أمه بذلك .. فلم يسمعها يوما ما تحدثه عن أبيه الحقيقي كما تدعي ، بل لم يكن يعرف أنها متزوجة رجلا قبل أبيه جاسم .. فهو يرى أن ذلك لو كان صحيحا ، فهي قد ارتكبت في حقه أعظم جريمة في التاريخ والعالم ويقول : رغم أنني لم ألمس منها الحنان والحب المنشود قديما وحديثا .. فأنا لا أحبها أيضا الحب المطلوب مني .. بل أرى أنها سبب دمار حياتي .. لم تحسن تربيتي صغيرا ، ومع ذلك لا أنكر أنها لم تكن جبارة أو جلادة أو قاسية عليّ تركتني على راحتي ، بل كان اهتمامها بأخواتي الثلاث أكثر مني رغم أنني ذكر وهن بنات .. ورغم كل هذا كانت هي أمي وكان جاسم أبي .. وقال كانت مفاجأة مؤلمة لي تلك الحقيقة ، ولا أعتقد أنها حقيقة هي تريد المال .. مع أنني أعرف أنها لا تحب المال كثيرا إنها تريد الحب والغرام ويقول شاهر بأنه قابل الرجل الذي ادعت أنه والده الحقيقي .. فلم يحس ويشعر بحنان أو لهفة إليه.. كان لقاء باردا ، ويرى أنه ذهب معها ورافقها من باب الفضول وهو يعلل ذلك فيقول قد يكون ذلك بسبب الإهمال في تربيتي الأولى أو تركيبتي الخلقية ويقول عن عدم دفء العلاقة بينه وبين والديه الإهمال الكبير الذي لقيته منهما وعدم مراعاتهما لحياتي وخصوصا في السنوات التي قضيتها في السجن .. لم يقوما بزيارتي ولو مرة واحدة ؛ كأني مقطوع من شجرة ، فلم يحاول اللعينان زيارتي ، كانا غير مكترثين ؛ ولكنني لما أطلب منهما المال والشراب كانا يمنحانني ذلك .. ويقول إنه بدأ السكر والدخان وغير ذلك من الموبقات مبكرا من حياته ويقول استسلمت لحياة الإهمال والبلاهة حتى لم أسمعهما يوما يتحدثان عن زواجي والنساء ، لا اهتمام بحياتي الخاصة .. أفعل كل ما يطيب لي ويحلو لي.

وكان في التقرير معلومات تفصيلية عن عمل جاسم وأهله ، وإخوة مجدية وأخواتها .. ومعلومات عن البنات الثلاث اللواتي ولدتهن مجدية من زوجها جاسم وأعمالهن ودراستهن وحتى أزواجهن ، وعن زواج مجدية الثاني ، ثم طلاقها ، ثم زواجها من الرجل العجوز المريض وظروف كل زواج.

ولما انتهى من القراءة علق عرفان في النهاية قائلا : لم نصل إلى حقيقة رغم الجهود المبذولة في

جمع هذه المعلومات !.. فشاهر عرف المعلومة والحقيقة حديثا .. والأم كشفت واعترفت بسرها حديثا عندما علمت بوجودي حيا وحديثا أيضا.. ولكن أثناء الوضع حدثت بلبلة وأقاويل .. لم يهتم بها أحد آنذاك فهذه نقطة مثيرة ومهمة .. ولكن الحقيقة الأصح أنه ليس ابني

ويفكر رويدا ثم يعود ليقول : ولكن قد يكون ولدي من صلبي .. وللحجج والأسباب التي ذكرت في التقرير شيء من الصحة .. لابد من الاستفادة من خبرات الأطباء والتحاليل الوراثية والجينات

ثم تنهد تنهدا عميقا وهمس قائلا : ولكن الشك سيظل يراودني .. سأعرض عليها المال حتى تتراجع عن ذلك الاعتراف وأقوالها.. وتؤكد لي أنها ساخرة مازحة كاذبة مجرمة قذرة طامعة بأموالي

اتصل عرفان ناصر بصديقة الدكتور الخبير سيرجي باربوسا ، ولما قدم قرأ عليه تقرير شركة التحري ، وبعدما استمع سيرجي لأفكار وكلمات تقرير شركات التحريات الخاصة قال : قصة موتك هي التي ساعدت على إخفاء سر حمل مطلقتك منك إن كانت صادقة .. فلما اتصل بهم خبر موتك المبكر ازداد تكتمهم لهذا السر.. فالظروف خدمتهم .. مهما كان الزوج مخلصا في الحب والغرام ؛ ولكن بعد الزواج ومشاكل الأزواج المعروفة لابد أن يقع الزوج في خطأ في سب وشتم وغضب ، فيخرج من فيه تصريح بعدم أبوته لشاهر .. وخصوصا قد كان الشاب فاسدا وسكيرا .. وقد يقع بينه وبين أبيه شجار فينكر الرجل أبوته في ساعة غضب .. كل هذا لم يحدث ؛ لأن شاهرا لم يعرف بالسر إلا مؤخرا مثلك تماما.. فالسبب موتك بالنسبة لهم .. أو حدث ولم يهتم به أحد .. حتى شاهر لم يتحدث لهم عن شيء من ذلك فهل أدركت اليوم من أرسل إليك برقية وفاة أختك وأخبرها بموتك ؟

فقال عرفان : فكرت بهذا اللغز كثيرا ! .. ومتابعة برقية أرسلت منذ أربعين سنة تنقص قليلا ليست بالأمر الهين يا صاحبي .. وأختي تذكر أن رجلا ساعي للبريد أو ادعى أنه ساعي البريد كما تعلم هو الذي نقل إليهم البرقية التي فيها خبر موتي بحادث سيارة ، وأمام الصدمة وضعف

الإمكانات المادية أخذوا الأمر بجدية، ولم يفكروا بشخصية الساعي أو مكتب البريد الذي استقبل البرقية ، لم يسيئوا الظن وافترضوا لو أنني ما زلت حيا فسأرسل لهم هدية العيد ؛ ولكن لما أنا في نفس الحين لم أرسل شيئا كالمعتاد زاد يقين موتي لديهم .. وأنا لما تلقيت بنفس الفترة نبأ وفاة أمينة أثناء الولادة ، لم استغرب ذلك لكثرة حدوث ذلك في بلادنا تلك الأيام .. أصابني ذهول وصدقت ما في تلك البرقية ، وكنت في دوامة الشغل والعمل فلم أدقق ، وبعد موت والدي وطلاقي من زوجتي مجدية لم يعد لي ارتباط بمسقط رأسي فنسيت الأمر، وقطعت صلتي بموطني ، وانشغلت في رحلة الكفاح والدراسة يا سيرجي .. وتقول أختي أمينة إنهم انتظروا رسالة تأتيهم من هنا من فنزويلا من أصحاب الشغل فيها تفاصيل عن الوفاة وعن الأموال التي تركتها ، فلم يصل من ذلك شيء فنسوا الأمر مثلي ، واعتقدوا أنني مت ، ولم أترك ورائي مالا أو غيره من الأشياء المادية .. فنسوا كما نسيت كانت مكيدة ماكرة ومحكمة .. والمشتبه به إخوتي من أبي .. أتسأل أحيانا كثيرة لماذا لم أحاول التأكد يومذاك ؟ فلا أجد جوابا إلا أنني كنت ساذجا حسن الظن بكل ما أسمع .. أما من الفاعل ؟ لست أدري، ولكن بعد تفكير وتدبر وصلت أنه لا يهم الآن معرفة من الفاعل لقد أبعدنا عن بعضنا تلك السنوات ونجح.. والماكر كان يقصد أن أقطع وصل أختي بمال ، ولا أظن أنه كان يحلم بأن يمنعني من النزول للوطن الأول لي.

فقال سيرجي : هذا اللغز ساعد كثيرا على إخفاء قصة الحمل .. فجاسم هذا تجاهل كل الأخطار باسم الحب .. فزواجك وطلاقك لها لم يترك لديه أثرا نحوها ، وظل مولعا بها وتورط معها .. وموت السيد عرفان في نظرهم دفعهم إلى النسيان الكامل لأبوتك .. دعني أفكر أيها الصديق بقضيتك الغريبة.

فقال عرفان : فكر بالحل الأمثل يا عزيزي .. سأحدث ولدي الكبير بهذا الموضوع .. وربما أسافر ثانية إلى قصر الجبل ، وأتصل بهذه المنحوسة ، وأسمع منها ..مع أنني لن أسمع أكثر مما ذكر هؤلاء في التقرير الخاص ؛ وربما قد أجد عندها ذرة من الصدق أنتفع بها ، فإن صدقتها

سأقوم بجلب الولد إلى هنا لتقوم بإجراء فحوصات الدم والوراثة.

فقال سيرجى : المشكلة يا صاحبي في زمر الدم والرايزوس تساعد في نفي البنوة ولا تجزم بالبنوة وحدها ..والآن هناك فحوصات البصمة الوراثية والجينات.

فعاد عرفان يقول : أما لغز المحتال الماكر ـ رغم أن البحث عن حل بعد كل هذه الأعوام لن يجدي كثيرا في نظري ــ فربما أكلف المكتب مكتب التحري بمحاولة كشف الفاعل الحاقد .. ولولا برود علاقتي أنا وأمينة مع إخوتنا من أبينا لشككت أن أحدهم فعلها ؛ ولكنهم بعد موت أمي سعادة ـ رحمها الله ـ اختفوا وخرجوا من حياتنا.

انصرف الدكتور سيرجي ، وصعد السيد عرفان ناصر إلى مخدع النوم ، وأخذ حبة منوم ، وبعد حين ذهب في نوم عميق



مجدية والمولود

تفاجأ أولاد عرفان بقرار السفر الذي اتخذه والدهم هذه المرة ، فهو منذ شهرين أتى من الثعبانية، فاعترضوا على سفره ، وأن صحته لا تتحمل ذلك الجهد، والطبيب الخاص تضامن معهم ، فاضطر عرفان أن ينفرد بابنه البكر أو الكبير نصري ، وأسر له بما حدث في رحلته الأخيرة إلى بلده ، فاستـغرب الابن من هذه المعلومات، وهذه التطورات والأحداث ، واستسلم في النهاية لرغبة أبيه في السفر، ولم يحاول مجادلة أبيه بشأن المرأة وكذبها أو صدقها ، بل خرج يخبر إخوته قائلا : إن سفر الوالد ضروري.. وأنه إذا حدث شيء ـ لا سمح الله للأب ـ فسوف أخبركم بما أسر به الوالد.

فتجهم الأبناء قليلا ، ثم عادوا لحياتهم الطبيعية ، فهم يثقون بقدرات والدهم العقلية ، وكذلك بذكاء ونشاط السيد نصري المهندس الكبير ، ولما أشعر ارباس سبرانتو بالسفر المفاجئ ، استغرب واعتذر عن هذه الرحلة لأحوال تمر بها زوجته والأسرة ، فقال له عرفان بعدما شكره : لا حرج عليك أيها الصديق .. فنحن لم نعد إلا من شهرين.. والأمر ضروري فلابد من رحيلي إلى هناك ..ولست ذاهبا بأعمال ، إنما هي قضية خاصة سأحدثك بها لاحقا.. رتب لي إجراءات السفر .. والطبيب والممرضة والسائق والحارس لو كلفت غيرهم أيضا بمرافقتي فذلك خير، فهذا الرحيل تعب عليهم وعلى أسرهم.

وأما الطبيب الخاص أصر على الرحيل معه، وكذلك الممرضة ، والخادم الخاص لويس أحب أن يسافر معهم ، ولما تجهز أمر الرحلة سافر عرفان إلى بلده ثانية ، وكان عرفان كلما يزور بلده في السنوات الأخيرة يمر على مصر، فيقضي بها يومين أو أكثر يستريح فيهما ، ويتذكر أول رحلة له إليها ، ومن ثم يسافر إلى فنزويلا ، وأحيانا يعرج عليها قبل الانتقال للثعبانية.

ولما نزل قصر جبل الأعمدة واستراح من تعب السفر ، واسترد عافيته اتصل بأخته التي هرعت إليه مسرعة وهي متعجبة من عودته السريعة، فطمأنها وحدثها عن سبب رجوعه السريع ؛ بأنه قادم للقاء السيدة مجدية لحل لغز الابن ، وبعد أن فرح بلقاء أولاد أمينة أرسل وراء مجدية ،

وطلبها وحدها ، فأتت للقصر ولما التقت بعرفان رحب بها على غير ما رحب بها في المرة السابقة ثم قال : أنا فكرت بعمق بقصة الابن المنسوب إلى زوجك الميت.. فكيف صارت الحكاية يا مجدية ؟!

فقالت مبتسمة كأنها أحرزت نصرا مهما في معركة : كنت متأكدة أنك ستطلب لقائي وإن تأخر هذا اللقاء.. أنا يا عرفان كما قلت لك قديما تزوجتك عن غير رغبة...

فقطع الكلام قائلا بغضب خفيف : أعرف هذا .. ادخلي في صلب الموضوع فصحتي لا تساعدني كثيرا على الاستماع .. تكلمي بالأهم يا أم شاهر.

ضحكت مجدية لمناداتها بأم شاهر وقالت : والله يا عرفان قليل من الناس من ينادوني بأم شاهر غلبت عليهم أن ينادوني بأم سمر .. ابنتي الكبيرة سمر ولا أدري لماذا ؟! .. وهذا ليس له علاقة بابنك وزوجي .. المهم لقد كنت راغبة بالزواج من جاسم ، فرفضت الأسرة ذلك بعناد وزوجوني منك ، وسفروني معك ..وأنا أعرف أنك لا تعرف بحبي لجاسم .. وأنك تظن أنني عاشقة ولهانة لك وأن لعابي سال لمالك وغربتك .. فلم أستطع الحياة معك .. كانت أفكار البنات الصغيرات والرومانسية وكلام الحب والغرام يشغل بالي .. وكانت رسائل جاسم اللعينة تحرق قلبي وجسدي.. فكرهتك وبغضتك .. فصممت على الطلاق والفراق .. فلابد أنك تذكر تمردي من الشهور الأولى، وكرهي لحياة الاغتراب ، وكرهي لحياتك وعملك ، وأن المال والذهب لم يغيرا بي شيئا .. كنت متعطشة للحب .. كنت متأثرة بأفلام السينما.. ولم أجد ذلك عندك كنت زوجا عاديا .. عمل شغل طعام نوم .. تعاطيت حبوب منع الحمل .. لا أريد أن أحمل منك .. أريد العودة إلى حبيب القلب إلى سارق لبي وفؤادي..

كان عرفان يسمع هذه الكلمات وهو يتلمظ من الغيظ والقهر ، ولم يتكلم كان يريدها أن تقول الحقيقة ، فتابعت تقول : كنت أنت متلهفا على الحمل معتقدا أن الحمل والولادة ربما يدعوانني للكف عن الشكوى وطلب العودة ، ومن ثم الطلاق .. ولكنك يا سيد مللت وزهقت مني .. وفي لحظة صفاء وهدوء وافقت على الانفصال.. وأن الحياة أصبحت معي جحيما لا يطاق ..

فوافقت على طلاقي .. وأنك ستقوم بالإجراءات المناسبة .. وأنا في الشهور الأخيرة التي عشتها معك كنت أنسى كثيرا أخذ حبوب منع الحمل بانتظام .. وكنت غير مكترثة لذلك ، وتم الطلاق وأعطيتني مؤخر الصداق ، وبعض المال والهدايا لأختك وأهلي ، وحجزت لي على إحدى الطائرات .. كل هذا تعلمه أنت.

فقال عرفان متضجرا : أعرف هذا .. الخلاصة يا مجدية الخلاصة!

فصاحت فيه فجأة كانفجار ثم قالت : وصلنا للخلاصة .. أنت تعلم أن من عادات الدين والشريعة أن المرأة تنتظر حتى انتهاء شهور العدة أو الولادة للتزوج ثانية إذا شاءت .. فوالدي وإخوتي استقبلوا عودتي بالضيق والغضب.. ومنهم من أهانني وصفعني .. واتهموني بتخريب بيتي بيدي.. ولما عرفوا بأنني لم أحمل منك تضايقوا أكثر .. وسمعت كلاما مؤلما وقاسيا وشتما وضربا .. وخلال فترة العدة أدركت أنني حامل بسبب انقطاع الدورة الشهرية فقمت بإجراء فحص عند أحد الأطباء في مختبره فأكد لي الحمل .. وحدثت جاسما الذي فرح بطلاقي .. وبدأ يستـعد لطلب يدي ليستغل غضب أهلي نحوي .. فحدثته بالحمل الذي حصل على الرغم مني وأنه لا أحد يعرف بذلك من أهلي ، وأن أهلي لو عرفوا بحملي من عرفان سيحاولون إعادتي إليه ، ولن يزوجوني منه.. فكان الحل في نظرنا عدم إظهار الحمل ، وأن نتزوج بعد مضي الشهور الثلاثة للعدة ، وذلك بعد أن وافق جاسم على أن يحمل المولود اسمه .. وللظروف المحيطة بنا وحاجتنا لبعض لم نخبر أحدا بالحمل ، وعلى الفور تقدم لي جاسم وللخلاص مني وافق إخوتي على زواجنا بسرعة ، فهم يعرفون قصة حبنا وتعلقنا ببعض ، فـتم الزواج سريعا ورحلنا عن الحي ولكنه حي قريب ، وبعد شهور وضعت الولد شاهرا متظاهرة أنه من زوجي جاسم ، وسمعنا كلاما كثيرا ولغطا حولنا ، ولكن حبنا الجارف لبعض غطى على كل الدعايات والإشاعات ، ولما وصل إلينا خبر موتك نسيناك إلى الأبد ، وعاش شاهر بيننا ؛ كأنه ابننا الحقيقي قصدي ابن جاسم .. وصدق يا عرفان أن شاهرا منك ، ولم يمسسني رجل قبل أن أعرف بالحمل منك ، وإنما كرهي لك وبغضي لشخصك وأنك سرقتني من حبيبي جاسم ..

وكذلك بغضي وسخطي لأهلي ، كل ذلك دفعني لعدم كشف سر الحمل ، وكان ذلك إلى أن سمعت بحياتك ، وأنك لم تكن ميتا كما أشيع قديما ، وقد انتشر الخبر الغريب في حارة البراغمية وشوارعها .. وابنتي سمر متزوجة ، وتسكن في ذلك الحي ، فلما سمعت بذلك الخبر العجيب اتصلت بي فصعقت ابتداء ؛ ولكن لإراحة ضميري المثقل بهذه السر صارحت شاهرا بذلك السر، وشاهر شاب مسكين تعذب كثيرا في حياته ، وتعلق بالخمر كثيرا ، ووضعه الصحي لا يسر صديق ولا عدو.. وأنت أبوه ترتع بهذه الخيرات والنـعم .. فقررت مصارحته بهذا السر الخطير ، وهو لم يصدق الحقيقة لحتى الآن ، ولكن بعد ضغط مني وافق أن يأتي ليرى والده .. ولما رآك لم يصدق أنك أبوه .. وما تبقى تعرفه.

لزم عرفان الصمت فترة بعدما أنهت اعترافها ثم قال : أنت امرأة كبيرة يا مجدية ! وهذا الأمر خطير ؛ فإذا كنت راغبة بالمال ، فأنا سوف أغنيك إلى الأبد ، وأفتح لك حسابا كبيرا ـ وأخرج شيكا بخمسين ألف دولار ـ وهذا شيك بمبلغ بسيط خمسين ألف دولار أضعه بين يديك ـ وقدم لها الشيك ـ وهو يتابع كلامه قائلا : فقط أريد الحقيقة .. هل هذا المولود حملت به مني؟ وإذا كنت مدعية فهذا الشيك لك فقط قولي الحق الذي يرضي ربنا ؟

فقالت بجد : رغم أن الكذب سيفيدني بعرضك هذا ، ويريحك يا عرفان .. فالحق أنني حملت بهذا المولود منك رغم أنفي .. والذي ساعدنا على عدم إفشاء سر المولود هو موتك كما علمنا فشاهر ابنك .. ولقد تمنيت أن تسمع هذا الكلام من فم جاسم .. وأنا أخبرتك ليس طمعا بمالك وثروتك وإنما ذلك لإراحة ضميري.. وليعرف الرجل أباه .. ولتـعرف أنت أن لك ابنا وهذا شيكك لا أريده . ورمته عليه.

فنهض عرفان وقال : أتقسمين بالرب المعبود على ذلك ؟

فأخرجت مصحفا صغيرا من حقيبتها ، وأقسمت عليه بصدقها ، فقال عرفان : حسنا يا مجدية ! سأسافر بالولد إلى كاركاس لإجراء كل الفحوصات والتحاليل والشيفرات الوراثية.. فنحن في أواخر القرن العشرين ، وقد يستطيع الطب حسم هذه المسالة.

فقالت بكل هدوء : افعل ما بدأ لك .. أنا واثقة أن هذا الرجل ابنك ، واعلم أن ولدي ليس طامعا بثروتك.. بضع مئات من الدولارات أو الدنانير تكفيه وتسد رمقه.. ولكن له حق عليك حق الأبوة ..أتدرك ذلك ؟!

تبسم عرفان وقال : الأبوة يا مجدية ! أين كانت الأبوة ؟!

فصاحت في وجهه ثانية : كنت ميتا .. كنت ميتا.. فكتمنا ذلك شفقة على ولدك.. أنا المهم عندي أنني أرحت ضميري من ناحيته .. لقد صرفت عليه وكبرته .. والدور الآن جاء عليك عليك أن تداويه .. وترغمه على الزواج .. وتجد له عملا يعمل به .. وخذه عندك هناك وأجري عليه ما تشاء من التحاليل والفحوصات وليبق هناك.

فقال عرفان متسائلا : ويبقى يحمل اسم زوجك غريمي.

فعادت تصيح : زوجي مات ، وعليك الدعاء له بالرحمة ؛ لأنه تكفل بابنك ورعاه، وأدخله المدارس ؛ ولكن ابنك فشل ، وتعلق بالفسق والخمر والقمار .. أنا المهم عندي أن تعرف أنه ولدك .. وأنا مستعدة للاعتراف أمام أكبر قاضي في الدنيا أو في البلد .. وأن أقسم أمامه مليون مرة أن شاهرا ابنك.. وأنه لم يكن ابن جاسم في أي يوم من الأيام .. سواء رضيت أم أنكرت عليك أن تتحمل مسئولياتك نحوه من الآن فصاعدا .. خذه معك .. غير اسمه وليحمل اسمك.

فقال عرفان وقد عاد للجلوس : حسنا يا مجدية ! .. سأرتب الأمر.. فبعد إجراء الفحوصات الطبية المناسبة سأطلبك للاعتراف أمام كبار القضاة في هذا القطر وأدعهم يقضون بيننا أيسرك هذا ؟

فقالت صارخة : ولماذا تؤخر ذلك ؟!.. فأنا مستعدة للاعتراف أمام القضاة اليوم قبل الغد واعمل الاختبارات على مهلك وراحتك.

عندئذ شعر عرفان بصدقها، ولمس ذلك من حرارة كلامها واعترافها؛ ولكن كيف يعترف بهذه الأبوة وبهذا الولد بعد كل هذه السنين ؟! وأيضا كيف يرفض هذه البنوة بعد سماع كل ذلك

؟! فهو محتار .. سيكون مجرما إن رفض أخذه ورعايته.. سيكون مجرما كما تقف هذه المجرمة أمامه .. هل يخنقها ؟ لم تستطع الصبر حتى تضع مولودها!

فقال بعدما أعاد الشيك لجيبه : فليكن لقائي بهذه الولد قريبا.. سنسافر إلى بلدنا يا مجدية .. وإذا أنت بحاجة لمال فمدير شؤون القصر سيعطيك وسأوصيه عليك .. وأنت مغادرة سيقودك الخادم إليه فسيعطيك ألف دولار .. وإذا ثبت وراثيا أنه ولدي سأدفع لك أموالا ثمن تربيتك وصبرك.

وقرع الجرس فأقبل الخادم العجوز الفنزويلي الطيب فقال عرفان : لويس .. خذ هذه السيدة إلى مدبر القصر وليهبها ألف دولار.. وقدموا لها الاحترام كلما تأتى.. وليذهب معها السائق ليعرف بيتها.. سأرسل وراءها في الساعات القادمة.

فقالت مجدية : أنا تحت أمرك يا سيد عرفان .. وأشكرك على الألف دولار.. ولن أرفضها .. فزوجي الأخير رجل عجوز وبحاجة للعلاج.

فقال عرفان : لدينا مستشفى هنا ، فيمكنك الذهاب به إلى هناك .. وسيهتمون بكما .. على كل حال قريبا سأدبر أمركما .. أنا أعذرك بإخفاء أمر ولدي عن الناس رغم أنها جريمة كبرى .. وكما قال سيرجي صاحبي إعلان موتي هو السبب الأكبر في هذه المأساة ! .. سلاما.

البصمة الوراثية

التقى عرفان بولده شاهر، ووجده قليل الكلام بارد الأعصاب غير مكترث للحدث الذي يعصف بهم ، فقال عرفان : لم أحس بأنه ولدي؟!

فقالت مجدية : بل هو ولدك ، رغم ما كان بيني وبين جاسم من غرام وعشق لم أزن في حياتي قط .. والرجل جاهز لأي فحص أو إجراء تتخذه .. عليك أن تعترف ببنوته.

رغم هذا الكلام الجارح للإحساس والشعور لم يتحرك لشاهر جفن ، فالتفت إليه عرفان وقال : يا شاهر! هل تحس بأنني أبوك .. والدك ؟

فبعد صمت همس : لا أدري !.. قل لا أصدق .. لم أشعر في يوم ما أنني ابن رجل آخر.

فصاحت أمه : ويلك ألا تشعر بأنه أبوك ؟!.. ألا تحس بأي انعطاف نحوه ؟!

فرد على أمه بدوره وببروده : للأسف لا .. لم أشعر بشيء من ذلك .. وهو مظلوم .. أنت المجرمة يا أمي!

فهاجت مجدية ، وارتفع صوتها ، وزاد انفعالها ثم قالت : ويلك ! أبعد كل هذه السنوات تقول عني مجرمة ؟! .. يا ولدي أنا امرأة زادت سنها زاد عن الخمسين سنة ، ولا مطمع لي بمال هذا الرجل .. ولولا أنني عرفت بحياته لما كشفت لكم هذا السر الذي نسيناه .. ولكن يا ولدي لك حق في ماله ونسبه .. وإخوتك العشرة عليك أن تتعرف عليهم ، وتعيش معهم ، وفي أملاكهم وتأخذ نصيبك من ثروة أبيك بدلا أن تأخذ مصروفك من أختك سمر.

والتفتت إلى عرفان وقد هدأ هديرها قائلة: منذ تخرجت سمر من الجامعة واشتغلت ، وهي تصرف عليه ، ولما تزوجت ظلت تدفع له ثمن المشروب اللعين ، لم يفكر يوما بتعلم حرفة أو وظيفة يشتغل فيها.

فقال عرفان بغيظ : تربية سوء.. لم تكوني مستعدة للتربية والرعاية، كان همك الحب والغرام.

فهتف شاهر فرحا ومصفقا : صدقت ! هي ربتني على الضعف والخجل والفشل

فأخذت مجدية تدافع عن نفسها ، وهي تبكي بكاء حارا فقال لها في النهاية : هوني عنك حتى

لو لم تثبت أبوتي له سأهتم بكم وأرعاكم..

فصاحت وصرخت فيه وقالت : هو ولدك!.. ولدك!.. أنا مستعدة أن أقسم أمام القضاة والقانون أنني حملت به منك.

فقال : كفي عن الصياح ، واهدئي سنتدبر الأمر .. سأقوم بإخراج جواز سفر لك يا شاهر وتسافر إلى كاركاس عاصمة فنزويلا الجميلة أو فينيسيا الصغيرة لأمريكا اللاتينية..

وحلق عرفان في الخيال وقال : فعندما رآها المستكشف الإسباني ألونسو دي أوجيدا للمرة الأولى في عام ١٤٩٩ صاح مدهوشا إنها فينيسيا الصغيرة ، ولا زالت تحمل هذا الاسم حتى الآن ، ولسوف تشاهد أعلى شلال مائي الشلال الملائكي ، وبحيرة ماراكايبو وجزيرة مارجريتا لؤلؤة البحر الكاريبي ، وتشاهد جزيرة السلاحف البحرية ، وجزيرة الطيور ، وسوف تستمتع بأزهار فنزويلا الكثيرة وتتعرف على الثائر الفنزويلي الكبير سيمون بوليفار محرر كاراكاس ، حتى عملة فنزويلا تحمل اسم هذا الرجل وهي البوليفار .. أشياء كثيرة هناك ستنسيك كل الهموم والغموم .. فبلادنا واسعة ، بلاد الذهب والقصب والكاكاو والبترول .. ولما تستمتع بالحياة الجميلة وترتاح نفسيا وصحيا سنقوم بعمل الفحوص الوراثية والجينية لتطمئن نفسك ونفسي ونفوس إخوتك .. وتأكد يا شاهر لو أنه ثبت غير ما تدعيه أمك ، وأنك لست من دمي سأرعاك حتى المهات ، وإذا شئت أبقيتك هناك وستعمل مع الأولاد ، وسوف أعيد تربيتك ونسجك من جديد بمشيئة الله، وأزوجك من أجمل نساء البلاد.

فقام الشاب يقبل يدي الرجل والدموع تنهمر من عينيه ، وهو يكاد يطير من الفرح لـمَ سمع من الوعود والأحلام والسفر والزواج ، وهتف قائلا : أنا رهن إشارتك وإحسانك يا سيدي وشاكر لعطفك وشفقتك عليّ.

فقالت أمه مؤكدة : هو أبوك .. وما سيفعله من أجلك ليس شفقة بل واجبا كان عليه قديما.

فقال عرفان : سيبقى الشاب في القصر يا سيدة مجدية من الآن حتى نسافر، وعندما يتحدد موعد السفر سأخبرك حتى إذا أحببت رؤيته وتوديعه قبل السفر، وإذا احتجنا لفحوص منك أرجو

أن تتعاوني مع مكتب المحامي الكبير الصديق حميد عز الدين .. أنا أريد أن أفعل ذلك ليطمئن قلبي .. ولمصلحة شاهر في المستقبل .. لأنه ليس من السهل أن ألصقه بي لمجرد أنني كنت زوجك يوما ما.

فتممت قائلة : أنا أعرف أن الأمر ليس هينا عليك وعلى أسرتك ؛ ولكنني لم أستطع أن أكتم الحقيقة وأنا أرى النـعيم الذي تعيش أنت فيه وتحرم فلذة كبدك منه .. ولو أنك فقير معدم قد أكون فكرت كثيرا قبل أن أصارحك بذلك .. أما ابنك شاهر فهو بحاجة لك ولعنايتك .. عليك أن تعرضه على الأطباء وأهل الاختصاص فعنده مشاكل في الأمعاء وأمراض جلدية ، وأن تخلصه من شرب الكحول.

فقال عرفان : سأفعل أيتها الأم الباسلة !

ولما خرجت مجدية أرسل وراء مدبر القصر وقال له : أنظر إلى هذا الشاب .. عليكم بتنظيفه وتلميعه وكسوته بثياب جميلة جديدة ورتب له غرفة وثيرة يرقد فيها وليقم على خدمته أفضل الخدم يا جولانيا.

أحنى الرجل العجوز جولانيا رأسه وقال : أمرك يا سيدي تعال أيها الشاب.

فساقه مدبر القصر الفنزويلي ، وكلف بعض الخدم بتحميمه وإزالة الأوساخ عنه ، وإحراق الملابس التي يلبسها ، ولم تم ذلك قدم له أفضل الطعام، ولما طلب الخمر اعتذروا له عن ذلك وأعلموه أن السيد الكبير لا يحب وجودها في القصر، ولما أصر على ذلك أخذه أحد الخدم إلى إحدى الخمارات ، فشرب حتى ارتوى ، وعاد به للقصر وألقاه في الغرفة التي أعدت له ، وأوصى الخدم على رعايته ومراقبته.

وفي الصباح التالي كان عرفان ناصر يتحدث مع المحامي حميد الذي لبى الدعوة سريعا ، وقال للسيد عرفان : إن جواز السفر سيكون بين يديه مساء هذا النهار ، وحضر عدد من الأطباء وقاموا بالكشف على السيد شاهر ، وأجروا اللازم ، وطلبوا منه عمل بعض التحاليل المخبرية والصور الإشعاعية ، وبعضهم اقترح إدخاله المستشفى بضعة أيام ، فطلب منهم عرفان علاج

سريع لأنه سيسافر به إلى فنزويلا قريبا ، وهناك سيتم فعل كل ما يلزم من علاج ودواء ، ولما اكتمل الأسبوع لوجود عرفان في القصر استعد للعودة لبلاده فنزويلا فعاد ، ولما حل بتلك الديار اتصل بسيرجي مدير أحد المستشفيات الخاصة وصديق عرفان منذ كان موظفا في إحدى شركات رومانوس ، واهتم سيرجي بالشاب والضيف شاهر وأدخله المستشفى لعمل الصور الشعاعية والتحاليل المخبرية ، وكذلك فحوصات البنوة والشيفرات الوراثية والبصمة الوراثية، وفصائل الدم والجينات ، وهذه الإجراءات تحتاج إلى أسابيع حتى تظهر نتائجها ، وكان الشاب شاهر مستسلما للأمر ؛ كأنه طفل صغير ، وكان عرفان خلال هذه الإجراءات والجينات التي أخذت منه أيضا على توتر شديد وقلق مؤلم ، ولا ينام إلا على حبات الدواء المنومة ، وكان لا يرى أنه سيكون سعيدا لو ثبتت أي صلة بينه وبين هذا الرجل الضعيف الهزيل ، ولما مضت المدة اللازمة أخبر الدكتور سيرجي عرفان أن النتائج والعينات يجب أن ترحل إلى الولايات المتحدة ؛ فإن الأجهزة المتوفرة هنا لا تساعد على إعطاء نتائج دقيقة ، فطلب عرفان من السيد سيرجي أن يسافر بنفسه إلى بلاد الغرب الأمريكي حيث الأدوات الأكثر دقة ، فسافر سيرجي على الفور، وبعد أشهر عاد بالنتائج المطلوبة ، وكان خلاصتها ونتيجتها أن هذا الرجل منه، فالصفات الوراثية متشابهة.

وأخذ الدكتور سيرجي يتحدث بكلام علمي فقال : أحدث النجاح المهم الذي حققه العالم الإنجليزي ألك جيفري عام ١٩٨٥ م ثورة في العلوم الجنائية ، حيث بين أن كل إنسان ينفرد بسمات جينية خاصة به لا تتكرر إلا عند التوائم المتطابقة وأطلق مسمى البصمة الوراثية على جزء من الحمض النووي ال دي إن ايه (DNA) ، فاعلم أيها الصديق أن الحمض النووي في الخلية الواحدة يتكون من سلسلة من القواعد النيتروجينية ، ويبلغ عددها حوالي ٣٣ بليون زوج ، وقد تبين أن حوالي ٩٩،٥ ٪ من الأحماض الوراثية تكون متشابهة في جميع الأشخاص، وهذا ما يجعل الناس متشابهين من حيث عدد الأرجل والأيدي والعيون والأحشاء وما إلى ذلك وأما ٥ , ٠ ٪ الباقية فهي مختلفة من شخص إلى آخر ، والتي تمثل الاختلافات الطفيفة بين

الأشخاص ، مثل اختلاف شكل الأنف والعين ولون الشعر وما إلى ذلك ، وهذا التباين أيها الصديق في أجزاء الأحماض النووية هو الذي يستخدم في تحليل البصمة الوراثية للتفريق بين الأشخاص كبصمات اليد ، ويوجد نوعان من التباين أو الاختلافات التي تقوم عليها البصمة الوراثية ، النوع الأول هو اختلاف عدد تكرار سلسلة معينة من الحمض النووي ، والنوع الآخر فهو اختلاف تسلسل القواعد النيتروجينية ، وأيضا يا صديقي لقد تطورت طرق تحليل البصمة بشكل سريع ، وأصبح بالإمكان تعيين بصمة الجينات من الدماء في مسرح الحادث لا تتعدى حجم رأس الدبوس أو بقايا نسيج بشري من الجلد تحت الأظفار أو الشعر.. ففي الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ عدد قضايا إثبات البنوة حوالي ٢٠٠٠٠٠ حالة سنويا ، و٣٠٪ من الحالات يكون الأب غير معروف ، فقد لعبت تقنية البصمة الوراثية دورا مهما في حل قضية تحديد الأب المجهول ، فهناك طرق تعتمد عليها تقنيات الأحماض النووية في إثبات البنوة ، فقبل ظهور فحص الـ DNA فكان يعتد بالطرق التقليدية ، مثل فحص البروتينات والأنزيمات ويمكن من خلالها استبعاد الأب في بعض الحالات إلا أنها لا تعطي درجات من الجزم القوي لإثبات البنوة ، ومن الثوابت العلمية أن نصف المادة الوراثية من الأب (الحيوان المنوي) والنصف الآخر من الأم (البويضة) أو ما يسمى الكروموسومات، إذن الخلية المخصبة تتكون من مزيج من المادة الوراثية DNA ، فمعظم قضايا إثبات البنوة تكون في الواقع إثبات الأبوة ، فالأم غالبا ما تكون معروفة ، يتم أخذ عينة دم الأب والأم والطفل .. المقصود الأب المشتبه به ، فيتم تحديد الصفات المشتركة بين الطفل والأم حيث يرث الطفل نصف الصفات من أمه ، ومن ثم تتم عملية المقارنة بين باقي الصفات التي يحملها الطفل وبين الأب المشتبه به فإذا وجدوا بعض الصفات التي يحملها الطفل غير موجودة عند الأب المشتبه به، فيتم استبعاد الشخص كأب بيولوجي ، أما إذا وجدت صفات مشتركة بين الأب المشتبه به والطفل ، فيتم إجراء حسابات إحصائية معروفة لهذا الغرض.. بمعنى أننا إذا وجدنا أن جميع الصفات الموجودة في الأب موجودة في الابن ، فهذا احتمال كبير أن يكون الابن من هذا الأب.

واعلم أيها الصديق فمن خلال الدراسات الإحصائية وضع الخبراء المختصون في مجال إثبات البنوة قواعد أساسية لإثبات الأبوة ، فعندما يصل معدل إثبات البنوة إلى ٩٩٪ فهو مؤشر قوي جدا بأنه الأب الحقيقي ، أما إذا كانت الصفات الوراثية ٩٥ ٪ فتلك تعني ٥ ٪ فقط أن يكون المتهم ليس هو الأب الحقيقي ، ونتيجة لذلك وضع أهل الاختصاص جدول إثبات الأبوة ، فقالوا أقل من ٨٠ ٪ درجة لا يستفاد منها في إثبات الأبوة ، ومن ٨٠ ٪ إلى ٨٩,٩ ٪ احتمال وارد ، ومن ٩٠ إلى ٩٤,٩ ٪ يرجح أنهما من بعضهما ، وقالوا من ٩٥ إلى ٩٨,٩٪ يرجح بدرجة قوية ، ومن ٩٩ إلى ٩٩,٧٪ يرجح بدرجة قوية جدا ، ومن ٩٩,٨٪ إلى ٩٩,٩٪ علميا تم إثبات البنوة ، ونحن في حالتنا كانت النتيجة ٩٩,٩ ٪ ؛ فإذن من ناحية بيولوجية فالسيد شاهر ابن لك .. ويبقى إثبات ذلك عن طريق المحاكم في بلدكم الأصلي .. وأكد لي كثير من خبراء هذا الفن الذين التقيت بهم أن هذا الرجل والد لهذا الرجل.

رغم الشرح المفصل الذي بينه الدكتور سيرجي فلم يتقبل عرفان النتيجة بسرور ، بل كان الشك يسيطر عليه ، ولكنه استسلم للنتيجة ، وكان يفكر بخطة يزداد بها يقينا من أبوته لشاهر وأخبر أفراد الأسرة بتفاصيل القصة التي شغلته منذ سنة ، وقد تقبل أفراد الأسرة الحقيقة على مضض ، وهم لا يستطيعون رفض الحقيقة والتشكيك في قدرات العلم والتحاليل ، وكان عرفان يعرف صعوبة ذلك على الأولاد ؛ ولكنه لا يستطيع الهرب من الحقيقة أنه ابنه ، فقد كان بإمكانه إعطاء شاهر بعض المال ، وينسى ويتناسى أنه ابنه .. ولكن أين يذهب من ضميره ؟ فإذا كانت مجدية مجرمة فهل يجاريها في الإجرام؟ وله حق عليه كسائر أولاده الآخرين بل هو أصبح مظلوما أمام ما استفادوا منه ومن كفاحه خلال الأربعين سنة الماضية وطلب من الدكتور سيرجي متابعة علاج شاهر ، وقرر تغيير اسمه ليمنح جواز سفر فنزويلي وجنسية أبيه ولكنه يريد قبل ذلك أن يمكر بمطلقته ويعرف مكنونات قلبها ، فطلب من المحامي أن يخبرها أن الفحوصات أثبتت عدم وجود أي صلة بين عرفان وشاهر، وينظر ردة الفعل عندها ، فلما سمعت مجدية بذلك أخذت تشتم الطب والتحاليل المزيفة ، وتقسم على أنه ولدهما إلا إذا كان

من الشيطان ، وأخذت تتهم عرفان بالتحايل للتخلص من ولده بحجة الفحوص ، وأخبرها المحامي بعدما هدأت أن السيد عرفان رغم عدم تحقق النتائج الإيجابية سيقوم برعايته والعطف عليه إبراء للذمة ، وخوفا من خطأ الأطباء والخبراء.

ولما سمع عرفان بردة الفعل هذه لزم الصمت والحجرة عدة أيام ، وأخذ يفكر بطريقة يمكر بها بمجدية لتقول الحقيقة من غير أن تشعر .. ففكر بالتنويم المغناطيسي بالخطف والتهديد بالقتل إن لم تعترف وتقر بالمكيدة المدبرة ، كان عرفان يرى أن شاهرا شبيه في صورته بأمه أكثر من أبيه فلم يأخذ من هيئته الخارجية شيئا ، فقد صمم أن لا يخرج من الغرفة قبل أن يصل لنهاية لهذه القصة أو الصدمة.



شراء جوهرة

وبعد تفكير عميق وطويل وصل عرفان إلى فكرة وتتلخص هذه الفكرة بأن تتصل امرأة ذكية بمجدية ، وأن تستدرجها لفتح مكنونات وأسرار قلبها ، ويلزم أن تكون هذه المرأة صديقة لمجدية ، فعاد للاتصال بالمحامي حميد في الثعبانية وشرح له الفكرة الجديدة والهدف منها ، فاتصل المحامي بدوره بمكتب التحقيقات الخاصة ، والتقى بمديره السيد حمزات عاليوه ، وطرح عليه فكرة وخطة السيد عرفان ، وافق المدير عليها من حيث المبدأ ، وعرض على المحامي خطة أخرى تتلخص أن تتقرب امرأة من طرفهم بالسيدة مجدية على أن تظهر في حياتها صدفة وفجأة ، وتُكون معها صداقة فقال المحامي : افعل ما بدأ لك .. نحن نريد أن نتأكد بقوة وجزم من صدق معلومات هذه المرأة عن حملها من السيد عرفان.. وأن هذا الشاب المدعو شاهر ابن حقيقي له.. شغلتنا هذه المرأة .. وشغلت السيد المحترم عرفان.. فقضية البنوة هذه قصة عجيبة .. فرغم التحاليل فالسيد عرفان ما زال يخامره الشك والظن في نتائجها.

وضعت مجدية تحت مراقبة رجال مكتب التحقيق الخاص ، فعرفوا الأماكن التي تتردد عليها والأوقات التي تغادر البيت فيها ، ثم قام رجال المكتب باستئجار منزل قريب من بيتها ، ولم تكد تمضي أيام حتى كان المستأجر الجديد وزوجته من أصدقاء العائلة، وأظهر لهم أنه رجل اجتماعي يحب الجلوس والسمر والاحتكاك بالجيران والتـعرف عليهم بسرعة ، ولم يفتحوا معهم خلال الأسبوع الأول من التـعارف شيئا عن قضية عرفان ، وأخذت الزوجة المزعومة عندما يغادر زوجها للوظيفة التي يعمل بها تتردد على جارتها أم سمر حتى اطمأنت لها.. وذات صباح فاجأتها المرأة وهن يشربن القهوة سوية قائلة : لقد سمعت من بعض الجيران أنك أرسلت ولدك الوحيد إلى أمريكا للعلاج .. ماله ؟ ما به؟

فقالت مجدية ببساطة : آ .. ذهب مع أبيه للعلاج.

فتظاهرت المرأة بالاستغراب وقالت : أليس أبوه ميتا ..ألم تخبريني أن زوجك الأول قد مات منذ زمن؟!

قالت: إن لذلك حكاية ، ولابد أن الجارات المحترمات حدثنك بذلك.

وأخذت تعيب على النساء كثرة ثرثرتهن ونميمتهن فقالت المرأة : الحق والله أني سمعت من بعضهن قصة غريبة .. لم تدخل مخي بعد يا أم سمر ولكني سمعت أيضا منهن أن أباه الحقيقي قد مات ، وأن السيد الأجنبي لا علاقة له به ..فلا أدري ما هو الصحيح يا أم سمر؟

فغضبت مجدية من جاراتها وصاحت : إنهن كاذبات ماكرات.

وقصت عليها قصة حياتها وزواجها من عرفان الفنزويلي وسفرها إلى أمريكا ، ثم طلاقها والقصة المعروفة الآن للقارئ الكريم ، فلما انتهت من حديثها قالت المرأة : أنت صادقة! ولماذا تكذبين بعد أن وصلت لهذه السن من العمر ؟ .. وهي قصة عجيبة وهل اعترف أبوه بهذه الحقيقة يا أم سمر ؟

فقال مجدبة بحزن : للأسف لم يعترف بعد بذلك ، ولم يصدقني ، ويعتقد أنني محتالة أدبر مكيدة لنيل ثروته .. ولكن الظروف والأحوال هي التي دفعتني للتظاهر بعدم الحمل .. كان لابد من ذلك في تلك الأيام الخوالي ، وإلا خسرت الزواج ممن عشق القلب .. ولولا موافقة جاسم زوجي وحبيبي لما تم زواجنا ولنكشف أمر الجنين ، وشاء القدر أن نسمع بموت عرفان فظل السر حبيس صدورنا .. ولكن لما ظهر عرفان زوجي الأول.. كان لابد أن يعرف الحقيقة .. الابن يعرف أباه ، والأب يتعرف على ابنه .. هذه خطيئة كبيرة يا أم حسن ويجب تصحيحها والرجوع إلى الحق فضيلة كما نسمع .. وشاهر ولد مسكين ضائع.

فتظاهرت المرأة بأنها سمعت القصة فقالت : والله أنا لما سمعت القصة من أم ربيع لم أصدق يا أم سمر.. وظننت بصراحة أنها حيلة منك لتحصلي على قرشين حلال من السيد عرفان ، لما سمعت بظهوره وغناه .. لا تؤاخذيني على هذا الظن .. فكيف يوافق رجل على إعطاء اسمه لولد يعرف أنه ليس من صلبه ؟ بل ابن من أخذ منه حبيبته!

فقالت مجدية بضيق : أعرف أن الأمر صعب ، وصعب تصديقه ؛ ولكنه حصل ، ويومذاك يا أم حسن لو حدثت أهلي بالحمل لخشيت أن يعيدوني إلى السيد الفاضل عرفان .. وأنا التي

أجبرته ورغبته بطلاقي والانفكاك عني .. وكان الحمل يومها في أول أيامه فلم أشعر به.. ووافق جاسم على الدور المطلوب منه ؛ لأنه لو رفض إعطاء الجنين اسمه ، قد لا يظفر بالزواج مني .. وقتل الجنين لم أستطع الإقدام عليه .. كانت الأمور معقدة .. أنا أريده وهو يريدني .. ورفضنا أن نجعل الحمل عقبة أمام حبنا وعشقنا الكبير ..هذا ما كنا نفكر به فقط فأهلي كانوا يكرهونه ويعتبرونه سبب تخريب حياتي الزوجية لـمَ اشتهر عنا من حب وغرام

فقالت أم حسن : هذه هي القصة إذن يا أم سمر.

فقالت أم سمر : آ .. والله هذه الحقيقة يا أم حسن .. وهؤلاء الجارات حاسدات لي ولولدي شاهر الضعيف المسكين .. فهن يفترين عليّ الكذب .. ويدعين أنني أمكر بالسيد عرفان .. وأنني استغل أمر عودته بعد كل هذه السنين ، واستغل موت زوجي جاسم فاخترعت هذه الحكاية .. وولدي أبله فأستطيع أن أحتال به على هذا الرجل الطيب .. والله هذه الأفكار ما خطرت ببالي .. ولست طامعة بثروة زوجي السابق .. فالحمد لله الحياة مستورة .. وهذا البيت ملك لزوجي الحالي.. وبيتي القديم كان ملكا لي ولزوجي جاسم.. وتركته لولدي المسكين .. ولو لا الحلال والحرام ما تفوهت لأحد بالحقيقة.

فقالت أم حسن : لابد أنك صادقة .. وهل ابنك سافر إلى هناك للعلاج فحسب ؟

فقالت مجدية التي تحب الثرثرة : لا .. ذهب للعلاج والتعرف على إخوته أيضا، وقيل إنهم هناك يستطيعون عمل بعض الفحوصات الخاصة لإثبات البنوة والنسب بينه وبين أبيه .. وله قريب من السنة عندهم.

فعادت أم حسن تسأل : ما أخباره ؟ لليوم يعمل التحاليل هل اتصل بك وأخبرك بنتائج التحاليل والمختبرات ؟

فقالت : شاهر مسكين .. منذ سافر لم أعرف عنه شيئا ، وقد زرت قصر جبل الأعمدة .. قصر والده ، وتكلمت مع مدير القصر فطمأنني على صحته .. وأنهم قد يعودون قريبا .. وها أنا أنتظر النتائج مع أن المحامي الخاص للسيد عرفان تحدث معي وأخبرني أن التحاليل لم تحسم

الأمر والله أعلم يا أم حسن.

فقالت المدعوة أم حسن: إن شاء الله ستكون النتيجة كما تحبين وترغبين.. وتثبت البنوة بينهم ويرتاح بالك وتطمئنين على سعادة ابنك شاهر.

فقالت مجدية : إن شاء الله فشاهر ولد بحاجة لأهل وإخوة ومال.

فقالت أم حسن وهي تنهض : سيتحقق رجاؤك وحلمك تجاه ولدك.

وغادرت أم حسن بيت جارتها أم سمر ..وكانت قد قامت بتسجيل الحوار على جهاز تسجيل صغير ، واستطاع رجال المكتب إقناع إحدى صديقات مجدية بمبلغ مغرٍ بالنسبة لها من إغواء مجدية بالحديث عن قصة شاهر ، وقامت الصديقة بإثارة الموضوع مع مجدية ، واتهمتها بالكذب والخداع ، فثارت الأخيرة وغضبت وأقسمت أنها صادقة وأنها بعد طلاقها اكتشفت الحمل ، وذلك بعد رجوعها لوطنها، ونقلت هذه المعلومات وشريط الكاسيت الذي سجلته أم حسن إلى السيد عرفان، فاستسلم للأمر الواقع في النهاية ، وأخذ ينظر لشاهر على أنه ولده وشرع يفكر بالإجراءات اللازمة لتحويله إلى ابن شرعي ، وبعد تدبر وتفكير مع سكرتيره الخاص ارباس ، والطبيب سيرجي صديق العمر ، اتفقوا على أن يسافر عرفان في الوقت المناسب إلى وطنه السابق ، وأمام إحدى المحاكم المناسبة تقر وتعترف مجدية بجريمتها ، وإخفائها أمر الحمل وأن هذا المولود كان من زوجها الأول ، وتقدم كذلك تقارير وتحاليل المختبرات للمحكمة ، وعلى أثر ذلك نقل عرفان هذه الأفكار إلى المحامي الصديق منذ سنوات حميد عز الدين ، وطلب منه عدم الحديث بذلك مع السيدة مجدية ريثما يحضر .

اعترفت الأسرة كلها بالابن الجديد ، وإن وافق بعضهم على هذا الدخيل على مضض ومجاملة لوالدهم ، وبدأ عرفان بتأهيل ابنه الجديد للحياة الجديدة ، وقد كان الدكتور سيرجي يتابع علاجه الصحي والبدني والنفسي ، وأخذ بعض المدرسين بتعليمه اللغة الإسبانية اللغة الرسمية للبلاد ، ولم يفلح بالتقدم فيها شيئا يذكر ، فصرف عرفان النظر في ذلك ورسم في مخيلته أنه سيقوم بالعناية به في بلده ، وسينـزله في القصر مؤقتا ريثما يبني له بيتا أو يشتري له بيتا وذلك

بعد أن تتم وتكمل إجراءات الاعتراف به ، وسوف يزوجه فتاة من بلده ، ويجعل له راتبا شهريا وعملا هادئا ، ثم خاطب محاميه عز الدين ، وكلفه بشراء منزل مناسب لزوجين حديثين وحول رصيدا باسم ولده يزيد عن مائة ألف دولار على أحد بنوك الثعبانية ولم يبق في نظر عرفان إلا إجراءات إعادة الاسم لابنه وحذف اسم جاسم ووضع اسمه مكانه في البطاقات والوثائق الشخصية ، وبينما السيد عرفان يستعد لهذه الخطوة الكبيرة والدقيقة في حياته اتصل به أحد الأصدقاء وكبار رجال الأعمال يخبره عن ظهور جوهرة في الأسواق العالمية ، جوهرة وزنها ١٠٠ غم ومن أصل آسيوي ، وهي معروضة للبيع في اليابان الآسيوية ويقال إنها كانت في ثروة أحد الأثرياء هناك ويريد ورثته بيعها ، ولما التقى الصديقان حدثه الصديق ماريو سبانتي أن ثمنها كبير ، فمطلوب فيها ما يعادل ثلاثة ملايين دولار، فلذلك تردد كثيرون من رجال الأعمال والمال وعشاق المجوهرات في شرائها ، فقال عرفان بعدما سمع حديثها ، وهو من الرجال الذين يعشقون الجواهر والأحجار الكريمة النادرة : أين هي معروضة الآن ؟

فقال ماريو : أين هي الآن أو مع من لا أحد يدري ؟ إنما ظهرت لها صور في المجلات وبعض محطات التلفزة وذكر عنوان ورقم هاتف فلما تم الاتصال بالرقم تبين أنه محامي ووكيل ملاكها

فقال عرفان : كيف سنراها ؟! ونتأكد منها وأنها جوهرة حقيقية ؟

فقال ماريو : إذا رغبت بها سأرتب لك الأمر .

فقال : أنت تعرف شغفي بالجواهر النادرة ، وإن كان السعر مرتفع سندبر الأمر .. نعم أريد مقابلة هذا الوكيل .

فوعده السيد ماريو بتدبير الأمر ، ثم انصرف ماريو ، وبعد أيام تكلم ماريو مع السيد عرفان فقال: لقد اتصلت بالوكيل في ماليزيا ، وبعد عدة اتصالات قال لي : حدد مكان اللقاء وزمانه .. فقلت له : أن ذلك يحتاج إلى سرية خاصة ، وسأتحدث معك ثانية .. وجئت اتفق معك فما تقول يا سيد عرفان ؟

سكت عرفان بضع دقائق ثم قال : ننزل الشرق الأوسط في الثعبانية حيث قصر جبل الأعمدة

قصري الجميل يا ماريو.. احجز له في فندق (الوردة البيضاء) لمدة أسبوع من مايو القادم ، وبعدما يصل الفندق عليه أن يتـصل بالقصر ، فأعطيه رقم هاتف القصر، وهناك أرتب معه مكان العرض والساعة ، وأنا سأتفق مع خبير المجوهرات روسي بارك .. وإذا أحببت السفر معنا يا ماريو.

فقال ماريو: لديّ أعمال تشغلني عن هذه الرحلة .. عندما تعود ظافرا بالجوهرة أكيد ستسمح لي برؤيتها .. سأتصل به ، وأرسل له عنوان الفندق كما تحب .. ووقت الرحيل بطريقتي الخاصة

فقال عرفان : سأتحدث مع السكرتير ارباس ليرتب الحجز هناك.. وأرتب نزولي هناك أيضا.. فلي حاجة مهمة أخرى بزيارة وطني الأول يا ماريو .. اكتب له وأحذر أن تعلم العصابات بهذا التحرك.. فأنا مريض ولست بحاجة لمعارك خطيرة.

فقال ماريو: اطمئن سأكتب له.. وإن تلقيت الموافقة سأخبرك لتستعد للسفر؛ فإن مايو قريب

تم حجز جناح بفندق (الوردة البيضاء) ذي النجوم الخمسة لمدة أسبوع ، وهو الأسبوع الثاني من مايو ١٩٩٤ م ، وقد وافق وكيل صاحب الجوهرة على هذا اللقاء والعرض ، ولما اقترب شهر مايو ركب الطائرة الخاصة عرفان وبعض أبنائه الابن سليم وابنته عبير ـ هؤلاء من صغار أولاده ـ وطبيبه الخاص وسكرتيره ارباس وممرضته الخاصة جوانا باربكير وخادمه الخاص لويس وسائقه وثلاثة رجال أمن أشداء سوى حارسه المعتاد ، وخبير المجوهرات روسي باركر ومساعده دافيد ، وبصحبتهم الابن الجديد لعرفان الابن شاهر وكابتن الطائرة الخاصة ومساعده ، فكل هؤلاء رافقوا عرفان في رحلته إلى بلاده الأولى ، وفي الأول من مايو هبطوا المدينة ، واستقروا في قصر جبل الأعمدة ، ولما استراحوا من تعب الرحلة اتصل عرفان بأخته أمينة ، ثم استقبلها وأولادها ، وعرف ولديه على عمتهم وأولاد عمتهم ، ثم استقبل مجدية التي عانقت ولدها ، وارتاحت نفسها لما لاحظت تحسن صحته ، وطلب منها السيد عرفان الاستعداد للاعتراف أمام مجلس القضاة بأن شاهرا هو ابن للسيد عرفان، وليس ابنا للسيد جاسم سرور بزة ، وعليها أن تستعد للقسم على ذلك .

الجريمة

الجواهر تتخذ من أصناف كثيرة من الألماس والياقوت والزمرد والعقيق واللؤلؤ والفيروز والكوارتز والاوبال والسفير ، فهذه الجواهر تسمى أحجارا كريمة؛ لأنها نادرة وثمينة ، والجوهرة التي يحاول السيد عرفان امتلاكها هي ماسة كبيرة تزن (٢٠) قيراطا تقريبا ، ويقال أن القيراط يعادل خمس غرامات ، والألماس يأتي بعد الياقوت بالسعر لندرته، فيباع نوع من الياقوت القيراط بمبلغ ٢٠٠٠٠٠ دولار، بينما يباع قيراط الألماس الأبيض المتصدع بخمس هذا المبلغ .. ويعتمد سعر الماس على الحجم ، واللون ، ودرجة النقاء ، وطريقة الصقل لألماسة، فكلما زاد وزن الحجر زاد سعره .. وربما تكون هناك جواهر ألماسية نادرة فتباع لقيمتها التاريخية وأفضل الألماس وأثمنه الأبيض المائل للزرقة ، ثم الأبيض النقي، فالأبيض المصفر ، فالأخضر الداكن ، فالوردي ، ثم الأزرق ، ثم الأحمر.. والألماس أصلب من الحديد.. وأشهر الألماسات في التاريخ ألماسة كوهينور أو جبل النور بالفارسية ، وهي أقدم ألماسات العالم، وقد عثر عليها في مدينة جولكندا القديمة في الهند عام ١٣٠٤م ، وكانت تزن آنذاك ١٨٦ قيراطا ، وأصبحت من مقتنيات (راجا الملاو)، ثم وقعت في يد السلطان بابر أول إمبراطور مغولي، ثم وصلت لنادر شاه الإمبراطور الأفغاني، وبعد اغتياله سنة ١٧٤٧م ، انتقلت لابنه، وقد تعرض ابنه (شاه شوها) لتعذيب شديد ، وفقد بصره قبل أن يتخلى عن ألماسة كوهينور، وبعدما تنقلت الالماسة بين أيدي كثيرة ، عثر عليها ضابطان بريطانيان في لاهور عاصمة البنجاب عام ١٨٤٩م وقدمت هدية للملكة فكتوريا فقطت إلى جوهرة وزنها ١٠٨,٩٣ قيراطا ، ثم انتقلت لابنتها الملكة الكسندرا ، وفي عام ١٩١١م ارتدت الملكة ماري تاجا يشع منه بريق الكوهينور ، ثم انتقلت للملكة اليزابيت زوجة الملك جورج السادس ، ويعرف هذا التاج الآن بتاج الملكة الأم.



ومن قصص أحجار الألماس ألماسة كولينان وهي أكبر ألماسة عثر عليها حتى الآن ، يبلغ وزنها ١٣٠٦ قراريط ، وقد أهديت للملك إدوارد السابع ، وأرسلت إلى أمستردام من أجل تقطيعها وإعادة صقلها ، وقطعت إلى تسع ألماسات بحجم كبير و٩٦ بحجم صغير .. وأشهرها نجمة أفريقيا الكبرى التي تزين الصولجان البريطاني ، ويبلغ وزنها ٥٣٠ قيراطا ، أما ثاني الألماسات المأخوذة من كولينان فيبلغ وزنها ٣١٧ قيراطا ، وتزين كذلك التاج البريطاني.



وهناك أجمل ألماسة ، وهي هوب وهي زرقاء اللون وتزن ١١٢٥ قيراطا، ولها مكانة خاصة في عالم الألماس ، فهي الوحيدة التي تطلق أضواء فسفورية حمراء حيرت خبراء الألماس.. وبطريقة ما انتقلت لفرنسا وبيعت إلى الملك لويس الرابع عشر الذي أمر بصقلها على شكل قلبين يزن كل واحد منها ٦٧ قيراطا ، وأطلق عليها اسم الألماس الأزرق للتاج ، ثم انتقلت للويس السادس عشر وماري أنطوانيت ، وفي عام ١٧٧٢ م سرقت الألماستان من باريس ، ثم ظهرت إحداهما في لندن عام ١٨٣٠م بوزن جديد بلغ ٤٤,٥ قيراطا ، واشتراها رجل أعمال بريطاني يدعى (هنري هوب) مقابل ٩٠٠٠٠ جنيه إسترليني ، وبعد وفاته عانى ورثته المشكلات ، وأفلس عدد منهم ، ثم انتقلت الألماسة إلى أوروبا الشرقية وأهداها أحد الأثرياء إلى ممثلة مشهورة ، لكن لم يلبث الثري أن قتل تلك الممثلة ، ولما اشتراها تاجر يوناني وقع له حادث تصادم حيث قتل ومعه أسرته ، وعندما انتقلت الألماسة إلى السلطان(عبد الحميد الثاني) وقع انقلاب وأطيح به ، ثم وصلت بعدئذ إلى الأمريكية (ايفلين ويلش ماكلين) حيث صاغتها على شكل قلادة من ٦٢ الماسة ، ثم روعت بمقتل اثنين من أبنائها ، وأصيب زوجها بمرض عقلي ، وبعد وفاة تلك المرأة عام ١٩٤٧م اشترى القلادة تاجر المجوهرات (هاري ونستون) بمليون دولار ، ثم تبرع بها لمؤسسة (سميث سونيان الأمريكية) عام ١٩٥٨م.



وبما أننا نتحدث عن الألماس فلنذكر أشهر الألماسات المعروفة غير ما ذكرناه آنفا ، فقد تعرفنا على كوهينور ونجمة أفريقيا وهوب وغيرها فهناك أيضا : ألماسة تيفاني وزنها ١٢٨ قيراطا، وهي ألماسة صفراء وعثر عليها بجنوب أفريقيا وألماسة الاكسلسيور أستخرجت من جنوب أفريقيا أيضا عام ١٨٩٣ م وكان وزنها ٢٠, ٩٩٥ قيراطا ؛ ولكنها قطعت إلى عدة قطع ، ثم هناك الألماسة المغولية أستخرجت من الهند في القرن السابع عشر ووزنها قبل الصقل ٥٠, ٨١٧ قيراطا، وبعد الصقل أصبحت ٥٠, ٢٨٧ قيراطا ، وأما ألماسة الجوبيلي استخرجت من جنوب أفريقيا عام ١٨٩٥م ، وبلغ وزنها بعد الصقل ٣٥, ٢٤٥ قيراطا.. وهناك ألماسة الرجنت ألماسة هندية وجدت عام ١٧١١م ، وبلغ وزنها ٥, ١٤٠ قيراطا بعد صقلها ، وهي الآن مستقرة في متحف اللوفر في باريس .. وكانت من مقتنيات التاج الفرنسي .. وهناك أيضا الألماسة الاورلوف هندية المصدر وبلغ وزنها ٦٠, ١٩٩ قيراطا ، وأهديت لكاترين الثانية الروسية عام ١٧٧٣م ، وألماسة الجونكر ٧٢٦ قيراطا ، والجاركاسي ٢٦٢ قيراطا وتسمى نجمة الجنوب ، واستخرجت من البرازيل ، ولا ننسى ألماسة الفلورنتين وزنها ١٣٧ قيراطا.



هذه قصص بعض وأشهر الألماسات في العالم ، لقد كان عرفان بشوق كبير لشراء وامتلاك الألماسة الآسيوية ، فلذلك كان قصر الفنزويلي في اليوم العاشر من مايو متوترا ، والكل في ترقب وانتظار ؛ كأن هذه هي المرة الأولى التي يشتري فيها سيد القصر جوهرة ، فكانت الترتيبات أن يأتي وكيل صاحب الجوهرة في تمام الساعة التاسعة ليلا إلى القصر ، وهو يحمل في حقيبته

الجوهرة الثمينة، فكان حرس القصر المحلي على أهبة الاستعداد لأي طارئ أو خطر مجهول ، وكان حارس عرفان الخاص أيضا على استعداد كامل للتعامل مع أي مفاجأة ، فالكل في استعداد وترقب ، وكان السيد عرفان قد أمر بإعداد قاعة العرض الخاصة في القصر لاستقبال الضيوف .. وهذه القاعة مزخرفة وملونة بأشكال وألوان بهيجة تسر الناظرين ، ولقد كانت في طرف القصر ، لها مدخل خارجي خاص ، ولها مدخلان داخليان ، ويسميها السيد عرفان قاعة الطيور لما رسم على جدرانها من ألوان وصور الطيور الجميلة الأخاذة ، فقد هيئها الخدم منذ الصباح لاستقبال الضيف الآسيوي ، ولما بلغت الساعة الثامنة والنصف ليلا مشى نحوها عرفان وتفقدها ، وقد أكد له السكرتير ارباس أن الزائر سيأتي في الوقت المحدد ، وأن سيارة القصر الخاصة قد ذهبت للإتيان بالزائر ومن معه، وقبل التاسعة بقليل دخل القاعة ولدا السيد عرفان سليم وعبير، ثم أتى الطبيب والسكرتير وخبيرا المجوهرات روسي ودافيد ووقف أحد الحرس أمام الباب الخارجي للقاعة من جهة الحدائق حيث سيدخل الزائر، وفي التاسعة أخبر حرس الباب الرئيسي للقصر السكرتير ارباس بوصول الزائر ورجاله ، فأخبر السكرتير عرفان بوصولهم ، وخرج ينتظرهم على باب القاعة ، وجلس عرفان على أحد المقاعد حول طاولة كبيرة وأنيقة ، وكان على يمينه ولداه سليم وعبير ، وبجوارهما الطبيب ، وكان الخادم يقف أمام أحد الأبواب الداخلية للقاعة ، وكان الخبيران يجلسان على يسار عرفان فدخل السكرتير ومعه ثلاث رجال آسيويون ، وخلفهم رجال الحماية ، فأشار لهم السكرتير بالوقوف بجوار الباب ، ونهض عرفان وصافح الضيوف الثلاثة ، وأشار لهم بالجلوس على المقاعد المعدة لهم أمامه ، وقام السكرتير بالتعريف بين الطرفين ، وقدم الخادم عصير الليمون ولما شربوه تحدثوا عن أخبار المجوهرات والألماس ، ثم أشعلت السجائر ، ثم قال عرفان للوكيل الآسيوي : هات بضاعتك .. فهؤلاء خبراء المجوهرات . وأشار لروسي ودافيد .

ففتح الوكيل الحقيبة التي وضعها على المائدة أمامهم ببطء ، ولكنه قبل أن يتم عملية الفتح للحقيبة ، أخرج من جيب الجاكيت التي يرتديها علبة جميلة وأخرج منها جوهرة بيضاء لامعة

ودفعها للسيد عرفان ، فأخذ الآخر يتحسسها بانبهار وإعجاب وجمال ودهشة ، ثم دفعها لروسي الذي قد فتح حقيبته وأخرج أدواته الدقيقة ومجهره ، ولما تحسسها ثم وزنها وأخذ ينظرها بعدساته دقائق ، ثم وضعها على الطاولة بغضب وقال : هذه ليست جوهرة حقيقية يا سيد عرفان .. إنها جوهرة صناعية!

فتناولها دافيد بدوره ، ونظر عرفان للوكيل بنظرة غضب ، ولما سمع دافيد يؤكد كلام روسي حملق بالزائر الذي قال بهدوء وابتسام : سيد عرفان لا تغضب .. خبيرك رجل عليم ماهر هذه نسخة شبيهة بها ، الاحتياط والحذر واجب ومطلوب أيها السيد الكريم.

ولما عاد الهدوء لعيني عرفان والحاضرين رفع الوكيل الجوهرة التـقليدية التي بهرت الحاضرين ووضعها في صندوقها الخاص ، وهو يقول : حسنا أيها السادة قبل أن تروا الجوهرة الحقيقية نريد الثمن الذي اتفقنا عليه يا سيد ارباس.

فقال ارباس : الشيك جاهز كما تم الاتفاق، والشيك بيد السيد عرفان.

أخرج عرفان الشيك المصروف على أحد بنوك النمسا ، فلما نظره الوكيل قال : تمام سيد عرفان ! فعندما تتأكد من الجوهرة الحقيقية سنضعها في البنك (الشرقي) كما اتفقنا مع المدير وعندما أخبرك أنني استلمت المبلغ سيقوم المدير بتسليمك الجوهرة.

فقال عرفان : جيد ! أنا سأتحدث مع المدير .. وغدا صباحا ستذهب مع ارباس فتضعون الجوهرة عنده وتدفعون له عمولته.. وتأخذ الشيك .. ولما تصرفه في أوروبا ، ويكون معك ارباس .. فعندما تتصل بالمدير سأستلم الجوهرة فورا .. ويعود ارباس والحرس .

فقال الوكيل : جميل هذا الترتيب!

فعندئذ قام حضرة الوكيل بإخراج صندوق من جيب رفيقه ، وأخرج الجوهرة الحقيقية ، وقدمها للسيد عرفان الذي بهر عندما لمع بريقها في عينيه ، وسال لعابه لتملكها ، وتركت تأثيرها على الحاضرين ، وكانت تعادل ٢٠ قيراطا ، ولما داعبها عرفان المغرم بالمجوهرات النادرة دفعها للخبير روسي باركر الذي أخذ بدوره يقوم بالفحوصات اللازمة للتأكد من أنها جوهرة ألماسية

حقيقية طبيعية وليست صناعية ، وبينما الجميع مندمجون في إنهاء روسي اختباراته لإتمام الصفقة صفقة الجوهرة الآسيوية رن جرس الهاتف ، فمشى ارباس مسرعا نحو الهاتف ، واستمع قليلا ثم مشى نحو عرفان وهمس قائلا : ماريو فنزويلا.

سار السيد عرفان إلى الهاتف وقال : أهلا صديقي ماريو واستمع بضع دقائق ، وكان خلال الاستماع ينظر لحظة إلى الآسيوي ، ولحظة إلى روسي باستغراب ، ثم قال : أمـعقول ذلك أيها الصديق ؟!

وصمت ثانية يستمع ، ثم وضع السماعة وقال : روسي .. دافيد .. وصلني الآن خبر أن هذه الجوهرة مقلدة وليست أصلية.

ارتبك المكان لهذا التصريح ، وكان الخادم قد أعلن في هذه اللحظات أن المائدة جاهزة للعشاء مع الضيوف ، فهتف الآسيوي دهشا : مقلدة !.. ألم يفحصها خبيرك روسي ؟ .. إني أحس رائحة لعبة سيد عرفان؟!

قال عرفان : لا تقلق جوهرتك بين يديك ، ومالي عندي .. وهذا صديق عزيز وعاشق مثلي لجمع المجوهرات ، وكلنا يملك مجموعة مهمة ونادرة منها.

فقال روسي محتجا : سيد عرفان ! الجوهرة التي فحصتها قبل دقائق ، وفحصها زميلي دافيد جوهرة أصلية ألماس طبيعي .. وكيف عرفوا من هناك أنها مقلدة تقليدا متقنا ليخفى علينا؟!

فقال عرفان : هذا ما نقل لي الآن .. أنا لا أشك بقدرتك يا روسي ، ولا أنت يا دافيد ، ولكن لا يخلو الأمر من مكر وخداع .. سنسافر النمسا أو هولندا ، وهناك نعرضها على أعظم خبراء المجوهرات .. وشهادة عدد منكم يا روسي ستزيد من يقيننا ، وقد نسافر لندن أو برلين أو بلجيكا أم تجارة الماس.. فهذه ملايين يا حضرة الوكيل .. وكل الرحلات على نفقتنا الخاصة.

فقال الوكيل بغضب : نحن نعرف بضاعتنا !.. سنلغي الصفقة سيد عرفان .. ولن أرحل إلى النمسا وإن كنت حجزت إليها لصرف الشيك الكبير.

فقال عرفان : سيدي الوكيل شانغ يانج .. لا يجوز إلغاء الاتفاق بعد كل هذه المصاريف

والنفقات .. إنما نريد أن نعرض البضاعة على مزيد من أهل الخبرة .. وهذا من حقنا.

أجاب الوكيل : أحضرهم إلى هنا .. هنا أمان أكثر .. أنا أخشى على نفسي من السفر إلى أوروبا وأنا أحمل هذه الجوهرة .. فنحن منذ تركنا بلدنا ونحن في خوف وقلق وتوتر وحذر فكيف تريد منا أن نسافر إلى أوروبا ؟! .. فصاحبك هذا لا يريد لك الخير .. يدبر لك كيدا

وقبل أن يرد السيد عرفان على اتهام الوكيل لماريو ، رن جرس الهاتف ثانية فأخذه عرفان من يد السكرتير وهو يتـعذر منه ويظن أن ماريو مرة أخرى : آ .. أنا عرفان .. من ! .. البوليس الشرطة ؟! .. ماذا قلت ؟ !

وترك السماعة وقال بذهول : قـتلت مجدية!!

وارتخى على أحد المقاعد وأغمض عينيه ، فنهض الطبيب نحوه مسرعا يفحصه ، وأمر بنقله إلى مخدعه ، فـقد تصدع قلبه لهول الخبر ، وتوكأ عرفان على أكتاف أبنائه وصعدوا به إلى مخدعه ، وقام ارباس بأخذ الضيوف إلى غرفة الطعام ، وبعد أن تناولوا لقيمات غادروا للفندق ، فنقلهم السائق بسيارات القصر مرة أخرى للفندق ، واستقبل ارباس رجال الأمن ، وكانوا ثلاثة ضباط ، ضابط برتبة كبيرة ومساعداه ، فرحب بهم وأدخلهم صالة الاستقبال فقال العقيد خالد محمد : لماذا أغلق السيد الكبير الهاتف أو سقط منه ؟!

فقال ارباس : نعتذر عن ذلك.. يبدو أن الخبر كان صدمة للسيد عرفان .. وها هو الطبيب يراقبه فقال لنا قتلت مجدية وتراخى على مقعده إنه مريض بالقلب .. ما الأمر؟

فقال العقيد : وجدنا أن امرأة تدعى مجدية تقطن في حي الرسمان مقتولة .. وسمعنا من جيرانها وزوجها أن بينها وبين المدعو عرفان قضية .. وأنها تريد أن تلصق به ولدا لها .. وأنه اعترف به .. وتريد أن تشهر ذلك في المحاكم .. فوجدنا أن المصلحة الأولى في الخلاص من المرأة تتجه نحو السيد عرفان .. وهو المستفيد من قتلها .. فاتصلنا به ثم انقطع الاتصال.. وجئنا لنسمع أقواله فكل الشهود أو قل الجيران يتهمونه بالغدر بمطلقته .. ولما سألنا عن الفنزويلي رأينا أن الأمر كبير جدا وخطير .. فأحببنا أن نسمع أقواله ورده قبل اتخاذ أي إجراءات رسمية والقيام

بالتحقيق .. فأقوال الناس لا يعتد بها ما لم تثبت وتتأكد صحتها، فنريد أن نرى السيد عرفان وابن تلك المرأة المقتولة فقد قيل لنا إنه نزيل القصر.

فقال ارباس : حسنا .. هيا نصعد إلى غرفة السيد عرفان ، لعله يستطيع استقبالكم .. وأما السيد شاهر فهو في حجرته .. وسيأتي به الخدم إلينا هيا.

كان ارباس قد تعلم اللغة العربية قبل أن يعمل مع عرفان ، فقد تعلمها للعمل في إحدى السفارات العربية، وزاد معرفة بها منذ بدأ إنشاء القصر هذا ، دخل العقيد خالد ومساعدوه وأمامهم ارباس حجرة السيد عرفان الذي كان ممددا على سريره ، وقربه خادمه المخلص ، وكان ولداه سليم وعبير يجلسان على مقعدين قريبين من السرير ، والطبيب قائم بالقرب منهم ، فبعد التحية قال ارباس : يا سيدي الدكتور كيف حال السيد ؟

ـ ما زال متعبا ومتأثرا من الخبر.. وأنا أفضل أن يؤجل رجال البوليس السؤال أو الحديث معه لصباح الغد .. فللخبر وفشل الصفقة أثر كبير على قلب السيد.

فعاد ارباس يتحدث مع رجال البوليس ، ثم قال العقيد : نفهم من كلامك أن السيد عرفان أمضى مساء اليوم في القصر.

فقال ارباس : من السادسة مساء والسيد عرفان في القصر، ولم يخرج .. فلقد كنا على موعد مع صفقة تجارية مهمة . . سيد خالد.

وجاء الخادم الذي أرسله ارباس لينادي السيد شاهرا ، فقال له السكرتير عندما شاهده : أين شاهر ؟

فقال الخادم : غير موجود في حجرته .. وحرس القصر لم يروه يخرج من القصر .. فبحثت عنه في الحدائق والأجنحة فلم أجده .. فيشك بعض الخدم أنهم رأوه يقفز عن السور بعد السادسة مساء.

فقال العقيد : حسنا سيد ارباس ! نشكر لك تعاونك معنا .. ونتمنى العافية للسيد عرفان سنعود ثانية صباحا.

ـ حسنا عقيد خالد على الرحب والسعة.. أرجو أن تتحسن حالة السيد الكبير ليتمكن من مساعدتكم في الوصول للجاني.. وتتأكدون أن السيد الكبير بعيد عن الشبهة.. ولا يمكن أن يفكر بالجريمة فهي أم ولده.



لماذا قتلت ؟

تحدث عرفان مع المحامي الذي لبى الدعوة سريعا ، وكان الوكيل الآسيوي قد سافر ليلة فشل الصفقة ، وأجل عملية البيع لوقت آخر ، ولم يكترث عرفان لذلك كثيرا رغم شغفه الكبير بالجواهر، وكان الذي يهمه الجريمة التي أودت بحياة تلك المرأة ، وأحس أن له دورا في القضاء عليها، وكلف عرفان محاميه حميدا أن يتصل بمكتب التحريات للتحقيق في مقتل السيدة مجدية وكان المحامي قد قام بلقاء رجال البوليس ، وأعطاهم مختصر علاقة عرفان بمجدية ، وأعلمهم كذلك أن السيد عرفان مهتم جدا بمعرفة الجاني ، ولما كلف مكتب التحريات بالمساعدة لمعرفة الجاني ، اتصل المدير بعرفان وعرف منه الغاية من معرفة الجاني ، فبين له أن لديه إحساسا بأن لمقتل هذه المرأة علاقة به ، وأنه يريد المعلومات الكافية حول الجريمة ومتابعة تحقيق رجال الشرطة، وأن يقدم له تقريرا سريا حولها ، لا يطلع عليه أحد سواه ، فكان عرفان يخشى ممن حوله أن يكون لهم يد في الجريمة ، فقام المدير حمزات بتكليف رجل التحري الخاص سعدي أحمد ضابط شرطة سابق بمتابعة القضية ، وكان سعدي يلخص الجريمة للسيد عرفان والمحامي حميد قائلا وهم يجلسون في غرفة خاصة في القصر : الطبيب الشرعي يرى أن الجريمة قد حدثت بعد السابعة وقبل التاسعة ليلا .. ويرجح أنها كانت قريبا من الثامنة .. لأن الزوج قريبا من التاسعة أخذ ينادي على الزوجة .. فالزوج مريض وهو رجل شيخ كبير في العمر، وقد قال لرجال الأمن : أن زوجته مجدية قدمت له الدواء والعشاء حوالي السابعة مساء أو أقل بقليل ، ولما شرب الدواء أخذه النوم .. فالدواء يحتوي على مواد منومة أو تساعد على النوم ..ولما استيقظ من النوم أخذ ينادي على الزوجة .. فلم ترد فظن أنها نائمة في الغرفة الثانية.. فترك السرير رويدا رويدا، ومشى نحو الغرفة الثانية حيث توقع أنها ترقد ، فوجد الغرفة مغلقة ـ وهذا ليس من عادتهم ـ فدفع الباب فانفتح وهو ينادي على مجدية .. أضاء النور ولاحظ أنها نائمة في وسط الغرفة من غير غطاء فاستغرب ، فاقترب منها وحركها ، وهو ما زال ينادي ، فوجد أنها غارقة بالدماء ، فذهل ووقع في نفسه أنها وقعت أثناء نومه ، وسال الدم من رأسها

من شدة الصدمة .. ولكنه شاهد ولاحظ أن الدماء كثيرة ، فاتصل بابنتها سمر التي أتت مسرعة فوجدت أن أمها مقتولة برصاصات في رأسها ، فصرخت وفزع الجيران .. وكانت الساعة تزيد عن التاسعة بقليل ، فلما أتى رجال البوليس والبحث الجنائي ورجال المختبر الجنائي والتصوير .. فتحدث أحد الناس أنه رأى سيارة تقف قرب البيت من ماركة (فيات) حمراء اللون عند الساعة الثامنة تقريبا ، ولم ير أحدا من ركابها.

ولما سمع القوم الصراخ لم يروا السيارة ، والشاهد يقول : إنها سيارة حديثة ، ثم تطوع الناس بالحديث عن قصة الفنزويلي والسيدة مجدية وابنها شاهر .. والأمر الخطير أيها السادة أن السيد شاهرا اعترف للبوليس أنه قد زارها ، وكان عندها قرب الثامنة أيضا ولا يدري بالضبط ؛ ولكنه قال للشرطة بأنه ترك أهل القصر مشغولين بشراء المجوهرات ، وقفز عن السور متسللا للشارع البعيد .. وهناك أشار لسيارة مارة في تلك الساعة ، فركب معهم فنزل المدينة ودخل إحدى الحانات ، وأروى ظمئه من الخمر ، ثم ركب سيارة أجرة نحو حي الرسمان حيث تقطن أمه ، وتحدث معها بعض الوقت ، وقال إنه لم ير زوج أمه ، ثم انصرف، وعاد يبحث عن ملهى يقضي فيه ليلته ، فساقته قدماه إلى إحدى دور العرض للأفلام ، وعند نصف الليل غادر دار السينما وهو في عالم آخر ، ولما وصل القصر كان الوقت قريب الصبح ، ولكن للأسف لم يشهد أحد من أهل الحي أنه رآه يدخل بيت زوج أمه .. فشهادته تحتاج إلى دليل ، ولولا كلام الطبيب ووضعه الصحي وبلهه لوضع في دائرة المشتبه بهم.

فقال عرفان : وهل هناك مشتبه بهم ؟

فقال سعدي : لحتى الآن لا.. فالبوليس يرى أنها جريمة مدبرة ليست بنت الساعة، ولابد لها من دوافع .. وأكثر الشبهات تحوم حولكم يا سيدي مع أن تعاون محاميكم مع البوليس ، وتكليفنا بهذه المهمة حير وأربك رجال البوليس.. فأنتم مهتمون بمعرفة الجاني كرجال البوليس.

فقال عرفان بثقة : أجل ، أجل .. هل من معلومات أخرى ؟

رد الشرطي السري قائلا : دوافع الجريمة ما زالت مبهمة.. وأولاد زوجها أنكروا صلتهم بالجريمة ، بل ليس هناك دافع قوي يحفزهم للخلاص منها.. فثروة والدهم ضعيفة.. فهو يعيش على راتب تقاعد يأخذه على أثر إنهاء خدماته في جيش البلد، وهناك راتب تقاعدي آخر نتيجة عمله في إحدى شركات القطاع الخاص ،المهم أن ثروته وحرمان الزوجة منها ليست سببا كافيا الآن لارتكاب الجريمة .. وهناك إشارات لأسرة مكونة من زوج وزوجة كانت تسكن قريبا من بيتهم ـ بيت المجني عليها ـ منذ حين سكنت شهرا أو أقل ، ثم رحلت واختفت فجأة ، ثم تبين لنا أنهم يقصدون رجلنا وأهله اللذين تم تكليفهم بالاتصال بأسرة مجدية لأخذ مزيد من المعلومات .. وأخبرنا البوليس بتلك الحقيقة ؛ لأن بعضهم يشك بهم ؛ لأن ترددهم على أم سمر والجيران كان كثيرا .. وكانوا مهتمين بالسؤال عنها وعن حياتها الخاصة وولدها شاهر.. والشرطة أكدت أن أداة القتل مسدس من عيار ٣٨ ملم ولم يعثر عليه بعد ، وهم يرون أن رجلا أو شخصا واحدا هو الذي أقدم على الجريمة ، فهم لم يجدوا في الغرفة إلا آثار أقدام المقتولة وزوجها وسمر وقدم أخرى ، وساعد على ذلك أن أحد الجيران أمر بإغلاق الغرفة حتى يحضر رجال الأمن فساعد ذلك على حصر الآثار على البساط.

فقال عرفان : قد تكون آثار حذاء شاهر ؟

ـ الغريب أنها ليست آثار حذائه الذي كان يلبسه .. ويظن شاهر أنه جلس وتحدث معها في بهو الشقة.

فقال عرفان : السيد شاهر لا يعتد بأقواله.. أرى أنه ناقص الأهلية .. فهو كثير الشرود والنسيان .. ورغم العلاج الكبير الذي بذلناه نحوه فما زال ساذج الفكر عاشق للشراب .. فهو ما زال محتاجا للمعالجة والمتابعة.

فعاد سعدي يقول : المهم أن المجرم دخل البيت من غير أن يلحظه أحد ، ويبدو أنه تحدث مع السيدة ثم غدر بها .. فهي لم تقاوم ، ولم يظهر أثر عراك داخل الحجرة .. ويعتقد رجال الأمن أن القاتل الغادر استعمل كاتما للصوت أثناء الجريمة، فلم يشهد أحد من أهل الحي أو الجيران

بسماع صوت الرصاص رغم أن أهل الحي في مثل ذلك الوقت لا يخلدون للنوم .. فما زال الوقت مبكرا على النوم عند حدوث الجريمة .

فقال عرفان : عليك أن تبذل أقصى الجهد ، وأقصى الوسائل والمعرفة .. فأنا يهمني الوصول للجاني .. فكما تعلم فنحن كنا مقبلين على جلسة مهمة في حياة الشاب المدعو شاهر.

فقال سعدي بصراحة : يجب أن تتذكر يا سيدي أن أكثر الناس يهمهم موت تلك المرأة أنتم ، وكان هذا قبل موافقتكم على الاعتراف بشاهر كابن.. أما بعد ثبوت البنوة والأبوة فحياتها تهمكم شخصيا للقسم أمام القضاة.. فإذا كان دافع القتل الحاق شاهر فالشبهة تحوم حولكم أنت وأولادك ومرافقوك.

فقال عرفان بانبهار : أنا أعرف ذلك !.. ومن أجل ذلك كلفتكم بجمع أكبر قدر من المعلومات والتحقيقات عن الموضوع .. فأنا أخشى أن يكون لأولادي ومرافقيّ يد في هذه الجريمة .. فهذا أمر خطير وقاس على القلب .. ولكني لا أرى في أولادي هذه القسوة التي تدفعهم للخوف على ثروتهم ، والتفكير بالجريمة لمنع بضعة ملايين عن أحدهم ، فهم كثر بفضل الله .. ولكن جشع ابن آدم عجيب ومخيف ، وسليم ابني الموجود هنا هذه أول رحلة له منذ جئت للبلاد منذ عشر سنوات رغم معرفته أنها مسقط رأسي وبلد أبي وجدي وأمي .. وهو شاب صغير لم يبلغ الخامسة والعشرين بعد .. وكذلك عبير فهي أول مرة ترافقني للثعبانية ، وأحبوا مرافقتي خوفا على حياتي وصحتي وموتي .. ولكن عليك أن تتابع حركاتهم منذ وصلنا قبل أسبوعين، وكذلك كل من حولي .. أنا تهمني نظافة الجميع يا مقدم سعدي.

فقال سعدي : أرجو أن تخيب الظنون يا سيد عرفان وأن يكون المجرم من خارج الأسرة والقصر فأنت رجل طيب!

فقال عرفان القلق المنهار: ولكن من يكون له مصلحة في قتلها بهذه الطريقة القاسية والجريمة المدبرة .. ماذا عندها ؟!

فقال سعدي : رغم المعلومات الكثيرة عن السيدة مجدية التي قام بها مكتبنا الخاص ، وتحرينا

عنها ، فلم نجد دافعا قويا يؤدي لمقتلها ، وحتى لو اتجهنا إليكم فليس هنا بالدافع الخطير الذي يؤدي إلى هذه الجريمة .. ولكن هل هناك صلة بين الجوهرة التي كنتم ترغبون بشرائها واختيار يوم مقتل المرأة ؟! بل لماذا فشلت صفقة الشراء ؟

فقال عرفان : لقد فكرت بكل ذلك ؛ ولكني لم أجد صلة ، ولم أصل لشيء لحتى الآن .. إنني الآن متعب جدا سأدخل غرفتي .. ولنكن على اتصال دقيق وسري يا سعدي.. هذا الجريمة أمر خطير .. خطير أيها السادة .. القصر تحت تحقيقاتك أستاذ سعدي تهمني الحقيقة كما تهم العدالة.

فقال سعدي : شكرا سيدي العزيز ، وأرجو أن نكون عند حسن ظنك وثقتك بنا

ولما انصرفا دخل الدكتور والخادم وقادوا السيد عرفان إلى حجرته ومنامه، وتناول بعض الأدوية وأقراص النوم ، وظل في سريره حتى هبط الليل ، فدخل الحمام واغتسل ، ثم نزل الحديقة حيث يحلو له السهر ، ولما استراح أرسل وراء ولده شاهر فعزاه بأمه ، ثم قال : لماذا ذهبت لأمك ذاك المساء يا شاهر ؟! .. هل أحد دفعك لتلك الزيارة ؟ بل لماذا خرجت من القصر تلك الليلة وبتلك الطريقة السيئة ؟ .. هذا تصرف اللصوص والجهال أنسيت نفسك وابن من أنت الآن ؟

فقال شاهر : سأقول لك شيئا يا سيدي لم أقله للبوليس.

فقال عرفان : تكلم يا ولدي .. ما هو الشيء الذي لم تقله للبوليس ؟

فقال بارتباك : يا سيدي الكبير ! .. تلقيت هاتفا مساء ذلك اليوم من أحد الأشخاص ادعى فيه أنه صاحبي ، وطلب مني زيارة والدتي ، وأخبرني أنها مريضة ومتعبة وتريدني ، وصدقته ، وهو الذي قال لي لا تخرج من الباب الرئيسي فقد يمنعك الحرس لانشغالهم بشراء الجوهرة الليلة فصدقته ، وخرجت متخفيا وتسللت داخل غابة القصر ثم قفزت عن الجدار ثم نزلت المدينة ، فقلت أروي حلقي وظمئي من الشراب ، ثم أمضي لزيارة أمي .. فقصة هذا الاتصال المريب هو الذي دفعني للخروج بتلك الطريقة وزيارة أمي تلك الليلة.

فقال عرفان المستغرب لهذا الاعتراف : أحق هذا يا شاهر أم خيالك يوحي إليك بذلك ؟! ولماذا أخفيت أمر هذا الاتصال عن البوليس ؟!

فقال بخوف : إنني لا أثق بهم .. وسينهالون عليّ بكثير من الأسئلة.

ـ يا ولدي .. الضحية والمقتولة أمك .. يجب أن نعرف الجاني يا ولدي ..أنت الخاسر الأكبر في هذه الجريمة .. نحن كنا على وشك الاعتراف بك رسميا .. وهذا الآن تعطل ويحتاج إلى جهد كبير.. وقد لا ينجح .. ولكننا سنستغل هذه الجريمة لإعادة نسبك إلينا رغم تعقد الأمر.

فقال شاهر بحيرة : أنا مذهول مما جرى !.. ولماذا قتلت أمي الآن ؟!

ـ عليك أن تتعاون مع الشرطة تعاونا أكبر وجادا يا شاهر .. فالأمر مهم وعلينا المساعدة للوصول لليد الآثمة.

ولما انصرف شاهر من عنده أغمض عرفان عينيه ، وقد تمدد على الكرسي الكبير ، وأخذ يفكر بالعلاقة بين قتل هذه المرأة وصفقة المجوهرات ، ويتسأل هل كان يوم مقتل مجدية وصفقة الجوهرة صدفة ؟ ثم قال : أنا الذي حددت يوم اللقاء مع ذلك الآسيوي الغامض .. وهل حقا الجوهرة البيضاء مزورة ؟ وما أدرى ماريو بذلك التزييف؟! ولكن ماريو رجل رحلات وخبير في أخبار المجوهرات .. ولماذا اعتذر عن المجيء معي لمشاهدة هذه الصفقة ؟! فهو من النادر أن يتخلف عن السفر معي لشراء جوهرة أو تحفة نادرة من الأحجار الكريمة .. ولكن ما دخله في مصرع مجدية ؟ لماذا صرعت بهذه الرصاصات الثلاثة ؟ ومن يكون القاتل الخفي يا عرفان؟ أرى علة قلبي لا تساعدني بدراسة هذه المأساة .. ولكن عليّ أن أحاول .. مصيبة كبرى لو كان للأولاد يد في هذه الجريمة .. ولكن لماذا يقتلون؟ .. ماذا يستفيدون من منع إجراء النسب ؟ ..فقد ثبت مليون في المائة أن شاهرا من صلبي .. البصمة الوراثية والجينات أثبتت ذلك.. وأيمان مجدية وإصرارها على هذه الحقيقة ..عبير فتاة طيبة وشابة صغيرة وأم طفلين .. وسليم صحيح أنه شرس وعنيد ؛ ولكنه أخ من عشرة فلا يضره زيادتهم واحدا آخر، والثروة كبيرة بحمد الله وفضله .. وكل له مشاريعه الخاصة .. لا أدري الآن ماذا يستفيدون من هذه الجناية الرهيبة ؟!

.. الجوهرة والمقتولة .. هل من صلة أيها الإنسان بينهما ؟ يا ترى هل سيصل رجال البوليس لشيء يريح القلب ويعيد الصفاء له ؟ لا أظن ما داموا لم يجدوا أدلة في مسرح الجريمة ، وحتى المسدس لم يظهر .. لابد من معرفة المجرم ولو دفعت نصف ثروتي ، بل ثروتي كلها ! لماذا حدثت هذه الجريمة ؟! فالقاتل مجرم لعين ثلاث رصاصات في الرأس .. ولكنها كانت عن قرب فماتت على الفور قبل أن تصرخ بأي صرخة الوضع لا يحتاج لقاتل محترف .. الزوج لم يسمع صوت الرصاص .. فللرصاص أزيز رغم وجود كاتم الصوت.. ولكنه كان مستغرقا في النوم من الأدوية .. أعود وأقول الجوهرة ومجدية وفتح عينيه بعد هذه الرحلة، فوجد الخادم ينظر إليه باستغراب وقال : ظننت سيدي نائما ! ولما سمعت بعض تمتمتك أدركت أنك مستيقظ.

فقال عرفان : لا تقلق يا صاحبي كنت أفكر والتفكير متعب للقلب والبدن .. هل من شيء ؟

ـ لا .. ظننت أن ألما ألم بك ، فكدت أن أتصل بالطبيب ليحضر .. ولما أدركت تمتماتك صبرت نفسي.

وفجأة قال عرفان وبدون مقدمات : لويس الأمين .. هل ترى من خائن في القصر ؟

حملق الخادم في وجه سيده وقال : سيدي ماذا قلت ؟!

فقال عرفان : لا تندهش فالمرأة المقتولة كانت على وشك الاعتراف أمام القضاة بجريمتها .. وكانت الجلسة ستعقد قريبا ، بعدما تتم صفقة شراء الألماسة الآسيوية

فكر الخادم العجوز ثم قال: الأمر صعب على الذهن.. لماذا يقتلون تلك المسكينة؟

أرى يا سيدي أن لهذه المرأة أعداء وخصوما .. لا أظن أن أحدا من نزلاء هذا القصر قد تضايق منها أو فكر بقتلها بهذه الطريقة الدرامية .. فإجراءات إعادة اسمكم إلى الابن قائمة والأوراق لن تغير الحقيقة .. فالحق أن الولد هو ابنكم، وإنما هذه الأوراق للرعاية والحماية والحقوق .. فهل يعني موتها أنك ستنفي الولد عنك فما قيل قد قيل ؟!

فقال عرفان : هذا صحيح يا لويس الطيب .. ولماذا قتلت إذن؟!

فقال الخادم : لابد أن لها أعداء يا سيدي.

فقال عرفان : سوف نرى ما يفعله رجال البوليس العام والخاص .. هيا بنا ندخل القصر .. هل اتصل ارباس بكاراكاس وأخبرهم أننا سنتأخر لظروف معينة ؟

ـ أظنه فعل يا سيدي.



الجريمة الثانية

قام السيد عرفان بزيارة مكتب التحقيقات الخاص بنفسه ، والتقى بالمدير العام للشركة ، وطلب الحديث بعد ذلك مع المقدم الشرطي المتقاعد سعدي أحمد ، ولما انفردا في أحد مكاتب الشركة قال السيد عرفان : ماذا أسفرت تحقيقات البوليس يا سيد سعدي ؟

رد سعدي : نحن نتعاون بشكل وثيق.. والبوليس وضع البيت تحت المراقبة الخفية، والمعلومات التي أدلى بها ولدك شاهر بناء على نصيحتك أثارت شهية رجال الأمن .. فهذا يشير إلى تأكيد أن الجريمة مدبرة ومخطط لها ، ودفع السيد شاهر لمسرح الجريمة لغاية الآن غير واضح.. لماذا دفعه المجرم أو المجرمون لمكان الجريمة؟! فهم يحاولون معرفة مصدر الاتصال ، ومن هو الصديق الذي دفعه لهذه الزيارة ؟ .. فقد أنكر زوجها وبناتها أن أمهن مرضت ذلك اليوم .. والمشكلة أن أقوال شاهر تربك التحقيق.

فقال عرفان : أعتقد أن كلامه صادق رغم ما به من خبل .. فشاهر سبب ضعف عقله ودماغه ظروف الحياة التي عصفت به منذ الصغر .. الوحدة والسجن والخمر والانحراف والفقر وعدم الزواج وعدم تحمل المسئوليات ، فكل ذلك أثر على ذهنه وفكره.

فقال سعدي : تقرير الطب الشرعي لا إثارة فيه ، ولا جديد ، فالرماية كانت عن قرب لا يفصل بين رأس المجني عليها وفوهة المسدس أكثر من نصف متر .. والرصاصة الأولى كانت القاتلة.. والبصمات لا يوجد بصمات غريبة عمن يتصل بالأسرة ، ولا يوجد سرقة في البيت .. والسيارة التي شوهدت ليلة الجريمة تقف قرب البيت من الصعب العثور عليها من غير أن يعرف أرقامها أو إمارات معينة تدل عليها .. الشاهد ذكر الماركة واللون .. وربما لا علاقة لها بالجريمة .. وأكثر الجيران لا يعرفون عنها شيئا لم يشاهدوها أو أنهم تستروا عليها .. فالجريمة ليست بسيطة .. وبالنسبة لأفراد أسرتك يا سيدي فقد تحدثت مع الخدم عن تحركات الجميع يوم الحادث ..وقد استعنت بسكرتيرك ارباس فليس لديهم معلومات دقيقة ، فحوالي الساعة الثامنة لم يكن ولداك في القصر ، ولا حتى السكرتير ارباس ، فقد قيل إنه ذهب لإحضار الوكيل

الآسيوي تاجر الجواهر ، وعلمت من أبنائك أنهما كانا في جولة في وسط المدينة ، وهما لا يعرفان تلك المرأة .. وإنما لمحاها مرة تتحدث معك .. والطبيب لم يغادر القصر ، والحرس بعضهم كان في القصر ، وبعضهم ذهب مع ارباس .. فمن الصعب الاشتباه بأحد من داخل القصر يا سيد عرفان.

فقال عرفان : وأنا معك في كل ذلك .. فما دام الشخص غير متهم فلا تستطيع إجباره على ذكر شهوده أثناء تلك الساعات الرهيبة ، الاشتباه يحتاج إلى دليل أو شبه دليل .. وماذا سيفعل رجال الشرطة في هذه القضية الغامضة ؟

تنهد المحقق سعدي بعمق وقال : الشرطة ستظل تتابع القضية ، حتى وإن أغلق ملفها وقيدت ضد مجهول.

فعاد عرفان القلق يسأل : سيد سعدي مجمل تحرياتك وانطباعاتك داخل القصر وسماع أقوالهم هل تشك في شيء في شخص ؟!

هز سعدي رأسه وقال : لم يتكون لديّ أي انطباع سيئ يا سيدي .. بل دهشوا للحديث معهم حول الجريمة .. فأخبرتهم بصراحة أن هذه رغبتك لأن البوليس والشرطة يشكون بهم .. فأدلوا بأقوالهم ببرود ومن غير اهتمام بالقضية.. وهم مستغربون لاتصال البوليس معك .. ولكن ارباس شرح لهم تعقيدات الموضوع؛ فكأنهم تفهموا الوضع وقبلوا الحديث معي ، وأجابوا على أسئلتي .. والمشكلة يا سيدي أن الأسئلة وحدها أحيانا لا تكفي ؛ لأن دافع الجريمة غير واضح للجميع .. فليس لدى السيدة مجدية أموال تدفع اللصوص والمجرمين لقتلها ، وليس لديها ثروة تدفع أحد الورثة للتعجيل في موتها .. نقطة الضعف الوحيدة التي تثير القضية هي علاقتها بكم وهي علاقة واضحة .. امرأة كانت في يوم من الأيام زوجة لك ، فحملت رغم أنفها منك ، وأخفت ذلك في أول الطلاق لأسباب ودوافع شخصية بها ، وتزوجت ممن رضي أن يشاركها في إخفاء الجرم ، ولما انتشر خبر موتك ظل السر حبيس الصدور حتى ظهرت على حياتهم من جديد ، وقد بذلت كل الجهود لرفض الاعتراف بالمولود ؛ ولكنك أمام حقائق

الواقع والتحليل الطبي استسلمت للأمر، والكل يعرف الآن أن شاهرا ابنك سواء دون ذلك في ورق رسمي أم لا.. فقتل المرأة لا يمنع تصحيح الخطأ.. فلماذا تقتل هذه المرأة ؟! فالحقيقة معروفة .. والمحامي حميد قد أخذ شهادة وتوقيع مجدية منذ زمن من العام الماضي .. وهي تقر بكامل قواها العقلية بأن شاهرا ولدك وأن كل المعلومات الموجودة حقيقية .. وهذا التوقيع وظروف الجريمة تدفع القضاة إلى قبول اعترافها.. ونزع اسم جاسم عن شاهر ووضع اسمك مكانه.. ومن ثم إنشاء الأوراق الرسمية له .. فقتلها لن يلغي هذه الإجراء.. إذا كان هناك شخص يسعى لتعطيلها .. فقط ربما تتأخر وحسب.

فعاد عرفان يردد بحيرة : إذن لماذا قتلت ؟! إن لم نكن نحن السبب .

ـ إنني أتتبع الأخبار والإشاعات ، وأجلس في الحي متنكرا ، وقد استأجرت حجرة صغيرة في إحدى العمارات على أنني عامل مغترب ، وبعد حين سأختلط بالجيران وأصحاب الحوانيت والبقالات.. ولابد من الوصول لشيء.

نهض عرفان ثم قال : على كل حال تابع جهودك وخطتك .. وقد رحل خبيرا المجوهرات صباح اليوم ، والأولاد يفكرون بالسفر.. وما داموا ليسوا في محل اشتباه سآذن لهم بالرحيل قريبا يا سيدي ..وسأطلعك على سر وهو أنني سأكلف شركات تحريات أوروبية للتحري عن قصة الجوهرة المقلدة التي كادوا أن يبيعوني إياها رغم خبراء المجوهرات الذين جلبتهم معي

ـ لعلهم صادقون ومنافسوك أرادوا إفساد الصفقة والتشويش عليك؟

ـ تأملت ذلك .. وماريو الذي اتصل وحذرني صديقي قديما .. ونحن هواة في هذه الرغبة .. وسفر الآسيوي السريع أكد لي ذلك التلاعب ففي نفس ليلة فشل الصفقة سافر.

ـ الآسيوي فكر بالرحيل بعد وصوله الفندق ؛ لعله تلقى اتصالا خطيرا فعجل بالرحيل .. وطالبوا هذه التحفة يهمهم إفساد الصفقة فخشي خطرا ما!

فقال عرفان : المهم أن المكتب الذي سأسافر إليه خلال اليومين القادمين سيقوم بالتأكد من المعلومات التي وصلتني .. وبعدها يكون لكل حادث حديث .. فروسي خبير كبير وقد غضب

مني .. ولكن وسائل الخداع والتزييف كثيرة هذه الأيام .. فيمكن خداع أجهزة الفحص بحيل رهيبة.. فتابع تفتيشك أيها المفتش ودعنا نظل على اتصال .. فقد بدأت بعض الصحف تغمز بي وتتسلى على مأساتي

وتصافح الرجلان ، وسار سعدي مع السيد عرفان حتى ركب المصعد ، ثم خرج من البناية ، فوجد السائق ينتظره فركب وانطلقا للقصر .

ولما تناول السيد عرفان العشاء ، وبلع أقراص الدواء ، وجلس يشرب الشاي مشروبه المفضل، خاطبه ارباس السكرتير فقال : مساء الخير يا سيدي فقبل الحديث عن اتصالات اليوم وأخبار العمل .. اتصلت بكم أختكم الفاضلة أمينة من قبل ساعات ثلاث.. ولما أخبرتها بخروجك ، قالت : فليتحدث معنا عندما يعود.

فقال عرفان وهو يضع الكوب الفارغ على المنضدة الصغيرة : ولم تقل ماذا تريد؟!

ـ لا يا سيدي.

ـ اضرب رقم بيتها يا ارباس.

ونهض السكرتير للاتصال ببيت السيدة أمينة ، فأجابه الدكتور أحمد ابنها البكر، فطلب أمه للحديث مع السيد عرفان ، ولما حضرت على الهاتف أعطى ارباس السماعة لعرفان الذي حيا ثم قال : نعم ، يا أمينة .. لماذا تبكين ؟! .. ماذا ؟! .. وكيف لم تخبروني .. إنني قادم ؟!

ووضع الهاتف والتفت لارباس ، وقال بغصة وحزن وانخطاف : ماذا حدث في هذه الدنيا يا ارباس .. ؟! أخبر السائق والطبيب والحارس بلانكا بالاستعداد للخروج.

فقال ارباس باستغراب: ما الأمر يا سيدي أثرت الهلع في نفسي ؟!

فتنهد عرفان وقال بحزن عميق : جريمة أخرى يا ارباس!! ..ماذا جرى في هذه الدنيا!

ـ جريمة .. جريمة قتل أخرى ؟!

ـ تقول أن البوليس عثر على جثة حفيدتها مريم قبل ساعات.. وقد نقلوها للمشرحة .. هيا!

أسرع ارباس ، وأيقظ السائق الخاص والطبيب والحارس وهو يردد : قبل أسبوع قتلت

مطلقته ..واليوم ابنة ابن أخته ؟!

ولما وصل عرفان لبيت أمينة وجد البيت مكتظا بالناس والأقارب والمعارف والجيران ، ومشاعر الحزن والخوف مرسومة وواضحة على الوجوه .. فاندفع نحو الدكتور أحمد الذي تقبل تعازيه بحرارة ودموع وشكر وهو يقول : قتلوها يا خالي! قتلوها خنقا بشال تضعه حول عنقها .. أمي في الداخل.

عزى عرفان جميع الحاضرين وأم مريم وإخوتها وأخواتها وأقارب زوج أخته أمينة، والتقى أمينة وهو يقول : صبرك الله يا أمينة .. وعظم الله أجرك.

ولما سمع كلمات الرد على عزائه عاد يقول: كيف حدثت الجريمة يا أمينة ؟!

فأخذت أمينة أخاها إلى حجرة خاصة، وأغلقت الباب، ولما جلسا قالت وهي تمسح ما تبقى على وجهها من دموع : والله يا أخي .. لها أسبوع كئيبة حزينة مرهقة ! لا أحد يدري السبب سبب ذلك الألم .. كانت تذهب للكلية بسيارة أخيها .. ويقول لا تتكلم أثناء الطريق إلا إجابة عن سؤال وترد باقتضاب .. وظننّا أن ذلك من تأثير المحاضرات والاختبارات.. ونقول فترة قصيرة وحالة نفسية وتزول وكانت تعود مع المساء .. وعندما نسألها ترد بغضب وضيق فندعها .. وهذا الصباح لم تذهب للجامعة ، وادعت لوالدها صباحا أنها مريضة ، فقام بفحصها فوجد عندها بعض الحرارة .. ولم يحاول الضغط عليها بالأسئلة ، وأحس أنها تعاني من مشكلة ما في الجامعة .. فتركها على راحتها .. وقد اتصل منذ أيام ببعض معارفها وزملائها فلم يفيدوه بشيء بل قالوا : إنها طبيعية جدا .. وعند الساعة الحادية عشرة قبل الظهر رن جرس الهاتف .. فرددت عليه بنفسي.. فسمعت صوت فتاة تطلب مريم فأتت مريم وسمعتها تتحدث آ .. نعم .. لا.. ثم دخلت غرفتها ولبست ثيابها وقالت لي : إني ذاهبة في مشوار يا جدتي العزيزة .. ولا تقلقوا عليّ إذا تأخرت .. وخرجت ولم تقل لي من هي التي تحدثت معها .. فاتصلت بأحمد وأخبرته بخروجها ، وأظهرت قلقي وخوفي عليها . . فقال : دعيها يا أمي .. فمريم ليست صغيرة وها هي في سنة خامسة طب ..

فوضعت السماعة وأنا أفكر بذلك الهاتف الذي عجل بخروجها ، مع أنها رفضت الذهاب للجامعة ، وفي الرابعة بعد الظهر جاءت سيارة شرطة ، وسألوا عن والد مريم ، وظننّا أن حادثا قد جرى لها ، فردت أمها التي عادت من عملها في المستشفى قبل ساعة : ما الأمر؟

فقال رجل الشرطة : نريد والد الآنسة مريم ؟

فقالت الأم بلوعة وقلق قاتل : ما الأمر يا حضرة الضابط فأنا أمها ؟!

فقال بصراحة : قد وجدت الفتاة مخنوقة في غابة الأندلس.

فقالت أمها : ميتة ؟!

رد الشرطي بنـعم ، فصرخنا ، واتصل أحد الأولاد بأبيه ، وذهبوا مع البوليس إلى المستشفى ، وشاهدوا الجثة ، وتعرفوا على الفتاة.. فكانت جثة مريم ، وكانت بطاقتها الخاصة قد وجدت في حقيبتها ، وكذلك بطاقة الجامعة ، فساعد ذلك على الوصول إلينا بسرعة والتـعرف على مريم ففقدنا الصواب وذعرنا للحادث الرهيب، وأغمي عليّ طبعا ، ولما استيقظت اتصلت بك لأخبرك بالقصة والحادثة المروعة يا أخي .. وهذه هي مصيبتنا.

فقال عرفان وكله حزن وأسى : إنا لله وإنا إليه راجعون .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. فتاة جميلة ناعمة يصيبها هذا الأمر .. تخنق في ريعان الشباب ! ما أقسى هؤلاء المجرمون ! .. والويل لهم من غضب الله ! .. الويل لهم .. ألهمكم الله الصبر والسلوان .. فماذا يقول البوليس عن الجريمة؟

فقالت أمينة وقد عادت تمسح دموعها وتتنهد بحزن وألم : غدا سنستلم الجثة لنقوم بمواراتها في التراب . والشرطة لم تقل شيئا بعد .. سيسمعون أقوالنا قريبا .. وأخذوا أسماء معارف مريم في الجامعة .. ولا أعلم إذا أخبروا أحمد بشيء آخر .. المهم أن مريم ماتت ..إنا لله وإنا إليه راجعون!

ـ تصبري يا أختاه .. ولابد أن يصلوا للجاني الأثيم ـ لعنه الله ـ الغادر.. تصبري يا أمينة يا أم أحمد..

ولما عاد عرفان للقصر كان في غاية التعب البدني والنفسي .. وإن حاول أن يتظاهر بالثبات والصبر أمام أخته وأولادها ، وقد داخله إحساس مرة أخرى أن له علاقة أيضا بهذه الجريمة علاقة غامضة ، فقال هامسا : مجدية قتلت ولم يعرف الجناة أو الجاني لاتصالها بي.. وأخشى أن تكون هذه الفتاة قتلت أيضا لاتصالها بي ؛ ولكن كيف ؟! ماذا دهى القوم ؟! أين الشرطة ؟! أين الأمن ؟! كنت أظن أن جرائم القتل فقط هناك في بلاد الغرب والأمريكان.. إيه ، فالشر في كل مكان على وجه هذه المعمورة .. سنرى ماذا سيفعل البوليس في هذه الجريمة الجديدة ؟ .. غدا صباحا سأدفع الأولاد للسفر .. ثم أسافر للنمسا لتكليف سيمون برفاري بمتابعة قصة الجوهرة اللعينة.

في الصباح كانت الصحف المحلية تتحدث عن مقتل فتاة الجامعة ، وكان فيها بعض التفاصيل ولم تزد عما سمعه من أخته أمينة .. وجد أحد حراس الغابة الفتاة ملاقاة على الأرض عند إحدى الأشجار .. لم يشاهد بوابو البوابة الرئيسية وحرسها دخول الفتاة .. وهناك ثغرات وفتحات كثيرة في الأسلاك الشائكة المحيطة بالغابة يستخدمها الناس للولوج إلى المتنزه.. وأيام النزهات تقف سيارات كثيرة خارج الشيك الحديدي ويدخلون من تلك الفتحات ، ولم يشاهد أي حارس أي سيارة تقف ذلك اليوم الحار قرب الشيك.. ربما وقفت بعيدة عنه أو لم تأت الفتاة وقاتلها بسيارة خاصة .. وجد الحارس المتجول الفتاة مطروحة على الأرض ، فلما اقترب منها وجدها مزرقة الوجه ، فأبلغ أمن الغابة على الفور فحضروا .. وتم إبلاغ الشرطة التي قامت بالإجراءات اللازمة.. هكذا اكتشفت الجريمة ، والتحقيق جار في ملابساتها وفك ألغازها وأسرارها ..

وتعد الجريدة قراءها بمتابعة تحقيقات رجال الأمن في كشف المجرم الذي تسبب في قتل هذه الفتاة البريئة الطيبة الطالبة في كلية الطب في الجامعة ، وعلقت إحدى الصحف قائلة المجرم الذكي يعرف أين يسوق ضحيته ؟ ومتى يخنقها ؟ فهو يعرف المكان جيدا ، ويدل على ذلك اختيار موقع خنق الفتاة وثانيا معرفته بخلو المكان في مثل هذا الوقت من المشاة ، وشدة الحر في

ذلك النهار تساعد الناس على ترك التنزه في ساعات الظهيرة .. فرحم الله مريم الفتاة الشهيدة .. ضحية العتاة والمجرمين.

ولما انتهى السيد عرفان من قراءة الصحف أخبر ولديه برغبته بالسفر إلى أوروبا وإلى النمسا بالذات بضعة أيام ، ورغبهم وحثهم على العودة إلى كاراكاس، وأنه سيعود إلى هنا بعد زيارة فينا لمتابعة هاتين الجريمتين ، وإتمام إجراءات إلحاق ولده شاهر باسمه رسميا ، وقد حاول الأولاد منعه من السفر إلى النمسا ، وحثوه على نسيان قصة الجوهرة والاهتمام بصحته ، فصمم وأقسم على السفر بنفسه، فأوصيا ارباس وطبيبه الخاص عليه ، وأخذا بالاستعداد للعودة إلى كاراكاس ، فحجزا تذكرتين إلى القاهرة المصرية ، ومنها إلى فنزويلا الأمريكية.



مشتبه به

سافر السيد عرفان ومرافقوه إلى النمسا وإلى صاحبه سيمون برفاري رئيس أو مدير شركة أمنية هناك ، وحدثه بقصة الجوهرة الآسيوية ، وبعد حديث طويل أخذه سيمون إلى شركة مهتمة بشراء الجواهر، وتحدث سيمون مع مالكها بقصة جوهرة عرفان ، ولما انتهى من الكلام رحب التاجر بعرفان ، وعرض عليه شراء مجموعته من الجواهر ، فشرح عرفان وجهة نظره وغرامه بالجواهر والأحجار الكريمة ، وعاد التاجر يتحدث عن الجوهرة الآسيوية ، وذكر أنه سافر لسنغافورة وقابل الوكيل الآسيوي ، ورأى الجوهرة وحاول شراءها قبل أن يعرف بها السيد عرفان ، وبين له أنه لم يتفق مع وكيلها ولا حتى مع الورثة ، فقد طلبوا مبلغا كبيرا لا تستحقه ، ثم علم أنها ستباع إلى رجل من كاراكاس من أمريكا اللاتينية ، ثم أكد له أن الخبير روسي لا يمكن أن ينطلي عليه التزوير ، وكان يرى أن الاتصال جرى للتشويش على بيع الصفقة ، وأكد له التاجر أن له منافسين رغبوا بإفشال عملية البيع ، ولما أخذ عرفان يدافع عن صديقه ماريو وصداقته القديمة قال التاجر : قد لا يكون ماريو هو الذي تحدث معك حقيقة.

فنظر عرفان لارباس الذي قال بدوره وهو ينظر للسيد عرفان بحيرة وقلق: ماريو!.. نعم ، ذكر لي أنه السيد ماريو صاحب حضرتكم .. وأنت لما تكلمت معه ألم تتحقق من لهجته ؟!

لم يرد عرفان بسرعة ، بل أغمض عينيه وحرك رأسه عدة مرات ثم قال : إنه ماريو ! سلم وتحدث عن الجوهرة .. فأخبرني عن التزييف والتزوير المتقن .. فشككت أن روسي متأمر معهم ، وقد دفعوا له مالا .. فأحببت أن آتي بها إلى هنا لنزداد يقينا .. والحق أن روسي دافع عن نفسه بحدة .. والآسيوي امتنع عن السفر إلى هنا فزاد شكي في الأمر .. وقد لا يكون الصوت صوت ماريو كان هناك بعض التشويش يا ارباس!

فقال التاجر: اتصل بماريو ، وتأكد أنه هو الذي تحدث معك وكيف عرف بالتزوير ؟ ووقت البيع ؟.. والآسيوي رفض السفر إلى أوروبا خشية من عصابات المجوهرات ولصوصها ، فالشرق الأوسط آمن في مثل هذه الصفقات .. فالعصابات المنظمة ضعيفة فيه ، وقد يكون معه

تعليمات ألا يسافر إلى أوروبا، وإذا كنت ما زلت راغبا في شرائها سأرتب لك رحلة إلى تلك البلاد ٠

فقال عرفان : إنني متردد الآن جدا في شرائها ؛ فإني أمرّ بظروف مرعبة ، وإذا فكرت ثانية بالحصول عليها سيكون بيني وبينك لقاء آخر.

وغادر الرجال المتجر، ولما دخلوا الفندق طلب عرفان من سكرتيره المخلص ارباس أن يطلب له السيد ماريو ، وأعطاه عدة أرقام خاصة ، فقد جعله التاجر النمساوي يتشكك في صوت رفيقه ماريو، ولما تحدث عرفان مع ماريو دهش لإنكار ماريو لذلك الاتصال ، فشكره ، وأدرك أنه كان ضحية لعبة ، وعادت الحيرة والشك لأفكار وعقل عرفان ويتسأل أمام ارباس : أمعقول أن يخدعني سمعي وذاكرتي يا ارباس ؟!

فقال ارباس معللا ما حدث : لم يخدعك سمعك ..ولكني لما قلت لك السيد ماريو على الخط كما أخبرني غلب على ظنك أنه ماريو .. فتعاملت معه على أنه صاحبك ماريو.. وأنا الآن أشك بأنه ماريو.. فقد كان على الخط تشويش أعتقد أنه مفتعل، وكذلك للوضع النفسي الذي كنا فيه لم نحاول التدقيق في سر المكالمة .. ولكن السؤال المهم يا سيدي .. من الذي يريد إفشال الصفقة الهامة ؟! .. هذا ما يجب أن نفكر فيه!

فقال عرفان : صدقت ، هذا ما يجب أن نفكر فيه .. مكر بنا .. للحقيقة نحن لم نتعامل مع هذه الصفقة بالسرية التامة .. السرية المطلوبة .. فكل الخدم والعاملين في القصر كانوا على علم بقصة الجوهرة حتى شاهر الجاهل الساذج عندما فارق القصر استغل توتر وقلق صفقة الجوهرة .. حتى قاتل أم شاهر استغل ذلك المساء ليرتكب جريمته ، ويحرض شاهرا بالخروج لانشغالنا بشراء الجوهرة .. هذا لغز يا ارباس علينا معرفة حله .. علينا أن نحاول معرفة الساعين لإفشال عملية البيع .. وكذلك من المتصل تلك الليلة ؟ هل هو من مصدر داخلي أو خارجي؟ .. فالسيد سعدي ضابط التحقيق الخاص سوف يساعدك في معرفة ذلك بواسطة شركات الاتصالات.. من التاريخ والوقت بالضبط وسوف تعرفون مصدر الاتصال ..

فنحن لم نبعد كثيرا عن عشرة مايو.

فقال ارباس : متى تعود إذن يا سيد عرفان ؟

فقال عرفان : نهاية الأسبوع .. نريح أعصابنا من جرائم الثعبانية بضعة أيام .. يبدو يا ارباس أنني دخلت في الشيخوخة المبكرة مع أنني لم أتجاوز السبعين سنة بعد .. لم أعد أعرف صوت ماريو ؟!

وأمضى السيد عرفان وسكرتيره وطبيبه وخادمه وحارسه رحلة هادئة في ربوع النمسا والدانوب.. ووصلوا القصر ليلا ، فتناول عرفان الدواء ، وحبات المنوم ، ورقد في فراشه حتى الصباح.



دخل السيد ارباس مكتبه واجتمع بمدير القصر أو قيم القصر ، واستمع منه عن الاتصالات التي دارت خلال الأسبوع المنصرم ، ثم اطلع على البريد القادم من جهات مختلفة ، ثم أجرى اتصالا مع السيدة أمينة بناء على رغبة السيد عرفان وعلم منها أن البوليس ما زال يتحرى ويتابع رفاق وزملاء مريم في الجامعة ، وأكثر الشبهات تحوم حول زميلها جرير ، ولكنهم لحتى الآن لم يثبتوا عليه شيء، فشكرها ارباس، وطمأنها على أخيها ، وأنه في الصباح قد يتحدث معهم أو يزورهم.

لما أصبح الصباح ، وتناول عرفان ناصر طعام الإفطار كالعادة شرح له ارباس سير العمل هناك وهنا ، واعلمه أنه تكلم مع السيد سعدي لمراجعة شركة الاتصال ومعرفة مصدر الاتصال ليلة العاشر من مايو ، ولما سأله عن أخته قال ارباس : كلمتها ليلة أمس ، وأخبرتني السيدة الفاضلة أخت حضرتكم بأن البوليس يشتبه بشخص اسمه جرير.

فهتف عرفان وهو يترك كوب الشاي من يده : جرير .. من جرير؟!

فابتسم ارباس وقال : لا أعلم ؛ ولكنه كما يبدو من كلامها زميل لها في الجامعة.

فقال عرفان بتعجب: أيضا زميل لها في الجامعة ! .. ارباس سوف أتحدث معها بعد قليل .. وأعرف من جرير هذا ؟.. إنني ـ يا ارباس ـ أذكر أنني سمعت هذا الاسم قبل هذه المرة .. جرير!

ـ كيف ؟!

فقال عرفان : هذا شاب قريب لنا.. أنا لي إخوه من أبي.. أربعة ذكور وابنتان ، وكلهم أكبر مني ومن أختي أمينة ، ولما ماتت أمي قديما هجروننا ونسوننا .. ولما هاجرت للغرب لم أعد أفطن لهم ، فقد كان يهمني فقط أختي أمينة.. ولي أخت من هؤلاء الستة اسمها أسمهان .. فجرير هذا حفيدها.. لما دخلت الضحية مريم ـ رحمها الله ـ الجامعة ، التقت به ، وجرى بينهم ما يجري بين الشبان من الحب والغرام كما يزعمون ، وقد تقدم لخطبتها وهم في السنة الثانية من الدراسة .. فأمره ابن أختي الدكتور أحمد بالتريث حتى تنتهي الدراسة ، ويتعين في مستشفيات الدولة.. المهم أن الدكتور أحمد ابن أختي لم يعرف يومئذ أي صلة قرابة بينه وبين ذلك الطالب ولا حتى الفتاة ، وأظن أن الشاب مثلهم أيضا ، ولما تعرف على أحمد أخذ عنوانه واسم أسرته وعائلته ، وأخذ بالسؤال عنه وعن أهله، فعرف أن جدته من جهة أمه أخت أمه ، وأولئك أيضا عرفوا بهذه الصلة ، فحاولت أسمهان التقرب لأختها بعد كل هذه السنين من الجفاء من أجل هذا النسب والزواج ، فلما التقيت بأختي حدثتني كما تعلم عن هذا الخطيب ذات مرة.. فقلت لها ولأحمد أرجو أن لا يتم هذا الزواج يا أمينة ، وتضايقت مريم من كلامي هذا ؛ كأن والدها حدثها برفضي لهذا الزواج لتنساه ، وإن لم يكن الرفض من جهة الأب أحمد .. تذكرت كل هذا يا ارباس .. فأنا مستغرب من هذا الاشتباه .. فهذا الشاب متعلق بها تعلقا كبيرا ، بل حدثتني أختي أنه أخبر والدها بأنه سينتحر إن لم يتزوج مريم .. إنه ولد مجنون .. فصبره أحمد وقال له من جديد : لما تنته الدراسة يخلق الله ما لا تعلمون ..وللحق أيضا أن مريم مغرمة به وتعشقه،

وهي راغبة به وتضغط عليهم لإتمام الخطبة على الأقل .. فقد رأته فارس أحلامها كما يقول أهل العشق .. فهل يمكن أن يكون هو جرير الذي حدثتك عنه أختي؟!

فعلق ارباس : أيمكن أن يقتل الفتاة التي يهواها ويحبها؟! وهو الذي هدد القوم بالموت إن لم يحققوا حلمهم ؟!

فقال عرفان : هذا صعب التصديق ؛ ولكنه ليس غريبا .. يا ارباس فالذي يهدد بالانتحار يهدد بالقتل.

وتحدثا قليلا بشأن العمل والشركات ، ثم نهض عرفان وجلس عند الهاتف وأجرى اتصالا بنفسه بمنزل أمينة ، وبعد السلام والمجاملات سألها عرفان عن جرير المشتبه به في هذه القضية فردت : نعم ، هو جرير بعينه .. فالشرطة تشتبه به ؛ ولكن التي تحدثت معي يوم الجريمة امرأة ليس ذكرا .. فهذا ما يحير البوليس ورجال النيابة، فقد قال بعض زملاء الكلية إنهم رأوه في الجامعة في الصباح ، ولم يتغيب عن المحاضرات ، وفترة حدوث الجريمة ادعى أنه عاد للبيت ونام حتى العصر ، ثم قام بزيارة أخت له وزوجها ، وأمضى المساء معهم ، ثم عاد للبيت وأمه شهدت أنه كان في البيت ، وعدد من حراس الغابة يعرفونها ، وكثيرا ما شاهدوهما مع بعضهم وأنهم يترددون كثيرا على الغابة للجلوس وتناول الطعام؛ ولكنهم يوم الحادث لم يروهما ، وهذا لا يعني أنهما لم يدخلا الحديقة أو الغابة ذلك النهار ، فكثير من الناس يدخلون من خلال الفتحات الموجودة في الأسلاك الشائكة ، فهناك فتحات كثيرة .. فيتكاسل الناس من الدخول من الأبواب الرئيسية فيتركون سيارتهم خارج الأسلاك ، ويجلسون على الأرائك تحت الأشجار مقابل سياراتهم ، ثم ختمت أمينة كلامها قائلة : والله يا عرفان إنني منذ يوم عرفت أنه حفيد أختنا أسمهان نفرت نفسي منه ؛ ولكن هذه البنت ؛ كأنها لم تر في الدنيا رجلا غيره .. مصيبة وكارثة لو كان هو القاتل الغادر!

فقال عرفان بعد سماعه كل هذه المعلومات والشكوك : ولماذا يقتلها الملعون ؟! وهو يزعم أنه محب لها لماذا ؟ هذا المهم يا أمينة.

فأجابت قائلة : لحتى الآن ليس هناك شيء واضح .. فسبب الجريمة غير محدد، ولكن الأيام الخالية قبل الحادثة كانت حالة مريم غريبة ، وكل وقتها في غرفتها .. الغم والحزن يغمرانها فلم تكن طبيعية .. كان هناك شيء حتى أن والدها أحمد يخشى أن تكون انتحرت وخنقت نفسها .. ولولا تأكيدات الطب الشرعي أنها خنقت بفعل فاعل ..شخص ضغط عليها الشال حتى خمدت أنفاسها .. لقلنا إنها انتحرت أو صدقنا ذلك الهاجس رحمها الله.

فقال عرفان : حدثني صاحبنا سعدي رجل بوليس متقاعد أنها قتلت بهدوء أعصاب ولم تقاوم قاتلها.. يبدو أن القاتل خدعها أو خنقها متظاهرا بالمزح حتى حشرجت روحها فتركها عندئذ .. آسف يا أمينة.. ارتفعت دموعك .. نسيت نفسي وأنا أتحدث عن قسوة المجرم .. وهذا لا يفعله كما يقول سعدي إلا شخصان .. إما فتاة تثق فيها مريم أو هذا المحب جرير ولكن لماذا تقتل؟ هذا ما يبحث عنه البوليس .. هذا ما سمعته صباحا من سعدي عندما اتصل ليسلم عليّ .. وهو لم يذكر أمامي اسم جرير معتقدا أنني لا أعرف شخصا بهذا الاسم على كل حال قلبي معكم وإنني أتابع القضية أولا بأول.

ثم أنهى الحوار وتمتم لنفسه وهو يضع الهاتف : لماذا يقتلها ذلك اللعين؟! فوالدها لم يرفضه رفضا تاما إنما أجل الحديث في الموضوع حتى تنتهي الدراسة .. ماذا جرى له عندما سمع بنبأ موتها ؟! إذا كان هو الفاعل لابد أن يكون هناك سبب أكبر من الرفض أو التأجيل قد دفعه للجريمة .. أقول مرة أخرى إذا كان هو القاتل الأثيم .. سأجتمع بسعدي اليوم حتى أسمع أخبار البحث عن قاتل مجدية وماذا استفاد من تنكره ؟

فقضى عرفان نهاره في داخل القصر ، فاطلع على الصحف ، وتحدث مع المحامي في قضية نسب شاهر، وبعد الغداء دخل المكتبة فقرأ في كتاب عن أسباب ودوافع الجريمة ، فوجد بينها الحب والعشق ، وأنه سبب قد يؤدي للقتل والجناية وذكر المؤلف عدة قصص وجرائم أدى فيها العشق لقتل المعشوق ، ووجد أن أكثر الجرائم في هذه الصنف تقع من النساء المعشوقات، عندما تكتشف غدر الحبيب أو تشعر بضعف هواه وحبه نحوها ، فتعجب من ذلك ، واستمتع بقراءة

هذه الحكايات ولما فرغ من القراءة علق قائلا :إذن يمكن للحب المزعوم أن يقتل! .. لا ، هذا ليس حب .. هذه أنانية ، المحب يحب لحبيبه الحياة وليس الموت الإنسان أمره مدهش وعجيب!!

غادر عرفان المكتبة، وتحدث مع مكتب التحريات الخاصة واتفق على لقاء مع السيد سعدي ، فرحب به المدير ، وانصرف إلى النوم فنام حتى المساء، ثم انطلق به السائق إلى مكاتب شركة التحقيق ، واستقبله المدير حمزات بنفسه ثم خلا بسعدي الذي أخبر بهذا اللقاء فترك منزله في حي (الرسمان) ، وبعد التحية والسؤال عن الصحة والعافية قال سعدي : تأكد يا سيد عرفان أنني أبذل أقصى جهدي وأدس أنفي بين كل اثنين في الحي ، واشتري الغرض وأمضي نصف ساعة وأنا أتحدث مع صاحب المحل.. ورغم كل هذا الجهد لم نتقدم كثيرا .. فالكل يتهم الفنزويلي بقتلها والغدر بها .. فهم يقصدونك بالطبع يا سيدي .. وعندما أواجههم وأقول أن الفنزويلي رجل كبير ومريض ولا يقوى على ذلك.. فيردون بأنه استأجر قاتلا .. فأضحك وأقول لا أدري هل يستأجر قتلة في هذه المدينة الصغيرة ؟! نحن لسنا في نيويورك أو شيكاغو فأتركهم على سذاجتهم وجهلهم وأتظاهر أنني مصدق لما يدعون .. فالقاتل شخص ماهر عرف اختيار ساعة تنفيذ الجريمة أو أن الصدفة ساعدته.

فقال عرفان : لم تمسك طرف خيط بعد ؟

ـ للأسف لأ .. ولكني لم أيئس يا سيدي .. فمهما كان المجرم بارعا لابد أنه ترك خيطا وراءه ..وأفواه الناس أحيانا لا تتفوه إلا بعد زمن ليس باليسير .. فالخوف يعقد الألسنة عن الحديث عما سمعته أو شهدته أو اشتباهها بشخص ما ولكن الأيام تجعل هذه الألسنة تتنفس..

فقال عرفان : وجريمة حفيدة أختي .. طالبة الجامعة الآنسة مريم.

ـ تعلم أننا غير مكلفين بالتحري والتحقيق في هذه الجريمة .. ولما علمنا أنها ابنة أخت حضرتكم أمرنا المدير أن نهتم بالأمر.. ولم نكتف بما قرأناه بالصحف ، بل تحدثت مع أحد أصدقائنا في دائرة التحقيق عنها.. وكما ذكرت لك صباحا أنهم يشكون بصديق لها .. ولكن للعلاقة

العاطفية الكبيرة بينهما يحاولون البحث عن قاتل مجهول ؛ ولأن جدة الفتاة شقيقتك أخبرت أن فتاة هي التي طلبتها ذلك الصباح.. فسبب ودافع الجريمة غير واضح لديهم .. والشاب يصر على الإنكار ، وأنه لم ير فتاته ذلك النهار.. وحرس الغابة شهدوا أنهم لم يروهم يوما في الغابة إلا وهي معه، فهم لم يروا واحدا منهما وحده البتة .. دائما معا إلا مرة واحدة شهد أحد الحراس أنه أتى للغابة ومعه مريم وفتاة أخرى.. فهو كثير التردد على غابة الأندلس فلذلك البوليس يرى أنه كان معها.. ولكن لا شهود.. فكان الوقت وقت حر وظهيرة ، ولم تشاهد الفتاة تدخل من بوابة الحديقة أو الغابة.

فقال عرفان : ولكنهما حبيبان ؟!

فقال سعدي : وهذا ما يدهش البوليس الآن.. ولكن البوليس قد تحدث مع زملائهم في الجامعة فشهدوا أنهما لا يكادان يفترقان خلال الدراسة إلا للضرورة .. وهم يقولون من الصعب رؤية مريم مع أحد من الزملاء دون جرير .. وهذا يؤكد أقوال حراس الغابة الذين يعرفونهما بشكل جيد؛ لذلك يرى البوليس أنه من الصعب أن تذهب مريم للغابة أيضا بدون جرير .. ويظنون أن الذي تحدث مع جدة مريم هو جرير ، وقد غير من صوته أو قلد صوت فتاة ؛ لأنه لا يوجد في حياة مريم بعد التحريات صديقة أو زميلة حميمة تدفعها للخروج من البيت في مثل ذلك الوقت ، وهي في حالة نفسية متعبة، تركت المحاضرات من أجلها .. فلابد من ساحب قوي، وهذا متوفر في جرير أفندي ، وقد أنكر هو هذا الاتصال .. ولا فتاة من صديقات مريم ذكرت أنها اتصلت بها في ذلك النهار حتى لمعرفة سبب تغيبها، بل من النادر اتصالهنّ بها.. والمشكلة أن أهل مريم لا يعرفون سبب تعبها وأزمتها في تلك الأيام التي سبقت الجريمة .. فالبوليس لا يرى أمامه إلا العاشق الولهان ؛ ولكن الأدلة غير كافية حتى تقدم للنيابة .. إنما هي أدلة ذهنية أكثر منها مادية .. وقد أفرج عن المدعو جرير .. وقد وضعوه تحت المراقبة إلى حين حتى يثبت لهم أنه بريء مائة بالمائة.

فقال عرفان وهو كأنه حالم : وطريقة قتلها الهادئة والماكرة لا يفعلها إلا من تثق به الفتاة وإلا

كيف تسلم له عنقها يضغط عليها بالشال دون مقاومة ؟!

فقال سعدي : وهذا الشال يثير الارتباك في التحقيق ..الطقس حار فلماذا الشال ؟ وجدتها لم تنتبه لما كانت تلبس بالضبط ، ولكن الشال لها ثابت أنه لمريم .. والكلام الذي أشرت إليه أيضا أحد القرائن العقلية ضد جرير ؛ ولكنها جريمة قتل يا سيد عرفان ! فنرجو أن يصل البوليس للحقيقة ليرتاح بالكم وقلبكم .. فالإنسان عندما يجهل عدوا يظل متوترا وقلقا .. وقد يصاب بالأرق والاكتئاب النفسي.

بعد صمت خيم على المكتب لحظات قال عرفان : هل يمكن أن تنتحر؟! فوالدها الدكتور أحمد يقول: لولا تقرير الطب الشرعي لظن أنها قتلت نفسها .. فهي كانت تضغط على والدها في الشهور الأخيرة من عمرها لقبول جرير خطيبا وزوجا لها، فيرى أن الحالة النفسية الغريبة التي كانت تمر بها ربما زينت لها حب التخلص من الحياة .. فهم يتذكرون بعد موتها تلك الأيام العصيبة والهياج وغير ذلك من التوترات والتصرفات والعصبية.

ـ ولكن المكالمة الهاتفية .. وعدم وجود هذه الفكرة لديها مسبقا.. وهي لم تصل مرحلة الاكتئاب الشديدة لتتحدث عن الموت والانتحار والقتل .. فهي ما زالت تحاول وتضغط على والدها ليوافق على الاقتران بجرير ..فهو لم يرفض الرفض القاطع .. والفتاة ذكية وتدرس الطب .. ورغم الحب والعشق فهي ممتازة في الكلية ، بل كل مدرسيها يثنون عليها ثناء حقيقيا ليس ثناء مجاملة أو ذكر محاسن موتاكم .. وفكرة الانتحار بالخنق نادرة حسب معلوماتي .. فهناك وسائل أخرى كالمواد السامة أو إلقاء النفس في بحر أو نهر أو من مكان شاهق.. هذا ما يناسب الحالات النفسية الحادة .. فالانتحار يستبعده رجال الأمن .. فالراجح أن لجرير هذا يدا في الجريمة .. ولكن لا دليل الآن ولكنه سوف يسقط.

شكر السيد عرفان المحقق الخاص سعدي أحمد ، ثم ودعه وانصرف عائدا إلى القصر ليجد في انتظاره مفاجأة ! فقد أخبره السكرتير أن شخصا اتصل بالقصر، وطلب الحديث معه ، ولما أعلموه بأنه غير موجود تحدث مع ارباس فقال مهددا : فليكن صاحبكم على حذر؛ فإني قاتله

قبل أن أقتل ، فلما سمع عرفان هذا الكلام وهذا التهديد دهش وقال لارباس : ما معنى ذلك ؟! ومن يكرهني لهذا الحد ؟! ولماذا سيقتل الملعون ؟! ومن سيقتله ؟ !

ثم تريث قليلا ثم قال بعد فكر : هذا جيد!.. فهذا قاتل مجدية .. يبدو أنه كان يريد من قتل مجدية أن تلبسني التهمة.. فلما تأكد فشله فهو يريدني قبل أن يقبض عليه

فصفق ارباس إعجابا وقال: أوه ! هذا هو التفسير الدقيق لعباراته ..ولماذا يريد تلبيسك قضية مجدية ؟!

ـ هو قتلها كرها لي .. ولكن من هو؟.. لا أذكر أن لي عدوا هنا منذ نزلت هذه المدينة .. أما لماذا يا ارباس هذا ما سنعرفه قريبا ؟ أخبر البوليس فورا بهذا التهديد ، وكذلك المفتش سعدي فالمجرم بدأ يحوم حول جريمته .. أنا لا أخشى الموت ، فقد أخذت نصيبي من الحياة .. وأعلم رجال الحرس بهذا التهديد الخطير، وقل للمحامي حميد أن يحاول التعجيل بقضية شاهر.

ـ إن الأمر لجد خطير يا سيدي.

ـ هذا قاتل يا ارباس .. ألم يقتل امرأة لأتهم بها ؟

أخذ رجال الشرطة التهديد والتحذير الذي وجه للسيد عرفان بغاية الجد .. فالمجرم هو الذي اتصل بالقصر ليلة تنفيذ الجريمة ، وتحدث مع السيد شاهر، فهو يعرف القصر والسيد عرفان حق المعرفة كما يبدو لهم ، وقررت الشرطة وضع رقابة سرية له أثناء خروجه من القصر ، وقد ارتاحوا لتحليل السيد عرفان ، ووجدوه قريبا من المنطق .. فهناك عدو خفي للسيد عرفان .. وقد قتل مجدية معتقدا أنه سيتخلص من السيد عرفان أو توريط شاهر.. فقال مدير الشرطة : إذن المجرم بدأ يتحرك

ونشط رجال الأمن بعد ذلك الاتصال ، ووضع قصر عرفان تحت أنظار دوريات الشرطة والمباحث .. وهناك أيضا في جريمة مقتل مريم حدث تطور قد يكون مهما كذلك ، فقد وجدت إحدى شقيقات مريم في أحد كراستها الدراسية ورقة بخط مريم تتسأل فيها هل يمكن للمرأة أن تتزوج قاتلا ؟!.. وهي تعرف أنه قاتل !

فلما قرأت الأسرة هذه العبارة احتارت .. فكلمة القتل كلمة مخيفة ، وعلى أثر معرفة الشرطة لهذه العبارة المكتوبة على ورقة داخل إحدى كراسات مريم.. فقد قاموا بجمع كتبها ودفاترها وتفقدها، وتمنوا لو أنهم وجدوا جوابا على سؤالها .. فمن هو القاتل الذي تتحدث عنه مريم ؟ .. فهل جرير قاتل ؟ وقتل من ؟!

فكان مدير الشرطة يقول للمفتش المكلف بالتحقيق : هذه العبارة فيها حل اللغز كله !

فسأله المفتش : كيف ؟!

فقال المدير: تخيل لو أن مريم علمت أن من كانت تريده خطيبا أو زوجا أنه قاتل .. سفاك للدماء .. هل تقبل الزواج منه ؟ .. وهل تصمت لتتستر على جريمته ؟ .. وهل أحس ذلك الخطيب بأنها عرفت حقيقته وجريمته ؟ وأنها قد تفشي سره .. فماذا عليه أن يفعل ؟

فقال المفتش بسرعة : يقتلها! .. ليخفي جريمته الأولى .. فالقاتل لديه استعداد للقتل مرة أخرى حتى لا يعرف أحد جريمته.

ـ هذه جريمتنا والله تعالى أعلم.

سقوط القاتل

دوائر الأمن ترتاب بالشاب جرير بأنه هو الذي قتل صديقته وزميلته في الكلية ، ومن هو القاتل الذي تتحدث عنه كلمات مريم في إحدى كراسات الكلية ؟ رجال البحث والتحري يطاردون جريرا ، فقد وضعوه تحت المتابعة الدائمة ؛ وكأن جريرا أحس بذلك ، فهجر الجامعة وادعى أن موت حبيبته مريم، واشتباه البوليس به زاد من تحسره وألمه وحزنه ، فكان يكثر من البقاء في البيت ، وقد أحضر له والده معالجا نفسيا ، وقد زاره أكثر من مرة ، وبدأ يتردد على العيادة النفسية، مما حير رجال الأمن حتى أن بعض المحققين والمتابعين للقضية تسرب إلى نفوسهم براءته من الجريمة.

وكان سعدي يضع السيد عرفان المشهور بالفنزويلي في صورة هذه الأخبار، فيقول عرفان : هل هجره للدراسة ندما أم خداعا لرجال الأمن ؟!

ـ المحققون في حيرة من أمره .. فكل القرائن العقلية ، وأقوال زملاء الجامعة ، وحتى أقوال أصحابه في الحي تدل على أن مريم لا يمكن أن تذهب للغابة البعيدة عن العمران من دون جرير .. ووضعها النفسي في ذلك اليوم والأيام التي قبله تدل على أنه لا يمكن لمريم أن تقبل الخروج إلا مع شخص له تأثير كبير عليها .. وحدثه عن قصة الورقة التي وجدت في كتب مريم التي تتسأل فيها عن الزواج من قاتل .. ولكنهم حائرون من تقصد بهذا الكلام ؟!

فقال عرفان : الأيام القادمة ستكشف المزيد من الأسرار .. وغدا لنا جلسة مع القضاة في شأن ولدي شاهر، ويقول المحامي إن القضاة مقتنعون بهذا المطلب، وأن اعتراف مجدية أمام المحامي كافي لتصحيح الأوراق الثبوتية .. وستكون الجلسة في العاشرة صباحا إذا أحببت الحضور.. ويقول حضرة المحامي أن الجلسة لن تستغرق أكثر من عشر إلى خمس عشرة دقيقة فقط.

فرد المفتش سعدي : بالتأكيد سنكون معك .. فما زال رجال الأمن يفرضون عليك حراسة خفية منذ تلقيكم ذلك التهديد .. وربما تلزم شهادتنا لدى القضاة.

فعلق عرفان قائلا : أخشى أن يكون التهديد مزحة أو سخرية من أحدهم .. فالذي تلقى

التهديد هو ارباس ..على كل نلتقي غدا أمام دار العدل.

ولما غادر عرفان مبنى شركات التحقيقات الخاصة ، واقترب من سيارته أطلقت عليه رصاصات من سيارة متحركة كانت تنتظر خروجه .. فلما فتح له رجاله الباب ليركب .. تحركت السيارة وأطلقت منها الرصاصات ، فأصابت أحد الحراس في ذراعه وأسرعت مبتعدة .. فقد كان الشارع في ذلك الليل قليل السيارات ، فارتبك رجال عرفان ، فأمر عرفان السائق بنقل الحارس المصاب إلى المستشفى ، ودخل المبنى واتصل بالبوليس وتحدث مع سعدي الذي هرع مسرعا ، وهو في غاية التوتر والاضطراب وهو يقول : أين رجال الأمن ؟ أين البوليس ؟ وكان أمن العمارة قد أخبر البوليس قبل اتصال عرفان .. فقد لاحظ الحارس الأمني المشهد ، ولكنه لم يتمكن من التقاط أرقام السيارة الهاربة .. فتجمع رجال الشرطة خلال دقائق ، واعتذروا عن غفلتهم في حماية السيد عرفان ، وبينوا أن الفريق المكلف بحمايته كانوا يجلسون في مطعم البناية يأكلون ويشربون الشاي ريثما يهبط .. فشكرهم عرفان ، فقال أحدهم : عندما طالت الجلسة مع السيد سعدي.. قلنا نتعشى ونشرب الشاي .. ونحن كنا نقوم بدفع الحساب عندما أطلق الرصاص.. فنحن لم نسمع صوت الرصاص .. فالمجرم يضع على مسدسه كاتما للصوت.

رفع رجال الشرطة الرصاصات الفارغة ، وحمدوا الله على نجاة السيد عرفان، وانطلقوا إلى المستشفى .. وهناك وجدوا أن الحارس قد ادخل غرفة العمليات لانتزاع الرصاصة التي استقرت في ذراعه ، ولما اطمئن عرفان على حياة الحارس ، قفل عائدا للقصر بحماية سيارات الشرطة وهو يقول : عدو حاقد .. من هذا اللعين الذي يريد قتلي ؟؟ غدا جلسة المحكمة!

اتخذت إجراءات أمن مشددة عند المحكمة ، وانتشر رجال البحث الجنائي والأمني في أروقة دار العدل ، وعلى الأبواب والمداخل خوفا من أن يكرر المجرم المجهول محاولة الاغتيال ، وحضر السيد عرفان إلى المحكمة ، واستمع القضاة أقواله ، واطلعوا على اعتراف السيدة مجدية وشهادات فحص البصمة الوراثية ، ثم تم إعطاء السيد شاهر اسم أبيه الحقيقي .. وهنأ المحامي

السيد عرفان على سلامته ونجاته من يد الغدر فشكره وقال : سأذهب للمستشفى لزيارة الحارس الشجاع الذي فداني بنفسه، وعليك متابعة أخذ قرار المحكمة ؛ لنقوم بعد ذلك بإخراج وثيقة شخصية وتغيير شهادة الميلاد للسيد شاهر ومن ثم جواز سفره فأنا أريد أن أسافر فقد طالت غيبتي عن البلاد والأعمال .. وليستمر سعدي بملاحقة قاتل أم شاهر .. وعليك بالاهتمام بأحوال أخواته الثلاثة .. فليس لهن الآن سواه.

ووعده المحامي بفعل كل مناسب ، وركب عرفان السيارة الخاصة به، وانطلق به السائق نحو المستشفى الذي يرقد فيه الحارس المصاب ، وكانت تتبعه بعض سيارات الأمن والشرطة ، ونزل عرفان إلى المستشفى والرجال أمامه وخلفه، وصعدوا إلى الطابق الرابع حيث ينزل الحارس بعد خروجه من غرفة العمليات ، وتعانق الرجلان ، وأبدى عرفان امتنانه وشكره الكبير للحارس الأمين وعلى إخلاصه فرد الحارس : هذا واجبنا يا سيدي ! لم ننتبه له ولحركة السيارة.

وبينما الجميع يثني على الحارس وشجاعته ، دخل أحد المرضى وهو يقول : أين السيد عرفان ؟ متظاهرا بأنه لا يعرف شخص السيد عرفان، وكان الطبيب المقيم يقول : هذا المريض دخل ليلة أمس ، وهو يعاني من آلام حادة في الأمعاء.

وبينما الطبيب يحاول التعريف بالمريض الذي يريد التعرف على السيد عرفان .. أخرج المريض مسدسا من ثيابه ، ولكنه قبل أن يستعمله كان قد تلقى ضربة من أحد رجال الأمن سريعا فسقط على الأرض، وانطلقت رصاصة أصابت الحائط من حسن الحظ ، وهجم عليه رجال الأمن سريعا ، فاقترب منه عرفان وصاح : أنت جرير حفيد أختي أسمهان لقد التقينا قديما!

فصاح الرجل المأسور بغيظ وحقد : إنني أكرهك .. أكرهك .. أنت سبب دماري!

فقال عرفان بتؤدة ودهشة : أنت إذن القاتل لمريم .. ولمجدية من قبل ؟!

فصاح جرير بحقد : أجل أنا القاتل! .. وأنت السبب .. ولكني تأخرت في قتلك لقد حاولت أمس ففشلت .. واليوم قد فشلت

فقال عرفان : أين التقينا أيها التعيس ؟!

فقال جرير وهو ينظر إليه بقهر وغيظ: يقال إن لك مستشفى خاصا .. هناك التقينا.

فهتف عرفان : أوه ! .. تذكرت .. كنت يومها مع مريم التي كانت تتمرن في المستشفى.. رأيتك معها .. ولكني لم أعرف اسمك يومها .. سلمتم عليّ .. ولم تعرفني بك مريم .. ولكن لماذا تكرهني وتحقد عليّ كل هذا الحقد ؟!

ـ لأنك رفضت زواجي من مريم.

ـ أنا ؟!

ـ نعم أنت ، ألم تقل لأختك وابن أختك أرجو أن لا يتم هذا الزواج ؟.. كانت مريم تحدثني بكل شيء .. فكرهتك ، حقدت عليك ، تمنيت موتك .. إنني أبغضك.

حضر مدير البوليس والمفتشون المكلفون بالتحقيق ، فسمعوا جريرا يقول : سأعترف لكم بكل شيء .. كنت أريد قتلك ثم أقتل نفسي .. لا حياة بعد موت مريم .. كان يجب أن تموت قبل أن أموت.

فساقه رجال الأمن مكبلا إلى دائرة التحقيق لاستماع أقواله واعترافاته.



جرير

جرير نادي الساعد طالب في كلية الطب في إحدى جامعات القطر، وهو ابن من ثلاثة ذكور للسيد نادي الساعد ، وأمه السيدة فاتن يسري وهي ابنة السيدة أسمهان ناصر أخت السيد عرفان ، فالسيد نادي الساعد رجل صاحب شركات وأموال، فلما نجح ولده الصغير جرير في الثانوية العامة ، وأحب الشاب أن يدرس الطب ، وأموال أبيه تساعده في ذلك ، فوافق الأب بدون تردد ، فقبل في كلية الطب ، ولم يبخل عليه والده بالمال ولا بالسيارة ، ولم يكن ينقصه الذكاء في التحصيل، وخلال السنة الأولى في الجامعة التقى بالآنسة مريم أحمد كطالبة في نفس الكلية .. وتصادقا ومع الأيام زاد تعلقهما ببعض ، فأصبحا عاشقين ، وانتشر ذلك في الكلية، وكما يقول أصحابهما مشروع زواج قادم! ، وكانا في انسجام تام ، ولما انتهت السنة الثانية اتفقا على الزواج.. وتحدث المدعو جرير مع السيد أحمد والد مريم في موضوع الزواج ، بعدما قامت مريم بتعريفهما على بعض ، وأبدى الشاب حسن نواياه ورغبته الصادقة بخطبة مريم والاقتران بها ؛ وليصبح الأمر واقعا ، ويتحركان من غير حرج ونظرات وغمزات الزملاء.. ولكن السيد أحمد لم يتحمس لهذا الزواج، وطلب منهما التريث بالموضوع بحجة إنهما تلميذان وغير ذلك من الأعذار .. هذا الاعتذار لم يعجب الشابان ، وأظهرت الفتاة غضبها من طلب أبيها تأخير الخطوبة حتى أن والدها اضطر أن يقول : ألستم تلتقيان منذ سنتين يا مريم ؟! فلماذا الخطبة ؟! فقالت الفتاة : كلام الزملاء .. وجرير شاب رائع ومناسب.

فلم يقتنع والدها بأقوالها ومبرراتها ، وأخذ يسأل عن أسرة الشاب ، فعرف بصلة القرابة التي تربط بينهم من جهة الجدات ، فتعقد الأمر لديه ، ولكنه لم يظهر ذلك النفور لمريم ، وحدث أمه بذلك ، فغضبت وحاولت منع مريم من الزواج بهذا الشاب .. فقط لأنه حفيد أختها أسمهان بعكس أختها أسمهان فقد كانت مسرورة لهذا الزواج ، بل اتصلت بأمينة وزارتها بعد كل سنوات الانقطاع لتقنعها بهذا الزواج ، وأنه قد يكون فرصة للتقارب وإعادة اللحمة الاجتماعية للأخوة ، ثم ظهر السيد عرفان في حياة الأسرة، وامتلئوا سعادة بمعرفته وحياته، وحدثته أمينة

بذلك ، فحبذ أن لا يكون هذا الزواج ، ونقل كلامه لمريم لعلها تستمع له وتقنع به ، فهي كانت مبهورة بخال والدها ، ومعجبة بقصة كفاحه ، وكانت تتحدث بذلك أمام الجميع وبفخر حتى سمعت وعلمت عدم رغبته هو الآخر بزواجها من حفيد أخته جرير ، أخته التي ماتت في قلبه بل كانت تحلم بأن تشفعه في موضوعها .. فحبها الكبير لصديقها جرير غير من هواها نحو أهلها وأسرتها ، وظهر النفور منها لكل أفراد الأسرة ، وازدادت تمسكا بفتاها ، وكان عرفان يحدث أخته أمينة بحكاية شاهر والتطورات التي تحدث ، وكانت مريم تسمح لنفسها بسماع هذه الأخبار عندما تتحدث بها جدتها لأبيها ، وهي بدورها تنقل الكلام بقصد القص والحديث للسيد جرير الغاضب على عرفان ، ولما عرف أنه شقيق لجدته أسمهان ازداد عليه حقدا وبغضا وكان يرى أن لهذا الرجل تأثيرا كبيرا على أمينة وابنها أحمد لما سمعه عنه من مريم ، واعتقد أنه سيكون العقبة الكبرى في طريق زواجه، وكانت مريم نفسها ترى ذلك ، وخشيت أن يطلبها لأحد أبنائه ، بل نقلت هذا الهاجس لجرير الذي خاف هو أيضا من تلك الخطوة ، ومن غير أن يحاولا التأكد من ذلك الاعتقاد أو اختباره فأخذ الوهم يكبر في نفوسهما .. ويريان أن رفض أحمد والد مريم بإجراء الخطبة بينهما خوفا من أمينة وخاله عرفان ، مع أنه رفض الخطبة قبل ظهور عرفان في حياتهم .. ولما عرف جرير بأن السيد عرفان سوف يعترف بولده شاهر ـ كما يعرف القراء ـ فكر بتدمير حياة عرفان بالقضاء على السيدة مجدية ، ولابد أن يشتبه البوليس بالسيد عرفان ، فقد كانت مريم تنقل له أن السيد متردد بالاعتراف بالولد ، وأخذه إلى أمريكا لإجراء التحاليل اللازمة لإثبات البنوة .. وسمع أيضا بقصة الجوهرة الآسيوية من مريم التي سمعتها أيضا من جدتها أمينة عندما استفسر والدها عن سبب مجيء عرفان العاجل ، فشرح لها ذلك .. فتعجبت من حب أخيها للمجوهرات .. فأحب جرير أن يجعل يوم شراء الجوهرة مأساة في حياة السيد عرفان ، وأن يقلب فرحه إلى حزن وألم هكذا توهم الشاب .. وكان يملك مسدسا ، فاشترى له جهاز كتم الصوت ، واستأجر سيارة ، ثم اتصل بشاهر وحثه على زيارة أمه ، وأوحى له بالقفز عن السور، وكان يقصد من ذلك كما جاء في اعترافه إرباك البوليس

وإثارة الشبه حول شاهر أيضا ، إن نجا منها عرفان ، فجاء شاهر لبيت أمه ، وقد رآه جرير وهو يدخل البيت ، وقد مكث وقتا يسيرا مع أمه ثم نزل ، فلما ابتعد عن بيت أمه دخل جرير المتسلل البيت ، وسأل المرأة عن شاهر مدعيا أنه رفيقه فقالت : لقد خرج يا ولدي.

فقال : حسنا ، اسقني ماء سألحق به.

ذهبت المرأة وأحضرت له الماء وهي تعتقد أنه صديق لولدها ، فقال : أنا طبيب .. وقد زارني شاهر عدة مرات .. واليوم قال لي أريد زيارة أمي .. لو تذهب معي يا دكتور .. فأتيت به بسيارتي.. فلما دخل البيت دخلت البقالة لأشتري بعض الأشياء وأتحدث بالتلفون .. وبينما هي مصغية إليه ، وكان قد هيأ المسدس أثناء إحضارها كوب الماء فأطلق عليها الرصاص .. ثلاث رصاصات في الوجه والجبين ..فغدر بها وتركها حيث كانا يتحدثان ، وهبط سريعا حتى وصل السيارة الراقدة في ظلام الشارع .. وكان يلبس حذاء خفيفا لا يكاد يظهر أثره على الأرض .. هكذا قتل هذا الشاب المتهور هذه المرأة بدم بارد ؛ لينتقم ممن يعتقد أنه سيكون العقبة الكبرى في طريق زواجه من فتاته.. وفعلا أثيرت الشبهات حول عرفان ، ولكن ثبت أنه ليست لديه دوافع قوية لتدفعه لارتكاب الجريمة ، ولم يكن هناك مصلحة لأولاده في ارتكاب الجريمة ، ولكن الذي تورط هو جرير رغم ترتيبه الدقيق للجريمة فتهيجت أعصابه وتوتر ، واعترف لمريم بفعلته الشنيعة وتسرعه ، فتألمت لتهوره وضاقت عليها الدنيا بما رحبت وأظهر جرير ندمه الكبير أمامها ، وأنه استسلم لنوازغ الشيطان والشر، وتسرع في تنفيذ فكرته، وادعى أن ذلك كان بسبب حبه الكبير لها، ولإزالة عرفان المعارض عن طريقهم ، ولكنها صدمت لإقدامه السريع وجرأته على قتل المرأة للتخلص ممن توهموا أنه لهم عدو .. ولم علم منها أن الشرطة لا تتهم أحدا ممن نصب لهم الشرك بقتل مجدية ازدادت حيرته وتشوش ذهنه.. وأنه فشل باتهام عرفان أو حتى شاهر بالجناية .. فبدأ يظهر عليه الخوف والرعب من مريم .. خاف أن تعترف للشرطة .. خاف من ضعفها الأنثوي .. فلم تعد تقابله بالفرح والابتسام والحب المعهود بينهم ..أصبح لقاؤها عتب وندم وبكاء وخوف وتلفت .. فعاد مرضه يصور له الخطر القادم والداهم

من محبوبته .. فهي الوحيدة التي تعرف سره وجريرته.. والبوليس ما زال يبحث ويتحرى عن قاتل مجدية.. وكبر الخوف في نفسه.. فأظهر لها رغبته بالانتحار إذا أصرت على النفور منه.. فتقول بحدة : دعني من هذه الأفكار كيف تقتلها بدون أن تشاورني في الأمر؟! .. امرأة بريئة ما بينك وبينها ؟! كيف تصورت أن البوليس بمجرد قتلها سيتهم عرفان .. هذا غباء يا جرير؟! فيبكي ويظهر الندم والعجلة ويقول : لا أدري كيف تصرفت ؟ بغضه أعمى قلبي .. إنه رجل حقود .. كل سنوات الغربة والمهجر ، لم تنزع من قلبه كره أخته ، بل أحفاد أخته .. إنه مجرم .. هو القاتل!

ـ ولكنك أنت الفاعل المنفذ!

ـ إنني أشعر بالأسف والندم والعجلة يا أميرة أحلامي .. لقد تسرعت ..لا تكوني ضدي يا مريم .. ساعديني.

فقالت بحزن : أنا معك .. وأشعر بأني شاركت مثلك في الجريمة القاتلة .. وسوف أساعدك .. ولكني أتسأل كيف سأتزوج من قاتل ؟ بل ماذا أقول لأهلي لو عرفوا بذلك ؟!

فهتف : لا أحد يعرف ذلك سوانا يا مريم.

ـ وهل ستنسى الشرطة الجريمة ببساطة ؟!.. سوف يستمر البحث عن المجرم يا جرير .. ويحتاج الأمر لسنوات حتى ينساه الناس والشرطة .. وماذا سنقول للأولاد إذا أكرمنا الله بهم بعد الزواج عندما يكتشفون أن أباهم قاتل ؟

فهاج وصاح : إنك تقتليني ألف مرة بهذا الكلام ! ولست أول مجرم في الدنيا .. الأرض مليئة بالقتلة.. وكل له أسلوبه وطريقته في القتل .. الجنود يقتلون .. القضاة يقتلون ..وها هم لهم أولاد وبنات.

فقالت بحدة أيضا : ويلك .. هناك فرق بين قتل وقتل.

فصرخ فيها : كله قتل! كم قضى القضاة على أناس أبرياء بالقتل! وكم معدوم ظهرت براءته بعد موته ؟! وكم مقتول في حرب أهلية أليس هؤلاء الجند قتلة ؟!

فصاحت : ولماذا تكون أنت قاتلا ؟!

هكذا كانت أكثر لقاءاتهما بعد مقتل تلك المرأة .. اتهام وتبرير حتى ضاق جرير ذرعا بأفكار مريم .. وبدأ يتحسس عنقه ليل نهار .. ويخشى حبل المشنقة ، وتتزوج مريم رجلا غيره .. وحالة مريم النفسية تزداد سوءا ، ويخشى عليها الانهيار النفسي فتقر بجرمه .. تضخم الخوف في نفسه أصبحت مريم تشكل عليه خطرا ، وبدأت تراود نفسه فكرة قتلها والخلاص منها.. فكلما زاد الخوف من حبل الجلاد زاد هوسه بالقتل .. فخيال مجدية أمامه في كل مكان تهتف في وجهه قتلتني يا ظالم ! .. لماذا قتلتني ؟! .. وما دخلي أنا بعرفان لتقتلني ؟! فيصرخ ويبكي ألما ورعبا ، ووصل في النهاية لقرار قاتل وهو قتل مريم .. فلم يعد يطيق تأنيبها ونظراتها سوف تعترف ويعدم ، وتتزوج زوجا غيره .. سيمتلكها رجل غيره .. وهو فعل ذلك من أجل عيونها من أجل الزواج منها .. وفي ذلك اليوم اتصل بمريم والتقيا فقال لها : إنني مشتاق لك يا أميرتي .. فلما علمت تغيبك عن الجامعة اتصلت بك وقررت اللقاء بك.

وأخذ يحدثها عن شوقه وغرامه ، وكانت الدنيا في وسط النهار فانطلق إلى حيث يحبان اللقاء إلى غابة الأندلس .. لم يسر بها حيث البوابة الرئيسية بل ركن السيارة في مكان ترابي بعيد عن الغابة ، وهو يقول : المشي على هذه الرمال والتراب ممتع .. وهناك مدخل من الأسلاك الشائكة كانت مريم مستسلمة لإرادته ، ولم يخطر في بالها ما في نفس جرير من الإجرام والخوف القاتل بعد مسير نصف ساعة تحت الحر وأشعة الشمس اقتربا من الغابة .. كانت هادئة لا أحد يجلس على المقاعد المنتشرة في الغابة فالشمس حارة .. دخلا من إحدى الثغرات .. جلسا على الأرض تحت شجرة ضخمة .. أخذ جرير يتكلم بالأحلام والندم ويتمشى هنا وهناك .. فلما تأكد أن لا أحد في المكان اقترب من مريم التي تتابعه بدهشة وتقول في نفسها : مسكين جرير حبه لي أعمى قلبه .. لابد أن بركانا في قلبه يغلي من الندم والأسف والخوف.

اقترب منها وهو يقول : مريم .. قتلني الحب يا مريم

فقالت : الحب لا يقتل يا فتى .. بل يطيل العمر .. أفكارك الضيقة هي التي قتلتك .. ليل نهار

أفكر بتلك المرأة المقتولة برصاصات مسدسك.

وكان جرير وهي تتكلم بهذا الكلام يتطلع يمينا وشمالا فقالت : لا تخف .. لا أحد هنا .. من يأتي في مثل هذا الحر أيها الحبيب ؟

وضع يده على رأسها وقال : إنني أخاف منك يا مريم .. أخاف أن تكشفي سري لأحد الناس.

ـ ويلك أأستطيع أن أقول لأحد ذلك ؟! .. فالشامتون كثر.

فقال : ما هذا الشال الذي تضعينه على رأسك الجميل رغم حرارة الطقس ؟

هي لبسته لأنها كانت تشعر بالبرد ربما بسب السقم خلال الأيام الماضية ، وأخذ الشال عن رأسها وأخذ يعبث به ، وكانت مريم تعلل سبب وضعها الشال وهي خارجة من البيت.. وادعت أنه بسبب المرض وإحساسها بالبرد منذ الصباح ثم قال : هذا مكانه العنق أفضل من الرأس . وأداره حول عنقها وهو يتظاهر بالحب والهوى .. فلما أحكمه حول العنق ضغط عليه وهي تنظر إليه بحيرة ودهشة حتى خمدت أنفاسها ثم قال : فليمت الخوف القاتل . ولما تأكد من موتها قال : لقد أراحتني من استعمال الحبل الذي أحضرته بلبسها للشال الناعم.

واختفى وهو يحمل أوزار الجريمة الجديدة على عاتقه قتل الفتاة التي ادعى أنه قتل من أجلها من أجل حبها .. الشيطان هكذا يسول للنفس .. ماتت مريم بيد من كم مرة داعبت يده شعرها الأسود الفاحم من الأيام الخوالي.

كانت الشرطة ترى أن الحبيب الولهان هو الجاني ، وإنما ينقصهم الأدلة المادية أو الاعتراف.. واستطاع جرير أن ينكر لقائه بمحبوبته ذاك اليوم .. فلم يره أحد من زملائه مع مريم ؛ فإنها لم تأت الكلية منذ الصباح .. الهاتف الذي قلد فيه صوت فتاة عندما تحدث مع السيدة أمينة أيضا رفع الشبهة عنه بعض الشيء .. ولما أفرج عنه كان في غاية الانهيار .. وأحس بأنه سفاح قاتل رهيب .. بكى كثيرا على قتله مريم ، وظن أن الخوف سوف يذهب ويزول عن صدره ؛ ولكنه وجد نفسه جريحا متهما ، الطبيب النفسي يعالجه .. نظرات الزملاء والأطباء في الكلية فيها الاتهام والغدر .. البيت تحت المراقبة.. ارتفعت الرغبة لديه بالانتحار ..ولم يستطع مصارحة

الطبيب المعالج بمأساته وجرائمه .. فقد غرق بمستنقع الجريمة .. البكاء والندم لم يغسل وحر الجريمة وإثمها في نفسه .. أصبح كلما يرى شرطيا يصاب برعب قاتل يظنه قادما للقبض عليه .. أشباح الضحايا تطارده .. نسي الصور الجميلة التي كان يعيشها مع مريم ، لا يرى إلا عينيها الجاحظتين نحوه .. العينان المستغربتان وحشيته وهما غير مصدقتين ما حدث ماتت مبهورة من جنونه نعم أصبحت مجنونا .. بدأ يراوده الخلاص من الحياة هذه المرة الانتحار .. ولكن يتذكر أنه لم ينتقم من عرفان من الرجل الذي تخيله عدوا ضخما له .. فلابد من موته أليس هو سبب فعله لكل هذه الجرائم .. فبدأ يتصل بشاهر من أماكن عامة ..الذي يظنه صديقا قديما له .. فكل بضعة أيام يتصل به .. ويعرف منه أخبار السيد عرفان بذكاء .. علم بعودته من النمسا ..وكان يعرف علاقة عرفان بشركة التحريات الخاصة منذ قتله لمجدية.. فقد كانت مريم تحدثه عن ذلك .. ذات مساء تحدث مع شاهر من بقالة فعلم منه أن والده خرج للشركة المذكورة .. فهو يعرف طريقها .. استأجر سيارة خاصة .. ودار بها هنا وهناك حتى أحس واطمأن أن رجال الأمن ليسوا خلفه فسار نحو بناية الشركة .. وأوقف السيارة قريبا من البناية وجهز المسدس .. يريد قتل عرفان ثم الانتحار بعد موته .. وكان جرير قد اتصل بالقصر سابقا وهدد بقتل عرفان .. فلما شاهد حرس عرفان وسائقه قد أضاءا السيارة .. شغل هو الآخر سيارته .. فلما لمح عرفان يقترب من السيارة .. تحرك رويدا رويدا حتى وصل بالقرب من سيارة عرفان وأطلق الرصاص ، وتابع سيره مبتعدا ، لم يعد للبيت ظل قريبا من المنطقة .. أدرك أنه لم يصب عرفان لقد نجا؛ بل أصاب حارسه إصابة غير قاتلة فاشترى حقيبة ووضع بها بعض الملابس والأثواب ، وبلع بعض حبات الدواء ليتظاهر بالمرض ، وعند منتصف الليل أو بعده بقليل ذهب للمستشفى الذي يرقد فيه حارس عرفان كان ينتظر مجيء عرفان لزيارة رجله وحارسه .. إنه يريد قتل عرفان مهما كلف الأمر .. أخفى المسدس في حقيبة الثياب دخل قسم الإسعاف الأولي ، ووضع شيكا بمبلغ خمسمائة دينار لإجراء الفحوصات اللازمة لأمعائه .. أعطي بعض الأدوية السريعة المفعولية .. حجز له سريرا في الطابق الرابع قريبا من حجرة المصاب .. وتقرر

أن يقام بتصويره على الأجهزة المتطورة في المستشفى في الصباح الباكر بناء على رغبته .. فقد أمضى ليلة على جمر ونار .. وفي الصباح لما أراد الأطباء تصويره طلب تأجيل التصوير لبعد الظهر.

ولما حضر السيد عرفان للمستشفى ترك الحجرة متظاهرا بأنه يريد التمشي في الممرات .. فدخل حجرة المريض الحارس ..وكاد يقتل الرجل لولا نباهة رجل الشرطة .. وسقط الشاب الطالب في كلية الطب في يد العدالة قبل أن يقتل خصمه الوهمي .. نجا عرفان ناصر من يد الغدر ، فحمد الله تعالى على لطفه ، واطمئن على الحارس المصاب ، وشكر فريق الأطباء والجراحين ، وغادر المكان وهو في ذهول من أمر الإنسان.

استقرار عرفان

لم تطل محاكمة جرير فقد أدلى باعترافات كاملة ، وأقر بها بنفسه وخطه، فحكم عليه القضاء بالموت .. وهذا جزاء القتل العمد .. وكان أهل الضحايا قد استقبلوا الحكم برضا ، وانتظروا تنفيذ الحكم الذي قد يستغرق سنة قبل تنفيذه .. ولعل ذلك يزيل عن قلوبهم الأسى والحزن على ما فقدوا من أحبائهم.

أما السيد عرفان فلما تماثل حارسه للشفاء غادر البلد إلى فنزويلا ، وانشغل بضعة أسابيع في قضية الجوهرة التي كان يرغب بشرائها ، وعلم بأنها بيعت لأحد الأمراء في بلاد الشرق ، فصرف نظره عنها ، ولم يحاول معرفة لغز الشخص الذي أفسد عليه الصفقة ، وعاد للنزهات والهدوء ، وكان شاهر في صحبته ، وأعجب شاهر بـ الأريبا الفنزويلية، وهي عبارة عن أرغفة صغيرة تصنع من الذرة ، وتعلم شرب الكانيتيلا اللاذعة الفنزويلية المشهورة ، وذهب إلى ميريدا حيث أعلى خط تلفريك ، وقد استمر عرفان بالعناية به وبصحته حتى تحسنت أحواله الصحية والبدنية ، وخف تعلقه بالكحول ، ثم عقد له على فتاة شرقية من مواليد فنزويلا ، وكان بين الحين والحين يتصل بأخته أمينة ويطمئن عليها، ويسمع أخبارها ، وكانت الأيام تمشي هادئة طيبة ، ثم تجدد مرضه القلبي فأصبح قليل الحركة.. يتحرك داخل القصر وأحيانا الشرفات ، وكان كما يقول لمحدثيه ينتظر ساعة النهاية رغم أنه لم يتجاوز السبعين بعد ، وشجعه الطبيب الخاص بالسفر إلى أمريكا الشمالية لإجراء عملية في القلب والشرايين ، وبعد طول جدال وضغط من الأولاد جهز للسيد عرفان طائرة طبية ، وسافر إلى بلاد الأمريكان حيث التكنولوجيا المتقدمة ، وبعد شهور من الفحوص والتصاوير والتحاليل أدخل السيد عرفان غرفة العمليات لإجراء جراحة في صمامات القلب.. وقد نجحت الجراحة القلبية ، وبعد شهور رجع عرفان لمكتبه وحجرته في كاراكاس ، وقد تحسنت صحته بعض الشيء ، فما زال يشعر بتعب وآلام في صدره ، وما زال يشعر بدنو أجله، فلم يعد يتابع الشركات والصفقات والحكايات، فقد ترك كل ذلك للورثة ، وأخلد للراحة التامة، وكان يحث أولاده على تسفيره

إلى مسقط رأسه إلى الأرض التي ولد عليها ، وبعد طول عناء وافق الأولاد كلهم على رحيل أبيهم إلى بلاده حيث يحب أن يموت ويدفن ، وحيث ولد ونشأ ، واعتذر الطبيب الخاص عن الرحيل معه والاستقرار في تلك البلاد ، فأثنى عرفان عليه الثناء الجزيل ، وقدم له هدية ثمينة ، وكذلك الممرضة ، وأما خادمه المخلص لويس فقد وافق على البقاء معه حتى موت أحدهما

وأما شاهر فقد فضل البقاء عند إخوته وزوجته التي رفضت الرحيل ، فخضع لها ، فأوصى عرفان أولاده بأخيهم وزوجته ، وسافر عرفان إلى قصره الذي أنشأه منذ أكثر من عشر سنوات واستقر فيه ، وقد فرحت أمينة باستقرار أخيها الدائم في بلده .. وطلب منها الحياة معه في القصر وبعد ترج وافق أولادها على ذلك الطلب ، فقد كان عرفان يحب أخته أمينة كثيرا منذ الصغر ، وعلم منها أن أبناء إخوتهم يحاولون الصلح معها ، وإعادة الحياة لحياة العائلة القديمة ، فسر عرفان لهذا الأمر وقال معلقا : هذا خير يا أمينة ! على المرء أن ينسى كل الأحقاد والضغائن.. وأنا رغم ما لقيت منهم أيام الطفولة من جفاء واحتقار وصد وبغض .. ونسيان وإهمال لا أحقد عليهم كما يتصورون .. رغم العناء الشديد الذي واجهناه وآلام أبي المريض ومن قبل أمي .. إنني الآن لا أفكر فيهم.. ولا أظن أن لهم في قلبي كره وما حاولت الانتقام منهم .. بادلتهم جفاء بجفاء .. لم أحاول أن أسعى إليهم ؛ لأنني نسيتهم مع الأيام .. والأيام كما تنسينا الأموات والآلام تنسي الأحقاد والجروح؛ فإذا أراد الإنسان أن ينسى أحقاده وبغضه وغضبه يستطيع ذلك.

فتعجبت أمينة من كلامه وقالت : هل يعني هذا الكلام إذا أقبل إليك إخوتك اليوم تصفح عن الماضي ؟!

فقال عرفان : ولو جاءوا قبل اليوم ؛ فإنني أصفح عنهم .. أنا لم أحبهم منذ الصغر ولا يعني هذا أن أبغضهم .. كنت ألومهم أكثر من بغضهم وحقدي عليهم.. لقد قصروا في حقنا نحن الصغار .. وحق أبيهم الضعيف .. هم الذين هجرونا وتخلوا عن والدهم الضعيف الذكور والبنات .. وإن كنت تشيرين إلى موقفي من قصة زواج المرحومة مريم وذاك الشقي أنا تمنيت

أن لا يتم هذا الزواج ؛ ولكني لم أرفضه أو أتدخل فيه كما فهم ذلك المنحوس .. فهو الذي ضخمه وكبره .. ولم أجلس معه ليسمع رأيي.. رأيته مرة بضع دقائق إن لم تكن ثواني في ممر المستشفى مع مريم ، وعرفتني به كزميل في الكلية وانصرفا.. ونحن الآن على حافة القبر.

فقالت أمينة : لقد حضر إخوتك إلى بيتي .. واعتذروا لي عن الأيام السوداء ، فقلت لهم مثلما قلت لي الآن لم يبق للحقد مكان ، وكل واحد في بيته، وفي حاله، وبين أفراد أسرته ، ويومها تمنوا لقاءك ، فحدثتهم أنك مريض وتعالج في أمريكا، وقد حاول أحد أحفاد أخيك زياد أن يسافر إليك ليطمئن عليك ، ويطلب منك العفو والصفح عن زلات وأخطاء الماضي.

ضحك عرفان وقال : هذا جميل ! كان يجب أن يظهر هذا من زمان.

قالت : هذا حق .. ولكن حادثة موت مريم وإعدام جرير قربت البعيد ، وهزت النفوس ونحن أحببنا أن لا تتزوج مريم منهم ..ولكن الدكتور أحمد ـ رضي الله عنه ـ كان يؤجل ذلك إلى ما بعد انتهاء الجامعة.

فقال متأسفا : لا حول ولا قوة إلا بالله .. قدر الله وما شاء فعل .. هذا قدرها نسأل الله لها الرحمة .. وأنا يا أمينة لا مانع لدي من مصافحة الأخوة العاقين ، ورحم الله والدي الذي مات متحسرا على ضعف علاقة الأخوة وبرودها.. كانت أياما قاسية ومريرة ولولا فضل الله ، ثم ذلك الرجل رومانوس لما حصل لي كل هذا الخير والمال .. تذكرت أمنا الصابرة يا أمينة .. رحم الله والدتنا ورحم الله أبي مات والقهر يملأ نفسه وقلبه .. أنا متأكد من ذلك.

وتساقطت الدموع منهما ، وأخذا يترحمان على روح والديهما وقالت أمينة : لقد تعذب أبونا كثيرا بسبب أبناء زوجته الأولى .. كانت امرأة قاسية .. على كل حال ـ رحمها الله ـ هي الآن في دار الحق دار الموت.

فقال : وإخوتنا عليهم حق كبير يا أمينة .. لقد تعلم زياد وكبر .. وكان يستطيع معرفة الحق والصواب والخطأ والباطل ؛ ولكنه كان أنانيا محبا لنفسه .. كان يستطيع أن يساعدنا ويقف معنا ولو سرا وخفية عن أمه .. ألم أترك المدرسة واشتغل بائعا متجولا على محطات السيارات

والباصات وغيرها ؟ .. تنهد عرفان وتابع قائلا : أيام لا تنسى يا أخية ولكني أتناسها !.. كانت أياما مريرة وأمر من العلقم .. كم بكت عيناي؟! كم ذاق هذا الجسد من البرد والمطر والجوع والعري؟! وكم أحسست بالحسرة والضياع ؟! .. أنا أريد مصافحة إخوتنا يا أمينة من أجل أبنائهم وأحفادهم .. فأولادي لا يعرفونهم .. ولا أظن أنهم سيحاولون التعرف عليهم، فقد مكثت أشهرا وأشهرا وأنا أحاول إقناعهم برحيلي إلى هنا لأموت هنا وأدفن هنا بل فكروا ببيع القصر وإغلاق كل مصالحنا هنا .. ولولا خوفهم من موتي وزعلي لأجروا ذلك .. إنهم ليسوا أبناء هذا الوطن مثلي .. أنا أحن إليه أما هم فكلا ، لا حنين لديهم.. أنا حنيني كبير إليك وللمكان الذي مات فيه أبي وأمي .. فأنا في الحقيقة أريد مصافحة الأولاد والأحفاد.. ولا أنكر أن فعل ذلك الصبي قد أثر فيّ أيضا ؛ ولكنه مجرم بطبعه ، ولابد أنه كان مريضا .. فالمجرم مريض .. لقد أطلعني سعدي قبل سفري للعلاج على اعترافاته المؤلمة.

فعادت أمينة تقول : يا عرفان .. إذا كنت لا تريد مصافحة إخوتك فهذا شأنك ، وإنما أحببت أن أنقل لك رغبة الأحفاد والأولاد.

فقال وهو يتذكر الزمن البعيد : قلت لك بداية لا بأس .. القصر مفتوح للجميع وأنا جاهز للقاء الجميع الصغير قبل الكبير.

فقالت : أعلم أن قلبك كبير يا عرفان! وسأتحدث مع ولدي أحمد ليخاطبهم بذلك .. وهو يرتب وقتا مناسبا لك لحضورهم حتى يسلموا عليك.

فقال عرفان : وأنا مستعد أيضا للذهاب إلى أي مكان يتفقون على الاجتماع فيه .. وليس بالضرورة أن يكون اللقاء في هذا القصر..

فقالت أمينة : سأتشاور في ذلك مع أحمد وإخوته ..وأنا سعيدة بعفوك ونسيانك أو تناسيك الماضي .. فالأولاد ليس لهم ذنب بابتعادنا عن بعض ، فلا نمنع من التقارب بينهم .. العجيب أن الكره والبغض يتوارث أحيانا .. فلا نريد أن نموت ونترك ذلك الأمر متوارثا حتى لا يصبح عادة ودينا في الأسرة وبين الأخوة .. يكفي ما اكتوينا نحن بناره.

فقال عرفان : لم نكن نحن البادئين .. هم الذين ابتعدوا ونسونا وهجرونا .. فافعلوا ما شئتم يا أخية وما ترونه مناسبا ولائقا .. فأنا عدت للبقاء هنا حتى تخرج الروح إلى بارئها .. فالراحة والسكون كلي شوق وحب لهما.

ـ سأتصل بأحمد وإخوته ليأتوا لزيارتي اليوم .. وأعرض عليهم ترحيبك بلقاء الأهل والأحفاد والأقارب.

ولما تلقى أحمد الاتصال من أمه ، وسمع منها موافقة خاله على أي لقاء مع إخوته وأخواته كاد يطير من الفرح والسرور ، ووعد أمه بالحضور هو وإخوته إليهم الليلة، ولما اجتمعوا بخالهم ليلا وأظهروا سرورهم بموافقته على لقاء إخوته ، قال لهم عرفان : أنتم طيبون .. أنا لم أكن ضد أي لقاء تصالحي معهم ، ولما نسيت هذا الوطن بسبب الغربة والهجرة نسيتهم ، لم أعد أذكرهم منذ استقر بي المقام في فنزويلا ، ولما علمت بموت أمكم نسيت هذا البلد ولم أعد أفكر به .. كانت أمينة الحبل الأخير لي في هذه البلاد.. لذلك لما عاودني الحنين أتيت وعمرت هذا المكان ، ولم أفكر بأمينة لاعتقادي أنها ميتة ؛ ولكن بعد سنوات تذكرت فطنت أن لأمينة أولادا.. فاشتاقت النفس للتعرف عليهم .. لم أسأل يوما ما عن إخوتي أولئك ، ولم يخطروا في بالي .. فقد ماتوا في قلبي ونسيتهم .. فلما علمت بحياة أمينة صعقت وذهلت وهذا تعلمونه فأخوالكم لم يفكروا بي يوما ما .. من قبل أن تولدوا ويولد أولادنا وأحفادنا .. لقد كانوا قساة القلوب .. فما دخلي أنا وأمينة في زواج أبينا على أمهم ؟! .. ولكن خمسون تنقص قليلا تنسي المرء حرارة الهجر وساعات الحرمان .. تعلم أمينة كم شقيت لتوفير الدواء لوالدهم !.. فيا أحفادي أنا لست لهم عدوا .. لي سنوات هنا ، ويعرفون بحياتي ، ولم يحاول أحدهم الاتصال بي .. تجاهلونني كما تجاهلتهم.. ولست حاقدا عليهم لذلك .. فهم نسوني كما نسيتهم .. فلا لوم بذلك فنحن سواسية .. أنا أعرف أن قصة مريم وذاك المجرم هي التي حركتهم وذكرتهم بكم.. ونحن سننسى الماضي والذي فات مات كما قلت يا أحمد .. وصدقوني أنني لا أبغضهم .. ولكن لا أحب صحبتهم .. وسأقبل مصافحتهم من أجل الأحفاد ومن أجلكم أنتم .. وأنا أعتقد أن

الذي سخر مني ومن أمينة واحد منهم .. أرسل لي برقية بموت أمينة ، وأرسل لأمينة برقية بموتي .. ولا أريد معرفة ذاك الجهول لأنه لا يعيد الماضي.

فقال أحمد : نشكرك يا خال .. فنحن الأولاد صحيح لم نكتو بنار الهجر والبعد والخصومة ؛ ولكن ظهور ذاك المجرم في حياتنا أيقظ أشياء نائمة وغائبة ، وأن هناك صلات رحم مقطوعة فمن أجل ذلك رضيت بالتشفع والتوسط بين الأخوة الكبار، ولنرفع الحرج عن الأفراد والأحفاد حتى إذا التقوا في أي مكان أو مناسبة كالأفراح والأتراح لا يتظاهرون بعدم معرفة بعضهم بعضا .. فهذا الذي شجعني على السير مع ابن خالنا الدكتور هشام زياد وأخوه المحامي فريد زياد

فقال عرفان : أنا تحت إرادتكم .. ويسرني لقاء كل هؤلاء الأبناء والأفاضل.. وكلنا أولاد آدم وآدم من تراب .. على الرحب والسعة فاختاروا المكان المناسب لهذا اللقاء.. والقصر تحت تصرفكم .. وما أتى بي لهذا البلد سوى الحنين والسنوات التي عشتها أيام الطفولة المعذبة فيه رحماك يا الله!!

قال أحمد : يا خالي الكريم .. سأدعو أولاد أخيك زياد لمقابلتك في البداية ، ثم نرتب أمر لقاء الأخوة والأخوات..

ـ افعل ما تراه مناسبا .. وأنا في انتظاركم .. وأريد منك يا أحمد ممرضة ذكية وفطنة تسكن في هذا القصر، ولو كانت متزوجة .. فالقصر واسع تسكن معها زوجها وأسرتها.

فردد أحمد : ممرضة ماهرة .. سأبذل جهدي .. المشكلة في التقاليد الاجتماعية هنا فعسى أن أجد طلبتك ومن ترضى بالمقام عندكم.

فقال عرفان :أنا طلبت من مدير المستشفى الخاص الذي وهبنا الله إياه ..فاعتذر لي عن ذلك .. فلا ممرضة تريد ذلك خصوصا المبيت .. وأنا أريدها في كل وقت وحتى الطبيب الخاص المقيم بالقصر يريد تركي فهو غير مرتاح للحياة في القصر

ـ أنت تحتاج لطبيب كبير في السن أرمل.

فقال عرفان مبتسما : الحقني به يا خالي يا ابن أمينة العزيزة.

ـ سأفعل يا خالي ، وإن اضطررت أن أتعاقد لك مع طبيب وممرضة أجنبية .. أتسمح لي بالاتصال بولديّ أخيك زياد يقول المثل خير البر عاجله

فأشار برأسه بالموافقة ، فقام الدكتور أحمد حيث يرقد جهاز الهاتف ، وأدار الرقم على ابن خاله هشام فردت زوجته ، وأخبرته أنه عند والده النزيل بالمستشفى ، فدعا لخاله بالشفاء ، وأخذ اسم المستشفى ، ثم طلب المستشفى وبعد لحظات كان يتحدث مع السيد الدكتور هشام زياد ، فبعد التحية والسؤال عن حال وصحة الوالد قال أحمد : إنني أتحدث معك من بيت عمك عرفان الفنزويلي كما يحب أن ينادى .. هو مسرور من مقابلتكم .. أنت قادم نحن بانتظارك لو أحضرت أخاك فريدا معك سأكلم أمن الباب بقدومكم .. نحن بانتظاركم لا تقلق خالي ينام في النهار ويحب السهر في الليل .. إنه لم يتناول العشاء بعد .. أسرعوا فخير البر عاجله.

كان والد هشام وفريد يرقد على سرير الشفاء، فقد أخذت الشيخوخة منه وأمراض الصدر والروماتيزم في المفاصل ، فقرر الأطباء إدخاله المستشفى بضعة أيام ليبقى تحت المراقبة والمتابعة فتحدث هشام مع أخيه المحامي عن الهاتف الذي تلقاه من أحمد داود فقال فريد : رائع !.. إنها فرصة كبيرة للم شمل الأخوة بعد كل هذه القطيعة الطويلة.

فقال الوالد لما استأذناه بالانصراف قال : من المتصل يا هشام ؟

فتطلع هشام في وجه أخيه فريد، ولم يرد فرد فريد : خبر مهم يا أبي .. هذا الدكتور أحمد ابن أختك أمينة اتصل بهشام من قصر أخيك الصغير عرفان يخبره أن الخال له والعم لنا لديه رغبة بالصلح ونسيان العقود الماضية من الهجران والتجاهل ويريد منا أن نقابل عمنا الليلة.

ارتسم الفرح على وجه زياد وقال : صحيح ما يقول فريد يا هشام ؟

ـ أجل يا أبي! سنذهب لمقابلة السيد عرفان.

فقال الأب : ما رأيكم أن أذهب معكم.. إني مشتاق لرؤية أخي .. آه! كم قصرنا في حقه ؟! .. وفي حق أمينة ومن قبل في حق أبينا .. سامحك الله يا أمي لقد كان قلبها قاسيا .. ونحن كان

يغمرنا الجهل والضيق والعصبية ، عندما تزوج أبي ناصر ـ رحمه الله ـ أم عرفان كنت شابا صغيرا تصورت أن ذلك إهانة وظلم وغير ذلك من الكلمات الثقيلة .. خذوني معكم إني أريد أن أرى أخي قبل الموت .. أشعر بدنو الأجل.

فقال فريد : الأمر بيد الله يا والدي فعندما نقابل عمنا العزيز سنحدثه عن شوقك إليه ؛ فلربما أتى بنفسه ليراك فأنت ضعيف يا أبي .. امسح هذه الدموع .. الأمور ستتحسن ويلتئم الجرح.

فقال زياد : إنها دموع الندم والأسف .. عرفان الصغير إني أرى الماضي يتمثل في ذهني ساعة بساعة .. علامات الأسى المرعبة على وجه أبي عندما رحلنا عنه .. دموع أمينة .. لقد كانت قلوبنا من حجر يا أولاد .. اذهبوا انطلقوا .. حضن من عمكم يمسح دموع الماضي وهمومه ، وسلموا لي على عمكم الصغير.

هجم الرجلان على يد عمهم يقبلانها ، ويذرفون الدموع الغزيرة ، وعرفان يبكي وأمينة تبكي ويقول عرفان : لقد حرمنا والدكم من هذه العواطف من هذا الحب يا أولاد .. قاتل الله الجهل والكبر.

أخذ الرجلان يتحدثان عن ندم والدهم وعلى تفريطه في حقهم وحق والده ناصر، وكذلك ندم باقي الأخوة والأخوات والتقصير في حق أخويهم من أبيهم ، وأمضى الجميع سهرة ظهرت فيها العواطف الجياشة والأسف على ضياع هذه السنوات في الابتعاد والصد والتحاشي لبعض ، والتجاهل الكامل لبعضهم ، وسمع الجميع بعض الصور والمشاهد من حياة عرفان وسفره وهجرته ونجاحه في بلاد الأجانب حتى أن هشاما قال متمنيا : يا ليت ـ يا عماه ـ نستطيع أن نتعرف على أولادك.

تبسم عرفان وقال : أمنية صعبة .. ولكن أحمد وأولاد أمينة قد رأوا بعضهم.. فأولادي لا يميلون لهذه البلاد ذرة ميل .. إنهم متعلقون ببلد أمهم ـ رحمها الله ـ وأعمالهم متيسرة هناك ، وأخذ يحدثهم عن أولاده وأحفاده وشركاتهم ورغبتهم الشديدة ببقائه عندهم ثم قال : يا أولاد .. إنني لم أحدثهم كثيرا عن هذه البلاد، فبعد علمي بموت أمينة قطعت صلتي بهذه البلاد إلى

الأبد ، والتفتت إلى الأعمال الكبيرة التي كنا نقوم بها.. ولما كبر الشباب وبدأت أعتمد عليهم في إدارة المشاريع والمصانع .. عاودني الحنين للوطن فأتيت لبناء هذا القصر على الطراز الإسباني وقضاء بعض مواسم الصيف فيه إلى أن خطر في بالي يوما أن أسأل عن أولاد أمينة .. لقد نسيتهم في عجلة الحياة .. أو قولوا أردت أن أنسى كل شيء يربطني بهذا الوطن مات أعز الأشخاص لديّ أبي وأمي وأمينة وطلقت زوجتي التي ؛ ربما لو صبرت معي لظللت موصولا بالبلد .. ولكنها صعبت عليها الحياة في بلاد الأجانب أو قل الهوى كما اتضح لي هو الذي حرمها ومنعها من الرضا والقناعة بالحياة معي .. فلما عرفت بحياة أمينة لم تسعني الدنيا سعادة وفرحا ازداد حب هذا البلد في قلبي ونفسي .. وهذا عاقبته خير لنتـعرف عليكم .. إذا مد الله في العمر سأحاول إقناع بعض الأولاد بالمجيء إلى هنا لتتعارفوا أو أرتب لكم رحلة تعارف إلى هناك وتتعرفوا على أولاد عمكم عرفان، وربما تزوج بعضهم ببناتكم .. ربما.

ووعدهم عرفان في آخر السهرة إن سمح له الطبيب بركوب السيارة أن يزور أخاه زيادا .. فشكروه على شعوره وتسامحه .. وغادر الجميع القصر هشام وفريد وأحمد وزوجته واخوته وزوجاتهم.. وكان هذا اليوم عندهم يوم عيد يوما تاريخيا ، وشكر هشام وفريد ابن عمتهم أحمد على جهده ودوره الكبير في تهيئة هذا اللقاء الجميل مع العم عرفان .

رتب الأخوان هشام وفريد اجتماعا مهما لأبناء ناصر الرشيدي وأحفاده وتصافح الأخوة مع عرفان ، وكان الكل يبدي أسفه وندمه على الأيام الماضية أيام الهجر والتجاهل، وكان هشام يقول لهم : علينا أيها الأحباب أن ننسى أو نتناسى على قول عمي عرفان مرارات الماضي وذكرياته، ليس من أجل الكبار فحسب بل من أجلنا نحن ، ومن أجل أبنائنا ، فالحنان والمودة بين الأخوة والأهل ركن أصيل وأساسي في دفء الحياة الاجتماعية ،ونحن سعيدون بالجلوس مع عمنا وخالنا الفاضل عرفان ناصر الرشيدي .. الذي تفخر الأسرة بجده وتاريخه.

فنهض عرفان على عصاه وببطء فقال : الشكر لله أولا.. وحقيقة أنني سعيد ومغتبط بهذا الصلح .. فالشكر الجزيل لكل من ساهم فيه ، وسعى فيه ، وأخلص نيته في الوصول إليه .. أنا فقط في

هذه اللحظات الصادقة عرفت معنى الأخوة والحب .. وأرى أن الأولاد خير منا .. وقد تمنيت الآن أن يكون أولادي بينكم ليعرفوا أن لهم أهلا وأقاربا .. ولكن هيهات هيهات.. فلم أحاول يوما ما زرع حب هذه البلاد في قلوبهم ، بل لم أذكرها لهم أو أمامهم .. وقد تعجبوا عندما اتخذت هذه البلاد البعيدة عنهم لإقامة هذا البناء ، وبعض المشاريع التجارية والخيرية .. يومذاك عرفوا أنني من هذا الوطن العربي ..وما أنا فنزويلي الأصل .. فلم يصدقوا حتى أقسمت لهم أمهم ابنة تلك البلاد تغمدها الله بالرحمة أنني من أصول عربية لماذا فعلت ذلك أيها الأحبة ؟!.. من الجور والقسوة التي تلقيتها من أحب الناس إليّ .. فعزمت وصممت على نسيان قومي وأهلي .. وقد نجحت ولكن الحنين قد غلبني في النهاية .. فعدت وكانت المفاجأة بعد عشر سنوات من ترددي على هذا الوطن أنني وجدت المخلوقة الوحيدة التي أحببتها من أهل هذا الوطن حية .. فعادت إليّ الحياة من جديد .. وأتمنى من أعماق قلبي والنفس أن لا يقسو بعضنا على بعض .. فالحياة الحقيقية أن نحب بعضنا بعضا .. ولا ندع الكره والبغض يطول ويكبر.

صفق الحاضرون هذا اللقاء التصالحي .. لهذا الخطاب التاريخي في حياة هذه العائلة..

وهنا دخل الخادم الفنزويلي المخلص للسيد عرفان السيد لويس يعلن أمام الجميع : الطعام ومائدة السيد عرفان جاهزة أيها السادة الكرام فتفضلوا

وكان السيد عرفان قد طلب من أحد المطاعم الكبيرة إعداد وليمة تليق بهذه المناسبة الكبيرة في حياة الأخوة الثمانية ، أولاد الرجل الفقير ناصر قدري الرشيدي

تمت الرواية

* بصمة وراثية *

عاد للوطن بعد غياب طويل

ووجد أن شقيقته ما زالت حية

ووجد أن له ولدا من مطلقته فكيف سيعرف الحقيقة ؟

ولما حان وقت الاعتراف به شرعا وقانونا قتلت المطلقة

وبعد أيام قتلت حفيدة شقيقته ثم تعرض هو للقتل

فكان القاتل صدمة للجميع وكان الصلح بين الجميع



التحقيق الجنائي والجريمة



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين

٨

٨

رجل اسمه سنار

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

رجل اسمه سنار

جمال شاهين



حادث في إستنبول

منذ دقائق فقط دخل رباح حمدي البيت الذي يقطنه في حي ابن نصير ـ على اسم القائد المسلم الفاتح لبلاد الأندلس موسى بن نصير ـ فقد دخل البيت محييا أهل البيت ـ فالسيد رباح ضابط كبير في جهاز الشرطة ـ وبعد الترحيب بالزوج العائد من عمله نهضت الزوجة نحو المطبخ لتسخن طعام العشاء لزوجها الذي ألقى نفسه على إحدى الأرائك في صالة البيت مريحا لبدنه، ولم يخلع ملابس العمل بعد ، فقد كان يبدو للأسرة أنه مرهق ، ولم تكد تختفي الزوجة في المطبخ حتى رن جرس الهاتف في صالون البيت ، فقام جلال ابن الضابط رباح نحوه ، وكان رباح الممدد على الأريكة يلتفت إليه ، وهو يحدث نفسه قائلا : ربنا يستر .. أخشى أن تكون مهمة عاجلة.

فالضابط في الأمن عليه أن يلبي نداء الإدارة في كل حين ، رفع جلال الهاتف وقال بصوت مرتفع : نعم .. أهلا عمي .. نعم موجود .

اعتدل رباح على أريكته جالسا وهمس : عمك .. ماذا يريد هذا المساء ؟!

حرك جلال السماعة بيده كأنه يقول : لا أدري !

نهض رباح متثاقلا ، واتجه لمكان الهاتف، وتناول السماعة من يد جلال وهو يقول : آ .. السلام عليكم .

واستمع قليلا ثم علا صوته مندهشا : ماذا ؟! سنار أصيب بحادث نار .. لا إله إلا الله .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

كان يردد هذه العبارات وهو ما زال يستمع لأخيه ثم قال : سأكون عندكم بعد قليل .. أنا قادم بعون الله .

ووضع السماعة وكانت الزوجة تقف على باب المطبخ تنظر إليه ، وقد رأت انزعاجه وتوتره وكذلك باقي أفراد الأسرة شعروا بالقلق ، فقالت أم جلال باضطراب وخوف : ما الأمر ؟!.. من الذي أصيب ؟ سنار .. أليس هو في تركيا ؟!

فقال رباح بحيرة : سنار عمكم الصغير تعرض لحادث قتل في تركيا .. وسكت لحظة ثم تابع قائلا : اتصل بهم جبران صديق سنار الحميم وابن عمنا سعدي .. وأخبرهم بذلك الخبر .. وسأذهب الآن لبيت الوالد .. جدكم حمدي .. وأخي أبو عاطف هو الذي كان يتحدث معي .. هل تذهبين معي يا أم جلال ؟

فردت الزوجة : والطعام ! .. كل قبل أن تذهب .

قال : لا وقت للأكل ..هيا البسي .

مشت إلى حجرتها لتلبس ملابس الخروج ، وانطلق رباح لسيارته ـ فهو كما تعلمون لم يخلع بعد ثياب العمل ـ وشغل محركها منتظرا قرينته ، ولم يطل الانتظار ، وجلست أم جلال بجواره ، وأسرع الرجل بها نحو بيت والده حمدي ، وهناك وجد الأخوة وبعض الأقارب جالسين يتحدثون حول الحادث الخطير ، وماذا يفعلون ؟

فسلم ثم صافح الجميع ، ودخلت زوجته حيث النساء أيضا يتحدثن عن أسباب وملابسات الحادث ، ولما استقر رباح على أحد الكراسي علم منهم أن جبران اتصل بهم ، وأخبرهم أن سنارا تعرض لإطلاق نار من مسدس في مقهى في وسط إسطنبول ، وهو مصاب ، وقد نقل لأحد المشافي التركية .. ولم يتحدث إليهم بالتفاصيل.. ثم عاد وتحدث إليهم عن وضع سنار الصحي .. وذكر لهم أن الحادث قد جرى في أحد ملاهي المدينة الليلية حيث كانا يسهران .. وقد اعتدى عليه شخص بالرصاص ، وحاول الهرب ولكن أمن الملهى تمكن من السيطرة على الموقف والقبض على المجرم .. وهو بين يدي البوليس التركي.

وأخذ القوم يتحدثون بعد سماع هذه التفاصيل عدة مرات ، ويتشاورون حول الخطوة المناسبة إزاء هذه الجريمة ، ولم يعرفوا سببها من فم جبران ، وفهم بعضهم من كلام جبران أن الحادث عرضي ، وبعضهم ذكر أنه حادث غامض ، فيه لبس غير واضح .

وبعد عرض الآراء والاقتراحات اتفقوا على أن يذهب بعض أفراد العائلة لتركيا لمتابعة

الوضع الصحي لسنار والتحقيق الشرطي ، ومعرفة دوافع هذا الاعتداء الغادر ، فتقرر أن يسافر والد سنار وأخ محامي لسنار وقريب لهم له معرفة في تلك البلاد ، واتفقوا على أن يلحق بهم رباح إذا احتاجوا إليه وعليه أن يحصل على تصريح مغادرة ؛ ليكون مستعدا للسفر في أي لحظة ، فهو رجل شرطة محكوم بعمله ووظيفته .

قبيل الفجر بوقت يسير رجع رباح وأهله للبيت ، وكان الرجل مشغول الفكر بهذا الحادث يشرق ويغرب فيه ، وبعقليته الشرطية يتسأل عن سبب وحقيقة هذا الاعتداء ، وهل هو حادث عرضي أم فعل مدبر ومتعمد ؟!

أخوه سنار يعرف تركيا أو إسطنبول أكثر من بلده .. فهو كثير السفر والتردد إليها .. فمنذ درس فيها الجامعة ، وتخرج من إحدى جامعاتها وهو يكثر السفر إليها .. فلا يكاد يمضي فصل إلا ويسافر إليها ، ومن كثرة تعلقه بها وحديثه عنها كان يرون أنه لسوف يتزوج فتاة من أهلها.. وهو قد تخرج مهندسا من جامعاتها.. ومع هذه الشهادة المهمة لم يعمل في الهندسة ولا يوما واحدا .. عمل في التجارة .. وخاصة تجارة المواد الغذائية المستوردة من تركيا على الأغلب .. فأنشأ عددا من المتاجر الكبيرة في مناطق العاصمة وأطرافها.. وهي تدر عليه دخلا كبيرا .. وربما يكون هو أكثر إخوته مالا وثروة .. مع أنه أصغرهم .. وهو اليوم بلغ الأربعين سنة ، ومع ذلك لم يتزوج إلا قبل سنتين من فتاة لم ترق لعائلته ، ولم يتقبلوها بالقبول الحسن .

هذا كان يدور في ذهن رباح وهو عائد من بيت والده بعد سماعه خبر الاعتداء على أخيه في إحدى حانات إسطنبول ..

كان يرى أن حياة أخيه الصغير غامضة ومقلقة ، رغم هذا الشعور الغامض كان يراه ناجحا ومتقدما على أقرانه ، وكان قد تنبأ له بالفشل عندما اشتغل بالتجارة وترك الهندسة .. ولكنه خيب تخمينه وأصبح رجلا معدودا بين التجار الكبار .. حتى شراكته لابن عمهم جبران كانت غريبة ومريبة .. ولكن الأيام أثبتت خطأه نحوهما .. فهما

صديقان شريكان منذ رجعا من رحلة الدراسة في بلاد الترك.

وما زال رباح بالرغم من مرور أكثر من عشر سنوات على تجارتهما يرى أن حياة أخيه وابن عمه جبران يلفها الغموض والحيرة ، وإنها تحتوي على خطأ غامض غير واضح.. إنه إحساس موحش قد لازمه منذ سنوات وسنوات .. والكلام حوله يثير اللغط والحسد من قبل أفراد العائلة الكبيرة ويتهمونه بالغيرة من نجاح أخيه وابن عمه .. فيقف حائرا بين الإقدام والصمت .. ولكن هذا الحادث الغريب بالنسبة لرباح جدد تلك الأفكار التي كانت تراوده عن حياة أخيه سنار وابن عمه جبران سعدي .

يتذكر رباح .. ما من يوم طلب منه أخوه أو ابن عمه جبران خدمة .. مساعدة لدى دائرة حكومية أو مؤسسة .. ولم يحتاجوه يوما في معاملة جمركية أو ضريبية .. فهما ملتزمان بدفع الضرائب أو أي جمارك تلزم ما يستوردانه .. فهما ملتزمان بالقانون، ولا يذكر أن سجلت عليهما قضية تهرب ضريبي أو جمركي

كان هذا الحادث المفاجئ قد أيقظ كثيرا من الهواجس في نفس رباح .. محاولة قتل في ملهى ليلي .. فسنار معروف في الأسرة أنه صاحب لهو ولعب وسهر ماجن .. فلما وصلا البيت وصف السيارة في موقعها المعتاد ، وأطفأ محركها ونزلا منها قالت زوجته : طول الطريق وأنت صامت .. ومن عادتك الكلام الكثير .. يبدو أنكم صدمتم بالخبر !

نظر إلى عينيها وقال : فعلا صدمنا بالخبر .. محاولة الاغتيال أمر ليس بالهين يا عزيزتي .. ومكان الحادث مزعج .. لا يسرنا يوما أن يموت أحدنا في خمارة أو نادي ليلي أو حانة .. هذا خزي لنا .

فقالت : وهل ذهاب سنار للملهى شيء غريب ؟ .. فهو هنا لا تفوته سهرة وحفلة في الملاهي والمهرجانات .. ثم أكدت : لا أظن أنه تفوته ليلة في فنادق السهر والطرب .

قال ممتعضا: صحيح قولك .. وهذا أمر لا يشرف في نظري وكم نصحت له بترك ذلك أو تخفيف هذا النمط من العيش ؟ أمر سيء فعلا أن يهلك المسلم في ملهى أو حانة أو حتى

مقهى فكيف إن قتل في ملهى ؟ والأخطر في قضيتنا ولماذا يقتل سنار الرجل الثري ؟
قالت وهما يجلسان في صالة البيت : أخوك موفق .. وقد استفاد من علاقته برجال الترك منذ أيام الجامعة ، وعمل معهم علاقات جيدة قبل عودته للبلد .
قال بخيال تذكره : تركيا زرتها أكثر من مرة .. هي بلاد جميلة وبلاد عظيمة .. ولها تاريخ عريق وحضارة .. السياحة هناك ممتعة بين القصور والمساجد .. وسنار يتردد عليها كثيرا وله أصدقاء كثر هناك حياة أخي فيها غموض لا أدري لماذا يراودني هذا الإحساس ؟!
قالت: لا.. لا .. إنما هو نجاح وتوفيق الأخ الأصغر .. لا تدع الحسد يدخل قلبك .
قال مستغربا : الحسد ! .. هل لأنه أصغر منا ومعه مال أكثر منا أحسده ؟ .. لا أعتقد أن في قلبي حسدا لأخي .. إنما هو قلق وخوف .. أأحسده من أجل المال ؟ لماذا ؟ ها نحن نملك بيتا واسعا .. وسيارة .. وراتبا ومنصبا .. وزوجة .. وأولادا .. ولما نرحل عن هذه الدنيا سنترك كل هذه الأشياء .. لا أعتقد أن هذا الحسد في نفسي لأخي .. صحيح أن علاقتنا الاجتماعية معه فاترة ضعيفة ؛ لكنه هو السبب .. وامرأته علاقتها معنا أيضا باردة للغاية .. لا تحب اللقاء بنا .. ربما لأننا لم نره الزواج المناسب بالنسبة للعائلة .. ولكننا استسلمنا لرغبته في النهاية .. وحاولنا التودد إليهم ، وأنت حاولت مثلنا وكان الفتور والصد .. وتركنا تحسن الحال للزمن .. وحياتنا الحمد لله مستورة .. لا يمكن أن أحسد أخي لثروته الكبيرة .
قالت وهي تنهض : أرجو ذلك .. فالمال خير وشر .
قال وهو ينهض واقفا أيضا : إنما أموالكم وأولادكم فتنة .
قالت : وهل أصدق من الله حديثا ؟!
قال: بالتأكيد لا .. نسال الله السلامة لأخي سنار .. وأن يكون الأمر عرضا وأن يشفيه الله .. قد علمنا الليلة أن زوجته حامل .
قالت : ألم تكن تعلم ؟

رد : الليلة فقط علمت .

قالت : من شهر أخبرتنا أمك .. هو أنت يا أبا جلال مهتم بأخبار العائلة !

ضحك وأجاب : صدقي أنني مهتم بكم جميعا ، وأحب أن أسمع كل أخباركم ؛ ولكن طبيعة العمل تظهر لكم أنني مشغول به عنكم .. عليكم أن تلتمسوا لي الأعذار دائما .



ارتفع رنين جرس الهاتف عصرا في مكتب الضابط الشرطي رباح ، فلما رفع السماعة سمع مأمور المقسم في الدائرة يقول : مكالمة خارجية يا سيادة المقدم .

قال : هات يا منذر !.. لابد أنها من تركيا .

ثم سمع صوت أخيه فارس يحييه فرد عليه التحية وقال : آ .. ما الأخبار ؟ الأمر خطير ! وضعه الصحي صعب.. لا يمكن نقله للبلد.. الأطباء لا يرون خطرا على حياته بشكل عام .. جبران محبوس على ذمة التحقيق .. القضية يبدو أنها معقدة وغامضة .. سأعمل على السفر إليكم .. مع السلامة .

وضع المسماع بهدوء وقال متنهدا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

فالتفت إليه أحد زملائه في المكتب قائلا : هل من شيء يا أبا جلال ؟

تطلع لزميله حسام وقال : أخي سنار

ـ أخوك الصغير على ما أذكر .. التاجر الناجح .. ماله ؟!

ـ نعم ، فأنت تعرفه .. فيا صديقي .. علمنا ليلة أمس أنه تعرض لإطلاق نار في تركيا .. وذهب الوالد وأخي المحامي فارس لمعرفة الخبر ، ومحاولة إرجاعه إلى هنا للعلاج .

ـ خبر مخيف .. كيف صحته الآن ؟

ـ مستقرة ، ولكن من الصعب نقله .

ـ شفاه الله ..

ـ ولما وصل الأهل إلى هناك ، وجدوا القضية معقدة بعض الشيء .. فقد كان هو وابن عمي جبران شريكه في تجارته معا ، وجدوا ابن عمنا موقوفا على ذمة التحقيق .. فهو بين يدي البوليس التركي .. ولديهم رغبة بالسفر إليهم لعلي أستطيع فعل شيء .. وأنت تعلم أن بين يدي هذه الأيام عددا من القضايا .. وهي قضايا خطيرة ومهمة .. وهناك دورة الاتصالات الخاصة .. ويبدو من كلام شقيقي فارس أن لديهم قصة كبيرة .. والبوليس

يجري تحقيقات مهمة .. ولا أدري كم من الوقت أحتاج لهذه الرحلة .. ولابد من السفر.
فقال الضابط حسام : عليك بالعميد إبراهيم سالم له أصدقاء في تركيا ومعارف .. تحدث معه وخذ توصية منه .

ـ جميل هذا منك أيها الزميل !

ضرب على رقم المقسم (جهاز الاتصالات الأرضية) وقال : أخ منذر صلني بالعميد إبراهيم سالم .. معك المقدم رباح .

تحدث المقدم مع العميد إبراهيم حول رحلة تركيا بضع دقائق ، ثم ترك السماعة وهو يقول : أنا قادم إليك حضرة العميد .

وخرج من الدائرة لمقابلة العميد إبراهيم في أكاديمية الأمن .. ولما اجتمعا شرح له قصة محاولة اغتيال شقيقه الأصغر سنار، وأنه بحاجة للسفر ، وتوصية منه لزملائه الأتراك حيث شاركهم في دورات دولية ، فزوده العميد بأسماء أشخاص وختم كلامه قائلا : كن على اتصال معي إذا تأزمت الأمور .

فشكره رباح الشكر الجزيل، وغادره لدائرته حيث دخل على مكتب مدير
الدائرة واستأذنه بإجازة طارئة بعد أن ذكر له قصة تعرض أخيه لرصاص في حانة من حانات إسطنبول ودخوله المستشفى .

وفي الليل كان رباح يركب أول طائرة مغادرة لعاصمة تركيا أنقرة ، وبعد ساعتين كان ينزل في أحد فنادق العاصمة التركية في قلب الأناضول التركي .. ليسعى إلى مقابلة بعض كبار الضباط الأتراك ضباط الشرطة الذين زود بأسمائهم من قبل العميد إبراهيم قبل الذهاب لإسطنبول في مضيق البوسفور



أنقرة هي عاصمة تركيا وثاني أكبر مدنها بعد إسطنبول ، تقع أنقرة على هضبة الأناضول بوسط تركيا، كما يبلغ متوسط ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٩٣٨ مترا ، ونظرا لأهميتها التجارية والصناعية، ولموقعها الجغرافي فقد اتخذتها الحكومات التركية المتعاقبة عاصمة سياسية لها، ومقرا للوزارات والمكاتب الحكومية والبعثات الأجنبية.

يعود تاريخها إلى ما قبل ١٠٠٠٠ عام عندما سكنها الإنسان البدائي الأول، ثم حكمها الحاثيون، والحيثيون، والفريجيون، والليديون ثم الأخمينيون الفرس، ثم جاء بعد ذلك المقدونيون والكلدانيون وأخيرا استولى عليها الرومان ، وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية ظلت تحت حكم البيزنطيين حتى فتحها السلاجقة ، ثم سقطت في أيدي المغول إلى أن سيطر عليها العثمانيون في القرن الرابع عشر، ومنذ عام ١٩٢٣م أعلن مصطفى كمال أتاتورك مؤسس تركيا الجمهورية أنقرة عاصمة لتلك الجمهورية .

يفضل الزوار الأجانب إلى أنقرة زيارة المحلات التجارية القديمة في يوكوشي شيكليكشيلار (درب النساجون) بالقرب من حي اولوس ، حيث يمكن العثور على أشياء لا تعد ولا تحصى بدءا من الأقمشة التقليدية، والسجاد المنسوج يدويا ، والمنتجات الجلدية بأسعار منافسة ، يحظى باكيرسيلار شيرشيسي (بازار النحاسون) بشعبية خاصة إذ يباع فيه العديد من العناصر المثيرة للاهتمام، وليس فقط من النحاس ، إذ يمكن العثور هناك على المجوهرات والسجاد والملابس والتحف والتطريز ، وبالقرب من بوابة القلعة، هناك العديد من المحلات التجارية التي تبيع مجموعات ضخمة وجديدة من التوابل والفواكه المجففة، والمكسرات، وغيرها من المنتجات.

أما مناطق التسوق الحديثة فتتواجد في كيزيلاى، أو في شارع حلمي تونالي، بما في ذلك مركز التسوق كاروم الحديث الذي سمي تيمنا بمستعمرات التجار الآشورية القديمة التي تم تأسيسها في وسط الأناضول في بداية الألف الثاني ما قبل الميلاد والذي يقع نحو نهاية الشارع ، وفي حي برج آتاكول في كانكايا الذي يقع على أعلى نقطة والذي يطل على مناظر

رائعة على المدينة بأكملها، وفيه أيضا مطعم دوار في الأعلى الذي يسمح بالتمتع ببانوراما كاملة ، والجدير ذكره أن رمز سوق أرمادا هو المرساة، وهناك نصب لمرساة كبيرة في مدخله، والتي هي إشارة إلى الانكيرا الاسم اليوناني القديم للمدينة ، التي تعني مرساة، وبالمثل فإن نصب المرساة يرتبط أيضا مع اسم الإسبانية أرمادا والذي يعني الأسطول البحري.

تم بناء ضريح كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية بين ١٩٤٤ ـ ١٩٥٣ على مساحة تقدر بـ ٧٥٠،٠٠٠ مترا مربعا ، والمتحف باسم كمال أتاتورك مفتوح يوميا ، ما عدا الاثنين خلال فصل الصيف، وهناك الضوء والصوت عرض في المساء .

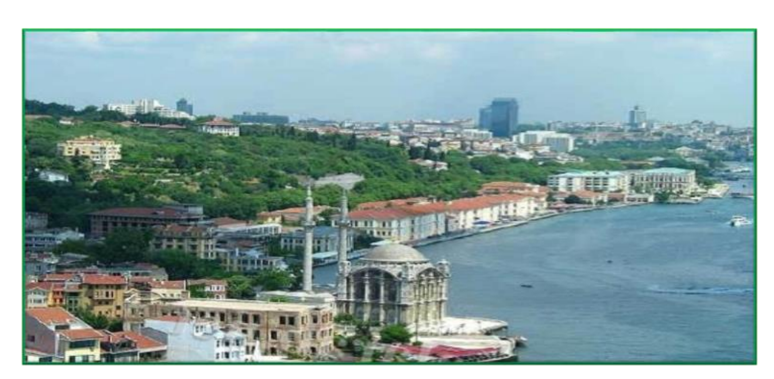
يعود تاريخ بناء قلعة أنقرة إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة ، وبداخلها توجد قرية مزدحمة جدا بالسكان منذ القدم ، وتم تشييد جدران القلعة على يد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني كما يعود تاريخ بعض المباني في القلعة إلى القرن السابع الميلادي ، قد وضعت أسس القلعة من قبل أهل غلاطية على نتوء بارز الحمم ، والانتهاء من قبل الرومان ، ثم البيزنطيين والسلاجقة الذين قاموا بالترميم والإضافات، وهي تعتبر أقدم جزء من أنقرة ، ويمكن رؤية أمثلة عديدة من الهندسة التقليدية داخل جدرانها .

ومن الآثار المعروفة لزائر أنقرة السياحي المسرح الروماني يمكنك رؤية بقايا المسرح والكواليس من خارج القلعة ، وتعرض التماثيل الرومانية التي تم العثور عليها في هذا المكان في متحف الحضارات الأناضولية .

وفيها معبد أغسطس روما ومن السهولة العثور على المعبد ، الذي بني بأسلوب أنيق، في حي أولوس القديم من أنقرة.

وتجد فيها الحمام الروماني الذي يتميز بكل الصفات النموذجية للحمام الروماني الكلاسيكي الذي يحتوي على غرفة المياه الباردة ، وغرفة المياه الدافئة ، وغرفة المياه الساخنة الذي تم بناؤه في عهد الإمبراطور كركلا في القرن الثالث الميلادي على شرف أسقليبيوس ، ويقع

في منطقة اولوس أنقرة في قلب أنقرة، في الطابق السفلي وما زال قائما حتى اليوم.
ومما يشاهده السائح لأنقرة عمود جوليان أو جوليانوس الموجود في منطقة اولوس ، الذي أقيم على شرف الإمبراطور الروماني جوليان لدى زيارته لحي أوليوس في أنكيرا عام ٣٦٢.
ويمكنك روية نصب النصر الذي شيد في عام ١٩٢٧ في ساحة ظافر في حي سيهيي ، ويمثل كمال أتاتورك مرتديا الزي العسكري ، وكذلك النصب التذكاري للأمن والثقة في المستقبل ، وشيد هذا النصب في حديقة بالقرب من ميدان كيزيلاى جوفن في عام ١٩٣٥ ، ويحمل مشورة قدمها أتاتورك لشعبه وتقول: أيها الأتراك، كونوا فخورين، واعملوا بجد، وآمنوا بأنفسكم ، واستعمل النصب على خلفية الورقة النقدية من فئة خمس ليرات تركية جديدة من عام ١٩٣٧ وحتى ١٩٥٢ عام وعلى الأوراق النقدية من فئة ١٠٠٠ ليرة من عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٤٦ .
وهناك نصب الهاتيون الذي بني في سبعينيات القرن العشرين في ساحة سيهيا والذي يرمز لآلهة الهاتيون ، وكذكرى لأول حضارات الأناضول ، وقد استخدم الرمز المستمد من هذا النصب كشعار للمدينة لفترة طويلة .



قضى المقدم رباح نهار اليوم التالي كله في السعي للقاء الضباط أصدقاء العميد إبراهيم فاضطر للمبيت ليلة أخرى في فندق أنقرة .. وذهب في المساء في جولة في أحياء المدينة ، وشاهد بعض الآثار المشهورة في المدينة ، وعاد لفندقه بعد منتصف الليل .. ثم ظهرا انتقل بالطائرة إلى مدينة إسطنبول العاصمة التاريخية لتركيا العثمانية .

إسطنبول المعروفة تاريخيًا باسم بيزنطة والقُسْطَنْطِينِيَّة والأسِتانة وإسلامبول ؛ هي أكبر المدن في تركيا ، وخامس أكبر مدينة في العالم من حيث عدد السكان ، حيث يسكنها ١٢,٨ ملايين نسمة ، تُعد إسطنبول أيضا مدينة كبرى ، ويُنظر إليها على أنها مركز تركيا الثقافي والاقتصادي والمالي ، تغطي مساحة المدينة ٣٩ مقاطعة وجميعها تُشكل محافظة إسطنبول تقع إسطنبول على مضيق البوسفور ، وتطوق المرفأ الطبيعي المعروف باسم القرن الذهبي الواقع في شمال غرب البلاد ، تمتد المدينة على طول الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور، المعروف باسم تراقيا ، والجانب الآسيوي أو الأناضول ، وبالتالي فإنها المدينة الوحيدة في العالم التي تقع على قارتين.



كانت هذه المدينة عاصمةً لعدد من الدول والإمبراطوريات عبر تاريخها الطويل ، فكانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية (٣٣٠ ـ ٣٩٥) ، والإمبراطورية البيزنطية منذ عام ٣٩٥ حتى سنة ١٢٠٤ ، ثم الإمبراطورية اللاتينية سنة ١٢٦١ حتى سنة ١٤٥٣ والدولة العثمانية من سنة ١٤٥٣ـ ١٩٢٢ ، وفي معظم هذه المراحل أحيطت المدينة بهالة من القداسة ، إذ كان لها أهمية دينية كبيرة عند سكانها وسكان الدول المجاورة ، فكانت مدينة مهمة للنصارى بعد أن اعتنقت الإمبراطورية البيزنطية الدين النصراني ، قبل أن تتحول لتصبح عاصمة الخلافة الإسلامية من عام ١٥١٧ حتى انحلال الدولة العثمانية عام ١٩٢٤.

مبنى آيا صوفيا شُيّد هذا المبنى بالأساس ليكون كاتدرائية البطريركية الأرثوذكسية وعند الفتح الإسلامي تحوّل إلى مسجد ، وعند قيام الجمهورية التركية أصبح متحفًا.

ومن معالمها مسجد السلطان أحمد ، بُني هذا المسجد في الفترة الممتدة بين عاميّ ١٦٠٩ و١٦١٦ خلال عهد السلطان أحمد الأول يعرف أيضًا باسم المسجد الأزرق بسبب البلاط الأزرق الذي يُزين داخله ، وهو كمعظم المساجد العثمانية يحوي قبر السلطان الذي أسسه بالإضافة لمدرسة وتكية { زاوية الدراويش والطعام } ، كان هذا المسجد يظهر على خلفية العملة الورقية التركية من فئة ٥٠٠ ليرة، التي وُضعت بالتداول من سنة ١٩٥٣ حتى سنة ١٩٧٦ .

ومن معالمها قصر الباب العالي وهو يحكي تاريخا مهما عن آل عثمان ، كان هذا القصر المقر الرئيسي للسلاطين العثمانيين طيلة ما يُقارب من ٤٠٠ سنة ، من عام ١٤٦٥ حتى ١٨٥٦ابتدئ ببناء القصر عام ١٤٥٩ بأمر من السلطان محمد الفاتح بعد غزو القسطنطينية ، يجذب القصر اليوم أعدادًا كبيرة من السياح، وهو يحوي بعض الآثار المقدسة الإسلامية، مثل عباءة النبي محمد ﷺ وسيفه ، يُصنف القصر على أنه من ضمن المعالم المنتمية للمناطق التاريخية في إسطنبول، وقد أصبح موقعًا للتراث العالمي في سنة ١٩٨٥، ووُصف على أنه من أفضل الأمثلة على التنوع الثقافي في الدولة العثمانية.

وهناك الجسر التاريخي جسر البوسفور يُسمى هذا الجسر أيضًا بجسر البوسفور الأول ، وهو أحد الجسرين الذين يصلان أوروبا بآسيا ، يبلغ طوله ١٥١٠مترا (٤٩٥٤ قدمًا) ويصل عرض سطحه إلى ٣٩ مترًا (١٢٨ قدمًا) ، تصل المسافة بين برجيه إلى ١٠٧٤ مترًا (٣٥٢٤ قدمًا) ويبلغ ارتفاعها ١٠٥ من الأمتار (٣٤٤ قدمًا)، أما المسافة بين البحر والجسر فتصل إلى ٦٤ مترًا (٢١٠ أقدام) ، حصل هذا الجسر على المركز الرابع بين أطول الجسور المعلقة في العالم عند اكتماله في سنة ١٩٧٣.



ويمكن للسائح زيارة برج غلطة وهو برج حجري يعود للقرون الوسطى ، موجود في ناحية غلطة من إسطنبول ، شمال مضيق القرن الذهبي بنى الجنويون هذا البرج عام ١٣٤٨ في مستعمرتهم بالقرب من القسطنطينية.

يبلغ ارتفاع البرج ٦٦,٩٠ مترًا كاملةً ، و ٦٢,٥٩ مترًا دون احتساب طول العمود المزخرف على سطحه ، الذي يصل في طوله إلى ٥١,٦٥ مترًا، كان هذا البرج أطول مباني المدينة عندما تم تشييده، فقد وصل ارتفاعه إلى ارتفاع مبنى بتسع طبقات ، وهو ارتفاع شاهق مقارنة بمباني ذلك الزمان ، يصل القطر الخارجي للبرج إلى ١٦,٤٥ مترًا عند القاعدة، و ٨,٩٥ مترًا في الداخل، وتصل سماكة الجدران إلى ٣,٧٥ مترًا

قصر يلدز الشهير بين القصور في العالم بُني هذا القصر عام ١٨٨٠، وكان مقرًا للسلطان عبد الحميد الثاني وحاشيته ، القصر عبارة عن مجمع من البيوت الصغيرة ودور متعددة كان السلاطين العثمانيين يلجأون إليها للابتعاد عن مشاكل الحكم وهمومه وللاستراحة من متاعب العمل بين الحين والأخر ، كانت المنطقة التي بُني فيها القصر مليئة بالأحراج [الأحراش] وقد اشتراها السلطان أحمد الأول ، وأنشأ فيها أول دار للاستجمام ، وقلّده بذلك السلاطين اللاحقين .

تتكون مدينة إسطنبول من ٣٩ منطقة أو ناحية يسكنها عدد كبير من الناس جرّاء النزوح التاريخي المكثف نحو المدينة، وبسبب توسعها وضمها للقرى والبلدات المجاورة منذ

أوائل النصف الثاني للقرن العشرين .



يوجد في مدينة إسطنبول مطاران دوليان : مطار أتاتورك الدولي ، وهو الأكبر، الواقع في ناحية القرية الخضراء المعروفة أيضًا باسم القديس استيفان، على الجانب الأوروبي من المدينة، على بعد حوالي ٢٤ كيلومترًا (١٥ ميلاً) عن وسطها، كان المطار يقع على الحدود الغربية للمنطقة الحضرية عندما اكتمل بناؤه، أما الآن فهو يوجد داخل حدود المدينة ، أما المطار الأصغر فهو مطار صبيحة گوكجن الدولي ، الواقع في ناحية قرية الذئب على الجانب الآسيوي، بالقرب من حلبة سباق إسطنبول، وهو يقع على بعد ٢٠ كيلومتر تقريبًا (١٢ ميلاً) شرق الشاطئ الآسيوي، و ٤٥ كيلومترًا (٢٨ ميلاً) شرق وسط المدينة الأوروبي

تُعد الملاحة البحرية حيوية بالنسبة لإسطنبول، بما أن البحار تحيط بالمدينة من جميع جوانبها بحر مرمرة ، مضيق القرن الذهبي، مضيق البوسفور، والبحر الأسود ، يسكن الكثير من الإسطنبوليين الجانب الآسيوي من المدينة ويعملون على الجانب الأوروبي ، أو العكس ؛ لذا فإن عبّارات الركاب تُشكل أساس التنقل اليومي بين قسميّ المدينة بالنسبة للكثير منهم، بدرجة أكبر حتى من الجسرين المعلقين الذين يصلا طرفيّ البوسفور، كذلك تُشكل هذه العبّارات والحافلات البحرية الطوّافة سريعة الحركة ، صلة الوصل الأساسية بين البر الرئيسي لإسطنبول وجزر الأمراء.

ظهرت أول العبّارات البخارية البوسفور سنة ١٨٣٧، وكانت تُدار من قبل شركات خاصة ، وبتاريخ ١ يناير من عام ١٨٥١ أسست الحكومة العثمانية الشركة الخيرية لتكون

أول شركة عمومية تمتلك عبّارات وتخصصها لخدمة الشعب ، استمرت الشركة الأخيرة بإدارة قطاع النقل البحري حتى أوائل عهد الجمهورية التركية ، عندما أُخضعت لإشراف خطوط النقل البحري التركية

في السنة ١٨٨٣ قام مقاول بلجيكي يُدعى جورج نگلميكر، بالبدء بتنفيذ مشروع مدّ سكة حديدية بين مدينة باريس وإسطنبول، وفي الفترة الممتدة بين إنشاء السكة وانتهائها، تمّ اللجوء إلى عبّارة بخارية لنقل الناس من مدينة فارنا ببلغاريا إلى إسطنبول، والعكس ، وفي العام ١٨٨٩ اكتمل القسم الأول من السكة الحديدية، فوُصلت إسطنبول بفارنا عن طريق بوخارست، فأصبح بإمكان الناس السفر برًّا بسهولة إلى هذه المدينة لأول مرة ، عُرفت هذه السكة في الغرب باسم قطار الشرق السريع ، وقد اشتهرت وذاع صيتها بفضل الأعمال الأدبية للكاتبة الإنجليزية المشهورة أجاثا كريستي ، فلها رواية بوليسية حملت هذا الاسم من بطولة مخبرها السري هيركول بوارو ، وترجمت للعربية أكثر من مرة ، والكاتب غراهام غرين الذين تناولوها في مؤلفاتهم الأدبية المسرحية .

افتتحت المحطة سنة ١٨٩٠ تحت اسم محطة المشير أحمد باشا، وشكّلت المحطة الأخيرة لقطار الشرق السريع ، أما اليوم فقد أًعيدت تسميتها محطة سركيسي، وهي تتبع مصلحة السكك الحديدية للجمهورية التركية، وتُشكل المحطة الأخيرة لجميع خطوط القطارات على الجانب الأوروبي من إسطنبول، وصلة الوصل الأساسية لشبكة السكك الحديدية التركية مع باقي أوروبا .

وعلى الجانب الآسيوي من إسطنبول تقع محطة حيدر باشا وهي مركز القطارات المتجهة يوميًا إلى أنقرة ومناطق أخرى في الأناضول، افتتحت محطة حيدر باشا سنة ١٩٠٨، وكانت تشكل المحطة الأخيرة في سكة حديد برلين بغداد وسكة حديد الحجاز ، تتصل السكك الحديدية على كلا الجانب الأوروبي والآسيوي ببعضها البعض عن طريق عبّارات مخصصة لنقل القطارات، ومن المقرر توقيف هذه العبّارات عن العمل عند الانتهاء من

مشروع نفق مرمرة أو سكة مرمرة الذي سيصل جانبيّ المدينة بنفق يمتد تحت سطح بحر مرمرة .

وأيضا في إسطنبول عدد من مراكز التسوق التاريخية، من شاكلة: السوق الكبير المغطى ١٤٦١ سوق محمود باشا ، والسوق المصري أو سوق البهار، افتتح أول مركز تسوق حديث بالمدينة سنة ١٩٨٧، وهو معرض قرية الأب ، ثم تلاه افتتاح عدد كبير من المراكز في السنوات اللاحقة، مثل المركز الأبيض ، وهو المركز التجاري الوحيد الذي فاز بجائزتيّ أفضل مركز تسوق في أوروبا وأفضل مركز تسوق في العالم التي يمنحها المجلس الدولي لمراكز التسوق (**ICSC**) ، مركز تسوق مترو سيتي ؛ مركز شيشلي الثقافي والتجاري الذي يُعتبر أكبر مراكز التسوق في أوروبا؛ ومركز كانيون للتسوق الذي فاز بجائزة أفضل تصميم معماري ، وفي إسطنبول مركزين تجاريين مخصصين للمستهلكين ذوي الأجور المرتفعة، هما مركز منتزه إستنيه ، ومركز نيشان تاشي ، حيث لا يُعرض فيهما سوى الأصناف والعلامات التجارية العالمية باهظة الثمن.



تنتشر في المدينة إسطنبول عدّة مطاعم أوروبية وشرق آسيوية إلى جانب المطاعم المحليّة وغيرها من المطاعم التي تقدم أنواعًا مختلفة من أطباق المطابخ العالمية ، تقع معظم الخمّارات والحانات التاريخية بالمدينة في ناحية باي أوغلو بالمناطق المحيطة بجادة الاستقلال ، وفي الجادة سالفة الذكر رواق تاريخي مشهور يُسمى رواق الزهور فيه عدد من الحانات والمطاعم ، ويعود تاريخ إنشاء هذا الرواق إلى القرن التاسع عشر، وذلك على

يد المهندس اليوناني كريستاكيس زوغرافوس أفندي الذي بناه على أنقاض مسرح نعّوم وافتتح في سنة ١٨٧٦ ، وفي نفس المنطقة أيضًا يقع شارع نيڤيزيده ذي المطاعم المجاورة لبعضها البعض.

وقد أعادت السلطات المختصة إحياء بعض الأحياء القديمة المحيطة بجادة الاستقلال في السنوات الأخيرة الماضية ، ومن هذه الأحياء شارع الجزائر الواقع بالقرب من ثانوية غلطة سراي، والذي تعارف الناس على تسميته بالشارع الفرنسي بسبب انطباعه بالطابع الفرانكوفوني ، حيث توجد فيه الكثير من الحانات والمقاهي والمطاعم التي تُعزف فيها الموسيقى الحية، كما في المطاعم والمقاهي النمطية الفرنسية.

تشتهر إسطنبول أيضًا بمطاعمها المختصة بتقديم الأطباق البحرية ، وأشهر المطاعم البحرية فيها هي تلك التي تقع على شواطئ البوسفور وبحر مرمرة بجنوب المدينة كذلك هناك عدد من المطاعم البحرية المشهورة على الجزر الكبرى من جزر الأمراء، وبالقرب من المدخل الشمالي للبوسفور من ناحية البحر الأسود.

هناك الكثير من الملاهي الليلية والمطاعم والحانات والمقاهي الباذخة التي تُقدم عروضًا موسيقية مباشرة في جميع أنحاء المدينة، ويرتفع عدد هذه الأماكن المخصصة للهو في الصيف ، وإضافةً لمعارض الفن والمسارح ودور السينما، في المناطق المحيطة بكل من: جادة الاستقلال، المرمى، بيبك، وقرية القضاة ، تستضيف المسارح المهمة في إسطنبول الحفلات الغنائية للمطربين والفرق الموسيقية العالمية، ومن أبرز هذه المسارح: ميدان إسطنبول في حي مسلك، وميدان السبيل الجاف الواقع على البوسفور ، كذلك فهناك منتزه الغابة في حي مسلك، ويُعد من أبرز الميادين التي تقام بها الحفلات الغنائية المباشرة والاحتفالات الحماسية الصيفية .

انتقل المقدم رباح حمدي لإسطنبول التي تجمع بين الحضارة الإسلامية والأوروبية التي عرفناها لكم ؛ لأن الحكاية بدأت من إحدى حانتها الليلية ، واستقر في فندق في وسط المدينة حيث



استقرت العائلة ، وقضى يومه مع والده وشقيقه المحامي ، ثم زار شقيقه المصاب سنار حمدي برفقتهم ، وفي الصباح التالي زار جبران في سجنه، ثم اتصل بالضباط الأتراك الذين زوده بأسمائهم العميد إبراهيم ، واستقبله الضابط التركي علي جان اوزدمير من شرطة المدينة ، وسمح له بالاطلاع على المحضر الخاص بحادثة حانة (كارتل) في جادة الاستقلال باي اوغلو حيث تكثر الحانات والمقاهي السياحية.. وكان في المحضر أن الحادث شجار سكارى في حانة دفع الجاني إلى إطلاق النار على سنار حمدي ، وجبران سعدي لم يدل بأي كلام خطير؛ ولكنه بين لهم أنهم يعرفون الجاني حق المعرفة.. وكذلك ذكر البوليس أن الرجل معروف لدوائر الشرطة والأمن، وأنه من رجال العصابات المنظمة، وسجل عليه الكثير من القضايا الأمنية.. والشرطة رفضت طلب نقل المصاب لبلده حتى تنتهي القضية، وتعرض أمام المحكمة المختصة؛ لأن المجرم صرح أثناء القبض عليه أن القضية تصفية حسابات ، ولم يكشف الرجل المدعو آق كوز ما هي هذه الحسابات التي دفعته للشروع في جريمة قتل .. ولا حتى جبران كشف شيئا، ولا المصاب الناجي من الموت .

ولقد حاول رباح فهم سبب الاعتداء من البوليس دون فائدة مهمة إلا أنه صراع عصابات مافيا دولية .. فتسأل وربما تسأل غيره ما علاقة سنار وجبران بالعصابات الدولية .. وجبران السجين لم يزد لهم إلا أنهم كانون يسهرون في الحانة كعادتهم منذ زمن منذ وجودهم في تركيا أيام الدراسة .. وأن الرجل انفعل وغضب منهم فأطلق الرصاص

عليهم وهو في حالة سكر .. أمسك به أمن الحانة ، واستدعي البوليس .

فعاد القوم لبلادهم بغير نتيجة .. وحيرة أخرى ملئت قلب رباح حمدي . وكان رباح يتمنى في قرارة قلبه وفكره لو حتى عرف شيئا خطيرا يزيل الغموض في علاقة شقيقه برجل العصابات التركي ، ويعلم سبب الاعتداء الحقيقي، لقد سعى لدى بعض أفراد الأمن السري التركي لمعرفة المزيد من المعلومات ، ولم تزد معلوماتهم عن أن الرجل آق كوز يعمل عضوا في عصابات دولية ، وهو رجل معروف بالإجرام ، وقضى سنوات من عمره في سجون الجمهورية التركية .. فكان السؤال المهم ما نوع العلاقة بينهم وبين السيد سنار وجبران ؟ أصحبة حانات أم عصابات؟!

تحسنت صحة سنار بعد شهر، ونقل إلى إحدى مستشفيات السجن.. ولما قدمت القضية للمحكمة بعد شهور أفرجت السلطات التركية عنه وعن السيد جبران ، وعادا لأرض الوطن ، وحاول المقدم رباح فهم دوافع الحادث من جديد ؛ لكن دون فائدة .. ولم يكشف شيء من غموض الاعتداء .. سهرة في حانة .. رجل يقدم لهم خدمات في إطار ترتيب الصفقات التجارية.. ما هي تفاصيل هذه الخدمات ؟ لم يتحدثا بتفاصيل هذه الخدمات التي يقدمها رجل عصابات لتجار مثلهم .. كاد رباح أن ينسى هذا الحادث بعد حين .. كما ينسى الناس الكثير من الحوادث .. وما أدراك برجل شغله مطاردة وتعقب الحوادث الإجرامية كبيرة وصغيرة ؟!.. سينساها أو يتجاهلها ويشتغل بأحدثها كاد ينسى الحادث العارض لشقيقه سنار .. لولا ما حدث ليلة رأس السنة الغربية .

جريمة رأس السنة

لقد انتشر بين رجال الأعمال والمال في بلاد العرب والمسلمين الاحتفال برأس السنة الميلادية ويحتفلون بها في الفنادق ذات النجوم الخمسة والأربعة، وفي النوادي الخاصة بهم، والصالات الفخمة؛ وذلك للتقليد الأعمى للغرب والاستعمار الذي شجع ورغب بهذه الاحتفالات والمناسبات، واعتبرت السنة الميلادية سنة الأعمال والجرد والميزانيات العمومية للشركات والمصانع .. وفي بعض دول العالم الإسلامي، وقل أغلب الدول الإسلامية تعتبرها السنة الرسمية للدولة وموازنتها العامة .. وبعض الدول تعتبرها عطلة رسمية ، فتتوقف الدوائر الحكومية ومؤسساتها عن العمل ذلك اليوم.. وتجري احتفالات شعبية ورسمية في بعض البلاد احتفاء بها .

وسنار بصفته رجل أعمال وتاجر في المدينة لا تفوته مثل هذه الحفلة، بل كان يهتم بها، ويحتفل بها أثناء وجوده في تركيا طالبا وتاجرا ، ولسعي الأتراك بالاندماج الكلي في أوروبا يهتمون بها.. وأغلب مشاركته بليلة رأس السنة تكون في الفنادق الكبيرة التي تهتم بإحيائها بفرق رقص وموسيقى شرقية وغربية.. وتارة يذهب لأوروبا للاحتفال بها ثم يعقبها عقد صفقات تجارية.

كان يقضي السهرة مع فريق من الأصدقاء ورجال الأعمال الذين يعتبرون رفاقه في المدينة كانت الحفلة في إحدى صالات فندق العصفور الماسي .. شاهد الغناء والرقص الغربي .. وأكلوا من البوفيه المفتوح ، وشربوا الشراب المغتال للعقول .. كانت الحفلة فرصة لهم للمجون والرقص .. وكانت الحفلة تعتبر يوما فريدا ومهما للمرح والسرور والسكر طول الليل.. ومع تباشير الفجر ينصرفون من قاعات الرقص والسكر.. فغادر الرجل الثمل الصالة عندما بدأ السكارى مثله بالمغادرة ، كان يمسك بيده أحد الخدم العاملين للفندق.. وخادم آخر يمسك بيد زوجته الثملة مثله الشبه عارية بملابسها الفاضحة ؛ إنها هو التقليد الأعمى ، ونافسته في الشراب ، وهي التي ولدت قبل أيام قليلة ووضعت مولودها الأول

وسهرة كهذه لا يجب أن تفوتها وهي ابنة الغنى ورجال الأعمال وابنة العائلات الثرية (١) خرجا من المصعد إلى باب الفندق حيث ينتظرهم السائق الخاص بالسيارة أمام مدخل الفندق .. كانا يترنحان من كثرة السكر ، ربما لو ترك الخدم أيديها لسقطا أرضا من فرط الشراب والسكر .. كانت السيارة تقف عند الرصيف أمام الفندق لكثرة السيارات .. لذلك ذهب السائق الخاص وأمسك بيد السيدة من الخادم وأدخلها كرسي السيارة الخلفي، وأغلق الباب وتركتها ترتمي على المقعد .. شبه فاقدة للوعي ، ورجع ليأخذ بيد سنار الذي يترنح يمينا وشمالا ،

ولكنه واقف على رجليه .. ومشى به نحو باب السيارة .. ولما فتح له الباب ليدخل في المقعد المجاور للسائق .. سمع دوي رصاص ، وسقط سنار أرضا بين الرصيف وباب السيارة متكوما على بعضه يصرخ من الألم ،وابتعدت سيارة مسرعة ، السيارة التي أطلق منها الرصاص ، وهرع رجال أمن الفندق وبعض الموظفين لمكان الحادث .. ثم أقبلت سيارة الإسعاف والنجدة ، ثم حضر رجال البحث الجنائي والتحقيق وتبعهم الطب الشرعي .. ثم نقلت الجثة التي لفظت أنفاسها قبل وصول سيارة الإسعاف إلى المستشفى العام .. ولما ذكر السائق الخاص اسم القتيل .. اتصل أحد الضباط بشقيقه المقدم رباح ، ولما استيقظ الرجل على صوت الهاتف كانت امرأته تستيقظ مثله ، وهم معتادون على التلفونات في كل الأوقات ، فقالت له بقلق : من ؟!

ـ قتل أخي سنار أمام فندق العصفور الماسي ، وهو يحتفل برأس السنة مع عصابته!

(١) الإسلام حرم الخمر وبين خطرها وضررها { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)} [المائدة] فلها ضرر ديني وعقلي وأخلاقي واقتصادي واجتماعي وصحي وحتى سياسي .

تحقيق الشرطة

قام رجال الشرطة بتحقيق جنائي كامل حول ملابسات مقتل سنار التاجر.. عرفت السيارة التي اتخذها الجناة وسيلة لارتكاب الجريمة ، فقد تبين لهم أنها مسروقة وقد بلغ عنها منذ أيام قبل حادث القتل.. وفشلت الشرطة في الوصول لسارق تلك السيارة ، وفشلت في معرفة الجاني ، وبعد مرور أكثر من أسبوع قيدت الجريمة ضد مجهول .

زار رباح ابن عمه جبران شريك أخيه في التجارة ، وسعى لأخذ معلومات منه تفيده في التحري والتحقيق الخاص الذي صمم على متابعته للإيقاع بالجناة .

وقال له جبران بعد كل المحاولات والمراوغات : الصمت يا ابن العم أفضل.

بعد تأمل بنصيحة جبران همس رباح : يمكنني أن أقول بكل ثقة يا أبا صابر أن لهذه الجريمة المؤلمة علاقة بجريمة إسطنبول .

قال جبران بضيق ونفرزة خفيفة: لا تضغط عليّ .. ما قلته لك في تركيا قلته لك الآن وغدا.. كنا نسهر في ذلك الملهى كما تعودنا في كل رحلاتنا إلى أنقرة أو إسطنبول .. وذاك الرجل كان يعاوننا في بعض المهمات القذرة التي يستطيعون فعلها ، ونحن لا نستطيعها التجارة والصفقات تحتاج أحيانا لمثل هؤلاء الرجال .. طلبنا منه عملا ما، ففشل في فعله فطلب أجرة، فرفضنا قبل تحقيق العمل .. فما كان منه إلا أن أخرج مسدسا ـ قد أدخله خلسة ، لأن السلاح ممنوع إدخاله للحانات والملاهي ـ ورمى به سنارا برصاصتين ، وكنت قد رميته أرضا فسقط فهجم أمن الملهى عليه بسرعة ، وجاءت الشرطة .. أما المهمة التي أردناها منه فهي سرية ومن أسرار العمل.. وسنار نفسه رفض ذكرها لك ، فعليك أن تعلم أنني عاجز عن ذكرها .. فأنا أرفض يا أبا جلال .. أرجوك لا تضغط عليّ .. وأنا مثلكم وأكثر منكم متضايق من مقتل ابن عمي سنار .. صديقي الوحيد في العائلة .. وأنا مثلك أعتقد أن لتلك الجريمة في ملهى تركيا علاقة بجريمة مقتله هنا .. والرجل التركي آق كوز الذي حاول قتله هناك علمت أنه ما زال يقبع في السجن .. هنالك ربما استئجار قاتل سهل

وممكن ، أما هنا وأنت خير من يعلم لا يمكن استئجار قاتل.

ـ وأنا اتصلت مع بعض الأخوة الضباط وذكروا أن الرجل لم يخرج من السجن منذ ذلك الحادث ، وقد يفرج عنه قريبا بعد انتهاء مدة الحبس .

بعد صمت عاد رباح يقول: اسمع يا ابن العم إذا كان عندك معلومة مهمة في الانتقام والثأر لشريكك وصديقك سنار أخبرني بها حتى لا تتورط في قضايا أمنية.

هزّ الرجل رأسه وقال : ليس عندي شيء، وأنا أشد حزنا لمقتل سنار.. فأرجوك يا أبا جلال ..أن تدعني وتنساني .

نظر إليه متأملا ثم قال : إني مستغرب من تصرفاتكم .. أليس عليك خطر ؟

ـ حياتي كلها خطر يا ابن العم.. والذي يلعب بالنار عليه أن يتحمل النار وحرق النار .

ـ والتجارة ؟

ـ أنا تحدثت مع عمي حمدي ، وسأقوم بمساعدة مكتب المحاسبة الذي يعمل حساباتنا لمعرفة حصة سنار في الشركات والمحلات ، وسيدفع للمحكمة لتقسمه بين الورثة، وعلمت من أحد المحامين أن المال سيقسم على أربعة أشخاص أمك وأبيك وزوجته وابنه المولود حديثا .. فعمي راغب بأخذ أموال سنار والانفصال عن التجارة والمحلات، وحصة ابن سنار ستخضع لمؤسسة رعاية أموال الأيتام .. والزوجة لست أدري بشكل حاسم ستبقى شريكة أو تنفصل .

ـ شكرا لك ، أنت تعمل حسب الأصول .. اسمع يا ابن العم أنا لن يهدأ لي بال حتى أعرف أسرار سنار ومغامراته ، ومعرفة أسباب قتله هنا وأسباب محاولة قتله هناك .. سوف أعرف ولو تركت العمل في الشرطة وتفرغت لهذه القضية .

ـ اسمع نصيحتي أيها الضابط .. من حقك أن تعرف قاتل شقيقك .. نصيحتي الخالصة لك وللأسرة نسيان القضية .. ما دامت الشرطة عجزت وأوقفت البحث .. فأنت افعل مثلها .. فكل يوم يأتي يباعد من الوصول إليهم .. فمقتل سنار إذا كان جريمة كبيرة ..

فيمكنك أن تسميها جريمة دولية .

ـ دولية !

ـ ما دام أنت ربطتها بحادث باي اوغلو .. فهي دولية وأنا سأقول سرا خاصا بي .. بعد أن أتأكد من ظنوني وشكوكي وتصفية الشركات والشراكة بيني وبين المرحوم سنار سأختفي من هذا البلد .

ـ تختفي ؟!

ـ أجل .. إذا تأكدت فستكون حياتي أيضا في خطر.. فأنا شريك سنار .

ـ اطلب حماية الأمن .

ـ الأمن .. ماذا سيفعل ؟ وسيسألون .

ـ تكلم تحدث عن هذه الشكوك .

ـ صعب يا أبا جلال .. أرجوك أنني لا أحب الحديث عن أسرارنا الخاصة في التجارة .

ـ عجيب أمر هذه الأسرار!! .. كأنكم تتاجرون بصناعة الصواريخ أو القنابل الذرية .. تجعلون لتجارات تافهة أسرارا خطيرة .. وتابع بعصبية: على كل حال قرفت منك .. إذا احتجت لمساعدة فأنت تعرف مكان عملي وتلفون البيت .. وسأعلم بإذن الله قتلة شقيقي

ـ أتمنى أن تعرف .



زار المقدم رباح ضابطا كبيرا عمل في خدمة التحقيقات الجنائية ، وتقاعد منذ زمن يسير العميد (حيدر افشي) ، وقد برع الرجل في التحقيق في الجرائم ومطاردة الجناة وحل الغاز الجرائم المعقدة ، وقد اشترك معه في تحقيق عدد من الجرائم والحوادث التي شابها الغموض أثناء الخدمة .. واستقبله الضابط على اتصال مسبق بينهم .. وساقه إلى مكتبه الفاره في بيته

الواسع والمؤثث بأفضل الأثاث، ولما انتهت المجاملات ، وتذكروا بعض أحاديث الذكريات، وأدخلت الخادمة عليهما القهوة قال رباح : لقد علمت بحادث مقتل أخي سنار

ـ أجل، وشهدت جنازته ـ رحمه الله ـ وذكرت لي يومها قصة محاولة قتله في تركيا منذ أشهر .. والذي أدهشني أنكم لم تمسكوا الجناة .

ـ ومن أجل هذا جئت إليك يا سيدي العميد .. فأنت صاحب خبرة وفطنة مشهود لك بها بين رجال الأمن والتحقيق البوليسي .. لم أسمع أنك عجزت عن الوصول لجاني قاتل في حياتك المهنية المديدة .

ـ بارك الله فيك يا رباح .. والشكر لله وحده ، وهذا من توفيق الله وحده .. لقد شاركت في تحقيق جنايات سياسية ومدنية ووفقني الله بالنجاح فيها .. آ .. والآن ما هي قضيتك بالتفصيل .

ـ القضية يا سيدي أننا لم نعرف الدافع للاغتيال .. فسنار أخي ليس سياسيا .. إنما هو بائع ومستورد للأطعمة والشراب والحلوى .. وأكثرها منتوجات تركية .. لم نعلم له أعداء .. وكان موفقا في تجارته .

وسرد عليه بعض حياة سنار ، وذكر له حادث ملهى إسطنبول .. وحدثه عن الغموض الذي يراه هو شخصيا المحيط بحياة سنار الخاصة .

ولما سكت رباح خيم الصمت على المكتب لبضع دقائق ثم همس حيدر : هل في القصة رائحة المخدرات ؟!

ـ شككت في ذلك منذ زمن ؛ ولكن لا دليل عندي .. لم يسجل عليه أي قضية مخدرات لا شراء .. لا بيع .. لا تهريب ..لا ترويج .. والذي شككني يوما بهذه الثروة التي بين يديه .. إنها ثروة كبيرة هبطت عليه وهو دون الثلاثين من عمره .. وإنفاق بسخاء .. كل سنة سيارة آخر موديل أمريكية أو ألمانية .. لم يسجل عليه أي قضية تهريب مخدرات .. أو تجارة أسلحة .. هذا الشك جاءني من المال الكثير فحسب

ـ وابن عمك جبران لا يتكلم بشيء ينير الطريق .. وأنت متأكد أنه يخفي أشياء

ـ نعم ، يزعم أن هناك أسرارا للعمل .

ـ الدافع غامض في هذه الجريمة .. لو كان هناك مخدرات لقلنا ربما تصفية حسابات بينهم أو صراع زعامات أو مناطق ترويج .. سيارة الجريمة سيارة مسروقة قبل الحادث بأيام .. وهل ثبتت براءة مالكها مائة بالمائة ؟

ـ نعم ، السيارة لسيدة متزوجة ولها خمسة أبناء ، تعمل السيدة في إدارة مدرسة خاصة .. فقد سرقت سيارتها وأخفيت في مكان ما لساعة تنفيذ الجريمة .. والشرطة قد عممت عن فقدها ، وكان البحث عنها جاريا .. وأعتقد أن السيارة بريئة من الجريمة .

ـ والمفتاح المستخدم في قيادتها .

ـ لم يستخدم العنف في استخدامها ، والقتلة لا يعجزون عن تقليد مفتاح سيارة

ـ هي عصابة إذن .

ـ القتل حدث لما هبط سنار وقرينته فجرا يترنحان من شدة السكر ليلة رأس السنة الغربية إلى الشارع أمام الفندق ، أدخل السائق المرأة في المقعد الخلفي ، وفتح باب السيارة الأمامي ليدخل سنار بجواره ، ولما اقتربا من الباب اقتربت سيارة من سيارة أخي ، وأطلق أحدهم الرصاص عليه ، فسقط على الأرض بين الباب والرصيف.. ولما جاءت سيارة الإسعاف، كان الرجل قد فارق الحياة، ومات مخمورا للأسف .. وأطلق القاتل الرصاصات من نافذة السيارة ثم ابتعدت مسرعة أمام ذهول السكارى.. جريمة مدبرة وجريئة ومعد لها بتدبير وتخطيط .. ورغم سرعة تنفيذها تمكن أحد الموظفين العاملين في الفندق معرفة أرقام لوحة السيارة ولونها ونوعها.. وبعد حوالي خمس ساعات وجدت السيارة مركونة في منطقة مهجورة ، الرِجل إليها خفيفة كما يقال ، ولا شيء فيها يدل على الجناة .. لا بصمات ولا عقب سيجارة .. واختيار الوقت والمكان يدل على علم الجناة بتحركات سنار ومكان سهرته ووقت انصرافه ..

ـ رفاق السهرة أليس لديهم معلومات ؟

ـ لم ير رجال أمن الفندق شيئا مريبا تلك الليلة .. وأغلب المحتفلون رجال أعمال وزوجاتهم .. وحياتهم رقص وسهر وسكر وموسيقى رفاق مجون .. كما قرأت في محاضر الشرطة لم يذكروا شيئا مهما حدث تلك الليلة .. القضية صعبة، ولكن لابد من ثغرة وخيط وخطأ لم نعرفه لحتى الآن.

ـ نعم ، لابد من نقطة في غير موضعها لم يلتفت إليها رجال الأمن ، سأفكر بعمق في هذه القضية التي تبدو معقدة .. لأنه لم يقبض على الجاني والسائق .. هل فروض معينة وضعها رجال الشرطة ؟

ـ وضعوا فروضا كانتقام .

ـ انتقام ؟!

ـ افترضوا أن سنارا أساء لأحد أو لفتاة ، وأن أهلها أو زوجها انتقموا منه .. ولما راجعوا سيرة سنار مع النساء لم يجدوا ما يثبت هذا الافتراض .. لم يجدوا هذه الفتاة التي أساء إليها لينتقم أهلها .. افترضوا أنه عضو في عصابة ؛ ولكن أين هذه العصابة ؟.. التقوا بعمال المحلات والشركات لم يجدوا إشارة بهذا المعنى .

ـ جريمة محيرة فعلا أيها الزميل الفاضل! .. على كل حال هذه الجرائم الغامضة إذا لم تكشف بسرعة ستكشف بعد حين ؛ لأنه سيكون لها ذيول .. لابد من تحديد القتلة ، وستظهر دوافع الجريمة ولو بعد حين .



نقاط

اتصل العميد حيدر برباح ولما التقيا وشربا الشاي انتقلوا لمكتب العميد ، وأغلق الباب عليهما ، وقال بعد استوائهما جالسين متجاورين : تحدثت مع بعض كبار الضباط ، وبالفعل إن المعلومات التي لديهم ضئيلة جدا .. وهم في ارتباك وتعجب ويقولون إن الجريمة مخطط لها بمكر وتمهل ووراءها عقل جبار .. وقد تركوها للزمن، ربما يختلف الشركاء في الجريمة ويسقط بعضهم .

ـ هذا أكده لي مدير الأمن العام يا سيدي شخصيا .. وحتى ضباط كبار في مخابرات البلاد لا شيء عندهم حول الحادث الرهيب .

قال العميد الجنائي حيدر ببطء: أنا فكرت بكل سمعت منك، ولسوف أزور إدارة التحقيقات وأقرأ كل المحاضر ، وعندي نقاط قد تساهم في مسك خيط

تحرك رباح في كرسيه وقال بحماس: نقاط .. حسن .. تفضل .

ـ هنا نقطة في سرقة السيارة .. كيف سرقت السيارة؟ أنت ذكرت أنها لم تسرق بعنف ، لم يستعمل العنف في سرقتها، وجدت سليمة .. إنها سرقت لتحقيق هذا المقصد الإجرامي.. استخدم مفتاح مقلد بتشغيلها .. كيف حصلوا على مفتاحها الأصلي ليصنعوا تقليدا له ؟

ـ أنت تعلم يا سيدي أن سارقي السيارات لا يعجزهم تقليد المفاتيح ، فكيف بمن يخطط لارتكاب جريمة كهذه ؟

ـ نعم ، فهم يحتاجون إلى نسخة أصلية يقلدون عنها.. هل أخذوا عددا من المفاتيح وجربوها ورسوا على المفتاح الملائم ؟ .. أنت ذكرت أن السيارة وجدت سليمة ، واستخدم مفتاح في تشغليها، لم تشغل مباشرة من الماتور والبطارية .. كيف وصل المفتاح للعصابة؟ .. هم عصابة هذه النقطة الأولى .. علينا أن نعرف عند من تصلح المرأة سيارتها وآخر مرة صلحت فيها السيارة ؟ .. لأن هؤلاء الفنيين أحيانا يأخذون المفاتيح من أصحاب السيارات لتحريك السيارة إلى هنا وهناك .. فأصحاب السيارات عادة يتركونها لديهم ،

ويعودون بعد ساعات وبعد أيام .. حسب الوقت اللازم للتصليح .. وبعضهم يتركها في محطة الصيانة والتنظيف وعند مغادرة العمل يعود لاستلامها واستلام مفاتيحها .. وهؤلاء العمال يستغلون هذه الفرصة لقضاء حوائجهم في تلك السيارات .. على رجال البحث الجنائي الاهتمام بهذه النقطة بالعودة لتلك السيدة ومعرفة المحطة التي تصلح بها سيارتها ، وآخر مرة زارت تلك المحطة للتصليح أو التنظيف .. وليفعلوا هذا بسرية تامة .. فإذا ثبت لدينا هذا الظن .. وأن السيارة كانت في كراج تصليح أو صيانة .. فيتابع عمال الكراج الفني أو محطة الصيانة .. فربما نصل لشيء .. سنجد من قلد المفتاح سرا.. فاستخدام هذه السيارة نقطة ضعف .. وإن كان المجرمون يعتبرونها نقطة قوة ..

أعجب رباح بهذه الفكرة الصغيرة وعلق فقال : رائع تفكير ممتاز !

ـ بارك الله فيك إذن هذه نقطة مفتاح السيارة المسروقة.. من معالم هذه الجريمة يا سيدي أن القتلة يعرفون السيد سنارا جيدا، فقد أصابه الجاني نفسه لم يصب السائق، هو يعرف الهدف المصوب إليه جيدا .. فالسائق لم يصب بأي طلقة .. والقاتل رام جيد أو ربما لقرب المسافة .. والجناة يعرفون مكان سهر سنار في الفندق ـ العصفور الماسي ـ ويعرفون وقت خروجه من السهرة والحفلة فتحركوا في الوقت المناسب .. ويراقبون المكان بشكل جيد فهل لهم أعوان في الفندق ؟ سواء من العاملين أم من الزائرين والمحتفلين ؟ .. هناك ترتيب للعملية الإجرامية .. رجال أمن الفندق لم يشاهدوا سيارة الجناة إلا عندما بدأ الناس ينصرفون من الحفل ، فدخلت السيارة رويدا رويدا من يراها يعتقد أنها قادمة لتقل بعض المحتفلين.. لم تكن موجودة في موقف سيارات الفندق .. هم ظنوا أنها تدخل لأخذ زبون كغيرها من السيارات .. ولما دخلت الزوجة السيارة بمساعدة السائق.. اقتربت من سيارة سنار أكثر فأكثر.. وكان الناس المحتفلون يركبون سيارتهم وهم في حالة يرثى لها من السكر .. وجرى الحادث فور اقتراب السيد من سيارته .. وهربت السيارة والناس في حالة ذهول لسماع صوت الرصاص .. هكذا يقول رجال الشرطة في وصف الحادث .. وتعقبوا الاتصالات

من الفندق ليلة الحادث وهي كثيرة وهي نقطة مهمة أيضا على افتراض أن العميل لهم اتصل مخبرا بخروج الصيد.. الشرطة لم يصلوا لشيء من ذلك .. وعلينا أن نراجع الاتصالات لعلنا نجد فيها شيئا يفتح علينا به .

ـ نقطة ممتازة أخرى يا سيدي العميد .

ـ أيضا نريد أن نعرف القائمة التي كانت ترافق سنار وزوجته في تلك السهرة .. النساء والرجال.. ومعرفة تفاصيل عن حياتهم الخاصة وأعمالهم.. أنا أعلم أن هذه التحقيقات صعبة وتحتاج لوقت ونظر عميق يا سيدي المقدم .

ـ إنها نقاط جديرة بالاهتمام .

ـ وهناك نقاط هامة وخطيرة.. وهي مراقبة ابن عمك جبران، والتنصت عليه ؛ لعلنا نسمع شيئا مهما من أسرار عمله الخفي .

ـ للأسف هو لم يتكلم معي وأنا ابن عمه ، وأستطيع حمايته ممن يخافهم ويخشى خطرهم إذا كان صادقا .. فهل سيتكلم أمام الموظفين وأمام زوجته ؟ بل إنني سمعت أنه طلق امرأته منذ أيام ولم أتأكد من الخبر بعد .. علاقتي أيها الأخ الفاضل مع ابن عمي وحتى أخي الميت كانت باردة للغاية لطبيعة أعمالنا.

ـ لابد من تعقبه لفترة معينة ومتابعة حركاته واتصالاته فهو مفتاح الجريمة .. فهو يعلم شيئا ؛ ولكنه خطير لا يستطيع أن يفصح عنه، فهو يتعامل مع ناس أقوياء وقادرين على فعل هدفهم .. وإذا الرجل ضمن مافيا تركية أو عالمية فالأمر خطير بمعنى الكلمة !

ـ فكرت في هذا الاحتمال كما ذكرت في لقائنا السابق لا إشارة ولا قرينة تؤيد هذه الاحتمال

ـ ربما لأن نشاطهم في تركيا ليس في بلادنا، وقد ذكرت أن البوليس التركي لم يسجل عليهم شيئا ضد القانون .. يا سيدي المقدم الدافع للجريمة ما هو ؟ السبب ما هو ؟ سيعيننا الله ويلهمنا الحق والحقيقة ، لابد أن يكشف لنا بصيص من الضوء في النهاية .. أرجو ألا تطول .. رفاق السهرة وناس الفندق الذين كانوا على مسرح الحادث ليس لديهم معلومات مهمة

.. ملاحظة .. كلمة .. هل من خائف بينهم ؟!

ـ رجال التحقيق بذلوا كل جهد، ولم يعرفوا إلا لون سيارة الجناة ورقمها مما سهل الوصول للسيارة المستخدمة في الجريمة .

ـ هل ثبت يقينا أن السيارة المسروقة هي الوسيلة المستخدمة لنقل الجناة لتنفيذ الجريمة ؟

ـ أتقصد أن معطي الرقم خدع الشرطة ؟ الشرطة حسب معلوماتي أكدت أنها نفس السيارة التي شوهدت على مسرح الحادث الماركة اللون.. فالذي ذكر الرقم ذكر فقط أربعة أرقام منها .. وآخر ذكر أرقاما أخرى.. والاتفاق على اللون جعلهم يتأكدون أنها التي تحمل الجناة .. هناك من ذكر لون القميص الذي يرتديه القاتل ..

فقال حيدر : بإذن الله سنعرف الجاني قاتل شقيقك سنار .. عليك أن تتابع النقاط الثلاث التي تحدثنا عنها .. وسأجري الكثير من التشاور مع ضباط الأمن الزملاء ليقدموا لك الدعم والعون الكافي.. ولا يعني تقييد الجريمة أو السرقة ضد مجهول أن التحقيق انتهى .. فإذا جد جديد من الشهود والأدلة يفتح التحقيق مرة أخرى .. يترك الأمر للزمن ..

ـ جزاك الله خيرا يا سيدي العميد.. الإنسان عندما يعرف عدوه يستريح .. الدم غالي .. لا نريد أن نثأر أو ننتقم؛ إنما نريد أن يأخذ العدل مجراه.. وتهدأ نفوسنا.



متابعات

قام مكتب التحقيق الجنائي بإجراء لقاء جديد مع مالكة السيارة المسروقة والمشتبه باستخدامها في عملية الاغتيال، وعلموا منها اسم المكان الذي تعمل الصيانة لسيارتها فيه خاصة المرة الأخيرة التي سبقت الحادث ، فذكرت أنها تعمل التنظيف وتغيير الزيت والتشحيم في محطة اسمها العين ، والأعطال الكهربائية في مشغل جوار تلك المحطة ، وأفادت بأنها تعالج أي أعطال ميكانيكية في نفس المنطقة .

ولما علم رباح هذه المعلومات البسيطة تبين له أنه يعرف تلك المنطقة جيدا ، بل تذكر أن إحدى هذه المحلات يعمل فيها قريب له ، ويتردد عليه لمعالجة سيارته ، فاتصل به وتحدث معه في موضوع استخدام سيارات الزبائن ، فأخبره الرجل أن استعمالها يكاد أن يكون عرفا خاصة من يترك سيارته لديهم لزمن طويل.. أربع خمس ساعات .. فيغامر العمال بقضاء حوائجهم بواسطتها ، وسأله سؤالا مغريا له وقال: أحدث أن قلد عامل فني مفتاح السيارة وسرقها فيما بعد ؟!

فكان رد القريب أن مثل ذلك يحدث ، وإذا اكتشف أمرهم ، فهم يطردون من العمل ، ويصبحون من أصحاب السوابق في سرقة السيارات ، وهؤلاء يكشفون عند سرقة سيارة غالبا .. بل زاده إن شخصا عمل عنده شخصيا فترة من الوقت ، واستطاع تقليد مفتاح سيارة كانت تصلح في محله، ثم سرقها وهرب بها مواد ممنوعة ، وقبض عليه وذكر له اسمه ولما وصل الحديث لسيارة تلك المرأة مديرة المدرسة ، فذكر القريب له أنه يعرفها شخصيا وعالجت سيارتها عنده أكثر من مرة ؛ ولكنه لا يستطيع اتهام شخص بصنع مفاتيح مقلدة لسيارتها ثم سرقها.. لم يحدثه رباح أن تلك السيارة المسروقة ارتكبت بها جريمة قتل شقيقه أشعره فقط بأنهم يسعون لمن سرقها وركنها في منطقة مهجورة .. فلم تنشر الصحف خبر وجود سيارة الجريمة ، إنما نشرت وقوع الجريمة بسيارة يستقلها المجرمون بدون ذكر أنها سيارة مسروقة .

طلب رباح من شباب البحث الجنائي الاهتمام في تلك المنطقة ، وشرح لهم الغاية من هذا التحقيق .. فتشجع القائد للقيام بهذا البحث والتحري الدقيق .



وأما مسالة الاتصالات التي جرت من الفندق تلك الليلة فقد تبين أنها أكثر من خمسمائة اتصال حدث تلك الليلة ، بعضها استغرق دقائق ، وبعضها دقيقة أو دقيقة ونصف .. وهي اتصالات عادية بدأت لرجل التحقيق لا شيء مريب فيها .

وكلف رجال البحث الجنائي بالتحري عن عدد من أصحاب القتيل سنار .. فتبين للضابط الذي قاد التحريات أن الأمر معقد وقد يستغرق وقتا طويلا ، وربما يكون الجهد في النهاية لا قيمة له .. ولكن اليأس لا يجب أن يصل لقلب رجل الشرطة والأمن .. وأخذ يذكرهم أن بعض الجرائم أخذت سنينا حتى اكتشف الجناة .. وبعضهم قتل العديد من الناس حتى انكشف وظهر للعيان فقال : فلا يجب أن نتعجل الأمر .. ولا يجب أن نحبط.. فالوصول للجاني غاية نبيلة .وقال لنفسه وبالنسبة لي راحة وسكينة

ثم تنهد تنهدا عميقا وذهب في تصورات وخيارات وأفكار تؤدي في نهاية المطاف إلى معرفة قاتل أخيه وردد في قلبه : هل ننتظر حتى ترتكب جريمة أخرى لنعرف القاتل ؟!

التقى الضابطان مرة ثالثة لمناقشة ما تجمع لديهم من معلومات، فلم يجدوا أنهم يملكون شيئا مهما يتبعونه سوى الاعتراف بأن الجريمة حيكت بدهاء وترصد ، وقد نجح القتلة من الإفلات من قبضة رجال الشرطة .. كان حيدر ينظر في عيني رباح ويقول : رغم بساطة الجريمة إذا صح التعبير فهي نفذت بمهارة وإتقان ، واختيار الوقت كان اختيارا موفقا ،

خلو الشوارع من السيارات تلك الليلة ساعد على الهرب السريع، وأغلب رواد الفندق ينصرفون مخمورين .. ومدخل الفندق يسهل الحادث والابتعاد فورا .. وارتكاب الجريمة بسيارة مسروقة وخاصة أن صاحبتها امرأة وتربوية لا يشتبه بتواطئها كان محكما ، والبرد والشتاء ساعد على إخفاء آثار الأحذية ، ولم يصادفا أي دورية شرطة في ذاك الجو الاحتفالي .. الحظ ساعدهم ولكنهم سيتحركون ثانية ويقعون.. والمساعدون للجاني سيبتزون الزعيم بعد نجاح الجريمة.. فإما يتخلص منهم أو يتخلصون منه .. القضية قضية وقت لا أكثر .. الخوف سيكون الرفيق لهم إلا إذا خرجوا من البلاد .. هذه الجريمة المعقدة في رأيي صراع بين أصدقاء أمسوا أعداء .. وأعتقد أن حادثة الغدر في تركيا لها علاقة بالجريمة هنا .. فالرجل الجاني هناك أداة والرجل هنا أداة ..

ـ وأنا الآن أجزم أمامك أن لها علاقة بها كما تقول يا سيدي العميد .. وهذا سيزيد الغموض ومراقبة جبران لحتى الساعة لم تسفر عن شيء يذكر .. حياته طبيعية سهر في الليل ، وحفلات سكر وفجور ، ونوم عند صلاة الفجر حتى العاشرة صباحا .. إفطار .. يتنقل بين المحلات والشركات حتى المساء ثم يستقر في مكتب إحدى الشركات .

ـ لو كان سنار يشتغل بالأحزاب والسياسة لقلنا الجريمة ذات دوافع سياسية .. نفذتها أجهزة مخابرات .. فمن أجل ذلك نقول الخيوط معقدة غير واضحة

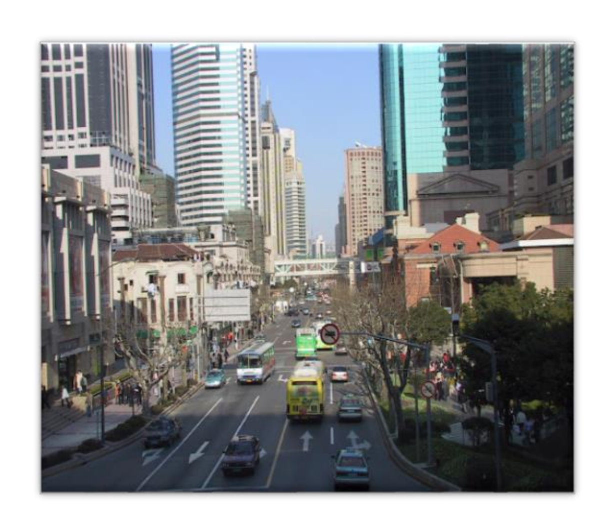
ـ زرت الكثير من أصحاب سنار ، وهؤلاء لا يعرفونه إلا في السهرات واللهو .. عدت للتفكير في حياة سنار في تركيا .. ليس له لدى الشرطة إلا قضايا أخلاقية .. زنا قمار.. مخدرات لا .. دعارة لا .. التجارة التي يمارسونها لا غبار عليها .. لا مشاكل مع الجمارك لا تهرب ضريبي .

ـ أخوك ذو ذكاء بفعله هذا .. فالتهرب الضريبي نراه في حياة التجار والمصانع أمرا عاديا.. وهذا وباء عالمي .. ففعل شقيقك يريب .. مؤسسات حكومية تتهرب من الضرائب .. فالتزام حرفية القوانين يثير الريب أن شيئا أكبر يحدث.. فحيل التهرب كثيرة ، وهي

موجودة في نفس القانون.. فالرجل كان حريصا على ألا يشتبك بالجمارك وموظفي الضريبة .. لا أتصور فعل ذلك حبا في الدولة والنظام .. حياة شقيقك تلفها الغموض .. من خبرتي يا رباح التي تعرفها بصمات المخدرات والعصابات المنظمة .. ولا تمل من متابعة جبران .

ـ التلاعب في المحاسبة والأرقام وارد .. لا أعتقد أن شركة خاصة لا تفعله .

ـ وهذا الذي يريب في شركات سنار وجبران !



انتظار

الإنسان مهما أوتِ من عقل وقوة فيبقَ في لحظات ضعيفا عاجزا .. خيم على حيدر ورباح الحيرة والضعف في تلك الجريمة ، رغم باعهما الطويل في التحقيقات الجنائية ، متابعة جبران لم تسفر عن شيء، ثم أوقفا المتابعة .. بل فكرا بالسفر لتركيا لتتبع سيرة حياته وعلاقاته وأصدقائه فيها .. ورأيا ذلك بدون تعاون شرطة تركيا مستحيلا .. وفكرا بزيارة ذلك الرجل الذي سعى لقتل سنار في حانة إسطنبول .. وضعفهما باللغة التركية أضعف همتهما أيضا .. فظل الأمل أن يحدث شيء جديد يحرك القضية ويكشف بعض غموضها .. فلذلك كان رباح كلما يسمع عن جناية أو حتى جنحة يتابعهما باهتمام في غرفة عمليات الأمن العام وإدارات الشرطة ؛ لعله يجد خيطا أو شبهة في جريمة سنار .

رغم وجود الشهود الكثر فقد استطاع الجناة من النجاة والاختفاء .

أكمل جبران شريك سنار جرد المحلات والشركات ، وقام مكتب المحاسبة والتدقيق بمعرفة حصة الورثة الأربعة بعد قسم أموال الشركة لنصفين ، وعن طريق مكتب محاماة والمحكمة الشرعية حصر الإرث الشرعي وقسمت حصة سنار على الورثة ، وأخذ كل صاحب حق حقه .. وهكذا انتهت العلاقة بين أسرة سنار وأسرة جبران .

وبعد توزيع ميراث سنار بشهور يسيرة ، وقد مضى على موته سنة حدث تطور لفت نظر المقدم رباح .

زوجة سنار السيدة ريما أمير تزوجها سنار قبل مقتله بثلاث سنوات ، وكان عمره يقارب الأربعين ، وكانت هي ابنة اثنتين وعشرين سنة ، وترملت على خمس وعشرين سنة ، وأنجبت له ولدا واحدا، ولد قبل مقتله بأيام معدودات .

بعد موت سنار عادت الفتاة إلى بيت أبيها أمير ، فقد كان بيتها ضمن الأملاك التي تم بيعها من أجل الورثة .

اتصل والد ريما ببيت حمدي يخبرهم بأن قريبهم جبران تقدم للزواج من ابنته .. ولما سمع

رباح بهذا الخبر أصابته الدهشة والريبة .. وأهله طبعا أخبروا الرجل أن الشأن يعود له ولابنته ، فهم كانوا لا يطيقونه هو ولا ابنته .. بل بعض الأخوة رفض هذا الزواج، واستاء من هذا الاختيار ، وكانوا يرغبون بأن يتزوج فتاة من الأسرة ، ولكنّ سنارا لعلاقات تجارية وشخصية مع السيد أمير رفض اعتراضهم ، وتزوج ابنة الرجل التي قبلت به رغم فارق السن بينهما .

ترددت الفتاة في البداية بقبوله زوجا لها ، وأمام ضغط الوالد قبلت ووافقت عليه زوجا لها .. وكانت تعرف مجونه وفجوره فهو على شاكلة والدها ، وبينهما علاقات خاصة ، وإنهم لا يحترمون الحياة الزوجية ، فهو صورة أخرى من والدها ؛ ولكنهم يملكون المال الكثير.. فهي تعلم أن لوالدها علاقات نسائية خارج البيت ، وأمها تعلم هذا وتقبل به ، فلم ترها تحتج عليه يوما ما .. وكانت تسمعهم يقولون لابد للمرأة من زوج .. ولو ديكور .

فتزوجت الشابة الصغيرة الرجل الذي بلغ الأربعين بدون أن يكون له قبلها زوجة شرعية وبيت تسكن فيه امرأة على اسمه.. وربما تعرف جبران حق المعرفة .. وهو على شاكلة أبيها وزوجها .. وكانت تعلم أنه تزوج أكثر من مرة .. وتعلم أنه طلق الأخيرة بعد مقتل ابن عمه بأسابيع .

لذلك تحدث رياح معه عن دافع هذا الزواج من أرملة ابن عمه . فقال متضايقا وضجرا من تدخله: كما تعلم يا ابن العم لا أحب أن يخلو بيتي من امرأة شرعية.. وتعلم أني تزوجت أربع مرات وكلهنّ طلقتهن.. ولا حرج من الزواج من أرامل.. ولها سنة أرملة ، ولم يطلبها أحد.. فعرضت نفسي على العم أمير فرحب بذلك ، وطلب مهرا .. وبالنسبة للطفل إذا أردتم أخذه لا مانع عندي.. وأنا لا أمانع كذلك من بقائه معها فهو ابن أخي سنار.

ضحك رياح وقال بسخرية: ابن سنار تربيه أنت!

ـ نعم، أنا لم أفهم لماذا يتشاور معكم أمير في زواج ابنته؟! .. فقد انتهت العلاقات بينكم.. وكنتم تكرهونه وتكرهونها .. هل عندكم مانع من الزواج بأرملة أخيكم ؟

ـ مانع!.. أبدا .. فنحن لا دخل لنا بزواجها منك أو من غيرك وهي خرجت من المستشفى بعد علاجها من الصدمة مباشرة إلى بيت أمير والدها .. هي لم تحبنا يوما ، ونحن بادلناها مثل هذا الشعور .. وحتى صاحبك سنار كان يجاملنا القليل القليل.. كأنه لم يكن من العائلة .. وربما تحدث أمير مع أبي من أجل الولد ولوجود الولد بيننا.

ـ على كل حال لما يحصل النصيب سوف أدعوكم لحضور عرسي الجديد .

ـ على خير يا سيد جبران .. عندما يحدث النصيب سنتكلم بموضوع الطفل .. أهلا بك.

وانتهت المكالمة ، وبالفعل بعد أسابيع دعوا لحفل الزفاف في فندق العصفور الماسي حيث كان يحب جبران وسنار السهر والاحتفالات، وحيث لقي سنار مصرعه.. فرباح يعرف ماهية حفلات جبران.. فرق موسيقية تركية غربية مغني لامع شراب طعام .. تصرف عشرات الألوف كل ذلك في سبيل الشيطان .

حادث الزواج المفاجئ لرباح من أرملة شقيقه شغله قليلا.. إنما الذي جعله مهما لرباح ما حدث بعده.. فلم ينته شهر العسل لجبران حسب عادات اليوم حتى كان المقدم رباح يستلم رسالة غريبة ومثيرة .. رسالة مختصرة مطبوعة على آلة كاتبة وقادمة من إسطنبول (ها هو قاتل أخيك تزوج من أرملته شريكته في الجريمة .. هل نسيت دم سنار ؟)

كانت الرسالة صاعقة لرباح ، وأعادت لنفسه شكا راوده ذات يوم ، كانت الرسالة مرسلة من شركة، ثم تبين لرباح أنها شركة وهمية لا وجود لها ، بعد تأمل ونظر زار العميد حيدر افشي للتشاور ، الذي قرأ الرسالة بدوره ، وبعد صمت استمر لدقائق بينهم ، قال العميد المتقاعد : اسمع يا أخ رباح .. أنا منذ البداية داهمني شعور نحو ابن عمك جبران ومن أجل هذا الشعور شجعتك على وضعه تحت المراقبة.. ومع تلك المتابعة لهواتفه وتحركاته لم يثبت عليه شيء .. لهو وسهر وبضع ساعات في الشركات والمتاجر .. لذلك لا نستطيع الجزم بصحة هذا الاتهام .. لماذا تأخر لحتى هذا الوقت ؟! ولماذا اتهم بعد زواجه من ريما ؟ .. سندقق في تحركات جبران ليلة الحادث وقبله بأيام .. رغم صعوبة هذا .. وفي حادث

تركيا هل لجبران دور في المحاولة ؟ .. سنار لم يتفوه بشيء يشير لعداوة خفية بينه وبين جبران ؟

قال رياح : لم تظهر أي عداوة بينهما للعيان قبل وبعد حادث تركيا .. وحتى يوم فندق العصفور كان جبران يقضي سهرته في فندق آخر.

ـ لم يظهر له دور في حادث تركيا .. لماذا يتستر أخوك على دوره إن كان له دور؟! وهل كاتب هذه الرسالة حاقد حاسد أم شريك لهم ؟ .. فالأمور تزداد تعقيدا ..وبالرغم من هذا التعقيد بسبب هذه الرسالة.. فالحل يلوح فيها .. فالآن لدينا مشتبه بهم .. جبران .. أمير .. ريما .. كاتب هذه الرسالة المجهول .

قال رياح بعمق : لقد شككت بابن عمي لغموضه معي وزعمه أسرار العمل .. وحاورته ونصحني بترك التحقيق ، فالأمر يراه خطيرا على حياتي وحياته .. وتذرع بأسرار العمل حاولت انتزاع كلمة من سنار أثناء وجوده على سرير الشفاء في المستشفى التركي لأبني عليها .. فلم يتكلم، ففسرت الرفض بالخوف من الخصوم .. ولما عاد إلينا حاولت من جديد أن أعرف السبب الحقيقي للحادث .. فلم يتكلم ورفض الحديث بشيء حول الحادث .. أبى الإفصاح عن كلمة تفسر الغموض المحيط بالحادث .. ولما وجهتني لمتابعة جبران ، والتنصت على مكالمته الهاتفية أدركت أنك تشك بالرجل كما شككت أنا فيه.. وكلفت رجالنا بمراقبته .. ولكن يا سيدي ما الدور الذي لعبته ريما في هذه الجريمة ؟!.. فليلة الحادث كانت رفيقته في السهرة .. وغرقت كعادتها في السكر والرقص رغم وضعها لطفلها الأول قبل الحادث بأيام .. والدها لم يحضر الحفلة معهم تلك الليلة .. فقد كان يشارك ناديه الخاص تلك الاحتفالية كما سمعنا.. فهم كلهم على شاكلة واحدة في هذا الجانب من التفسخ والمجون .. السؤال يا سيدي العميد .. من كتب الرسالة ؟ ولماذا من تركيا ؟! لماذا هذه الرسالة بعد زواج جبران وريما لماذا ؟! أين كان ضمير كاتب الرسالة قبل هذا الزواج ؟! هل حقا كانت علاقة خفية بينهما كما يوحي كاتب الخطاب ؟! ما

الذي قلب جبران على سنار صديق العمر وشريك العمر ؟ فجبران أكبر سنا من سنار .. وجبران زوج فاشل.. وعنده أولاد من مطلقاته خاصة الأولى والثانية ، وبعضهم شباب أنهى الجامعات .. لماذا يقتل شريكه؟ أيقتله ليتزوج امرأته ؟.. كانت تستطيع هي طلب الطلاق والزواج من جبران دون قتل ؟ .. وظلت أرملة سنة قبل هذا الزواج ؟ .. ولماذا قبلت بالزواج من سنار وهو يكبرها بعشرين سنة؟ المال فقط هو الذي دفعها للقبول به؟ أخبر سنار أن زواجه منها كان مصلحة وشغل .. هل عشقت جبران من وراء سنار ؟ .. ولهذا طلق امرأته ليمهد لهذا الزواج .. أسئلة كثيرة دارت بين الضابطين .. واستمر النقاش.. كان الوصول للجاني قد أصبح عقدة وتحديا لمهارتهم في التحقيقات البوليسية .. لم يستبعدا أن يقتل جبران سنارا ولكن السبب ما هو ؟ وهل تشارك ريما في جريمة لتنكح رجلا أكبر من سنار ؟ .. فالطلاق يحل المشكلة بدون دم وقتل .

لما رجع جبران من شهر العسل اتصل به رباح مهنئا بالزواج وبالعودة سالما واستأذنه بمقابلة خاصة ، فقبل جبران وكان يدرك أن ابن عمه ما زال مشغولا بقضية قتل سنار ، وكان يتمنى من قلبه أن ينسى ابن عمه القضية ، ورغب أن يعرف الجديد في القضية ، فلذلك قبل الزيارة واستقبل ابن عمه ورفيقه العميد حيدر ، وبعد السلام والتهنئة قال رباح وهو يخرج الرسالة التركية من جيب جاكيتته : أنا آسف يا ابن العم.. لكن عليك أن تقرأ هذه الرسالة ـ ومدها لجبران ـ التي وصلتني وأنت في شهر العسل وتعلق عليها .

حدق جبران لبعض الوقت في عيون الرجلين وقال وهو يمسك بالرسالة : أنت ما زلت مشغول البال بمقتل سنار.. وأنا نصحت لك أو لمحت لك أكثر من مرة بنسيان القضية فلنقرأ الرسالة التي عجلت بك إليّ .

تأمل جبران الغلاف للحظات ، وأخرج الرسالة القصاصة ، وقرأها فتغير لون وجهه ، وقلب الغلاف عدة مرات، ثم أطال النظر بعيني رباح ثم قال : هل صدقت ما فيها ؟

ـ ولماذا أرسلت لي من تركيا ؟

قال جبران بانزعاج واضح : أنت تضعنا في خطر جسيم ..

قال رياح بحدة: هل الرسالة كاذبة ؟

صاح الآخر : طبعا كاذبة .. أنا أعرف أنك تشك فيّ منذ أول ساعات الحادث .. وأعرف أن رجالك طاردوني فترة من الزمن.. وأنا أعلم أنه ليس لديك دليل لاتهامي، وما عندك شكوك فقط .. وأنا لم أقتل ابن عمي لأتزوج امرأته؛ ربما بعد أيام ستسمع خبر طلاقها، فقد أمضينا شهرا في عراك وشجار ، وما هو بشهر عسل أو حتى بصل ، أنا أفكر بأن تمهلني بضعة أيام ؛ لأقول لك ما أعرفه عن مقتل سنار.. وأخشى ما أخشاه أن لا أعيشها وأنبهك أمام هذا الرجل الفاضل .. أنك إذا عرفت الحقيقة ستكون حياتك في خطر الموت والقتل .. لا تهز رأسك استخفافا ، هل أنت مصر على السماع ؟

قال رياح بصوت عاد له الهدوء : أنا الذي يهمني يا جبران أن أعرف القاتل لينال جزاءه .

أطفأ جبران السيجارة وقال بسخط : سأقول ما عندي الآن!! .. أخوك مجرم .

ـ مجرم ؟!

ـ نعم ، مجرم كبير في عالم الجريمة رغم حمله لشهادة هندسة .. لا تغضب مما تسمع .. أنا لم أقتل سنارا .. كان لي دور وسنار يعرف ذلك .

ـ سنار يعرف أنه سيقتل .. ماذا تقول ما هذا الكلام؟!

ـ سنار يعرف منذ حادث تركيا أن حياته أصبحت تحت المرمى ما زلنا على البر هل أتابع ؟

قال رباح بحمية : لا تخشى شيئا تكلم سيحميك الأمن.

ـ يحميني الأمن ! .. حسنا يا ابن العم سأكمل .. حادثة القتل التي حدثت في تركيا لم تكن حدثا عرضا أو صدفة.. كان الرجل فعلا يقصد قتل سنار، وهو ينفذ أوامر ، ونحن نعرف من أصدر الأوامر ومن يصدر الأوامر .. فنحن لا نعرف الرؤوس الكبيرة .

ـ الرؤوس الكبيرة !

ـ إذن اسمعا الحكاية من البداية .. ونحن ندرس في جامعات تركيا عملنا مع حركات سرية

ثم تبين لنا أننا نعمل مع عصابات دولية .. قل منظمة دولية .. وكنا قد تورطنا قبل المعرفة بنشاطهم بأننا نقلنا موادا مهربة إلى أوروبا .. فأصبحنا تحت رحمتهم فلا مجال للتراجع .. الضعف البشري .. إغراء الشهوات والإباحية .. سقطنا في براثنهم.. كنا ننقل صفقات تهريب ماس.. ذهب.. مخدرات .. نحن ننفذ تعليمات وخطط ترسم لنا .. ونقبض الأجرة .. وأي أجرة مال كثير يغري الشيطان نفسه.. ولما انهينا الدراسة وأنا أسبق سنار بسنتين ظللت هناك حتى تخرج سنار ، وعدنا وظللنا على اتصال بتلك العصابة.. رسموا لنا العمل الذي علينا أن نعمل به .. التجارة .. المحلات .. شركات استيراد وتصدير .. وكما يعلم الأهل أننا كنا نكثر التردد على تركيا أو قبرص واليونان وذلك بطلب منهم .. وهناك نستلم البضاعة حسب الإشارات والرموز التي تصلنا ، ثم نسافر بها إلى المكان المطلوب .. وكان من دهائهم ألا يدخل العميل لهم بضاعة لبلده الأصلي .. إنما يقوم بإدخالها رجال آخرون من جنسيات أخرى حتى لا يكون في ذلك خطر على الشخص منا وعلى رجل العصابة والعصابة .. مائدة الميسر الخضراء رهيبة تكسب مرة وتخسر عشر مرات .. السيد سنار كان مدمنا للقمار .. وخسر الكثير من ثروته التي كسبها من المخدرات والتهريب على تلك الموائد .. وهنا وقع في خطأ جسيم بالنسبة للعصابة .. لقد أصبح يأخذ من البضاعة جزءا يبيعه لنفسه وحسابه الخاص .. ومع تكرار الأمر عرفت العصابة النقص الذي يحدث في تلك الحقائب .. ولما وجه بذلك الاتهام .. هدد بالاعتراف للشرطة .. فهذا سبب الاعتداء عليه في الملهى التركي يا مقدم رباح .. وتصرفت أنا بسرعة وضربت يد القاتل فنجا سنار والرجل المعتدي معروف للبوليس التركي والدولي وقضى نصف عمره في السجون .. كان الخطر يهدد سنارا وحده، ولكن بعد تدخلي أصبح الخطر يحيق بي أيضا .. وعدنا عن طريق الشرطة مباشرة من السجن إلى المطار .. وطبعا قبلنا عرض العصابة أن الحادث عرضي وساعة غضب وشجار وسكر ، وغلب على ظنّنا أن الأمر انتهى وستصلح الأمور .. ورفضنا التعاون والسفر للخارج لتهريب الحقائب .. وهؤلاء لا يوجد عندهم إجازة

وتقاعد .. فجاء بعضهم لمقابلتنا ودعوتنا للعمل من جديد ، وأنه سيضمن حياتنا ولكن هل لمجرم ضمان وعهد ؟!.. وبين لنا أننا نشكل عليهم خطرا بترك العمل .. فأدرك سنار أن هذا تهديد بتكرار جريمة القتل .. واللجوء للشرطة صعب .. فكل نشاطنا خارج المدينة والبلاد فماذا ستفعلون لنا ؟ العصابة في أوروبا وجزء منها في تركيا .. ونحن لنا علاقات بعدد محدود منهم .. في تركيا اليونان قبرص .. مالطة .. فكان اللجوء للبوليس نراه من غير جدوى .. فعلينا أن نعتمد على أنفسنا في حماية أشخاصنا .. وكثر ترددهم خلال الشهور التي سبقت قتل سنار وأصر سنار على الرفض واستقال من العمل معهم .. ولما يئسوا من استدراجه للعمل من جديد والخروج من البلد هددوه بالاغتيال ، فقال لهم وأنا أسمع : إذا خرجت من بلدي ستقتلونني .. افعلوا ما شئتم .. مللت منكم .. ومن أموالكم وكان الرجل بعد محاولة القتل قد خف لعبه للقمار .. لأن أكثر ممارساته كانت في تركيا وأوروبا .. طلبوا مني قتله للإبقاء على حياتي ، فرفضت هذه الفكرة وقلت ابن عمي من لحمي ودمي هم طبعا لا يعرفون هذه المعاني .. فتركونا وانصرفوا ونحن موقنون بأن حياتنا في مهب الريح .. حقيقة كان وضعنا مقلقا وصعبا نحن عملنا في مافيا منظمة وليس من السهل الاختفاء منها .. ونحن متورطون معهم للنخاع كما نقول .. قبل أن أتحدث عن ليلة الاغتيال .. عليّ أن أكشف لكم دورا آخر كنا نقوم به للعصابة هنا هذه المرة ، ولسنا وحدنا نقوم به .. ذكرت لكم أن مهمتنا الأساسية نقل المخدرات والمهربات خارج بلادنا .. وعلينا أن نبقى أمام القانون في بلدنا نظيفين والبعد عن الشبهات بكل قوة .. ولكن كانت لنا مهمة أخرى وهي تأمين سيارات مسروقة لعصابات التهريب داخل البلاد .. وهذا أيضا مقابل عمولة تدفع لنا مقابل كل عملية .. نحن لا نعرف رجال العصابات الذين يعملون معهم .. ولا نهتم بذلك .. ولا نلتقي بهم .. ونعرف موقنين أن لهم رجالا يعملون هنا ، ولا علاقة لنا بهم ، ولا يهمنا معرفتهم .. وحتى بعد محاولة قتل سنار ظللنا نؤمن لهم السيارات المسروقة لأنهم يدفعون .. كانوا يرسلون لنا رسالة سرية لسرقة سيارة

وإرسالها لمكان معين يعرفونه أكثر منا .. أما كيف نسرق السيارات ؟ فهذا يكون عن طريق ورشات التصليح وورشات غسل السيارات الكثيرة ؟

فقال رباح : تقليد المفاتيح ؟

ـ نعم ، عندنا مشغل لتقليد المفاتيح .. الذي يعمل فيه لا يعلم أنه يقلد مفاتيح لسرقة السيارات .. هو يقلدها لسيارات شركاتنا ومحلاتنا .. عندما يطلب منا تأمين سيارة جيدة لمكان ما .. أذهب أنا وأحيانا سنارا خاصة في أيامنا الأولى قبل أن نستعين ببعض الأفراد الذين يعملون معنا .. أذهب لمحطة كبيرة لتصليح لغسل لصيانة.. وأثناء وجودي في المكان في انتظار دوري .. أشاهد سيارة تصلح للعملية .. وخاصة أن بعض الزبائن يتركون المفاتيح للعمال ليحركوا السيارة .. وبواسطة معجونة خاصة أطبع عليها مفتاح السيارة ومفتاح الباب.. ومرات نشعر هؤلاء الصبيان بأننا معجبون بالسيارة فيسمحون لنا بالجلوس فيها مقابل دينار أو علبة سجائر .. ونذهب بالمعجونة إلى صانع مفاتيح مشهور ويتردد عليه الناس لصنع مفاتيح بيوتهم وخزائنهم المفقودة .. ثم كونّا مشغلا كما حدثت آنفا ، وكنا نعرف بطريقة خاصة من العمال في مكان التصليح أو التنظيف عنوان صاحب السيارة أو شركته أو مكتبه .. وعندما يقترب موعد نقل السيارة نتلقى اتصالا دوليا يطلب منا وضع السيارة في يوم كذا ووقت كذا.. فنتنكر وننفذ السرقة للسيارة المطلوبة وننقلها للمكان المطلوب ونترك المفاتيح تحت عجلها الخلفي ..ونعود بسيارة أحدنا الذي كان يتابع العملية بسيارته عن بعد .. واعلموا أيها الضباط أننا عادة نملك عددا من المفاتيح المقلدة لعدة سيارات.. لأننا عندما نذهب لسرقة سيارة قد لا نجدها في مكانها فسنذهب لغيرها .. وبعد زمن وجدنا رجالا يقومون لنا بهذه المهمة .. وهم تحت السيطرة بالمال والإغراق بالشهوات .. وهم لا يعرفون ماذا نفعل بالسيارات المسروقة ؟ ولكنهم يعلمون أننا نفعل بها شيئا مخالفا للقانون .. بل لنا أكثر من ورشة تصليح يديرها رجال يعملون معنا ولكنهم لا يعرفون بهذه اللعبة .. هم أدوات فقط .. فهذا الشرح لابد منه .. لأن هذا

ظللنا نمارسه للعصابة حتى بعد حادث تركيا .. كنا نقبض على كل سيارة تسرق لتنفيذ مهمة عشرة آلاف دولار .. ثم تعود السيارة لصاحبها .. لا تحول إلى خردة تسرق لمهمة .. نحن نعرف أنها نقل مخدرات .. طبعا بصمات آثار لا يجب أن نترك في السيارة المسروقة ، ولا نعرف من سيأتي لقيادتها .. ولا يهمنا ماذا سيجري بالسيارة ؟ هل أمسكت الشرطة بالسيارة قبل العصابة ؟ أو بعدها ؟.. المهم نفذنا السرقة للسيارة ونقلت للمكان المطلوب .. وكذلك عمليتنا في خارج البلاد.. إذا احتجنا لنقل البضاعة بسيارة .. نذهب في وقت معين ويوم معين إلى مكان معين .. فنأخذ المفتاح من تحت العجل الخلفي الأيمن أو الأيسر .. ونمشي بالسيارة لمكان معين فنقابل ناسا لديهم مفاتيح التفاهم من شيفرات متفق عليها فيأخذون البضاعة بسيارتهم أو نفس السيارة التي نقلنا فيها البضاعة ، ويتركوننا في أقرب مكان للمواصلات والنقل .. ويختفون.. نحن قبلنا بالاستمرار بالعمل معهم في تأمين السيارات المسروقة على أمل المحافظة على حياتنا بعدم قطع كل العلاقات معهم .. قبل الجريمة طلب منا سرقة سيارة خاصة بامرأة متزوجة .. وإن كان هذا غريبا .. لكنهم يطلبون أحيانا سيارة صاحبها رجل أو صاحبها امرأة .. لماذا ؟ لا نعرف السبب .. سرقنا سيارة الموظفة في مدرسة خاصة ومتزوجة .. والذي نفذ سرقة السيارة أنا وسنار هذه المرة .. ذهبت أنا وإياه بسيارتي .. وذلك يكون عادة بعد نصف الليل حيث تخف حركة السيارات في الشوارع .. أوقفنا السيارة قريبا من بيت السيدة .. أتظاهر بأن عطلا وخللا حدث في سيارتي أفتح غطاء الماتور وأطفئ الإنارة .. موهما الرائي والمار والدورية بعطل في السيارة والكهرباء.. وعادة نسعى لسرقة السيارات التي تكون خارج البيت تقف أمام البيت .. ونحن نعرف مكان السيارة التي ننوي سرقتها إما من عمال الورشة وإما بعد خروج السيارة من التصليح أو الغسيل فنتابعها عن بعد ، ثم نعود مرة أخرى لنتأكد من عنوان وسكن صاحب السيارة.. العملية مدروسة ومنظمة .. والمبلغ مغر هو ثمن سيارة جديدة .. ولكننا سرقنا سيارات من داخل الفلل.. وأفضل وقت لسرقتنا عند الثانية فجرا

.. وكانت سيارة السيدة التي وقع عليها الاختيار تقف خارج البيت .. فسهل الأمر علينا.. ونحن نضع لوحة أرقام مزورة ليلة السرقة خشية اعتراض دورية أو حدوث خطأ ما .. اقترب سنار من السيارة ودخلها خلال ثوان ، وبعد دقيقة اشتغل الماتور وانطلق بها حيث الهدف ، ثم أغلقت باب ماتور سيارتي ولحقت به إلى المكان المعروف لنا.. وكان ليلتها في شارع حاتم الطائي في حي جمار النخل.. وركنا السيارة على طرف الشارع.. وتركنا شباك السائق مفتوحا ، ووضعنا المفاتيح أسفل العجل الخلفي .. وانتقل سنار إلى سيارتي ومشينا إلى أحد البارات وقضينا فيه ساعة من الزمان ، ثم أوصلته لبيته.. وفي الصباح بلغ أن المهمة تمت وفي ظهر اليوم وصل المبلغ على أحد البنوك ، وحول لحسابي نصفه .. أما من اغتال سنار فهذا لا أعرفه .. فهذه مشاركتي في جريمة الاغتيال ؛ لأنني عرفت أن السيارة التي سعينا لسرقتها نفذت بها الجريمة

ـ من أين عرفت ؟

ـ منهم .. اتصل أحدهم بي .. وأخبرني قائلا بأن سيارتكم شاركت في عملية القضاء على سنار.. السائق لسيارة الجريمة والقاتل هل هم من هنا أم من الخارج ؟ لا أدري يا سيدي والراجح لديّ أنهما من الخارج خاصة القاتل .. أما السائق ربما يكون من الداخل .. وبالتأكيد أن لهم مناصرين ومساعدين من البلد لتسهيل عملية الهرب والاختفاء.. وأنا مستعد لأي سؤال واستفسار .. وكشفت لكم أوراقي قبل موتي واغتيالي.. هكذا قانون هذه المنظمات الرهيبة.. واعلموا أنه ليس بيني وبين السيدة ريما أي علاقة خاصة لا عشق ولا غيره .. وهي امرأة سيئة بالمجمل ، ولا أدري كيف كان يعيش معها سنار ؟! ولكن كان زواجه لعلاقة بينه وبين أبيها أمير.

فقال حيدر الصامت : وهل لأبيها علاقة بالمنظمة الإجرامية ؟

ـ لا أعتقد .. فهو رفيقنا في رحلات تركيا .. لما نشطت تجارتنا بالاستيراد من تركيا لتغطية أعمالنا السرية وسفراتنا الكثيرة عرفناه فهو تاجر ورجل أعمال مثلنا .. وله أفعال مثلنا من

الحفلات والنوادي فصار صديقا لنا .. وأنا مرة أخرى وأخرى أطلب منكم ترك القضية .. حتى لو بحثتم أكثر وأكثر.. فهؤلاء الرؤساء والزعماء خارج البلاد.. فإذا كان القاتل أتى من تركيا أو أثينا فكيف تعرفونه ؟ وكيف تقبضون عليه؟ لا يعرف إلا إذا صاح هو نفسه معترفا أمام العالم أنا قتلت الرجل أمام فندق عصفور وهذا لا يحدث حتى لو قبض عليه البوليس المحلي والدولي .. وربما هي المرة الأولى والأخيرة التي رأى بها ضحيته هو مأجور.. صدقوا أني خائف عليكم .. فالذي يتورط مع هؤلاء الناس عليه أن يعيش فقط .. عليه أن يذوب .. يلتهي بالملاهي والنساء والخمر والسفر وينفذ الأوامر كالأرنب .

فقال حيدر : إنهم يسيطرون عليكم سيطرة تامة .

ـ لا رحمة لديهم فهم يبيعون السموم .. فكما يعطونك الأموال بسخاء فلهم قدرة على سلبها وتدميرك .. فهم يحرقون البيت على صاحبه .. وأحيانا نسمع عن صراعات بين الزعامات وهي صراعات شرسة مرعبة دامية .

فقال رباح : الشكر لك يا جبران على كل هذه المعلومات الخطيرة جدا ، وأرجو أن تتعاون معنا لإنقاذك من الرعب المتلبس بك .. والقضاء على كل أعوانهم وأيديهم هنا .. تعاون معنا .

ـ كيف أتعاون معكم ؟!

ابتسم رباح وقال : عندما يطلب منك تأمين سيارة أخبرنا بالأمر .. ونسق معنا للقبض على الذين يستلمون السيارة بعد أن تترك في المكان المعين .. وستبدو أمامهم أنك بريء .. فكما خدمت للشر وأخلصت له .. تعاون لإنقاذ الناس والشباب المندفع والمتحمس لتجربة المخدرات .. ننقذ الذين يتعاطون هذه السموم

قال العميد حيدر : اسمع يا جبران .. أنت أثبتت لنا أنك شجاع .. وعندك مرارة منهم وبعد مقتل ابن عمك يلزمك أن تتخلى عنهم كليا .

فتنهد جبران وقال : لي أكثر من عشرين سنة .. قل ربع قرن وأنا أعمل معهم .. وهل تعتقد

أنني أنا وسنار كن نعمل معهم فقط ؟! لابد أن لهم أعوانا غيرنا يا سيدي .. ولا تعرف أي مجموعة غير نفسها .. نظامهم مثل شبكات التجسس .. فربما تتكون المجموعة من شخصين مثلي ومثل سنار .. وربما أكثر.. وأنا منذ مقتل ابن عمي لم أكلف بسرقة سيارة واحدة .. والعمليات الخارجية تركناها منذ حادث تركيا الذي تخبرونه .. ومرة مكثنا عامين بدون عملية في الداخل ولا في الخارج .. وهذه الرسالة التي قرأتها في بداية اللقاء تذهب إلى أنهم يريدون التخلص مني ، ولا غاية منها إلا أنني انتهيت .. أنا مستعد للتعاون معكم لأقصى حد بعد هذا الاعتراف وبعد هذه الرسالة .

قال رباح : سأضع بعض رجالنا حولك لحمايتك وسأرتب لهم كمينا .. أعترف أننا لا نستطيع محاربتهم في دولهم .. هذا يحتاج لجهد دولي وتعاون دولي مع منظمة الإنتربول الدولي .. ولكننا نستطيع حماية بلدنا من هذه السموم البيضاء .. وعليك أن تجاهد معنا وتبدأ حياة إيجابية .. صحيح أننا لا نستطيع إدانتك لأنه لم يثبت عليك سرقة سيارات أو إدخال مخدرات .. فأعتقد يا ابن عمي عليك أن تتعاون معنا من أجل دم ابن عمك فقد أصبح دمه هدر جزاء تورطه بهذه الأعمال المشينة وخيانة بلده وأهله .. وأنت أعطاك الله فرصة للتوبة والأوبة.

فأكد العميد حيدر كلام رباح فقال : معه حق المقدم رباح .. نحن قدر لنا أن نهتم بالموضوع لوقاية البلد من الشر القاتل .. المخدرات تفتك بالشباب والناس ..

قال جبران : أنا هنا لا شيء عندي منها ..أنا لا أتعاطى المخدر .. قد تعاطيتها فترة في تركيا لم أدمن عليها بحق .. فأنا مدمن خمر .. مرضت من المخدرات فتركتها فورا .. ولما كررت التجربة عدت للمستشفى مرة أخرى .. وسنار لم يعشقها كذلك .. أكرر أنا مستعد للتعاون لأنني تعبت من المغامرات .. أحلم بالاستقرار .. وأرجو أن لا يكونوا قد علموا بهذا اللقاء .

ضحك الضابطان من خوف جبران وقال حيدر : لا تخشى شيئا.. العصابات تحب أن تهول

عملها ومعرفتها بنشاط أفرادها.. الصدفة التي تخدمهم في كثير من الأحيان .. وثرثرة الأعضاء لكثرة شربهم للخمر وحالة السكر ..والآن من باب الفضول لا أكثر سمعتك تقول إنك ستطلق زوجتك التي تزوجتها من شهر لماذا ؟!

ضحك جبران ضحكة مقتضبة وقال : لا تصلح أن تكون امرأة بيت أو ربما أنا لا أصلح ! لسانها سليط بمعنى الكلمة .. تسكر بغير عقل .. لا تحترم الزوج .. كأنه ابن شارع .. تحب السهر مع الرجال دون معرفة سابقة بهم.. مجرد أن تلتقي برجل يبتسم لها حتى يصبح صديقا ؛ كأنها تعرفه قبل أن يولد ..

ـ وهل كانت تفعل ذلك مع سنار ؟

ـ تزعم أكثر من ذلك ؛ بأنه كان يسمح لها بالسفر والرحلات مع الرجال للخارج .

قال رباح : حقيقة يا سيادة العميد كانت علاقتنا بسنار علاقة ضعيفة ، لم يكن اجتماعيا معنا، كانت زيارته لبيت العائلة قصيرة بضع دقائق ، وزوجته كانت تناصبنا العداء بسبب عدم قبولها بيننا عند بداية الزواج .. وعملي الدائم لم يكن يسمح لي بفتح علاقات مفتوحة مع الأخوة .. على كل حال لا تتعجل في أمر الفراق والطلاق حتى ننتهي من هذه العصابة

تجارة المخدرات

اجتمع رباح بمدير مكافحة المخدرات وشرح له موضوع جبران وعصابات المخدرات ، فقال العقيد موسى طبلة : فعلا نحن لا نستطيع إثبات جريمة المخدرات عليه ما لم يقبض عليه متلبسا أو يعترف بمحضر رسمي .. وما دام يعمل في نقلها في الخارج لا نستطيع القبض عليه إلا بطلب من الإنتربول البوليس الدولي أو دولة بيننا وبينهم اتفاقية تبادل المجرمين .. فالرجل نشاطه في الخارج .. وأما سرقة السيارات قد يعاقب عليها هنا .. ولكن ما دامت السيارة المسروقة لم تدمر .. فستكون عقوبتها بسيطة ربما إزعاج الأمن.. فالجريمة يجب أن تثبت على الجاني بالقبض عليه متلبسا أو معترفا بها بكامل قواه العقلية لكن من استجواب الشخص وبناء على الاستجواب تقدم الأوراق للمدعي العام .. وقاضي التحقيق المدني .. لو طلبت السلطات التركية القبض عليه لاعترافات فربما يجري التحقيق معه .. فالسرقة يجب أن تثبت بالتلبس بالجريمة .. أحكام سرقة السيارات أحكام مخففة إلا في بعض الدول .

ـ ابن عمي لا يعرف الذين يهربون المخدرات .. هو يقدم لهم دعما بسرقة السيارة التي ستنفذ بها العملية يا سيدي.. يسرق لهم السيارة حسب الطريقة التي شرحتها لك.. وهو لا يدري ماذا يفعل بالسيارة ؟ والذين ينفذون العملية لا يعرفون من قدم لهم السيارة حتى لو قبضنا عليهم فهم لا يعرفون السارق الحقيقي سيتهمون بسرقة السيارة واستخدامها في التهريب .. فجبران قاس على ما يفعلونه في أوروبا ونشاطهم في تلك الدول .. هو له معارف ببعض رجال العصابة المنظمة في تركيا.. يجلس معهم يتعامل معهم .. ويقضي جل وقته في الحانات والخمارات .. وهؤلاء أعضاء في منظمة كبيرة .. من يديرها ؟ من يخطط لهم؟ لا يعرفون .. وأكيد هؤلاء أناس عريقون في الإجرام .. وأصحاب عقول كبيرة في الإجرام ما دام يخططون على مستوى دول .. فالعضو الناقل ولو قضى مليون سنة معهم لا يعرف أسرارهم .

قال العقيد موسى: هو لو حاول أن يعرف لسحق منذ زمن .. وأولئك يعرفون كيف ينتقون أعضاء الجمعية ؟ .. لو قبض على أحدهم وكثيرا ما يمسكون فلا تجد لديهم معلومات مهمة .. ولما يدخل الممسوك السجن لا أحد يهتم به .. لا العصابة ولا الشرطة لأنهم يعرفون أنه لا يعرف شيئا مهما يوقع الرؤوس الكبيرة .. الكبار يقعون يا سيدي المقدم بصراع وتنازع بينهم على الزعامة الكبرى أو على مناطق النفوذ مثل الحيوانات المفترسة.. أو بأخطاء قاتلة أو وشاية من زعيم آخر يريد الانتهاء منهم .. وأما السجين الذي عمل معهم فبعد خروجه إما يقتلونه أو يهملونه كثوب بال .. فهو معروف ومكشوف للبوليس لا فائدة منه أصبح ورقة محروقة كما يقولون .. ونحن سنحاول الاستفادة من قريبك للوصول لأعضاء الشبكة هنا .. والمخدرات تدخل البلد من أكثر من عصابة أو مجموعة.. والعصابات تبحث عن أسواق في كل البلدان .. وتروج بتنافس كبير بين تلك العصابات .. والشباب الفارغ يقبل عليها بغير وعي وإدراك لمخاطرها .. كيف وبس .. والقبض على المروجين والتجار قائم على قدم وساق.. لكن الرؤوس الكبيرة لم ننل منها يوما ما .. لأن أكثرها خارج القطر.. لا يخلو أسبوع من القبض على مجموعة ومجموعات ، وأكثر المقبوض عليهم من المغلفين .. منذ استلمت الدائرة قبل ثلاث سنوات لم أقبض على رأس كبير محلي .. رغم بأس رجالنا .. يذهب الشاب في نزهة خارج البلاد يعود محشوا بالمخدرات .. يذهب للدراسة للخارج يعود محشوا بالمخدرات ومتعاطيا .. سائق شاحنة يخرج مرتين ثلاث في الرابعة يعود محملا بهذه السموم .. وبعضهم يحملها دون علمه إلا بأنها بضاعة خاصة عليه توصيلها لشخص مقابل عشرة دنانير خمسين دينار .. فيحس أنها شيء تافه .. ولمن ستوصلها ؟ يقول شخص سيتصل به على شركته أو بيته إذا ترك هاتف البيت لديهم .. فعندما يتصلون به في البيت تبدأ إجراءات استلام البضاعة المجهولة بعد أن تأكدوا من فلتانه من الجمرك والمكافحة .. ويأخذون بإجراءات الاطمئنان حتى لا يكون متواطئا مع الشرطة .. وسيستدرجونه بالكلام والمواعيد للاطمئنان قبل استلام البضاعة والحاجة ..

أحيانا ننتظر شهرا ، ومرات سنينا ، ولا يحضر أحد لأخذها فتكون النتيجة إما الرجل كاذب، وإما صادق ، ونسي العملاء تلك الكمية المصادرة لسلامتهم ، فيسجن الرجل بتهمة إدخال المخدرات .. وأحيانا تكتشف أن رجال الحدود يعملون أو يعمل بعضهم معهم .. المال الكثير مغر للقلوب الضعيفة ، وهؤلاء يدفعون بسخاء تعجب له .. علينا أن نقوم بواجبنا قدر الإمكان والاستطاعة .. وما دام السيد جبران يجهل هذه العصابات لا نستفيد منه .. ولكن إذا كلف بسرقة سيارة فليكن تحت إشرافنا ونظرنا .

ـ هذا حدثته عنه .. وذكر أنه منذ مقتل سنار لم يكلف بشيء من قبلهم .. ولكنه ذكر أنهم ربما يهملونه لفترة .. فقد قضى عامين بدون مهمة داخلية ولا خارجية .. وأنا متأكد أننا لن نصل لقاتل أخي الحقيقي العقل المدبر ، قد نقبض على اليد التي نفذت الجريمة إذا كان من سكان المدينة .

ـ أنا مستعد لكل تعاون أيها الزميل العزيز .. فكلنا في خدمة الشعب والعدالة والمجتمع ، وكلنا نقوم بواجبنا بأقصى طاقة ..لا تهاون في محاربة الجريمة مهما تغيرت أشكالها وصورها.. نحارب تاجر المخدرات .. التاجر الكبير والتاجر الصغير .. نحارب المروجين سواء مقابل المخدرات أم مقابل عمولة .. ونحارب النقلة لها ونطاردهم ونقدمهم للعدالة .. الإجرام في سوق المخدرات معقد ومنتشر لأنها تجارة .. فدول تتاجر بالمخدرات .. دول معترف بها في الأمم المتحدة تبيع المخدرات وتشجع على زراعتها .. لأنهم يزعمون أنهم يزرعونها لأغراض طبية وصناعات دوائية ، فيذهب بعضها للطب والبعض الآخر لتجارة المخدرات .. وبعض السياسيين يصلون لمناصب عليا بأموال المخدرات والتهريب .. نحن قانوننا يجرم التجارة فيها.. فالبائع يعاقب والمشتري يعاقب.. فعلينا حماية بلدنا.

ـ هذا لا شك فيه يا سيادة العقيد .. قضية المخدرات قضية معقدة ومتشعبة .. فأوضاع الناس المالية والفقر تشجع الكثير منهم للتعاون مع هذه العصابات .. الثراء السريع .. التغول في الشهوات والملذات.. فيقبلون بالتهريب لها والترويج لها وحتى التعاطي لها ..

أشكرك يا سيدي على رغبتك في التعاون معي .. سأفكر بهذه القضية بشكل واسع .. وكما قلت وقال غيرك الوصول لشخص أو اثنين لا ينهي القضية ، وما هو بحل جذري نحن نتعاون مع دول العالم ؛ ولكننا نحتاج لتعاون حقيقي صادق.. فأمريكا نفسها عاجزة عن القضاء على عصابات المخدرات والإجرام ، ولديها التكنولوجيا والقوة .. فلنحمِ بلدنا ونشكر ربنا .. والتوعية خير سلاح لحماية الشباب وإنقاذهم من التورط في مشكلات المخدرات .. لكن حسب الإحصائيات التي أطلع عليها زادت نسبتهم .

ـ الشباب يحبون التجربة للأسف .. لا يتعظ السوي بالمدمن، يحب أن يجرب فيقع.. قد يصبح لصا لتأمين ثمنها.. يسرق أمه أباه جاره .. بعضهم قتل للحصول على المال ليشتري به المخدر اللعين .. وللأسف أنها تروج في الجامعات والمعاهد عند رجال الدولة في المستقبل .. الاستهتار في الصحة عجيب لدى بعض الشباب من الجنسين .. الضمير يضعف .. الدين يضعف .. الأخلاق تضعف .. وسائل الإغراء كثيرة ومتنوعة .. كلما بعد الناس عن الدين والأخلاق أصبح صيدهم وتوريطهم أسهل.. الكثير منهم يرى أن أسرع وسيلة لتصير مليونا كما يروج تجارة المخدرات .. صفقات المخدرات .. أحلام كبيرة وعقول صغيرة .. الأخلاق الفاضلة هي التي تقلل الجريمة وهذه التجارات .. التقليد الأعمى عدو للشباب .. الأفلام الرديئة تنشر الأحلام المريضة والخيالية ، دمر الناس لتصير مليونيرا ، أفلام تشجع على المخدرات .



مفاجأة

جاءت رسالة لجبران وكان مضمونها فندق سبأ يوم الأحد ١٤ آب الساعة العاشرة ليلا القاعة الماسية ، هذه أول مرة تأتيه رسالة فيها طلب إلى لقاء شخص داخل البلد .. كانت العادة أن يطلب منهم سرقة سيارة ، ووضعها في مكان معين في تاريخ معين.. وينتهي العمل عند هذا الحد .. ولكنه بعد أن تحدث مع رباح في الموضوع قال معللا ذلك : يظهر أنهم وجدوا لي شريكا للتعاون معي في سرقة السيارات.. وهذا الفندق أول مرة يطلب مني الذهاب إليه .

ـ نحن سنكون معك في الفندق .. وإذا أحسسنا بخطر عليك سنتصرف .. اطمئن يا جبران ورجالنا حولك .. نحن بشوق لاصطياد بعض هذه العصابة المعقدة التنظيم .. فكأنهم لما أدركوا عدم اكتراثنا باتهامهم .. بقتلك لسنار اعتقدوا أننا أهملنا القضية .. هل ترى خطرا عليك بالاغتيال؟

ضحك جبران للسؤال وأجاب: الخوف منهم متواصل يا سيدي .. الإنسان لما يشتغل مع أشباح سيبقى الخوف ملازمه ، ولكن الخمر تذهب هذا الخوف .. وسأذهب إلى الموعد ، وأتعرف على شريكي الجديد البديل .. وأنا كما وعدتكم سأتعاون معكم لأقصى درجة .

قبل الموعد المبين في الرسالة القادمة من تركيا لجبران بحوالي ثلاث ساعات ، وبينما هو يجلس في مكتبه في إحدى الشركات جاءه تلفون ، ولما تأكد للمتصل أن الصوت لجبران قال اذهب إلى فندق الزهرة في مدينة (بلون) نفس الوقت وانقطع الاتصال .

اكفهر وجه جبران ووضع السماعة مذهولا وبتخاذل وحيرة ، ولاحظ أن الموظفين ينظرون إليه بقلق فتمالك نفسه وقال : تلفون مزعج .. يبدو أن النمرة غلط .

وبعد نصف ساعة غادر المكتب قائلا : إني ذاهب يا أحمد للبيت .

وكان يقول لنفسه هل عرفوا أن الشرطة على علم أم احتياطات أمنية ؟ .. إنه مجرد تعارف .. شخص بدل لسنار .

وقفت السيارة أمام عمارة ممتلئة بالمكاتب التجارية ، ومن إحدى المكاتب اتصل برباح ، وأعلمه بالتطور الجديد ، وبعد دقائق ترك المكتب بعد أن شكر صاحبه معلما له أنه اتصل بمكتبه ، دخل البيت وغير ملابسه، وأخبر ريما بأنه قد يتأخر الليلة، فاستأذنته بالذهاب لبيت والدتها للمبيت عندها فأذن لها وقال : لو تقضين أسبوعا آخر عندها .

فردت عليه ساخرة : أنا أعرف كرهك لي ، وأنك نادم للزواج مني ، ولماذا لا تطلقني وتخلص مني ؟!

ـ سوف أفعل.. أنت تظنين أنني تزوجتك من أجل المال الذي ورثتيه عن سنار .. لا أعتقد أنك آخر أنثى في حياة جبران ..

ضحكت ضحكة ساخرة وقالت باستهزاء : أنا طبعا موقن من ذلك .. ولليوم أفكر لماذا قبلتك زوجا ؟!

ـ أبوك الذي أقنعك بي.. كما أقنعني بك .. تظاهر بخوفه وشفقته على ابن سنار .. أبوك مجرم في حقنا .

فصاحت في وجهه: أنت المجرم .. أبي أشرف منك .

ـ آ .. فعلا أبوك شريف .. على كل مع السلامة يا بنت الشريف .

ـ على كل حال سأخبرك بشيء أغيظك به .. ربما أطلقك أنا هذه المرة .

قهقهة جبران وقال : أنت ؟! وتتنازلين عن الخمسين ألف المؤخر !

ـ اضحك صرخ .. أنا أعرف أن هذه المبلغ المؤخر هو الذي أخر طلاقي .. قد نتفق على هذه القضية ، وأعمل لك تخفيضا وخصما .

ـ أفكار عجيبة ، أنا كنت سكرانا لما وافقت على هذا المؤخر .. سخر أبوك مني .. غدا تستفيد من الربع مليون التي ورثتها عن سنار .. كنت أحمق .

ـ كنت طماعا جشعا حقيرا.

ـ طماع ! أكيد أنا طماع .. آ .. كيف ستطلقينني يا كيلو بترا ؟

ـ هناك زوج خير منك .

ـ زوج !! عجيب أمر النساء !

ـ ألست تحقد عليّ وتكرهني وتكره الأرض التي أمشي عليها ؟.. وتقضي لياليك مع بنات الهوى والملاهي .. فأنا أكرهك وسأطلقك .

فقال باسما وغير مصدق : سأحتفل احتفالا كبيرا يوم طلاقنا، وسأدعوك لهذه الحفلة .. على كل أنا مستعجل في مشواري فيما بعد سنعرف هذا العشيق .

صرخت بغضب : العشيق !! وهل تظن لو أن لي عشيقا سأخاف منك يا عجوز .. مع السلامة اغرب عن وجهي .. ستجدني مع أمي ارتب أمر الطلاق يا شريف يا عفيف !

انطلق جبران بالسيارة نحو فندق الزهرة في المدينة المذكورة في هاتف العصابة .. وما زال الحوار الذي دار بينه وبين زوجته يتردد في جوانحه ووصولها إلى زوج وهي على ذمته ، وكان في قرارة نفسه يود ذلك ؛ لكنّ المؤجل الذي وافق عليه عند الزواج هو الذي يؤخره.. وهو قادر على دفعه ، وإنما يرى أنها لا تستحقه ، ولا تستحق فلسا منه .. وظلت الأفكار حول الانفصال تراوده حتى وصل فندق الزهرة .. فسأل عن القاعة الماسية.. وصعد إليها عن طريق المصعد ، وجلس على مائدة يراقب الجالسين ، وقبل الوقت المحدد للقاء رأى والد زوجته أميرا يتقدم نحوه .. فانزعج لظهوره في هذا الوقت ، ودهش أيضا لوجوده وخشي من فشل اللقاء.. فتصافح الرجلان وعادا للجلوس، فقال جبران بقلق ظاهر عليه: ما الذي أتى بك وإلى هنا الليلة ؟! فقد أرسلت البنت إليكم هذا المساء .

ـ طلقتها ؟!

ـ لا ، هي التي تريد تطليقي .. وجدت زوجا خيرا مني .

ـ ماذا تقول ؟!

ـ هذا ما سمعته قبل مجيء إلى هنا .. لم تجب عن سؤالي .. ما الذي رماك هنا الليلة ؟!

تبسم أمير وقال : الذي أتى بك .

صعق جبران وقال بصيحة منخفضة : أنت معهم !!

ـ ما لك دهشت ؟.. أتجهل أني معكم ؟! .. ألم يخبرك سنار بأني معكم ؟

وضع جبران يده على فكه وحملق بأمير وقال : سنار! .. أقسم لك أني لا أعرف .. أعرف أنك رجل أعمال وتاجر كبير يستورد من تركيا وأوروبا .. وهل أنت الرجل الذي أرسلوني للتعرف عليه ؟ .. هذا أنا مغفل !

ـ نعم ، أنا جاءني أمر بالتعرف عليك واللقاء بك هنا.. وأنا أعلم أنك عضو في تلك الجمعية .. وأنا حقيقة استغربت لما طلب مني ذلك .. يبدو أن سنارا هو من نفسه أخبرني أنك عضو في جمعيتنا السرية .. كنت أظنه أخبرك بأمري .. كما أخبرني بعضويتك .

صفن جبران للحظات ثم قال : منذ متى وأنت معهم ؟

ـ منذ تعرفت على سنار.

ـ لك زمن طويل معهم .

ـ بعد تعرفي على المهندس سنار ومرافقته في عدة رحلات عرض عليّ العمل بالتهريب .. فقبلت ، فالمال كثير.. ونحن تجار ابتداء .. ووفقنا في العمل معهم.

قال جبران: تلقيت رسالة لألتقي بك وأنا طبعا لا أعرف أنك الرجل المطلوب التعرف عليه .. في فندق سبأ ، وقبل ساعات جاءني اتصال للالتقاء بك هنا .

ـ لأقوم معك بسرقة السيارات .. فقد شاركت سنارا بعض العمليات ، أنا كنت أظن أنك تعرف أنني أعمل معكم .. ويبدو لي أنهم لا يعرفون أننا نعرف بعضنا البعض .. اتصلوا بي للذهاب إلى هذا الفندق واللقاء بك الساعة العاشرة ليلا .. حسب الإشارات الخاصة

ـ أنا مذهول أيها السيد .. هل ترى أن سنارا تعاون مع غيرنا ؟

ـ ما دام أنك شريكه القديم ولم يكشف لك أمري .. فربما له رجال آخرون يعملون معه .

ـ مفاجأة كبيرة بالنسبة لي !..ابنتك تعرف شيئا ؟

ـ لا ، لا تعرف عملي بهذه المنظمة السرية .. ولا زوجتي .

ـ هل من مهمة غير التعرف ؟

ـ نعم ، طلبوا تأمين سيارة مسروقة .

وأخرج ورقة مرسوما عليها عنوانا قربها لجبران ، فلما أطلع عليها جبران أسرع أمير بتمزيقها ، وقال جبران : لم يبق لتسليمها سوى أيام ثلاثة .. أعندك مفاتيح جاهزة ؟

ـ طبعا يا سيدي .. اشتغلت مع سنار .. عدة مرات .

ـ أتعرف شيئا عن مقتل سنار ؟

ـ لا ، صدق هذا .. فوجئت مثلك ؛ ولكنه حدثني عن الخطر المحدق به .. وكان يتوقع أن يقتل .

ـ هل تعلم أن البوليس يشك بي وأنني أنا القاتل ؟ .. وحدثه عن رسالة العصابة وشك ابن عمه الضابط في الشرطة به .

فقال أمير : وهل أنت قاتل لسنار ؟

ـ طبعا لا ، ولا لربما يد حسب معرفتي .. وهل كنت أعشقها وهي زوجة لسنار ؟ .. هذا كذب .. وأنت الذي رغبني بالزواج منها .. من أجل ابن سنار .. أن أكون له أبا .. أنا اليوم مثل سنار قبل أن يقتل .. الوضع خطير ..

ـ ومزعج .. أنت فعلا تفاجأت من لقائي بك .

ـ كان سنار كتوما معي نحوك .. لم أتصور أنك عضو معهم ..

ـ هم يعرفون أنك لا تعرف أني في المنظمة.. لذلك رتبوا لنا هذا اللقاء .. لما تعرفت على ابن عمك من خلال التجارة والفنادق .. عرفني سنار على رجل منهم في تركيا .. وبعد حين ضمني الرجل للمنظمة .. فهمت أن ذلك كان عن توصية من سنار .. ولما تعمقت العلاقة الخاصة بيني وبين سنار.. وعلم أن لي بنتا طلبها للزواج لتقوية أواصر العلاقة بيننا .. ثم عرفني عن نشاطه في تأمين سيارات لتهريب ونقل المخدرات في البلد .. وأخذت في مشاركته في تلك العمليات .. مقابل الدولارات في كل سرقة سيارة .. مع أن المبلغ تستطيع

العصابة شراء سيارة به .

ـ السرقة أسلم لهم .. السيارة تحتاج لتسجيل أو نقل ملكية يا فهيم .. وأنا جاهز للتعاون والعمل معك يا سيد أمير .. ماذا في هذه القاعة الليلة من سهرات ؟

ـ بعد نصف الليل ستكون حفلة غنائية لمدة ساعتين للمطرب جاجو.. من جاجو ؟ لست أدري .

ـ جيد ! هل ننزل للمطعم لنأكل ونشرب قبل بداية السهرة ؟

ـ مسموح أن تأكل هنا.. ، ولكني حجزت مائدة شهية أسفل هيا أبا نسب .

النهاية

تفاجأ رباح بما سمع من جبران وقال : زوجتك كانت في البيت عندما كشفت أمرك لنا ؟
ـ من حسن الحظ أنها كانت في بيت أمها.. أمها لها فترة مريضة تشفى وتمرض .. فمنذ عدنا من شهر العسل وهي تقضي نهارها عند أمها .. والخادمة في البيت أجنبية لا تفهم من العربية إلا القليل .. أنا لما عرفت أن أميرا هو الرجل الآخر وقع قلبي تحت رجلي من الرعب .. هي عينه عليّ حقيقة .. وربما كانت على سنار كذلك .. هو زعم لي أن سنارا هو الذي رغب بها زوجة .. بدأ لي اليوم سنار غامضا جدا .. ولكن لو سمعت شيئا لاستفادت منه .. أنا كما اتفقت معكم سأنفذ السرقة كما هو معتاد ..
ـ ستذهبان للمكان المعطى لكم .. ونحن بعد نقلها للمكان المطلوب سنضع عليها جهاز تعقب صغير .. أمير هو الذي سيقوم بعملية السرقة ، وأنت ستلحق به لتعود به لبيته .. أنت لا تعرف السيارة المسروقة الآن .
ـ هو الذي قلد المفاتيح ، وهو الذي سيسرقها ، وأنا سأقوده للمكان وأغطي عليه .. أنا لا أعرف سيارة من سيسرق ؟ .. أنا فقط أعرف مكان ترك السيارة .. قرب فندق سبأ من الجهة الخلفية .. فعليكم تركيب الجهاز بسرعة خشية أن يكون رجال العصابة قريبين منكم
ـ الجهاز سريع التركيب هو مغناطيس شديد القوة .. يوضع بمكان خفي .. ونحن سنراقب السيارة أيضا .. بعد الحادية عشرة ليلا تحرك جبران بسيارته لبيت أمير حيث خرج إليه ، وجلس على مقعد القيادة، وتحول جبران للمقعد المجاور.. وتمشيا في السيارة في شوارع المدينة .. وملأ الرجل السيارة بالبنزين .. ثم انطلق بها إلى المكان الذي سيسرق السيارة منه .. ونزل الرجلان وفتح جبران غطاء الماتور ، وتظاهر بعلاج عطل طارئ .. واقترب أمير من السيارة التي تقف أمامه ، وشغلها وانطلق بها ، كانت العملية سهلة وسريعة ، وتبعه جبران حتى وصلا لفندق سبأ من الجهة الخلفية ، وقرب مجموعة من الأشجار صف أمير السيارة الصالون ، ووضع المفتاح تحت العجلة الخلفية ، وركب بجوار

جبران الذي ابتعد به نحو بيته .. وانصرف جبران إلى حانة يروي غليله من المسكر.

أما رباح فلما ابتعد جبران بسيارته ، تقدمت بضع سيارات إلى المنطقة الخلفية من الفندق وساق أحدهم السيارة المسروقة ، وتركوا سيارة خاصة بهم على نفس الوضعية، وقد وضع عليها جهاز تعقب ومتابعة .. وأعادوا السيارة المسروقة إلى البيت الذي سرقت منه.. فكما تعلمون أن رجال البحث الجنائي يراقبون السيد جبران ، فقد عرفوا الموقع من مراقبتهم له جاء أفراد العصابة المحلية عند الفجر، وأخذوا السيارة التي يعرفون أنها مسروقة ، وساقوها إلى عمارة خاصة ، ومكثت السيارة داخل العمارة حتى الليل .. وما زالت السيارة تحت مراقبة الشرطة.. وكذلك العمارة.. خرجت السيارة من العمارة ليلا ، وعلى أحد الطرق السريعة أوقفها رجال الشرطة على أنه تفتيش عارض ومفاجئ .. وطلبوا رخصة السائق ورخصة السيارة .. قال الضابط وهو يمسك برخصة السائق : هل هذه السيارة لكم ؟

رد السائق : إنها لأحد الأصدقاء .

ـ هذه سيارة مسروقة قد عمم علينا رقمها .

وفتح الضابط أمامهم جهاز الاتصال ليسمعوا الكلام فسمعوا تحفظ عليها وعلى من فيها .. وقال الضابط : سيأتي صاحبها الآن

ولم يكد الضابط يتم جملته حتى فتح أحد الرجال المقعد وخرج مشهرا مسدسا وقبل أن يستعمله كان قد طار من يده .. ومطروحا على الأرض ..وأحاطت سيارات الشرطة بالسيارة ، والقيء القبض على الجميع .

وفي الصباح كان الضابط يتهمهم بسرقة السيارة ونقل مخدرات فيها ، وأقر الرجال الثلاثة بنقلهم للمخدرات ، وقد اقتحم رجال الشرطة العمارة التي أخفيت فيها السيارة ، ووجدوا كمية أخرى من المخدرات وبعض رجال العصابة .

ونشرت الصحف في اليوم التالي خبر القبض على عصابة مخدرات وبعض التفاصيل التي

سمحت بها الشرطة .

أخبر جبران رباحا أن رسالة من تركيا طلبت منه السفر إليهم بأسرع وقت ، فطلب رباح منه ألا يسافر ليدفعهم للمجيء للبلد .. وتحدث معه أمير أن الرجال يطلبونه في تركيا.. فتعذر له بالمرض وعدم رغبته بالسفر.. وقد يعمل عملية قلب مفتوح لقلبه .. فطلبوا منه السفر لقبرص ، فبين لهم أن قلبه لا يحتمل السفر .. ثم أخبره أمير أنهم يريدون سرقة سيارة قبل العملية فوافق مضطرا .. ونفذ مع أمير سرقة سيارة .. والشرطة فعلت بها كما فعلت في المرة السابقة استبدلوها من غير علم جبران.. وقد اختفت السيارة عدة أيام هذه المرة .. وحدث رباح جبران أن السيارة مختفية فربما يقصدون اغتياله كما فعلوا مع سنار .. فالسيارة لم تشحن بالمخدرات ..

اتصل أحدهم بجبران ، وطلب منه اللقاء به في منتزه (الوردة البيضاء) ، أخبر رباح بالاتصال واللقاء .

ذهب جبران للمكان وعند الأشجار العالية في المنتزه أقبل رجل وعرف نفسه أنه من المنظمة من الفرع التركي ، وهدده بالموت إن لم يسافر لتركيا أو قبرص قبل العملية القلبية وكان جبران يتظاهر أمامه بالاعتلال والألم .. فأصر جبران على عمل العملية قبل السفر ، فلما رآه الرجل مصرا : دع سيارتك هنا واذهب معي لمقابلة .

وصلا لسيارة رجل العصابة ، وركب معه جبران ، وهو يدرك أن حياته في خطر .. ولكن النهار شجعه على الركوب والمغامرة .. ودخلا منطقة صحراوية .. وفي منتصف الطريق كانت هناك سيارة يقف أمامها أربعة أشخاص وهي السيارة المتصلة بجهاز الشرطة.. ولما وصلوا إليها أوقف الرجل التركي السيارة بجوارها وقال لهم بحدة إن جبران يرفض السفر لتركيا أو قبرص ومصر على عمل العملية الجراحية لقلبه المريض .

وجرى حوار بينه وبين أحد الأشخاص الأربعة حول السفر ، وأعاد جبران اعتذاره عن السفر لصحته الضعيفة .. ولما انتهى الحوار أخرج الرجل مسدسا وصوبه لجهة جبران وقال

: أخ جبران معي أوامر بقتلك ، وترك جثتك في هذه السيارة المسروقة .. فالأفضل لك أن تسافر قبل العملية .. قد لا تحتاج لهذه العملية .

فقال لهم بهدوء : اعلموا أن هذه السيارة ليست السيارة المسروقة .. وأكمل جبران : يبدو أنها سيارة شرطة .

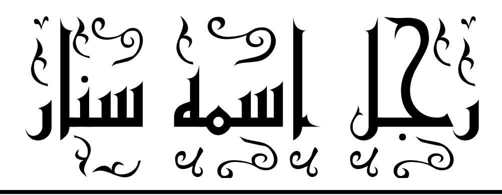
وحاصرت المكان بسرعة سيارات النجدة والشرطة . أمروا برفع أيديهم للأعلى، وإلقاء المسدس على الأرض فقال أحدهم لجبران : هذه خيانة !

ـ لا ، بل ندم .

تقدم رباح معانقا لابن عمه وقال : أنت شجاع يا ابن العم !.. وانتهى دورك اليوم .. وستبدأ حياة جديدة بإذن الله .

كانت ضربة كبيرة للعصابة ، وكان من بينهم القتلة الذين قتلوا سنار حمدي ، وطلق جبران ريما أمير، ومنح جواز سفر جديد بصورة أخرى واسم جديد ليختفي عن المسرح بضع سنوات ، وانتقل للحياة في بلاد بعيدة لا يعلمها بعد الله إلا رباح حمدي .. قل منفى اختياري أو اضطراري .

تمت قصة



* رجل اسمه سنار *

بدأت الجريمة في حانة تركية

وكمل القتل في حفلة رأس العام أمام الفندق

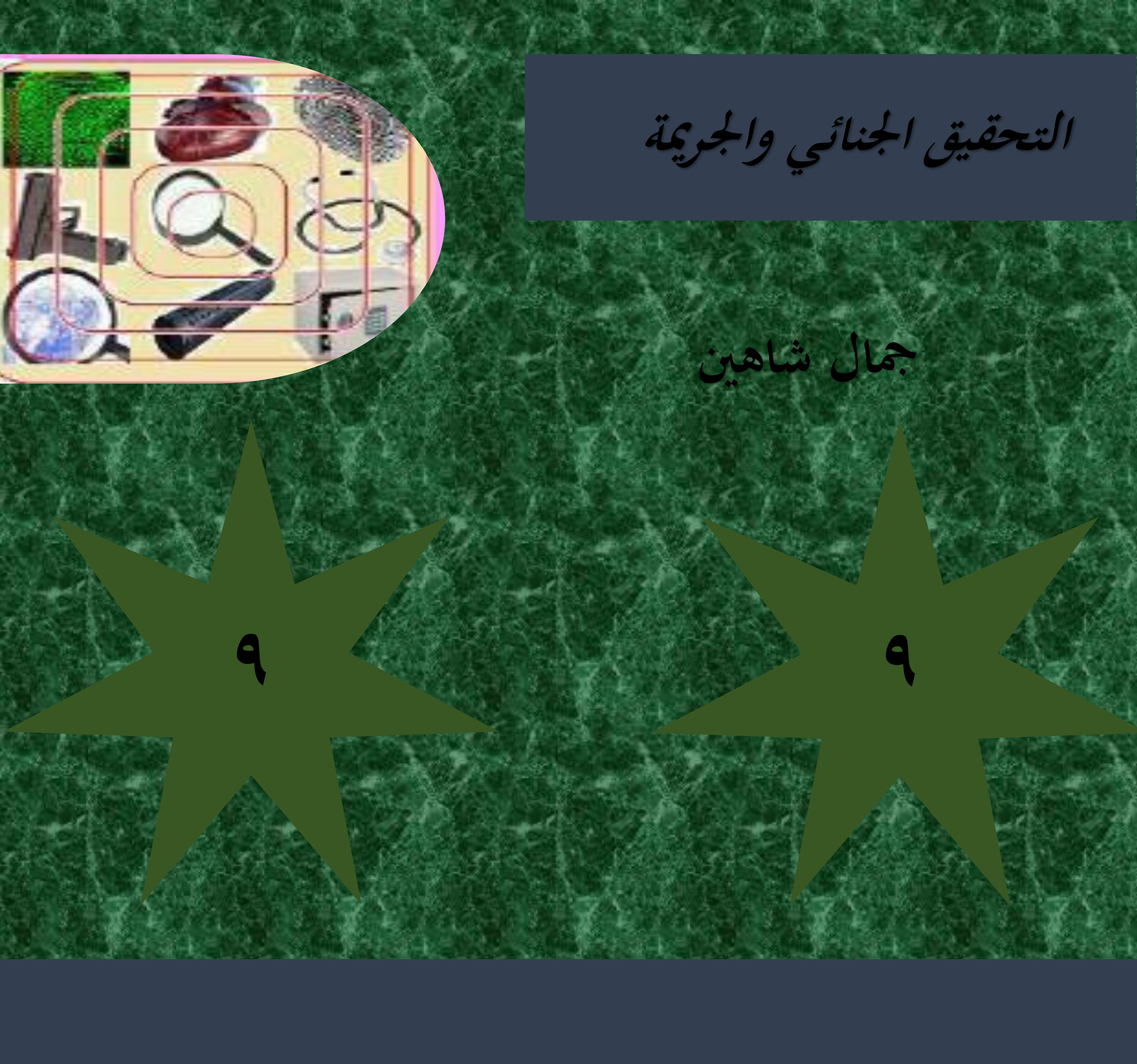
مخدرات .. سرقة سيارات .. تهريب .. العصابات

الضابط شقيق المقتول مصر على معرفة الجاني

فكانت هذه القصة رجل اسمه سنار



التحقيق الجنائي والجريمة



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين

٩

٩

جثة في البركة

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

جثة في البركة

جمال شاهين



١

كان حامد موسى يستعد للخروج من مكتبه منهيا يوم عمل ، بعد أن أخبره الفراش أن الموظفين قد انصرفوا جميعهم من الشركة ولم يبق سواهما .. فنهض عن كرسيه ، واتجه نحو مرآة معلقة في غرفة المكتب ، وتناول الجاكيت المعلقة بجانبها ، وأخذ يضع يديه في أكمامها رويدا رويدا ، وينظر في نفس الوقت لوجهه في المرآة وهو يفكر بشيء ما .. وكان الفراش يقف أمام الباب منتظرا خروجه .. وكان الباب مفتوحا .. بحيث يرى الفراش ماهر مديره وهو يلبس ثيابه ، وانتبه أيضا على أنه مشغول الفكر، وبدا ذلك واضحا لماهر حتى أنه تساءل بينه وبين نفسه السيد مشغول الفكر! .. فماهر يعمل فراشا لصاحب المكتب منذ سنوات وسنوات .. ومن عشرته للسيد يعلم المشكلة التي تشغل ذهن السيد حامد .. وكان يتابعه بعينيه ، فهو آخر موظف في المصلحة ينصرف إلى حيث يشاء .. هكذا التعليمات سواء كان المدير موجودا أم كان غيره .. عليه أن يغادر آخرا ، ويفتح أولا إلا لعذر طارئ .

كان يدرك ذاك المساء أن المدير قد تأخر عن وقت انصرافه المعتاد .. وهذا من النادر في نظره .. فالساعة زادت عن الرابعة عصرا .. ففي العادة تغلق الشركة أبوابها في الثالثة والنصف مساء ويوم الخميس من كل أسبوع ينصرفون في الساعة الواحدة ظهرا ..فالأمر بالنسبة لماهر واضح أن هناك شيئا يرهق ذهن المدير حامد موسى .. وربما هذا الفراش القديم يعرف ما هو هذا الشيء .. وهو أن ابنة المدير على وشك الانفصال عن زوجها ؛ لأن صاحب الشركة شريك حامد .. اتهم الزوج بالاختلاس والرشوة .. وقد ثبت ذلك عليه .. وحامد أمام هذه الحقيقة لم يستطع فعل شيء لصهره .. وفصل الشاب من الشركة .

وذاك الشاب لما طرد من الشركة .. ليضغط على عمه ويعيده للعمل هدد بتطليق زوجته التي هي ابنة حامد .. وشريك حامد رفض أي عودة للشاب ناصر .

فكان ماهر ينتظر مديره بالانصراف لينصرف هو أيضا ، وهو يعتقد بأن الرجل مشغول الفكر بهذه القضية منذ أيام .

لما ارتدى حامد جاكيتته وضبط شعره .. ومشى نحو الباب ليغادر المكتب رن جرس الهاتف فتقدم إليه، ورفع المسماع ، وقال مجيبا للمتصل : نعم .. أنا ذاهب للمزرعة في التو .. سأسهر هناك الليلة .. سأتكلم معكم من هناك .. ووضع السماعة .

وخرج من الغرفة ، وأغلق ماهر الباب وقال له حامد : هيا بنا .. سأوصلك لأول الطريق يا أبا محمد .

ـ شكرا يا سيدي .. لا داع لإزعاجك .

ـ تفضل يا رجل .. ليس هناك أي إزعاج .



٢

وضع توفيق حامد الهاتف قائلا : لا أحد يرد .

وكان توفيق يجلس في صالة البيت ، ومعه أمه وهي حزينة الوجه مكتئبة تكاد الدموع تتساقط من عينيها ، تنظر تارة للهاتف وتارة إلى توفيق ، وكان القلق والانزعاج ظاهرا على محياها ، وكان يجلس أخوه سعيد قريبا من أمه وهو متجهم الوجه ، وتجلس أختهم فادية زوجة ناصر الموظف المفصول من شركة والدهم بتهمة الرشوة والاختلاس والوجوم والضيق يملأن وجهها كذلك ، التوتر هو سيد الموقف ، والصمت هو المخيم على الوجوه والعيون ، فلما جلس توفيق وقال : لا أحد يرد .

لم يعقب أحد بكلمة ، فسكت لحظات ثم قال : هذه عاشر مرة أتصل ولا أحد يرد .. هل انتهت السهرة ؟ .. الساعة لم تصل منتصف الليل بعد.

لما أدركت الأم الثورة التي تقبع في نفس توفيق لعدم رد تلفون المزرعة قالت : غريب فعلا !.. هل تركوا مكان السهرة ؟!.. وذهبوا لمزرعة أبي خالد .. قم اتصل يا سعيد به .. ستجد رقم الهاتف في الدليل الخاص ..

فقال سعيد بضيق : ولكن فادية قالت إن زوجها ذهب لمقابلة أبي في مزرعتنا ..

قالت فادية التي انتبهت من حزنها عندما سمعت اسمها يتردد : هذا ما قاله ناصر .. اتصل بي وقال الليلة سنحسم الأمر يا سيدتي .. أبوك خذلني هذه المرة .. فأخذت أدافع عن أبي وشرف أبي من اتهاماته الرهيبة الحاقدة .. قال اقضي الليلة عند أهلك وسأوافيك بالنتيجة .. إما أن أعود للشغل رغم أنف الجميع أو أن تبقي في بيت أبيك للأبد .. وأغلق الهاتف قبل أن يسمع ردي .. وتابعت بحدة ودموع : وأنا هذا الوضع لم أعد أطيقه .. حياتي صارت كالجحيم .. وهو يتقول على والدي كلاما مرا وحقيرا .

أخذت الأم تهدئ من غضب فادية وثورتها ، وتبين لها أن الحال سوف ينصلح .. وأن ناصرا سيعود للعمل مع أبيها ، وأنه يفعل هذا الجنون للضغط على أبيها ليساعده .. وأن شريكهم

سيغير رأيه عندما تهدأ الأمور ، ولسوف تعود المياه لمجاريها ..ثم ختمت قائلة : وقد طلبت منهم أن يتصلوا بالوالد لنعرف ما جرى بينه وبين ناصر .. وتلفون المزرعة كما ترين لا يرد .

وأخذت تمسح الدموع التي انسابت على وجنتيها وهي تتحدث مع البنت الغاضبة الحزينة .

وأمام إلحاح الأم نهض سعيد وأدار رقم مزرعة أبي خالد .. وبعد محاولات رد عليهم شخص، تبين لهم أنه أحد العمال مخبرا لهم أنه لم يسهر أحد الليلة في المزرعة .. وأبو خالد لم يأت المزرعة الليلة .

فعندئذ قال توفيق بضيق : ليس أمامنا إلا الذهاب للمزرعة .. قبل أن نبدأ نسأل في بيوت الناس في هذا الليل ..

ونهض واقفا وارتدى ثيابه ، وفعل مثله سعيد ، وانطلقا بسيارة توفيق إلى المزرعة التي يملكونها في القرية الزراعية .



٣

عندما وصل توفيق وسعيد المزرعة كانت الساعة اقتربت من الواحدة صباحا .. كانت غرفة البواب مظلمة .. أما مصباح بوابة المزرعة ، فقد كان منيرا .. والبوابة الحديدية نفسها مغلقة فقال سعيد : لا سيارة أمام الباب .. هل سياراتهم بالداخل ؟! .. إجازة العم أبي يسري لم تنته بعد ؟

ـ كأنها لم تنته .. هو قد ذهب للسعودية لأداء العمرة كما علمت .. الوضع مريب .. هل انصرفوا ؟؟ لابد أنهم انصرفوا .. من النادر أن تمتد سهرتهم إلى ما بعد نصف الليل .. وأصحاب أبيك عادة لا يحبون النوم في المزرعة .. حتى سيارة زوجك أختك لا ترى هنا .. هيا بنا نفتح البوابة وندخل.

نزلا من السيارة ، وفتحا الباب الكبير الذي له سكة يسير عليها ، ولم يكن مغلقا بمفتاح منذ أن سافر أبو يسري ، ويغلق الباب بدون مفتاح ..

ودخلت السيارة المزرعة وظلت تسير حتى وقفت أمام مدخل القصر الذي عمر وشيد في أول وبداية المزرعة ، ويبعد عن المدخل حوالي مائة متر .. وكان مدخل القصر مضاء بأنوار قوية ساطعة تبدد ظلام الليل الهادئ في تلك الناحية .. بل بدأت لهما بعض حجراته مضاءة كذلك وكانت سيارة الوالد حامد تقف أمام القصر في مكانها المعتاد .

فهتف سعيد دهشا : سيارة أبي هنا! ..هل هو نائم ولم يسمع رنين التلفون ؟!

ـ قلبي منقبض الليلة !!.. وسيارة ناصر غير موجودة ..

تقدموا نحو درجات القصر ..وصعدوها بسرعة ، وفتحوا الباب الرئيسي للقصر، ودخلوا منه ولم يكن مغلقا ، فقال توفيق معلقا : عجيب الباب مفتوح ! أيعقل أن ينام أبي ويترك الباب مفتوحا؟!من عادة الوالد غلق الباب .

كانت صالة القصر مضاءة أو بعضها مضاء .. صعدوا مسرعين للطابق الثاني حيث ينام الوالد كان باب الغرفة غير مغلق إغلاقا كاملا .. طرقوا الباب .. ودخلوا الحجرة التي ينام بها حامد

عندما ينام هنا .. كانت خالية .. وبدا السرير كأن أحدا جلس عليه ، لم يكن مرتبا .. إلا إذا كان مبعثرا قديما من أيام خلت .. أخذ سعيد ينادي بصوت هامس : أبي .. أبي .

فتشوا كل غرف الطابق الثاني كله ، وصعدوا للطابق الثالث .. كان جزء منه مضاء كغيره .. نادوا وفتشوا غرفة جلوس أبيهم في هذه الطابق ، ثم نظروا فيها ظنا منهم أنه قد غفي فيها .. كانت فارغة .. نزلوا للطابق الأول ، وبحثوا فيه غرفة غرفة حيث قاعات الجلوس ، وفتشوا فيها ، ودخلوا حمامتها ..مطبخها .. ولما لم يجدوا أحدا قال توفيق متعجبا وخائفا: ولكن السيارة موجودة !.. والقصر مفتوح .. هل ذهب مع ناصر في مشوار إلى شريك أبي ؟!

ـ أو مع أفراد الشلة .. ولكن هل يترك القصر مفتوحا ؟!.. شيء غامض يحدث هذه الأيام !.. منذ فضيحة ناصر المدوية والأمور تسير على غير ما يرام .

ـ صدقت ، كأن الدنيا انهدت .. أمعقول لأبي يد في جريمة ناصر؟!..أيختلس أبي شريكه ؟! شيء لا يمكن تصديقه!

أعادوا البحث حجرة حجرة .. المطابخ .. المراحيض والحمامات مرة ثانية ، ثم عادوا لصالة القصر حيث دخلوا أولا ، وقال سعيد : هل نزل لمخازن القصر وحدث له شيء؟!

ـ ماذا سيفعل في مخازن القصر في الليل؟! غرف فيها بذور وأدوية زراعية وأدوات زراعية ..

سمعوا رنين جرس التلفون .. فتناول توفيق السماعة ، وتحدث مع فادية ، وأخبرها أنهم لم يجدوا الوالد .. وإنما وجدوا سيارته فحسب .. أبدت دهشتها وقالت : أين ذهب إذن؟! هو منذ سافر الحاج مروان وهو ينام في المزرعة .. هل بحثتم جيدا ؟

ـ أجل كل الطوابق ..

ـ هل أنت متأكد أنه أخبرك بأنهم سيسهرون الليلة في المزرعة ؟

ـ هذا ما أخبرني به قبل مغادرته الشركة ..حتى زوجك يا فادية لا أثر له

ـ اتصلت به في البيت .. ولم يرد عليّ ناصر .

٤

قال سعيد مخاطبا توفيق : سأصعد لغرفة نوم أبي ..وأنظر مفاتيح السيارة .

فرد توفيق باضطراب بين : ربما لو ذهب مع أحدهم لا يأخذ المفاتيح معه .. لكن كيف يترك القصر مفتوحا ؟ .. هذا الذي يثير الحيرة!

ـ دعني أنظر .

وانطلق راكضا للطابق الثاني ، ووجد المفاتيح على منضدة في الغرفة ..فتركها وهبط قائلا : موجودة ..أيعقل أن يترك مفاتيحه هنا ويخرج ؟! .. ويظل القصر مفتوحا .. أمر غريب !!

ـ هل نمشي لحوض السباحة .. البركة ؟ هل ذهب إليها وأخذته غفوة هناك؟ فأبوك يحب السباحة في الليل والمكث هناك .

فقال سعيد : وهل يذهب أحد إليه في الليل وفي هذا الطقس البارد ؟.. ولو نام تعبا فالبرد الليلي يوقظه .. فالساعة الآن تقترب من الثانية فجرا ..

ـ هل ذهب مع أحد الأصدقاء ثم نام عندهم ؟!

فقال سعيد وهو يهرش رأسه حيرة : ربما حدث ذلك .. وربما جلس في مكان من هذه المزرعة ونام ..

ـ لنا أكثر من ساعة نبحث عنه .. ألم يستيقظ لحتى الآن ؟

ـ أبوك له فترة مشغول أكثر من اللازم .. مشكلة ناصر .. طلاق فادية

قال توفيق : السيارة والمفاتيح والقصر المفتوح يدلان على وجوده هنا .. لكن إذا جاءه زائر كناصر وساقه في مشوار .. فربما من العجلة نسي أن البواب غير موجود

قال سعيد : والباب الحديدي كان مغلقا .

ـ هذا ربما يدل على خروجه ، وليس على بقائه فحسب ..كيف سنعود للبيت بدون أن نجتمع به ؟!

قال سعيد : القصر مضاء .. فأين جلس ؟!

فقال توفيق مهونا من الأمر : هذه مزرعة كبيرة .. ومواضع الجلوس فيها كثيرة .

فقال سعيد : أين الكلاب ؟

فقال توفيق كأنهم فطنوا لها : فعلا أين هي؟! لم نرها عند الباب .. لابد أنها رحلت إلى آخر المزرعة في بيتها الخاص .

ـ من يطعمها ؟

ـ عندما يتغيب عادة أبو يسري ..تحبس في بيتها .. لأن الخادمة سيرا تخاف منها .. ولما تقبل في الصباح للخدمة داخل القصر .. تقدم لها الطعام .. هذا ما أعرفه في مثل هذا الأمر .. فهي تأتي في الصباح لتنظيف القصر أو أماكن سهر أبي وضيوفه .. وتنظف المطبخ .. ثم تنصرف فهي لا تنام في القصر .. فهي تعمل عند عائلة قريبة من البلدة ..

فقال سعيد : من قام على خدمتهم ليلة أمس إذن ؟!

فقال توفيق : لابد أنهم خدموا أنفسهم بأنفسهم أو أتى أحدهم بخادمه .. فكلهم عندهم خدم

ـ والآن ما العمل ؟

ـ سنبقى هنا حتى الصباح .. ثم نتابع البحث أو يظهر لنا فجأة .. وإذا أحببت أن تنصرف للبيت فافعل .. فاذهب يا سعيد ..وحاول بث الطمأنينة في نفس أمك وأختك .. ولنبق على اتصال .

بعد نظر وتدبر قال سعيد : لا بأس .. وأنا بعد ساعات سأكون هنا.

ـ اتصل من البيت ببعض الأصحاب ..وأخبرني بأي تطور .

صعد توفيق إلى الجناح المخصص له ولأسرته في القصر ، وألقى بنفسه على سريره ، وغادر سعيد المزرعة وهو في حيرة وخوف من اختفاء أبيه .

٥

قبل أن يستيقظ توفيق من نومه ، كان يطرق الباب عليه خاله جابر وابنه عصام وأمه أم توفيق، فلما فتح عينيه قال : أهلا خالي .. أهلا عصام .. مرحبا أمي .. صباح جميل .. أين سعيد ؟

قال الأم (فايزة) : تركته في البيت يتصل بأصحاب أبيك .

قال جابر : اتصلت بي أمك مبكرة تخبرني باختفاء السيد الوالد .. ما الحكاية يا توفيق؟

تنهد توفيق بعمق وقال : كما تعلم يا خال الأمور مضطربة منذ اكتشاف فساد زوج شقيقتنا فادية ، وطرده من الشركة من قبل شريك والدي منذ أسبوعين .. ولما طرد الملعون ، وقد ثبت عليه الاختلاس .. أخذ يهدد أبي ليعيده للشركة وإلا طلق المسكينة فادية .. ومن يومذاك ونحن في مشاكل وقيل وقال ..وأبلغه أبي أن عليه الصبر بعض الوقت لتهدأ العاصفة ، ويتناقش مع شريكه بهدوء وروية .. فالشريك غاضب على ناصر وعلى أبي .. بل اتهمه بالتواطؤ معه .. المهم أن الأمور تعقدت وتشعبت .. والسيد ناصر غير مهتم بظروف الوالد ، وغير مقتنع أن الوقت غير مناسب ..فهو يضغط وأبي يمهله ..وليلة أمس جاءت فادية بيتنا على رغبة زوجها الذي طلب منها البقاء عندنا حتى يعود للشركة .. وأخبرها بأنه ذاهب للمزرعة لمقابلة أبيها ليحسم الأمر إما العودة للعمل فورا أو ليحسم أمر الطلاق ..وأنا تحدثت مع أبي مساء أمس قبل مغادرته الشركة ، وسألته هل سيأتي البيت أم سيذهب للمزرعة ؟.. لأن بواب وحارس المزرعة هذه الأيام في زيارة للسعودية ..لأداء العمرة ..فوالدي يأتي للمبيت هنا، والسهر مع شلته الذين تعرفهم .. ريثما يعود أبو يسري الحاج مروان ..فأخبرني أنه ذاهب إليها مباشرة ، وسيتناول غداءه فيها ، ويسهر مع رفاقه .. ولما انتصف الليل لم يتصل بنا هو، وكذلك زوج فادية هو الآخر لم يتصل ببيتنا ..اتصلنا نحن عدة مرات ولا أحد يجيب ؛ لنعرف ماذا دار بينه وبين ناصر .. اضطررنا لنتصل بمزرعة أبي خالد صديقه الأثير ، وله بالعادة السهر فيها .. أخبرنا أحد الحراس أنهم لم يأتوا إليها .. فجئنا إلى هنا ظانّين أنه نائم ؛ ولنزيل القلق الذي غمرنا .. فلم نجده في غرف القصر ، ووجدنا السيارة ومفاتيحها ، وكان باب القصر مفتوحا .. أين اختفى ؟! لا

ندري .. وحتى ناصر لم نجد سيارته .. فرجع سعيد للبقاء مع أمنا وبقيت أنا هنا .. فهذه هي الحكاية يا خالي .

قال عصام وهو ينظر في الأرض: أفتشتم كل القصر .. الحمامات ؟

ـ فعلنا كل ذلك .. إلا المخازن تحت الأرض .. والآن سنذهب في جولة بين الأشجار والعرائش .. مالك تبكين يا أمي؟! سنجده .. هو ليس طفلا .

وقبل أن تبدأ عملية البحث بين الأشجار وعرائش العنب ارتفع صوت الهاتف ، وأسرع توفيق يخرج من الغرفة متجها إلى الهاتف القابع في ممر أمام الغرف ، وكان سعيد على الخط ، فأخبرهم أن أصحاب الوالد أعلموه أنه لم يكن هناك سهرة كالمعتاد بينهم .. فقبل أن يبدأ لعب الورق بينهم (الشدة) حضر ناصر ومعه رجل آخر .. وابتعدوا عنهم ، ودار بينهم حديث حاد ومتشنج ؛ لأنهم كانوا يسمعون طرفا من أقوالهم وصياحهم على بعض من خلال الباب الذي لم يغلق بل كان مواربا .. ثم شاهدوا ناصرا وصاحبه يخرجان وهما غاضبان .. وتبعهم الوالد خارجا من الغرفة وهو ينتفض أيضا غضبا .. فاعتذر لهم وتركهم وصعد إلى غرفته في الطابق الثاني .. وحاولوا تهدئة الوضع .. ولما رأوا أن الوالد في ضيق ، ولا يريد المناقشة والحديث ، ورأوا عجزهم عن فعل شيء ، قرروا الانسحاب بدون إعلامه ، وكان ذلك قرب العاشرة والنصف ليلا .. فانسلوا ولم يصعدوا للأعلى لإخبار الوالد .. وهم أبو خالد وأبو شادي وأبو جمعة .. وأخبروا ـ وهم مغادرون المزرعة ، ويغلقون الباب الحديدي الرئيسي والكبير لمعرفتهم بإجازة البواب ـ بأنهم شاهدوا سيارة كانت واقفة قرب البوابة .. ولما شاهدهم راكبو السيارة يخرجون أطفئوا أنوار السيارة ، ويقولون إنهم رأوا في السيارة رجلين وامرأة ، ويقولون ربما خرج الوالد معهم .. والسيارة يابانية من نوع (تويوتا كورولا) زرقاء اللون . وبالطبع توفيق لم يستطع معرفة من هم أصحاب هذه السيارة.. فأصدقاء الوالد كثر وعملاؤه أكثر فعلق على هذه القصة قائلا : صعب معرفة من هؤلاء يا خالي هل رافقهم الوالد ؟كيف سنعرف هذا ؟!

وبينما هم يهمون مرة أخرى بالخروج للبحث بين الأشجار في أنحاء المزرعة ، جاءت الخادمة

سيرا .. التي تعمل بعض الساعات في الصباح لدى السيد حامد ، ودخلت مسرعة ظانة أن السيد في القصر لم يغادر بعد .. لرؤيتها السيارة واقفة على المدخل ، وبجوارها سيارة أخرى ، وربما تصنع له فطورا وشايا ، ولما رأت الموجودين حيتهم وفي عينيها استفهام ، ووقفت تنظر إليهم ، فقال توفيق : كيف حالك يا سيرا ؟ متى غادرت القصر أمس؟

ـ نحو الخامسة ..لأنني هذه الأيام أتأخر قليلا لغياب أبي يسري .. فأتأخر بضع ساعات .. وقبل مجيء الأستاذ حامد بوقت قصير أنصرف حيث أعمل عند آل زعتر .

ـ ألم تلتق بأبي مساء أمس ؟

ـ لأ ، يا سيد توفيق .

ـ حسنا يا سيرا .. ما دمت قد حضرت ، فإذا سمحت اعملي لنا إبريقا من الشاي وفطور .. فأنا من عشاء الليلة لم أضع في فمي شيء ..

فقال عصام : ألا نبدأ بالبحث ؟

فقالت سيرا وهي تستدير نحو المطبخ الرئيسي : تبحثون عن ماذا ؟!

فضحك توفيق وقال : نبحث عن أبي يا سيرا .

انصرفت سيرا للمطبخ وهي تتساءل هل يبحثون عن حامد حقا ؟

ولما وضعت الإبريق المملوء بالماء على نار الغاز قالت لنفسها : هناك شيء .. يبحثون عن حامد .. لم يكن معهم وسيارته أمام القصر .. هل هو ضائع ؟؟

ولما انتهى صنع الشاي ، كانت قد أعدت سفرة سريعة ، ونادت عليهم للأكل ، فلم يلبِ النداء إلا توفيق ..فجلس يأكل وحده وهو ساهم الذهن في سر غياب أبيه بهذه الطريقة الغريبة .. فلم يغب مرة إلا وهم على علم بمكان تغيبه سواء في الداخل أم الخارج .. ثم طلب من الخادمة أن تذهب بأكواب الشاي لأمه وخاله وابن خاله حيث يجلسون ، وكان الوجوم مخيما على وجوههم جمعيهم ؛ كأنهم يفقدون عزيزا .. كأنهم في جنازة ..فانقبض قلب توفيق لتذكر ذلك .

ولما عادت سيرا قالت لتوفيق : سأذهب الآن لتفقد الكلاب وإطعامها .

فقال : اذهبي ولا تتأخري عندها .

فقالت : أمرك يا سيدي .. ولكني لم أفهم ما تعنون ببحثكم عن سيدي الوالد ؟!

لخص لها الشاب القصة فقالت : عجيب ! ما رأيك أن أطلق الكلاب في المزرعة ؟

ـ فكرة !!



٦

يوجد في مزرعة حامد موسى ثلاثة كلاب ضخمة ، وكان بيت الكلاب الرئيسي في آخر المزرعة في الجهة المعاكسة لمدخل المزرعة .. وكانت مطلقة السراح تجوب المزرعة بكل حرية ..ولما سافر حارس المزرعة .. كان السيد حامد نفسه لما يأت للمزرعة يتفقدها ، ويقدم لها الطعام بعد أن يعيدها لبيتها في آخر المزرعة .. وفي الصباح قبل مغادرته يطلق سراحها ، وهي في الغالب تبقى قريبة من بيتها .. وكان في وسط المزرعة بركة سباحة (حوض سباحة) يبعد عن القصر حوالي نصف كيلو متر تقريبا ..وحوله مظلات تحتها مقاعد وآرائك ودورة مياه .. وهذا الحوض يقع في طريق بيت الكلاب .. فالقاصد لبيت الكلاب .. يمر من أمام البركة ، ويوجد في المزرعة طرق مرصوفة ومسفلتة.. تستطيع السيارات المشي عليها لتعبئة الثمار والزروع .. وهناك ممرات مرصوفة بالحصى والرمل أيضا للمشي عليها أثناء الشتاء والوحل ..ويمر أحد الممرات من أحد جوانب البركة ..

وحوض السباحة نفسه مظلل بمظلة متحركة .. تحجب الشمس والمطر عن الحوض عند الحاجة إليها ، وهي مزخرفة بألوان زاهية وصور جميلة ونجوم وشموس ..

ولما اقتربت سيرا من المسبح شعرت بتوتر وانقباض في قلبها .. وتطلعت حولها فلم تر أحدا ، ولكنها لاحظت فردة حذاء على العشب قرب المسبح ..حذاء تعرف لمن هو ؟! لا أحد على الكراسي ؟ هكذا أجابت على سؤال خطر في بالها فهمست : إنها فردة حذاء السيد حامد بلا شك !!

فاقتربت من حوض الماء نفسه ، ونظرت بداخله فرأت جثة حامد في ثيابه في قاع الحوض فصرخت وصرخت.. ثم أسرعت نحو القصر .. وكان القوم قد سمعوا صراخها فخرجوا أمام مدخل القصر ..ونزل توفيق الدرجات مستقبلا المرأة وهو يصيح : ما هنالك ؟!

فكانت تصيح وتشير إلى جهة الحوض دون أن تتكلم .. فأسرع توفيق وتبعه عصام نحو المسبح .. وهناك وجدوا الأب مسجى في قاع المسبح ..وهو يلبس بدلته .. هذا يدل على أنه لم يكن

يسبح .. هل وقع بنفسه أو بفعل فاعل ؟ ..هذا ما خطر في ذهن توفيق للوهلة الأولى .



وبعد وصول الزوجة وأخيها للبركة، ورأت الجثة على ضوء الشمس صرخت وبكت ، فأجلسها شقيقها جابر على أحد الكراسي ، وكان يتمتم بكلمات مبهمة ، وأخذ يخفف من اضطرابها وبكائها وهو يقول : الموت هو مصير كل كائن حي .. الموت امر الله!!

وأما توفيق المهندس فهرع للقصر ، واتصل بالشرطة والإسعاف .. والشرطة بدورها اتصلت بأقرب نقطة شرطة تتبع لها المنطقة .. وبعد ساعة ملئت سيارات الشرطة والتحقيق الجنائي المكان ، وأكد رجال الإنقاذ أن الرجل ميت ..ولما انتشلت الجثة تقدم الطبيب الشرعي إليها ، وفحصها ثم أعلن أن الرجل خنق عمدا .. ثم ألقي في المسبح ، وأن جريمة قد حصلت .

وبدأ رجال الأمن بالعمل بهمة ونشاط ، بعمل الإجراءات اللازمة والتحريز والتصوير .. ولما انهوا عملهم طلبوا من رجال الإسعاف نقل الجثة إلى مكان تشريح الجثث في المنطقة؛ ليقوم رجال الطب الشرعي بعملهم وتقديم التقرير الطبي للوفاة من بيان سبب الموت ووقت الجريمة وأداة القتل .

وبينما كان البعض يرحل الجثة استمع الضابط المحقق ووكيل المدعي العام للقصة التي سردناها عليكم في الصفحات السابقة حسب رواية السيد توفيق حامد .. واستمع لسيرا التي هدأت بعد هذه الساعات ..وأرسل في طلب أبي خالد ورفاقه .. وطلب منهم الاتصال بناصر ورفيقه ولينتظروا جميعهم في مركز الأمن .. وطلب المحقق تحريات سريعة عن السيارة التي كانت على بوابة المزرعة عند مغادرة رفاق القتيل القصر .

٧

استمع الضابط لأقوال كل من كان في المزرعة ، ولما حضر سعيد أدلى بأقواله، وهو يذرف الدمع على أبيه المقتول ، وأدلت فادية التي حضرت مع سعيد بقصة ناصر مع والدها ، واستمع الضابط لأقوال الفراش ماهر ..الذي أكد قول توفيق بأن والده تأخر بعض الوقت في المكتب ، وعلم منه وهو يتركه في مكان ركوبه لبيته أنه ذاهب للمزرعة للمبيت فيها ، كما يفعل منذ سفر الحاج مروان .. وكلفت إدارة التحقيقات الجنائية الضابط بلسما ومساعده محمود صبري بمتابعة التحقيق في هذه الجريمة من كادر ضباط دائرة الأمن العامة.. ولما انتهى بلسم ومساعده من قراءة ملف التحقيق الابتدائي .. ، قال بلسم وهو ينهض متمشيا في غرفة التحقيق الخاصة به : سنذهب إلى مسرح الجريمة والحدث .. فتقرير الأطباء يؤكد أن الرجل قتل خنقا ، ولم توضح الأداة المستعان بها على خنقه ، ويقول أحدهم ربما يكون ضغطا باليد حتى فارقت الروح الجسد وبعد موته سيق إلى المسبح وطرح فيه ..حتى إذا بقي فيه حياة سيموت من الماء ؛ ولكنه كان ميتا قبل رميه ، وربما كان القصد من رميه في المسبح لتضليل التحقيق بموته غرقا.. ولكن هل كانت هذه الجريمة طارئة وفجائية ؟ ولماذا ألقي في الماء ؟!

قال محمود : هناك صراع بين حامد وشريكه وناصر في الشركة والمصانع .. فالجريمة كأنها مدبرة .. لماذا اختيرت المزرعة ؛ لتكون مسرح الحادث والقتل ؟!.. واختيار المزرعة يدل على معرفة الجاني أو الجناة بالمزرعة والمسبح .. وغياب البواب.. وإبعاد الكلاب لآخر المزرعة .. أسئلة تحتاج لأجوبة .

قال بلسم : جميل ! .. ولكن القتلة هل كانوا يعلمون بوجود رفاقه معه في المزرعة ، ثم انصرافهم ؟ ..وما الذي كان بين ناصر زوج ابنته ورفيقه وحامد ؟!

ـ لابد أنهم يعرفون عاداته بالسهر مع رفاقه كل ليلة .. وعادة الانصراف مع نصف الليل .. ولكن الأصدقاء انصرفوا قبل الحادية عشرة ليلة الجريمة .. لماذا ؟ .. وقد غادروا بدون الاستئذان من الرجل ؛ ألأنهم أحسوا بأن الجو غير مناسب للسهر ولعب الورق ؟!

قال بلسم: ولماذا كان لقاء ناصر به في المزرعة ؟ ولماذا أخذ معه المدعو غسان ؟ .. والشجار الذي سمع الرفاق بعضه .. ما موضوعه ؟ هل كان الحديث حول الطلاق كما زعم ناصر لزوجته ؟ لأن عمه أخبره أنه عاجز من إرجاعه لعمله قبل هدوء الأمور بين الشريكين .. الشاب هذا يجب متابعته يا محمود ..إذا أجبنا عن هذه الأسئلة نصل لحل لغز هذه الجريمة .

ـ السيد ناصر هو الآن تحت المتابعة .. ويجري التحري عن السيارة التي شوهدت أمام المزرعة كما أخبر توفيق .. وناصر لم يفصح بتفاصيل لقائه مع عمه في المزرعة

ـ حسنا يا سيدي! سنذهب الآن لمسرح الجريمة نلقي عليه نظرة دقيقة .. ونشاهد حجرة السيد في القصر .. فقد أمرت بإغلاقها ، وعدم دخول أحد إليها ..ونشاهد المزرعة والمسبح هل يمكن أن يكون خنق باليد أم في رباط العنق ؟

ـ التقرير يؤكد الخنق ، ويبين أن أداة الخنق لم تترك خدوش على الرقبة ، والرباط لا يترك أثرا إذا حدث الموت سريعا ..والخنق باليد على شكل دائرة لا يترك أثرا واضحا على العنق أيضا ؛ لأن الشخص يضغط أيضا بقماش أي بكم القميص أو الجاكيت ..ورباط العنق وجد في الماء وحده لم يكن مربوطا في مكانه حول رقبة القميص .

وغادر الضابطان المكتب ، وكان السائق في انتظارهما ، فحيوه وأمروه بالانطلاق إلى مسرح الجريمة للمعاينة في القرية الزراعية ، لدراسة الجريمة ، وطلبا قبل مغادرتها من ضابط التحقيق الأولي التابع لتلك المنطقة أن ينتظرها عند مدخل المزرعة .



٨

ولما انتهى الضباط من معاينة مكان الجريمة في مزرعة حامد ، قال ضابط المنطقة لهم : لقد استمعت لأقوال أولاد المجني عليه كلهم ، وأمهم وخالهم جابر وابنه عصام ، وزوج ابنته ناصر ورفيقه غسان ..كلهم يرون أن عاصفة عصفت بهم ؛ ولكن أن تحدث جريمة قتل لم يتوقعها أحد .. فالاختلاس والرشوة أعمال تكثر بين الناس .. لذلك الدافع لهذه الحادثة غير واضح بالنسبة لي .. وأقوالهم مدونة في محاضر الشرطة ..ولابد أنكم اطلعتم عليها ..

فقال بلسم : نعم قرأنا الملف كاملا وتقارير الطب الشرعي ..

فقال الضابط : ومع ذلك أرى أن لدى الجميع أقوالا أخرى .. ربما عندما تخف حدة الصدمة سيتكلمون .. ويتذكرون أشياء لم تُقل أمامي .. وأشياء لاحظوها ولم يهتموا بقولها .. فلو عدتم لسماعهم مرة أخرى .. والسيارة التي تحدث عنها رفاق الميت لم يعرف عنها شيء في منطقتنا .. وربما تكون أقوالهم غير صحيحة .. وإنها خدعة وكذبة منهم .. وإنهم ادعوا ذلك لتضليل العدالة .. فهم آخر من رأى الضحية ؛ لكن لا مصلحة أو فائدة لهم لحتى الآن في الجريمة .. فأبو خالد صديق قديم للرجل كما قال ابنه ..

فقال محمود : أتقصد أنهم قتلوه .. وطرحوه في المسبح ؟

ـ احتمال إذا ظهر أن لهم دافعا للاغتيال .. هم آخر من كان في القصر بعد انصراف ناصر وغسان .. وهم الذين ذكروا أنه صعد لغرفته بعد نقاشه الحاد مع نسيبه .. ثم زعموا أنهم خرجوا بدون إخطاره .. مدعين أن التوتر كان يخيم على السهرة .. قطعوا السهرة المعتادة بينهم .. فهم يسهرون على لعب الورق .

فقال بلسم : يلعبون القمار؟

ـ نعم ، يلعبون القمار ؛ ولكن ما فهمته من توفيق أنهم يلعبون عن مبالغ بسيطة .. لإعطاء اللعب الحماس والتنافس .. فليس عن مبالغ تدفع للقتل والاغتيال ..وأنا تركت التحقيق معهم لكم ..

فقال محمود : مكان قتل الرجل أين بالضبط ؟ هل قتل عند المسبح ؟ فتقرير الطب الجنائي يبين أنه قتل أو خنق قبل أن يقذف في البركة .. مع أن حجرته في الطابق الثاني كما جاء في تقريركم تدل على أنه جلس ونام على التخت .. إلا إذا كان الوضع ما كان عليه في الليلة السابقة .

ـ هذه النقطة هي التي تدل على زعم الرفاق الثلاثة أنه صعد إلى غرفته بعد النقاش الحاد بينه وبين ناصر وغسان ..وسيرا الخادمة تقول إنها لا تدخل غرفة السيد .. لترتيبها .. عملها محصور في الطابق الأول ..وعندما يريدون تنظيف كامل الغرف والقصر يسعى البواب إلى جلب بعض الخادمات للعمل عدة ساعات ..

قال بلسم : شكرا على جهودك يا سيدي الضابط .. نحن سنتابع التحقيق في المدينة هناك .. ومكان حدوث الخنق سنعرفه في حال القبض على القاتل .. ولكن عندما يعود الحارس من سفره أرجو التحقيق معه ، وإفادتنا بالجواب عن موعد سفره .. هل كان عفويا أم أن أحدا دفعه للسفر في هذا الوقت تمهيدا للجريمة ؟

ـ حاضر يا سيدي .. والمزرعة ما زالت تحت الحراسة .. ومنذ موت الرجل لم يأت إليها أحد حتى الخادمة أوقفنا مجيئها ، ثم سمحنا لها بالمجيء لإطعام الكلاب .. بل صرح أولاد المجني عليه أثناء التحقيق أنهم سيعرضونها للبيع بعد الانتهاء من معرفة الجاني .

ـ البيع بهذه السرعة!! لعله من باب التشاؤم .. هل من أحد عرض عليهم شراءها ؟

ـ قتله غاية شرائها ؟ .. لم أسمع بذلك .

ـ شكرا والسلام عليكم .

ـ مع ألف تحية وعليكم السلام .

٩

كان مدير المصانع شريك حامد موسى في انتظار الشرطة منذ علم بمقتل شريكه في مزرعته ، لذلك استقبل الشرطة بناء على موعد سابق ، وأدخلتهم السكرتيرة عليه فور وصولهم .. ونهض عن مكتبه مرحبا ومصافحا لهم ، وقد طلب لهم قهوة الضيافة منذ أعلمته السكرتيرة بوصولهم ..وبعد التحية والمجاملات التقليدية .. أشار لهم بالجلوس على المقاعد الموجودة في المكتب .. وجلس هو الآخر على أحدها ، ولما سكن المكان إلا من أنفاسهم قال المحقق الجنائي بلسم : أنت تعلم لماذا جئنا إليك يا سيد سلام ؟ .. فشريكك وجد مقتولا في بركة مزرعته.. ولابد أنك شاركت في تشييع جنازته ..وأنا وزميلي محمود كلفنا في التحقيق والبحث في مصرعه .

وتنحنح الضابط لحظات وتابع قائلا : ونحن للآن لم نعرف الدافع لهذه الجناية .. ولماذا قتل ثم ألقي في الماء ؟.. فكان بالإمكان تركه حيث صرع ..وقد ظهر من إفادات بعض الأصدقاء ومن أقوال زوج ابنته المدعو ناصر ..العامل عندكم في المصانع أنه كان بينكم في الآونة الأخيرة اختلافات واختلاسات وفصل وطلاق أو تهديد بالطلاق .. وأنك يا سيد سلام اكتشفت الرشوة والاختلاس ، وطردت ناصرا على أثر هذه الاكتشافات ..فأسمعنا معلوماتك ورأيك؟ وقبل أن يجيب المدير طرق الباب ، ودخل العامل ، وقدم المشروبات للضيوف ، ثم انصرف مغلقا الباب وراءه ، ولما بدأ الشرب للقهوة ، قال مدير المصانع بعدما مسح فمه بمنديل ورقي : هل لموت شريكي حامد علاقة بطرد صهره ناصر ؟

قال بلسم : لا ندري الآن بالضبط .. لكنه كان في مسرح الأحداث ليلة موت الرجل ..كان بينهم لقاء في المزرعة .. ومن كان قريبا من الأحداث سمع بعض الكلام الحاد .. ولكنه أنكر أن يكون قد تشاجر مع عمه ..إنما كان حديثهم حول إعادته للشغل أو تطليق البنت.. وإنه لا يجب أن يتحمل الضرر وحده .. فغضب حامد وطرده هو ورفيقا له جاء معه اسمه غسان .. وإنه وهو يغادر أمهله ثلاثة أيام .. ليحسم الأمر .. أمر عودته للعمل معكم ، وغادر القصر هو وغسان .. الذي ادعى أنه رافق ناصر للتوسط بينهم ..

فردد سلام : غسان .. يا غسان !

ـ أتعرفه ؟!

قال متعجبا : كيف لا أعرفه ؟!

فقال بلسم : للأسف أنا لم أره .. فالتحقيق الابتدائي جرى في منطقة الجريمة قبل أن ينتقل إلينا في هذه المدينة .. المهم أن السيد ناصرا طرد ابنة حامد ليلة الحادثة ، وأعلمها أنه ذاهب لمقابلة أبيها لإنهاء الأمر.. وذهب فعلا للمزرعة وبرفقته غسان .. وهناك وجدا رفاق حامد .. فتركوا الرفاق ودخلوا حجرة وجرى بينهم النقاش الذي وصف بالحاد .. وبعض صياحهم كان يصل للضيوف ولكنه غير واضح .. وانصرف الرجلان .. والضيوف أكدوا أنهم لم يسمعوا أي تهديد بالقتل .. كانوا ينظرون للقضية قضية عائلية .. ولن تتطور لقتل وموت .. والأولاد نفوا أي تهديد لأبيهم بالقتل من قبل ناصر .. التهديد كان حول الطلاق .. والعودة للشغل .

وبعد فترة صمت قال المدير : ما المطلوب مني ؟!

قال بلسم : معلومات .. لماذا فصل ناصر ؟ ولماذا يهدد الرجل عمه ؟! .. هل فقط لأنه زوج ابنته ؟ أم له دور في الرشوة والاختلاسات التي ثبتت على ناصر .

ـ هذه أمور تخص الشركة .. وأسرار الشركة ...

قاطعه محمود : ربما يا سيدي هي سبب هذه الجريمة ؟

ـ ربما ..

قال بلسم : وهو شريكك وصاحبك أيضا .

ـ وهو زوج ابنته ..وأنا أخشى أن لا تكون الرشوة والاختلاسات التي أدين بها ناصر لها أي علاقة بالجريمة ..هذه قضية وتلك قضية .. أنا المسئول عن إدارة المصانع هنا والإنتاج يا سيدي الضابط .. وعملي هنا .. وفي مكتب الشركة حيث يعمل حامد الإدارة الرئيسية والتوزيع والتسويق والسجلات والمعاملات وشراء المواد الخام .. فما يدور هناك متروك لشريكي ..وما يدور هنا لا دخل له فيه .. أما بالنسبة لقضية الرشوة والاختلاسات التي قام بها ناصر فكانت

هنا.. المبيعات تخرج لبعض الزبائن بدون معاملات ومستندات ، فكانت هذه الصفقات تذهب أموالها إلى حساب ناصر .. فكانت تباع من ورائي .. وأنا عرفت ذلك من بعض الزبائن .. وبعض محاسبي الإنتاج كانوا حقيقة يلمحون لي بين الحين والحين بالنقص .. ولكن لما تزيد كمية المبيعات المسروقة عن حدها يظهر السر والفضيحة .. وهذا ما كان في الفترة الأخيرة .. فتكشف لي أن ناصرا هو الذي يدير العملية بمعية بعض العمال .. عصابة أيها السادة .. وقد تم فصلهم جميعا .. وكان بالإمكان شكواهم للشرطة وتقديمهم للشرطة .. ولكن الأدلة لم تكن كافية .. إنما أقوال واعترافات لم تكن كاملة .. قد تتغير أمام المدعي العام ..فاكتفيت بطردهم .

قال بلسم : أنت ترى يا سيدي أن هذه الحادثة لا علاقة لها بمقتل حامد .

قال سلام : لا أدري! لا أجد رابطا بينهما إلا إذا تهور نسيب حامد .. وقتل عمه .. أو عصابته في الشركة أصابهم جنون وتورطوا بقتله .. فهو بعيد عن إدارة المصانع

فقال محمود : ألا يكون حامد متواطئا معهم أو مع نسيبه على الأقل ؟

ـ حقا ، لا أستطيع إثبات ذلك .. وإليك قصة ومجمل الرشوة والاختلاسات .. أحد التجار يسأل عن عدم وصول طلبيته (البضاعة المبتاعة).. فأخبره مسؤول المبيعات أنه لا طلبية مشتريات له في الشركة .. وبعد تحقيق تبين أنه يأخذ ويحصل على المواد عن طريق ناصر وعصابته .. ويأخذ منه السيد ناصر رشوة أو عمولة .. أما هل شريكي حامد شريك له .. فليس لديّ فعلا أي إثبات ..وأعتقد أن جواب هذا السؤال عند ناصر .. واليوم بعد موت حامد صعب إثباته .. إلا بأدلة مادية .. أليس كذلك ؟!

ـ صدقت ، لو ادعى ناصر ذلك واتهم عمه بالشراكة يحتاج الأمر لأدلة قوية .. هل تتذكر شيئا يفيد التحقيق ؟ قال : للأسف الآن لا أذكر شيئا .

ـ لو طلبنا أسماء الرُشاة والذين يشترون خفية عنكم أيمكن تزويدنا بذلك ؟

ـ هذا ممكن إذا كان في ذلك ضرورة .. إذا اضطررتم فأنا في خدمتكم .

ـ شكرا ..وإلى اللقاء .

١٠

انطلق الضابطان من إدارة المصانع إلى إدارة الشركة في وسط المدينة التجارية ، وبعد أن عرفا بأنفسهما للقائمين في الشركة ، ادخلهما المسؤول عن الحسابات إلى مكتب حامد ، وطلبا الحديث مع الفراش ماهر .. ولما أغلق الباب قال بلسم : ذكرت في إفادتك للضابط نور الدين أن المدير تأخر هنا في المكتب هذا بعد انصراف الموظفين أكثر من نصف ساعة عن الدوام المعتاد .. وذكرت أنه كان قلقا مشغول الذهن ، ويظهر عليه بعض الغضب .

فقال ماهر : نعم يا سيدي! .. السيد حامد كان متوترا ، وكانت مشكلة صهره ناصر تقلقه .. وأخبرته بانصراف الموظفين ، فطلب مني التأخر بعض الوقت .. حوالي نصف ساعة .. ولما لبس الجاكيت المعلقة عادة بجانب هذه المرآة ـ وأشار إلى مرآة معلقة على الجدار ، ومثبت بجوارها حمالة ثياب ـ وقبل أن يخرج رن جرس الهاتف .. وفهمت من الكلام أنه سيبيت في المزرعة .. وأنه يتحدث مع البيت .

فقال بلسم : حسن هذا يا سيد ماهر .. وكما تعلم ويعلم الجميع أن السيد مات مقتولا .. فهل يمكن أن يقتله زوج ابنته نتيجة طرده من المصانع ؟

حك الرجل رأسه عدة مرات ، وأخذ يحدق في وجه الضابط السائل وقال : كان بينهم يا سيدي في الأيام الأخيرة مشاجرات ومشاحنات ، سمع بها كل من يعمل في هذه الشركة .. وما أدركته من شجارهم أنه كان حول الرشوة والاختلاسات التي قام بها السيد ناصر .. وأن على السيد حامد أن يعيد ناصرا لمركز عمله .. ويضغط على شريكه بإنهاء المشكلة قبل أن تخرب مالطة .. وحقيقة كان السيد حامد مرتبكا ومضطربا ومنزعجا من هذه الفضيحة .. ويرجئ الشاب بالصبر لبعض الوقت ، وأنه سوف يعود للعمل في المصانع وينتهي الإشكال.. ويطلب منه الهدوء والصبر والصمت .. ولكن ناصرا كان يصر على العودة على الفور .. وحتى أخذ يهدد الرجل بطلاق كريمته فادية .. فهذا أوقع في نفسي حقيقة ريبا وشكا ، وأن بين الرجلين شراكة .. فمهما كان الرجل نسيبا فلا يتحدث مع حماه بالأسلوب الذي كان يظهر من الشاب ناصر

..لا أدري .. فمن المشاحنات التي كانت تجري أحسست إحساسا عميقا أن الرجل كان يختلس بعلم والد زوجته .. وقد سمعته أكثر من مرة وهو يردد أمامه لا يجب أن أتحمل المسؤولية وحدي ولا يجب أن تتشوه سمعتي وحدي وعملي في الشركة سيرد لي اعتباري وسمعتي .. فهذا في حدود معرفتي تهديد مبطن .. وكان السيد ناصر وقحا وشرسا .. وهو لا يعمل في هذا القسم فمكانه هناك في المصانع ؛ ولكنه يتردد كثيرا علينا هنا ..كنا نرى ذلك بحكم العمل والمصاهرة .. أما القتل بسبب ذلك لا أستطيع أن أقول هذا .. يمكن أن يكون ذلك بسبب المشكلة .. ومع ذلك لم أسمعه يهدده بالقتل يا سيدي .

قال بلسم : أحسنت يا سيد ماهر ! .. أنت رجل شريف وحر .. السيد سلام هل أدرك ما أدركته أنت من تواطأ بين حامد وناصر ؟

وضع ماهر نظره في الأرض دقيقة ثم قال بحزم : أعتقد ـ والله أعلم ـ أنه أدرك ما أدركته من علاقة بينهم .. وناصر عصبي المزاج ، وأعتقد أنه تكلم بشيء من ذلك أمام السيد سلام ؛ ليخفف سلام من غضبه وهجومه عليه .. وجرى لقاء حاد بين سلام وحامد هنا في هذا المكتب .. ولكني لم أسمع منه شيئا واضحا ؛ لأن السيد حامدا أغلق الباب بالمفتاح من الداخل ..وقد سمع بعض الصوت العالي .. ولما خرج سلام من المكتب كان بادي الغضب والضيق .. وحتى أنه من شدة غضبه لم يلق التحية علينا على غير عادته يا سيدي .. وهم شركاء منذ زمن .. وأعتقد أنها كانت صدمة كبيرة لسلام عندما علم أن صديقه يسرقه كما خمننا بواسطة صهره .. وناصر عمل في الشركة منذ سنوات قليلة ، وبواسطة حامد ، وبعد أن تزوج من ابنته فادية .. من ورط الآخر لا ندري أو أنا لا أدري ..عين للعمل في المصانع .. والإنسان طماع .. والشركة منذ ثلاث سنوات تعاني كما أسمع من مدير الحسابات .. وأرباحها قليلة .

فتكلم الضابط محمود بعد سماع ماهر وصمته الطويل : إذن كان نزاع خفي دائرا بين سلام وحامد .

ـ هذا أعتقد يعرفه كل من يعمل هنا.. وكان السيد حامد منذ لقائه الحاد بسلام يدخل مكتبه..

ويتحدث بعض الوقت مع الموظفين .. ثم يغادر المكتب عند الظهيرة ساعتين ، وقبل انصراف الموظفين بنصف ساعة يعود للمكتب حتى ينصرف الموظفون ، فيمكث بعض الوقت ثم نغادر معا.. الأمور مضطربة ومرتبكة بعد فضيحة ناصر .

قال بلسم : القتل .. ألم يتحدث به أحد؟

ـ لأ ، وكان المتوقع الانفصال بين الشريكين ..والسرقات كانت تحدث قبل وجود ناصر في المصانع ..ولكن سرقاته كانت مدوية وكبيرة .

ـ ألم تسمع أي شيء من لقاء الرجلين ؟

ـ لو سمعت شيئا لقلته لكم ..عندما يغلق الباب إغلاقا تاما من الصعب سماع الكلام .. ولكن الحال يدل على أن اللقاء كان عاصفا وحادا .

وقف الرجلان وتبعهما ماهر أيضا وقال بلسم : إذا تذكرت أيها الإنسان الصالح شيئا يفيد التحقيق .. فبلغنا به .

ـ سأفعل يا سيدي .. وأحب أن أقول قبل انصرافكما أنه كانت هناك بعض المشاكل في البيت بين الرجل وأسرته .

ـ كيف ؟!

ـ كنت أسمع الرجل أحيانا يسب على زوجته وأهل بيته على الهاتف طبعا .



١١

كان الضابطان يجلسان في مكتبهما يتحاوران حول المعلومات التي تم جمعها عن حادث مصرع السيد حامد موسى .. وبعد نظر في التقارير والبيانات المتوفرة بين أيديهما ، قال محمود صبري :
هل تحدثت مع الشريك سلام عن الحوار الحاد الذي جرى بينهما في مكتب حامد ؟
ـ لم ينكر هذا الحوار .. واعترف أنه كان حول اختلاسات زوج ابنته ناصر وعصابته .. واعترف له الرجل بأنه ليس بينه وبين السيد ناصر أي اتفاق .. وصارحني بأنه لم يصدق ذلك رغم قسمه
ـ إذن كان اللقاء كما اعتقد السيد ماهر ..
ـ أجل .. هل وصلت كل المعلومات حول الأشخاص الذين طلبناها من إدارة التحريات والمباحث الجنائية ؟
فقال محمود : بعضها وصل ..أنا اتصلت بحرم السيد حامد ..وسألتها مباشرة أكان عندها علم بما كان بين زوجها والسيد سلام ؟.. فأقرت أن الرجل غاضب جدا من زوجها.. وطالبه بتغطية كل ما اختلسه زوج ابنتها.
ـ لم يتحدث سلام معنا عن هذا الطلب ؟
ـ وهي لا تعلم قيمة المبلغ المطلوب ؛ ولكنها تراه مبلغا كبيرا ، وسبب لزوجها الهم والغضب من ناصر ومن شريكه .. وسأتحدث بذلك مع ناصر .. لعله يعلم قيمة هذا المبلغ ..
ـ لابد أنه يعلم أليس هو السارق؟.. هذا تطور جيد .. أهناك معلومات أخرى ؟
ـ هي لا تعرف كم هو المبلغ الذي طالب سلام به .. وأشارت ربما يكون أخوها جابر على علم به .
ـ جابر .. شقيقها .. ما معلوماتنا عنه ؟
قال محمود : علاقته مع حامد علاقة قرابة ونسب ؛ ولكن يبدو أنه في الآونة الأخيرة كان بينه وبين حامد شغل قال ذلك أحد الأبناء .
ـ عصام ؟

ـ لأ ، ابن آخر ..

قال بلسم : ألا يوجد أنباء عن السيارة التي كانت أمام المزرعة ليلة الحادث ؟

ـ لحتى الآن لا معلومات عنها .. ورفاق حامد يصرون على عدم معرفة من كان فيها ..كانوا خارجين والسيارة مطفئة الأنوار ..ولكن لما اقتربت سيارتهم منها شاهدوا الأشخاص الثلاثة وكان ذلك في لمحات خاطفة .. السائق .. وبجواره آخر .. وامرأة في المقعد الخلفي .. ومروا مسرعين متظاهرين أنهم لم يروا ركاب السيارة .. لأنهم عندما خرجوا لاحظوا أنهم أطفأوا أنوار سيارتهم .. كأنهم يقصدون ألا يتحدثوا مع أحد ..والسيارة من نوع (تويوتا كورولا اليابانية) ولونها أزرق .

فقال الضابط بلسم : إذن كان وقت انصرافهم قرب الحادية عشرة ليلا .. وأعتقد أن لها دخلا في جريمة المزرعة .. لأجل ذلك اختفت .. يبدو أنهم جاءوا للقاء السيد حامد .. ولما شاهدوا السيارات انتظروا حتى خرجت كل السيارات من المزرعة وبقي حامد ..

فقال محمود : يبدو أنهم جاءوا بدون موعد ..وأحبوا أن يكون حديثهم على انفراد بالرجل .. فانتظروا حتى انصرف ضيوفه ..

ـ والرجل لم يكن إلا على موعد مع ضيوفه الثلاثة .

ـ سأتحدث معهم شخصيا .

ـ افعل .. لعلهم بعد أن خفت حدة الإزعاج والتوتر الذي أصابهم يتكلمون بشيء جديد .. أما أنا فسأزور بيت حامد .. وأتحدث مع أسرته وأولاده من جديد.. وأعرف ما مدى المشاكل بينه وبينهم في الفترة الأخيرة ..وأنظر أوراقه في البيت مرة ثانية .



١٢

استقبلت زوجة حامد ضابط الشرطة المحقق في قضية مقتل زوجها ببرود وقلق وبعدما جلس الضابط جلست مقابلة له فقالت : ماذا يريد حضرة المحقق منا اليوم ؟!

لاحظ الضابط التوتر النفسي عليها بوضوح وأنها منزعجة جدا فقال لها باسما : نحن يا سيدتي إزاء جريمة قتل متعمد .. قتل زوجك السيد حامد ! ولن يهدأ لنا بال حتى نصل للجناة ..يا سيدتي .. فكلما توفرت لنا معلومة تساعدنا في القبض على الجاني علينا مساءلة من لهم علاقة بها ..فعليك أن تتحملي ذهابنا وحضورنا إليك ..علمنا أن مشكلة مالية كبيرة كانت بين زوجك وشريكه .. وعلمنا منك أنك لا تعلمين قيمة المبلغ المطلوب للشريك سلام .. السؤال وضعكم المالي في الأسابيع الأخيرة هل كان مستقرا ؟

قالت بجفاء: يا سيدي ..لا أدري ما الغاية من وضعنا المالي بالنسبة للتحقيق ومقتل حامد ؟!

ـ جميل هذا الاعتراض .. نحن عندنا أحد الفروض لارتكاب هذه الجريمة المال .. المال وراء ارتكاب هذه الجريمة ..أزمة مالية عصفت بالشركة .. عندما تكشف للسيد سلام السرقة التي قام بها صهرك زوج ابنتك في الشركة ..

قالت بحدة : لا أعتقد أن لفعلة ناصر دخل في مقتل زوجي .

ـ هذا نحن نقرره ..مع كامل الاحترام لك ..لماذا قتل الرجل برأيك ؟

ـ لست أدري .. بالنسبة للبيت ليس عندنا مشاكل مالية يا سيدي ..وأما في الشركة فلا أدري الوضع المالي فيها ..والذي ضايقنا في هذه القضية هو تهديد زوج ابنتي لحامد بطلاقها ..ولماذا يحشرها في مشاكل الشغل والعمل ؟ ولماذا يريد أن يحمل عمه جريمته ؟! فهذا ما غاضنا جميعا ! جعل من زواجه من فادية ورقة مساومة .. أليس هذا إجراما ؟!

ـ طبعا هذا فعل أخرق إلا إذا كان زوجك متورطا معه يا سيدتي ..كما يعتقد شريك زوجك ولهذا طلب المال من زوجك ؟

ـ هو الآخر مجرم .. زوجي غير متورط في اختلاس ورشا .. ولكن صهرنا سيء واستغل

زواجه لأبنتا ليختلس من الشركة مدعيا أن حامدا شريك له .. هذا كذب يا سيدي ..

ـ لا بأس .. هل من علاقة تجارية خاصة بين أخيك جابر وحامد ؟

ردت بسرعة وحدة : لأ .. حامد لا يبيع لجابر شيء .. وإذا وجدت بضاعة من مصانعنا عند محلات أخي وأولاده ..فتكون عن طريق مورد يأخذ من عندنا .. فحامد لا يحب أخي جابرا.. وجابر مثله .. علاقات باردة للغاية .

حدق الضابط في عينيها وقال : صحيح هذا .. لكن العلاقات التجارية ليس الحب سببها .. ولدينا معلومة يا سيدتي أن حامدا في الفترة الأخيرة طلب من جابر مالا .

ترددت قليلا ثم قالت : هذا ممكن .. ولا أعتقد أن ذلك ثمن مبيعات .

ـ أمتأكدة من ذلك ؟

ـ اسأل جابرا الجواب عنده .. أنا حسب معرفتي أن أخي لا يأخذ موادا مصنعة من عند حامد مباشرة لمشاكل قديمة بينهم ، وتعسره في السداد والاتكاء على زواجه مني .. وها هو توفيق اسأله .

التفت الضابط نحو توفيق وسعيد وقال : هل بين والدكم وخالكم معاملات مالية ؟

قال توفيق : ممكن .. استلاف وسداد .

ـ أنتم كيف علاقتكم بحضرة الوالد ؟

رد سعيد كأنه متفاجئ من الاستفهام : علاقتنا بأبينا ؟!.. كعلاقة سائر الآباء والأبناء يا سيدي المحقق .

ـ ألم يكن بينكم مشاكل مالية ؟

هب توفيق قائما وهائجا ومحتجا : يا سيدي هل يعقل أن نقتل أبانا لمشاكل مالية فرضا أنها كانت بيننا ؟

ـ ولم لا ؟..هذا يحدث في دنيا الناس .. المجلات والصحف تجد فيها أنباء أبناء يقتلون آباءهم من أجل المال والميراث .

فصاح توفيق ثانيا : ولكننا لم نفعل يا سيدي ..لماذا نقتل أبانا ؟! .. فنحن نعمل بعيدين عن الوالد .. ونحمل شهادات جامعية .. أنا مهندس وكذلك أخي ..

ـ اجلس وهدئ من انفعالك ..المال يا سيدي المهندس سبب الكثير من الجرائم الصغيرة والكبيرة .. اطمئن لقد تحرينا عنكم جيدا ..ونعلم أن والدك يا سيد توفيق لم يكن على علاقة جيدة بزوجتك.. وحاول منعك من الاقتران بها ..نحن نقوم بواجبنا على قدر طاقتنا .. وسنصل للمجرم بإذن الله ﷻ .

١٣

ـ سيد سلام كم أردت من السيد حامد عندما تشاجرتم أو تناقشتم في مكتبه في الشركة ؟

ـ قدرت يا سيدي قيمة البضائع المختلسة والمسروقة بواسطة ناصر ، فكانت حوالي مائة ألف دولار ، وألزمت حامدا بخمس وسبعين ألف وإلا تقدمت بشكوى ضد المذكور ناصر وعصابته .. وتعهد لي الرجل بدفعها.. وتعهد لي بعدم عودة ناصر للعمل.. وأنا قدرت العشرة والشراكة .. فنحن شركاء منذ أكثر من خمس عشرة سنة .

ـ وكيف وعدك بسدادها؟

ـ تعهد لي بذلك وكفى .. ولم ندخل في تفاصيل السداد .. وعرض تقسيم الشركة .. فرفضت ذلك ، قلت له : سدد هذا المبلغ المسروق ..وبعد حين نقسم الشركة .. فوعد وتعهد بالتسديد

ـ وجابر أخو زوجته ما دوره بينكم؟

ـ جابر تاجر كبير وقديم .. وهو أحد الذين كانوا يأخذون البضاعة المسروقة عن طريق ناصر .. وأعتقد أن حامدا كان على علم بذلك .

ـ هل تقصد أن ناصرا كان متآمرا مع حامد ؟!

ـ هذا اختلاس له سنوات كما تبين لي ..وهو اختلاس منظم .. ولا أعتقد أن حامدا يجهله مثلي ولكن تهديد ناصر لحامد يثير الريبة .. وردد أمامي أنه لا يعمل وحده .. وأنه سيخرب مالطة والمصنع إذا طرد من العمل .. إنه لا يعمل وحده ..وليس لديّ إثبات حازم في القضية .. ورضوخه لدفع الغرم يزيد من التأكيد أن له يدا مع ناصر . وكان يخشى التشهير في الموضوع ويخشى طلاق ابنته .

ـ جابر لا يستلم مشترياته من هنا مباشرة ؟

ـ منذ زمن بعيد حدث بيننا إشكال ، كان يتقاعس عن التسديد ويماطل ويعتمد على حامد ، فطلب مني شريكي وقف التعامل معه .. فوافقت وساءت العلاقة الشخصية بينهما .. وأنا تفاجأت بشرائه مواد مسروقة .. وهو يعلم أنها من مصانعنا .

ـ أخيرا يا سيدي ..حامد كيف هو مع أفراد أسرته ؟

ـ أولاده يشتغلون في شركات خاصة بعيدين عن عمل والدهم .. زوجته لا تتدخل في عمله حسب معلوماتي .. لكني سمعت أن له بعض المشاكل مع زوجات أولاده .

ـ أشكرك يا سيدي ..فلنذهب لمقابلة السيد جابر وعصام .



١٤

استدعي السيد جابر إلى دائرة الأمن لمقابلة الضابط بلسم وزميله محمود ، وكان الاجتماع في غرفة خاصة لتسجيل الحوار دون معرفة السيد جابر ، وكان هذا اللقاء بعدما كملت التحريات عن السيد جابر ، وبعد الترحيب والحديث عن الصحة وشربه لفنجان القهوة قال بلسم : يا أخ جابر ..أنا قرأت إفادتك في التحقيق الابتدائي في مقتل زوج أختك ..قلت إن أختك تحدثت معك عن اختفاء حامد صباح اكتشاف الجثة ، فحضرت أنت وعصاما وسرتم للمزرعة .. وهناك صعدتم حيث ينام توفيق الذي ذهب من الليل ليبحث عن أبيه الذي لا يرد على التلفون وكانت الساعة قريب الثامنة صباحا عندما دخلتم المزرعة .. ثم حضرت الخادمة ، وهي في طريقها لإطلاق الكلاب من بيتها اكتشفت جثة الرجل مطروحة في حوض سباحة المزرعة .. سؤالي الآن هل علاقتك في الأيام الأخيرة جيدة مع السيد حامد ؟ ..أو هل طلب منك مالا ؟

ـ يا سيدي أنا علاقتي الخاصة بزوج أختي وقريبي حامد لم تكن طيبة منذ القدم .. إنما هي علاقات رسمية .. علاقات مجاملات ومناسبات فقط .. وحتى أفراد أسرتي معهم كلهم هكذا .. علاقات غير ودية .. لكن العمل يتطلب منا في بعض الأحيان بعض المعاملات المالية بحكم المصالح والاضطرار .

ـ هل طلب منك مالا في الأيام الأخيرة ؟

ـ طلب مالا يا سيدي الضابط .. أقول بصراحة أنا أستورد مواد غذائية من الداخل والخارج وكان الغبي ناصر صهر أختي زوج ابنة حامد ..يبيعني المواد المنتجة بمصنع زوج أختي بأسعار رخيصة .. وأعرف للأسف أنها مسروقة من المصنع بدون علم السيد حامد وشريكه سلام .. ولكن بعد زمن علمت من ناصر نفسه أن زوج أختي على علم بهذا التهريب دون علم السيد سلام .. وبضاعة رخيصة مغرية للتاجر يا سيدي الضابط .. والطمع المجبول على البشر له دور .. أو شطارة كما يسميها البعض .. كنت أعقد أنا نفسي معه توريد صفقات سرية .. وكان السيد حامد يعتقد أنني لا أعرف بتعاونه مع ناصر .. واستمر البيع هذا لسنوات مضت ومع مرور

الوقت ينسى المرء صواب وخطأ طريقة التوريد ..فلما اكتشف سلام الخداع من ناصر والذين يتعاونون معه من أفراد العمل .. غضب وعرف مكر شريكه وسرقته له فأصابه ألم وضيق .. وألزم زوج أختي بخمس وسبعين ألف دولار أمريكي لحسابه الخاص بدل كل هذا الخداع طوال كل هذه السنوات .. مبلغ لا يدخل خزائن الشركة .. والحق أنني أنا الذي سربت لسلام أمر التهريب ..لأن السيد ناصرا زاد طمعه وزاد عمولته من خلف زوج أختي حامد .. وأخذ يتلاعب فيّ .. المهم من الزعل والضيق سربت معلومة لسلام شريك حامد .. وكان قصدي تخويف ناصر حتى لا يلعب بذيله .. ويبدو أن السيد سلاما كانت لديه شكوك حول الموضوع .. فكبر الأمر ، وروقب ناصر، وقبض عليه متلبسا بالتهريب من وراء المدير .. واعترف ناصر بخيانته وتورطه بالسرقة .. وحاول استغلال اسم حامد معتقدا أن المدير سلاما سيخفف من هجومه ولا يتقدم بشكوى للمدعي العام .. وكشف التحقيق السري ناصرا وعصابته وظهر الاختلاس ، واعترف بعض التجار بالرشاوي التي كانت تدفع لناصر ومن معه .. ففصل الجميع من الشركة ..وناصر أخبر السيد حامدا بأنني أنا الذي أفشيت السر وفضحت المستور ..ولما تعهد بدفع المبلغ الذي فرضه عليه سلام أراد السيد حامد أن أدفعها أنا ..فرفضت بشدة وأنكرت تسريبي للأمر ، واتهمت ناصرا بالكذب لخلط الأوراق.. وتدخلت أختي في الموضوع ..وإنني لا يلزمني شيء نحوه ..ولكن حامدا أصر وأرادها مني .. ولكني أبيت وقلت له لا حق لك عندي .. أنا كشفت أمر ناصر .. ولم أكن أعلم أنك متفق معه ومتورط ، فكذبني وقال : إنك تعلم وناصر أعلمني أنك تعلم إنني أعلم بهذا التوريد .

ـ هذه كله عرفناه بطرقنا الخاصة ..يا سيد جابر قل لنا الآن دورك في الجريمة ؟

ـ دوري .. لا دور لي يا سيدي ؟

حملق الضابطان في جابر وقال بلسم : يوم الجريمة علمنا من أحد عمالك أن السيد حامدا اتصل بك وأنت في المتجر .. وأكد عليك للذهاب إلى المزرعة ليلا بالمال.. وسمعك العامل وأنت ترفض وتصيح غضبا .. وتضع السماعة وتقول بصوت مسموع للعمال وأنت تقول لعصام

الذي كان يتابع ردك وغضبك : المجنون حامد ! ..يريد لقائي في المزرعة ويريد الشيك الليلة.
ـ حصل يا سيدي ولكني لم أذهب ليلتها .
ـ بل ذهبت يا سيدي .. فضيوف حامد رأوك وأنت وابنك وامرأة وهي أختك زوجة حامد.. رأوك وهم منصرفون من المزرعة قبيل الساعة الحادية عشرة بعد شجار حاد بين حامد وزوج ابنته تلك الليلة ..كنتم أمام المزرعة بمائة متر .. تنتظرون مغادرة الضيوف ..السيارة مطفئة الأنوار من نوع (تويوتا كورولا زرقاء اللون) ولكنهم بأنوار سيارتهم قد لمحوكم .. رجل في مقعد القيادة وآخر بجواره ، وامرأة في الكرسي الخلفي .. ونحن وجدنا السيارة معروضة للبيع في حراج بيع للسيارات ، ووضعت فيه في اليوم التالي للجريمة وهو يوم اكتشاف الجريمة .. وهي باسم ابنك عصام .. وقمنا بالبحث عن جميع سيارات العائلة ومن لهم علاقة بالأسرة .. ولو كانت السيارة بريئة لما اختفت .. وصاحب معرض بيع السيارة المستعلمة أكد لنا أنها تخص ابنك .. المسألة كانت مسألة وقت .. وابنك الآن في الطريق لدائرة التحقيق .. وضيوف حامد عرفوا زوجة حامد .. ولكنهم كتموا الأمر فهم لا يتوقعون أن لكم ولها يدا في مقتل زوجها .
ـ هي لم تقتل زوجها يا سيدي .
ـ هل تستطيع أن تثبت لنا عدم وجودك على مسرح الجريمة يا سيد جابر ؟
تنفس نفسا عميقا وقال باستسلام : أنا كنت على مسرح الجريمة .. بعد ذلك الاتصال الذي أشرتم له وبعد تردد شديد .. اتصلت بأختي وحدثتها بطلب زوجها اللقاء بي في المزرعة .. فجاءت لبيتي ..وأخذنا عصام للمزرعة قبل منتصف الليل .. وكان اتصال حامد بي بعد حديثه مع ناصر فقال : ناصر كان هنا وهو مصر للعودة إلى المصنع .. ومصر على طلاق فادية وطلب مني المجيء إليه .. فقلت له في النهاية أنا قادم .. اصرف ضيوفك .. ولما اقتربنا من المزرعة وقبل أن ينزل عصام لفتح البوابة رأينا أضواء سيارات الضيوف فأطفأنا نور سيارتنا ، وانكمشنا على أنفسنا، وقال عصام: كأن ضيوف الرجل في طريق الانصراف .
فانتظرنا ريثما ابتعدوا ، واختفت أضواء سيارتهم ، ودخلنا حتى وقفنا أمام القصر .. فصعد

عصام مناديا على زوج عمته الذي جاء غاضبا مهدرا ومتضايقا من إحضار زوجته معنا ، وأساء إليها بالسباب ، وطلب مني كتابة شيك فورا بالمبلغ المطلوب ، وإنني يجب أن أتحمل نتيجة الغدر به وفضحه أمام شريكه .. واشتد بيننا النقاش والسباب حتى أن عصاما حاول أكثر من مرة أن يضربه من كثرة ما وجه إلينا من لعن وتجريح .. ولولا تدخل أختي المتكرر لضربه .. ثم فاجأنا يا سيدي بإخراج مسدس من جيب جاكيتته ولوح به علينا من الغضب المتلبس به ، وحاولت أختي ثنيه عن جنونه وعصبيته وتهدئة الوضع ، فقال لها : أنت سأبدأ بك .

وأطلق طلقة على الحائط حقيقة .. نحن لا ندري فعلها قصدا لتخويفنا أو خرجت رغم أنفه وكان عصام قريبا منه يا سيدي فضربه على ساعده بسرعة خاطفة فسقط المسدس على الأرض وخنقه بذراعه .. وصاح حامد ؛ ولكنه من ضغط عصام سقط أرضا .. ظننا أنه أغمي عليه .. ثم تبين لنا موته السريع .. وبعد ذهول وصدمة جررناه إلى المسبح وانصرفنا .. زاعمين أننا لا نعلم بموته .

ـ وعادت الأم للبيت عند منتصف الليل تطلب من أولادها البحث عن أبيهم .

ـ هذا ما حصل يا سيدي .. الموقف كان قاتلا وصادما لنا جميعا .. عصام لم يقصد قتله.

ـ والمسدس .

ـ أخفيناه .

* جثـة فـي الـبـركـة *

غادر مقر الشركة للسهر في مزرعته

وجدت جثته صباحا في حوض السباحة

جرت التحقيقات الجنائية لتكشف لنا دوافع الجريمة

ولماذا سكتت زوجة القتيل عن الإعلان بموته ؟!

هذا ما حدث في هذه الحكاية فعلا !!



التحقيق الجنائي والجريمة



التحقيق الجنائي والجريمة

المجموعة الأولى

١-٩